مبادئ علمُ الاجتماعِ العسكريّ

العميد طيار ركن فتحي المنيصير

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب

رقم الإيداع 566/ 2024

دار الكتب الوطنية

بنغازي – ليبيا

هاتف : 9090509 –9096379 – 9097074

بريد مصور : 9097073

بريد الكتروني nat_lib_libya@hotmail.com

ردمك (ISBN) 978–9959–1–3478–3

اللهم كنْ لأبطالنا جنود الجيش الليبي البواسل مؤيداً وظهيراً، ومعيناً ونصيراً، اللهم سددْ رميهم ، واربطْ على قلوبِهم ، وثبتْ أقدامهم ، ومكِّنهم منْ رقاب عدوهم ، وافتحْ لهم فتحاً على فتحٍ واجعلْ عدوهم في أعينهم أحقر منَ الذر .

اللَّهُمَّ لاَ تُمَكِنُ الأَعْدَاءَ فِينَاوَلاَ تُسَلِّطْهُمْ عَلَيْنَا .

«اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ ، سَرِيعَ الحِسَابِ ،اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ ،اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ

آمين

الإهداء

بأصدق المشاعر وبكل تبجيل وتوقيرٍ وبأجمل الكلمات الطيبة النابعة من قلبٍ وفيٍ،

أقدم شكري وامتناني الى : كلية القيادة والأركان بالجيش العربي

حيثُ تفتحتِ الأذهان والأبصار

طرابلس 12 ديسمبر 2016

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا الكريم، سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحابته أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، وبعد :

لقد اعتقدت لفترة طويلة أن جوهر الإنسان هو نفسٌ قارئةٌ كاتبةٌ ، ولأني أقراء كثيراً منذ الصغر كنت أعتقد أنّ كل الناس يقرؤون ، وكنت أعتقد أن القراءة والكتابة كالحرية هي أفعال للنفس تتعالى بها على الجسد ، وتتحكم عن طريقها في أفعال المرء وأقواله ، وقد تصورت أن الكتاب هو كل الفكر ، وأن القراءة هي كل الذات . لاسيما وأن العزلة لا تخدع المرء ، لا غرائز تمثل عقبة أمام اختيار الفعل الإرادي الحر ، وأن الجنون الوجه الآخر للعقل ، والخيال أصله صورة سلبية للحقائق . ولقد تعززت مثل هذه الاعتقادات عندما ركزتُ على اعتزال الناس ، فلسفة شخصية على أرضية صلبة شكلت صورة دوغمائية للفكر العسكري الذي لا يؤمن إلاّ بالطائرة والمدفع وأخلاقية العقل ، واستقامة الإرادة وتحمل مسؤولية الكينونة ، ويعتبرها مشروعاً وأمراً ممكناً عن طريق المعرفة فقط .

لكن مع استمرار فلسفة العزلة زادت كراهتي للناس من حولي ، ساهم في ذلك صعود أسهم مُرتَدِيّ الأقنعة وأقطاب الظنون بدأت الحقيقة تظهر واكتشفتُ "مُشكل زيف المجتمع واعتبرتُه وعياً " واتضح لي أن علاقة القلم بالناس هي غامضة غموض العلاقة بين الليل والنهار . على هذا النحو تبين أن الكتاب لا يمثل إلا القشرة الظاهرية من الشخصية المجتمعية من حولي ، وأن التواصل مع المجتمع وهمٌ خالصٌ وعالمه الباطني مليء بالسراب وبالأنوار الخادعة ، والصداقات مجرد خرافة وتلاعباً بالألفاظ ، وأن القراءة حُريّة تخفي المرء بالتبعية ، وأن الإنسان لا يكون مسؤولاً عن أفعاله طالما أنه في جماعة ، يتسلط عليه أسيادٌ ثلاثة هم : متطلبات المجتمع ورغبات النفس وأوامر الأنا ، هكذا نصبح كلنا مجرمين تتنازعنا رغبتان متناقضتان الأولى أوتارخيا (Autarchia): وتعني الاكتفاء الذاتي أو طاعة النفس. إنها الميل إلى الاكتفاء بالقليل وضبط الرغبات والنزعات الشخصية والثانية هي أكراسيا (Akrasia): وتعني عدم ضبط النفس أو معصيتها. إنها الميل إلى الرضوخ للرغبات والنزوات الشخصية بشكل لا يخضع للعقل والحكمة . هاتان الرغبتان توضح الصراع الداخلي في الطبيعة البشرية بين طاعة النفس وضبطها من ناحية ، والاستسلام لرغباتها من ناحية أخرى . تلك هي الحالة الضبابية التي أعيشها منعزلاً رغم كثرة من حولي فقسمت مسيرة تفكيري في هذه الإشكالية إلى ثلاثة لحظات:

- لحظة مواجهة مع النفس: حيث تجوهرت بالتخلص من " من أنا ؟ " ، وجعلت هويتي تتشكل عن طريق التطابق مع الكتاب والقلم وتتميز عن المجتمع بالتعالي عليه والنظر إلى الناس من موقع منفصل.

- لحظة مواجهة النفس مع المجتمع : حيث لم أعد أهتم بل انخرطت فيه عن التجربة المعيشة وتفتحت نوافذها وأبوابها على الناس والعسكر والحياة العضوية .
- لحظة مواجهة النفس مع ذاتها : حيث واجهة ذاتها المتماهية في مواجهة الغير ، ولم تكتمل كينونتها رغم ضوء العلاقة مع الغيرية .

ما أراهن عليه هو أن تكون نظرتي إلى نفسي واضحة وبديهية ، وأنها قادرة على معرفة ذاتها ، والانتباه إلى غموض البشر من حولي ، وحاجتي إلى التواصل بواسطة الرموز والثقافة والنصوص ، من أجل إعادة هيكلتي ذاتها. وهذا يطرح عليّ سؤال لا جواب له : إلى متى ؟.

يقول ديكارت : " أنا موجود الآن وأعرف أنني لست سبب وجودي ولا سبب بقائي في الوجود وانتقالي من لحظة حاضرة إلى لحظة موالية ينبغي أن يكون له سبب وهذا هو الكائن القادر على إيجادي وحفظي" ، وما من شك أن المعرفة هي قيمة حياة الإنسان لأنه يرتقي بها على الضفة الأخرى لبني البشر ، ويحقق إنسانيته وحريته ، ولكن ما من شك أيضاً أن المعرفة نفسها في حاجة إلى الوعي بها وإلى تقصي حقيقتها وتتبع أقوالها وأفكارها وأفعالها. لكن إذا حاولنا انجاز رحلة المعرفة فإننا سنواجه صعوبات جمة وتُثار أمامنا عدة مفارقات من جهة الوعي ، ومن جهة علاقتها بالمجتمع وبالآخر .

- أولاً ينبغي أن تلاحظ أن علاقتي بالمجتمع يسودها التعقد والتشابك ، خاصة وأني ابن الطبيعة العسكرية وفي مخيلتي تصوراً لمجتمع آخر.
- ثانياً تتميز العلاقة بيني وبين المجتمع بالتوتر والتصادم والمراوحة بين الاطمئنان وعدم الاطمئنان ، والنفور من المغاير ، وبين تقديس الصداقة والتعايش في العداوة .
- ثالثاً أنني امرؤ ملتبسٌ يعيش المفارقة بين أن أكون لنفسي خارج الأسوار ، وأن أكون لغيري داخلها ، و بين أن أكون مثل غيري و بين أن أستقل بنفسي وأرتقي في سلم الوجود نحو الأفضل . ومثلما صرح ريكور نقلاً عن باسكال :"إن الإنسان هو كائن بسيط في حيويته معقد في إنسانيته" .

إذن كيف أجمع هذه المتناقضات الواضحة للعيان بين انسانيتي وما يترتب عنها من خضوع لمنطق ضرورة الحياة وتقيد بقانون غريزتها والحاجة ، من جهة ثانية إلى مملكة الثقافة والمعرفة مملكة الكتاب والقلم وما يترتب عنها من إحساس بالحرية والكرامة والطموح ، وتجاوز كل التحديدات وكما يقول التوحيدي:" فهو " الإنسان" يقاد بالطبيعة إلى الموت وبالعقل إلى الحياة". إن حل هذه الصعوبات تقتضى حسم الموقف النظري وانتهاء إلى تعريف الإنسان على أنه واحة المعرفة ، وأنّ المعرفة تشربُ من ماء العقل ، وأن العقل هو الإدراك المعرفي وأن جوهر الإنسان هو نفس قارئةٌ كاتبةٌ أي نفسٌ واعية ، وأنني " آنا عارفة " انتهجت فلسفة التعالي عن الجسد والانغلاق عن المجتمع وإقصاء الآخر والنظر إليه كقليل.

هكذا أنا أقوم على الوعي ويقوم الوعي على المعرفة وفهم النفس لنفسها بمعزل عن الحواس والخيال والناس أجمعين . والنفس ليست مرادفة للروح ولكنها : قوة الفؤاد " القلب والعقل " ووقود الروح ، وهو صريح بأن القوة النفس العاقلة أمر مغاير للنفس الناطقة ، أي أن النفس هي البصمة الشخصية التي تميز كل

إنسان عن إنسان أخر ، فهي قوة الذات وحضور الشخصية للفرد ، أمّا قوته مصدر وعيه ، وإن الإنسان بانيته ، أما الوعي مرادف الاستيعاب والامتلاء والحضور التام للذات ، ذلك يعني الإدراك والمعرفة والتطابق التام بين الفؤاد والنفس . وقد عبر ديكارت عن هذا الموقف الفلسفي بقوله:"إنني جوهر كل ماهيته أو طبيعته لا تقوم إلا على الفكر" ، وكان الكندي قد انطلق من قاعدة فلسفية هامة في النظر إلى الإنسان تتمثل في ما يلي : "إنا نحن ما نحن بأنفسنا لا بأجسامنا وأنفسنا ذاتية لنا أما أجسامنا فآلات لأنفسنا".

إن الموقف النظري الذي أدور حوله هو اعتبار النفس المتعالية الذي يشدد على قدرتها على تأسيس ذاتها بذاتها بالاستناد إلى تعظيم المعرفة إلى أقصى الدرجات والادعاء بأنها مصدر الحقيقة والوعي ، وهو يصلح لكي يكون مبدأ أول في الفلسفة لينتصر في معركته على الوقع ويقوم بتفسير المجتمع وتمثل المواضيع الخارجية في شكل صورة ذهنية . والحقيقة هي أن هذا هو الطموح .

يرى الفكر الفلسفي أن هناك تعارض بين مفهومي أكتب ولا أكتب طالما أن الوعي هو الحضور التام للكاتب نفسه أي المعرفة المباشرة للفكر بحالاته وأفعاله ، ولا أكتب يمثل الجانب اللاشعوري للشخصية الإنسانية غير أن المزية الكبرى التي قدمتها الفلسفة على صحة فرضية اللاشعور هو من الحمق حيث يواصل الإنسان الأحمق العيش داخل أسطورة أنشأها هو بنفسه ، أما أكتب فهي أسطورة أخرى ينتجها المرء للمحافظة على حريته وقيم أخلاقية تهدف إلى تقليص إرادة الحياة وتعمل على حفظ الفكر وعدم تعليبه أو طمسه ، ولا تتنكر للعقل ، وتخفي شيئاً أكثر أصالة منها هي الطموح الذي ليس سوى وهماً يطفو على السطح ؛ أي مجرد مقولة لغوية سطحية تخفي شيئاً أكثر جوهرية منها وهو الوعي ، وإن النفس مشروطة بالجسم والجسم مشروط بالإرادة الحية والعقل ، الذي لا يعدو إلاّ أن يكون وسيلة الفرد إلى البقاء أي أداة للمحافظة على الاستمرار في الحياة ، والعقل سلاح البشر الأكثر صلابة ، وبذلك يطور الكاتب قواه الرئيسية عبر الإخفاء والتمويه والمراوغة ويتحول من إنسان مريدٍ وسيدٍ إلى ذات مغلولة مشتتة ، فما هي القيود التي تتحكم فينا ؟ وكيف أن الكاتب ليس سيداً حتى في بيته؟

إنّ الإنسان الواعي يخدم سيدين في آن واحد القراءة والكتابة . والأمر أدهى وأسوأ بكثير بالنسبة إلى الإنسان المتبصر إذ عليه أن يخدم ثلاثة أسياد آخرين قُساة بلا رحمة ولا شفقة ، وهو يجهد نفسه للتوفيق بين مطالبهم . وهذه المطالب متناقضة دوماً ، وكثيراً ما يبدو التوفيق بينها مستحيلاً ، فلا غرابة إذن أن يخفق الإنسان اللاواعي في حياته . وهؤلاء المستبدون الثلاثة هم متطلبات المجتمع ورغبات النفس وأوامر الأنا ، وحين أعاين ما يبذله المرء من جهود ليعدل بين الثلاثة معاً ، لا أندم على أنني جسمتُ نفسي بوجود مستقل بذاته ، فلا أشعر بأنني واقع تحت الضغط من نواح ثلاث ، أو أنني عرضة لثلاثة أخطار متباينة يجب أن أرد عليها ، في حال ضايقتني ، بتوليد الحصر. وبما أن الضغط والخطر ينشآن أصلاً عن تجارب الإدراك ، فأنا مدعوّ إلى تمثيل متطلبات المجتمع ، غير أنني أحرص مع ذلك على أن يبقى خادماً وفيّاً للآنا خاصتي حيث أصبحُ آنانياً بالفطرة كما تصفني زوجتي ، وأن أقيم مع آنايَ على تفاهم ووفاق ، وأن أنزل في نظرها منزلة حال الوقت والتاريخ ، وأن أجتذب إليها طاقتها الليبيدية . وكثيراً ما أرى نفسي مضطراً ، لتأمين الاتصال بين الأنا و

وحال الوقت والتاريخ ، ولا أتستر عن النفس بتبريرات واهية قبل شعورية لأخفف من حدة المجابهة بين نفسي والواقع ، فلا أسلك طريق الرّيّاء .

إنّ المرء الذي اتخذ طريق المعرفة سبيلاً وتظاهر باعتبار الواقع ، حتى وإن أبدى تعنتاً وجموحاً فإنّ نفسه القاسية ما تفتأ تراقبه وترصد حركاته ، وتفرض عليه قواعد معينة لسلوكه غير مكترثة بالصعاب التي يقيمها في وجهه الأنا والمجتمع . وإن عصى عاقبه هذا الأخير بما يفرضه عليه من مشاعر أليمة بالدونية والذنب . على هذا النحو يكافح الكتاب ، الواقع تحت ضغط النفس والرازح تحت نير اضطهاد المجتمع والمصدود من قبل الواقع ، يكافح الإنجاز لإعادة الانسجام بين مختلف القوى الفاعلة فيه والمؤثرات الواقعة عليه . ومن هنا نفهم لماذا يجد الكاتب نفسه مكرهاً في كثير من الأحيان على أن يهتف بينه وبين نفسه بيت أبو العلاء المعري :" تعبٌ كلها الحياةُ فما أعجبُ إلاّ من راغبٍ في ازديادِ " .

ليس بالصيرورة أن تنطبق هذه الرؤية الجدلية على مفهوم الكاتب لأنّ المسارات التي يقطعها مسارات منعرجة ، أعتقد أن الوعي لا يتحقق فقط انطلاقاً من المعرفة بل يحتاج إلى دعائم ، وهي الأخرى نتاج بشري مشابه ، بذلك لا أخالف الذين يدخلون في صراع أبدي من أجل نزع الاعتراف في اطار جدلية أكتب ولا أكتب ، والتي من خلالها أستطيع أن أشكل وعياً اتجاه نفسي كما يستطيع غيري تشكيل وعيه اتجاه نفسه ، فالغير مكون رئيسي من أجلي لأنه يلعب دور الوساطة المجتمعية . ومن خلالها يدرك الإنسان ذاته بإدراكه للآخر.

و ليس بعيداً نجد الموقف الذي يعطي الأولوية للأكل والشرب واللهو على الوعي (اللاوعي سابق كل شيء) و هذا معناه أن الإنسان لا شيء في هذا العالم ، إلاّ الذي يشرع في اختيار ذاته بكل حرية ، ويرى أنه لا وجود لعوالم غير عالم المعرفة ، عالم الذاتية والإنسانية . ورابطة التعالي ، بمعنى أن يكون فيها الكاتب متعالياً متجاوزاً لذاتيته بالمعنى الذي يكون فيها الإنسان حاضراً على الدوام في عالم إنساني معرفي ، وليس منغلقاً على ذاته ، وهذا ما أُسميه : بـ"مذهب العارفين" ، وهو مذهب الكتاب والقرآء لأنه يذكرهم بأنه لا مشروع سواهم ، و لأن الكاتب سيتحقق بما كتب على وجه الدقة كما أملتْ عليه نفسه ، و بالبحث الدائم عن هدف خارجها (مشروع) . كما يقول سارتر : أن اكتشاف الغير في عالم الذات هو الأساس في جعل الذات تعي ذاتها . تقول : " فأنا حين أكون لوحدي أحيا ذاتي و لا أفكر فيها ، لكن بمجرد أن أرفع بصري فأرى الأخر ينظر إلي أخجل من نفسي لأنني أصبحت أنظر إلى نفسي بنظرة الأخر إلي" .

لكن قبل أن ننهي هذه المقدمة لا بد أن نستحضر موقف العقل من الوعي فـ "ليس كل القرآء كتبة ، وكل الكتبة قرآء" ، نجد أن الكتابة إدراك حسي ناتج عن مجموعة من العمليات المرتبطة بالحواس وبالجهاز العصبي وبالدماغ باعتباره أيضا عضواً من أعضاء الجسم ؛ معنى ذلك ، أعتقد أن قدرة المرء على الكتابة مرتبط بالجهاز العصبي (النخاع الشوكي، الدماغ...) ولولاه لما أمكن ذلك . هكذا إذن نقرء الخطاب العقلي الفلسفي التأملي حول الكتابة والقراءة .

وبما أن الكاتب يرتبط بالموضوع وبنفسه ؛ فإن الكتابة ظاهرة نسبية ترتبط بشروط نفسية وموضوعية (قد أعتقد أنني على صواب لكن ما أفتأ أتقدم في الزمن حتى أكتشف أنني مخطئ) ما يجعل الكتابة تجربة ذاتية فريدة لديها طابع خاص لا يمكنني نقلها إلى أي شخص آخر ، هل ما أكتبه نفس ما يكتبه الآخر؟ ؛ قد نفترض جوباً هو "لا" لأنه لو كان نعم ما الذي يفسر اختلاف الأفكار والتصورات . هكذا "ربما" نحسم بأن الكتابة تجربة ذاتية لذلك من الصعب الحسم في تعريف الكاتب وفك ألغازه ، قد تكون الكتابة مجرد وهم كبير نعيشه . إن ما نعتقده كتابة هو في الحقيقة أننا تستخدم الحيل لاستحضار الأفكار كما نختبرها نحن .

هكذا فكل لحظة هي تاريخية تحدد معالم وعينا بالعالم وبأنفسنا ؛ فاليوم أحيا في زمن قد يجعلني أعيد النظر في علاقتي ليس بذاتي بل بالأخرين ، وأثبت أشرط وجودي مرتبط بالقلم والكتاب حيث أعيش عالم مشترك أتفاعل داخله في علاقة جدلية أساسها تأثير الكتابة والتأثر بالقراءة . هذا يجعلني أفكر في البحث عن المشترك الذي من خلاله أستطيع تجاوز كل الاختلافات مع الضفة الأخرى لبني البشر ، اليوم أواجه نفس المصير ؛ التحدي المجتمعي ونفس الهاجس كيف أستطيع النجاة رغم كل الاختلافات ؛ في ظل مخططات مشبوهة وثقافات هدفها تزوير الواقع أو التضليل ، أو تمرير مشاريع تدعو للتفرقة على أساس المعتقدات العرقية .

رغم هذا يبقى الكاتب نفسه مشكلة فلسفية تصعب الإجابة عليها:" إنه من الصعب جداً تفسير طبيعة الكاتب ومصدر إلهامه ، أرجوكم اقذفوا أنفسكم بعيداً عني أيها الآخرين " ، والأهم كيف يصنع الكاتب ذاته و يحقق وجوده ؛ وهوَ أن الكاتب يجب أن يبقى دائماً حراً ، كإحدى أهم المرتكزات في الدفاع عن حقه الأصيل في الحياة ، مالكاً لوعيه وإرادته وتفكيره ، وصانعاً لفكره وحريته . يقول سقراط : الحياة ليست بحثاً عن الذات ، ولكنها رحلة لصنع الذات ، اجعل من نفسك شيئا فريداً يصعب تقليده." هكذا أحاول أن أكون .

إن الكتابة والتعهد ، لَهُوَ تمام العمل ، لأن الإنسان موكل به النسيان والغفلة ؛ وأما إدراك الأهم من المهم ، فإن المنفعة كلها أن نضع الأشياء مواضعها ، ونحن بحاجة إلى أهل كل علم حاجة شديدة ، فإنَّا لم نأخذ الخدمة العسكرية موضع غنى وخفض ، ولكن بموضع تضحية وكد ، ولسنا بالكدِّ في طلب العلم الذي نلتمس به النصر، والغلبة ، بأحق منا بالكد في طلب العلم الذي يلتمس به صلاح الدين والدنيا. وقد وضعت في هذا الكتاب ما فيه عون على تطوير المؤسسة العسكرية ، ورفع مستواها وكفائتها ، وتجلية أبصار قادتها ، وإحياء للفكر العسكري وإقامة للتدبير والتعليم ، ودليل على محامد العسكر، ومكارم أخلاقهم .

إن في ديباجات الكتب ومقدماتها كنوز مخبوءة ، وفوائد مكنونة لا نجدها في الكتاب نفسه ، وكثير من القراء يمرون بمقدمة الكتاب مرور الكرام ، يقفزون عنها إعمالًا للعقل فيما هو أهم ، وصرفاً للوقت فيما هو أحق، إنّ المقدمة بوابة الكتاب ومفتاحه ، لما فيها من تنبيهات ومعلومات تضعك على طريق واضحة قبل الولوج في ثنايه ، وإني لأتسآل لماذا أخرتُ كتابة المقدمة إلى هذا الوقت وكان بعض أساتذتي يقول ناصحاً: المقدمة أخر شيئ تكتبه في بحثك ، وها أنا بدون إرادة أكتب المقدمة بعد سنوات من إتمام الكتاب ، فتتشابك

الحروف وتتلاقى الأفكار على لوحة المفاتيح التي جسدت رحلة عمرٍ كامل من الاستكشاف والتأمل في أعماق مجالٍ فريد ومهم ، وهو " علم الاجتماع العسكري". بعد أكثر من سبعة وثلاثين عاماً من الخبرة والملاحظة والتفاعل مع عالم العسكر الغامض ، يسعدني أن أشارككم هذا الكتاب الذي يحمل في طياته حكمةً وفهماً عميقاً لتلك الميدانية الفريدة.

هذه المقدمة هي بداية لموضوع آخر، شيء لم تذكُره الحُدود السماوية ولا القوانين الأرضية ، شيء خُلِق من قساوة الحياة العسكرية ، وآلام الحَواس ليَنبض في قلب فكرة ماتتْ طويلاً وهي على قيد الحياة .

إنّ العلاقة الآسرة بيني وبين العقل وما ينثُره من أفكار وتزينُه نَبضات القلم هي المفهُوم الخاص الذي يَبدأ عنده ذلك الشعور الغريب بحق وجود هذا الكتاب بطريقة " مازوشية " جَعلتني أستمتعُ بوَأد حُريتي طوعاً وهُياماً لتجعَلني جندياً لا السماء حُدوده ولا الأرض مكانه ولا الزمان زمانه . هي حُرية لكن بدون ألوان والبقَاء فيها خلف قُضبان القلم والكتاب لحمايتي من الوُجوه المُتلونة والأفعال المُتملِقة والعُقول المُتقلبة لأرى جيداً ما كان غائباً عن مُخيلتي والتي استحضرت كُل شيء إلا العَلاقة المُعقدة بين من حولي وبين القلم والكتاب ، والتي قادتنِي أن أرى فيها الضِفّة الأخرى من بني البشر ! هي الحرية بمفهُوم آخر ومن التساؤلات التي لازمتني سنيناً مَضت والحَيرة التي بدَّدَت عُزلتي طويلاً وأنَا في قُمرَتي الحَاضنة لخوفي واندفاعي ولدَمعي وابتسامتِي ، حتَى فِنجان القَهوة الذِي كانت رائحتُه تُلهمني كل حرفٍ أكتبه والذي كان يَعني لي كُل التفاصيل المُبهجة، فقدتُ شَغفه..

الحياة العسكرية جرَّدتْ لدَي وَصلات من أفكار رَجعية وكأني وُلدتُ في الميدان العنيف ، عِندَه يقِف كلُ شيء حائراً أو جاهلاً بنفس الوقت . لُغة جديدة لا يُجيدها إلا من واكب ظلال القلم ، فالأوراق ليست كالأوراق ، والأرقامٌ ليست كالأرقام والنتائج تأتي عَكسية لكِن بجَواب يخضَعُ لمنطِق العسكر ، حتى المَفاهيم العسكرية تجدُها مُبعثرة وتائِهة ساكنة في طيات الكتب ، لكنها مفهُومة ولا يجيدُ قِراءتها إلا الغَارق بهذه اللوحة السريالية .

إن المفكرين العسكريين بجميع نظرياتهم هم أدوات لُعبتنا وغيمتنا الضبابية في هذه الحياة القاسية . السلام نراه حرباً في مخدعه ، لكن ليست كأي حرب يجثُو الأمَان في مفاصِلها ، ونارها تحت الرماد ، الذين يكتبون كانوا معتُوهين في نظر الذين لم يستطيعُوا "مسك قلم ، إنّ تفسيري للأشياء مرتبط بما يَراه عقل العسكر ولا تشعر به العين ، ولا كما تُمليه طبائع البشر العاديون ، كأن يرَوا بعيون أنفسهم وما يُرضي أذواقهم ويُحقق مآربهم . من هُنا تَاهت مشاعري بزَحمة الإرادة المسلُوبة والعَزيمة الضائعة والغايات المُقنّعة ، وأصابني يأسٌ وإحباطٌ بألوان قوس المطر لا أستطيع وصفهما ، ولكن رغم ذلك صدحتْ الحقيقة وأصبح الكتاب واقعاً لأنه أحتاجُ إلى الوقت النفيس فقط ، و لأنني تعلمت أن اليأس هو أكسير الحياة ، ولاح لي من

النظرة الأولى على غير بصيرة أنني لوِ استسلمتُ إلى حضيض التفاهة ، لن يبقى بيني وبين القلم معراجاً أرتقي فيه ؛ هذه قصة الأمل أنني لم أقنع بما تيسر ، ووجدت أن أتكلف الكتابة أهون من أن أتكلف لي عملاً أحاوله ، ولنَقيس عليه كل شيء في هذه الدنيا .

يعرفُ المفكر نفسه من خِلال كتاب آخر بعد فترة ليسَت بالقصيرة من سَنوات عُمره وهو نسياً منسياً ، وإن كان حاضراً من خِلال ما يُقدم من أعمال ، وهكذا الجندي الحق يَحرق من عُمره ليُضيء طريق العتمة التي اخترها يوم مولده . أن تأتيك القوة على هَيئة قلم وكأن ما خزّنته الذاكرة وسجّلهُ على الورق كطائرة تسقط ، وينجوا قائدها لتستيقظ الحياة عنده من جديد . كانت بدايتي نهاية الأوجاع وعندها بدأت الحكاية بألف ألف وياء ، مشوار الألف حرف يبدأ بألف ، عالمُ لم أعي وجوده إلا عندما ارتطمت أقلامي على الورق وأيقظت فيا قواعد العشق الأربعين ، فلا قيود أمامي إلا التي أضعها واعترف بوجودها . فمن هذه اللحظة تأتي الولادة ويصرخ فيَ كل يوم كتاب جديد . حياة العسكر مليئة بالمفاجآت والفُرص ، وإن الانفتاح على المُنعطفات غير المتوقعة هو عنصر مُهم لنَرى المواقف من مِنظار العسكر غير الاعتيادي ومن خلال القادة الذين هم يجب أن يكونوا القيمة المُضافة لنا في هذا الفضاء الواسع .

هذه العلاقة الجدلية بين أكتب ولا أكتب هي معيار أوصلني إلى إعادة السيطرة على قلمي بعد اختلال امتد طويلاً طَويت من خلاله أوقاتاً قد كانت مُهمة لكِن الأهم لم يأتِ بعد ، وهُنا يكمن عَزائي ، عندما تَحدُث الملحمة بين أكتب ولا أكتب ينبعث فكرٌ جديد عند الشفق الفاصل بين آخر الكتاب وأوله . في صفحات هذا الكتاب ، أتمنى أن تأخذكم رحلةٌ ممتعة ومثيرة إلى قلب المعسكرات والثكنات والقواعد العسكرية حيث ترون بأم أعينكم الجماعات العسكرية، وستكتشفون العديد من الأفكار والنظريات التي صاغتها سنواتٌ من البحث والتجربة . إنها رحلةٌ شخصية استمرت لسنوات، حيث تمتد أفكاري وملاحظاتي وتحليلاتي الشخصية على مدار أربعة عقود . ولم تكن لي إلاّ القليل من المصادر حيث أشرتُ إليها بين السطور ، وليس كالبحوث الأكاديمية لأنني اعتبرته ملاحظات مهنية أكثر من كون كتاب أكاديمي . فأرجو المعذرة على هذا التقصير ، لأنها بالفعل جهوداً شخصية تمتد لسبعة وثلاثين عاماً . استندتْ إلى تجاربي الفردية والتفاعلات المباشرة مع قادتي وزملائي والمجتمعات التي تتشكل في إطار المؤسسة العسكرية . وهذا ما يميز هذا الكتاب عن غيره، إذ يحمل رؤيةً فريدةً ومستندة إلى التجارب الشخصية والملاحظات العميقة. وسيتناول هذا الكتاب جوانباً متعددة من مبادئ علم الاجتماع العسكري، حيث ستجدون تحليلاتٍ عميقة للبنية التنظيمية والديناميكيات الاجتماعية والعوامل السياسية التي تؤثر على المؤسسة العسكرية. ستستكشفون العلاقات الداخلية والخارجية للقوات المسلحة ، وتأثيرها على المجتمعات والأفراد . كما ستتعرفون على الأدوار والوظائف الاجتماعية للجيش والتحديات التي يواجهها في عصرنا الحالي. أعترف أن هذا الكتاب لا يمكن أن يشمل كل جانب من مجال علم

الاجتماع العسكري، فهو مجرد نقطة انطلاق للتفكير والاستكشاف الأعمق في هذا الموضوع الشيق. لكني أتمنى أن يكون هذا العمل حافزاً لزملائي العسكريين النظاميين وليس لأولئك المتطفلين على المؤسسة العسكرية لمواصلة البحث واستكشاف عالم المجتمع العسكري بناءً على ما تعلمناه وما لاحظناه خلال السنوات الخدمة . وأنصحهم بالرجوع إلى المصادر والأبحاث الموثوقة في هذا المجال لتعزيز فهمهم وتوسيع آفاقهم.

وها هي الكلمات تتدفق بسرعة عبر أطراف أصابعي، فقد حان الوقت لأقدم لكم هذا الكتاب الذي يمثل تجسيداً لجهودي وأفكاري على مر السنين. إنه لحظة مميزة ومثيرة للغاية بالنسبة لي أن أشارككم هذا العمل الذي يحمل في طياته رحلة شخصية من البحث والتأمل والتطور . لقد عملت بجد ومثابرة لتقديم محتوى غني وشامل يستحق قراءتكم الواعية. ، وحاولت أن أضيف لمستي الشخصية ورؤيتي الفريدة إلى كلماتي ، لتجعل هذا الكتاب تجربة قراءة ممتعة ومثيرة.

أتمنى أن يلقى هذا الكتاب قبولكم واهتمامكم، وأن يلقى ردود فعل إيجابية وتحفيزية من قرائه. وإذا تمكنت من إلقاء نظرة على عالمي وتحفيزكم للتفكير بشكل جديد واكتساب رؤى جديدة، فسيكون لي الشرف العظيم والسعادة البالغة. ودعونا نبدأ هذه الرحلة المشوقة سوياً . فلنستعد للانغماس في عوالم جديدة ولنستكشف "المجتمع العسكري". أتمنى أن تستمتعوا بالقراءة وأن تجدوا في هذه الصفحات إلهاماً وفائدة وخاصة زملائي العسكريين حول العالم . شكراً لكم على الثقة التي منحتموني إياها وأنا بعيد عنكم لا أعرفكم ولا تعرفونني ، وأتمنى أن يكون هذا الكتاب بمثابة رفيق مفيد وممتع في رحلتكم العسكرية نحو الإدراك والتطور. إن تواجدكم هنا بين طيات هذا الكتاب يعكس الاهتمام الكبير بعلم الاجتماع العسكري وأهميته في فهم علاقة الجيش بالمجتمع والعوامل الاجتماعية المؤثرة عليه. آمل أن تستفيدوا من هذا الكتاب وأن يكون له تأثير إيجابي على رحلتكم الشخصية والمهنية في هذا المجال.

أخيراً، أود أن أشكر أي شخص . يقول النبي ﷺ : "من لا يشكر الناس لا يشكر الله "، ولكني لا أجد من أشكره ، فلم يساندني أحد ولم يشجعني أحد طوال فترة كتابة هذا الكتاب. لا من أسرتي ولا من أصدقائي ولا من زملائي ، فما وجدت إلا من يستقبح الأمر ، ومن يناهي عن الكتابة ، لا معلمين رائعين شاركوني المعرفة والإلهام بكل أسف وحسرة ، ولا من قرأ مسوداتي وقدم لي الملاحظات والتعليقات القيمة. كأنهم يقولون إن الكتابة لا ينبغي أن يُسعى إليها ، لأنها مفسدة ملازمة لكل مصلحة ، وخسارة متلبسة بكل فائدة، وكلفة مجبولة بكل واجب، وألم معجون بكل لذة . ولكنني أرى إن الكتابة لا بد أن تكون حاضرة في كل سعي ، إنها نشوة لا يذوقها إلا من يكابد القلم والورق ، ومن عانى في مسالك الطلب ومشقة القراءة والمطالعة ،إنها غاية الشرف ، وترف ما بعده ترف"فإنّ لذة العِلم تزيد على كل لذةٍ " حسب بن الجوزي . فليس هناك مكاسب

سريعة تدوم ، ولا مكاسب كبرى لا تتطلب أن تتصبب في طلبها عرقاً أو تنزف دماً ، وما سوى ذلك أوهام لا يشعر بها المرء إلا عند الانكسار والفشل. وما هذه الكتب وتلك اللغات التي أنعم الله بها عليَّ ، ومختلف أساليب البحث والطلب إلاّ للترويح عن النفس ، وفسحة نستعين بها لطرد الملل ، وأمل يعيننا على متابعة المسير في تحقيق الغايات. وبالتأكيد فإن اختصار مغزى الحياة والأعمال اليومية في الترويح والترفيه والبعد عن القراءة والمطالعة والبحث ، وسجن الإنسان نفسه في قُمقمها ، طلباً للراحة وهمٌ ضخمٌ عاقبته مشقةٌ عظيمةٌ ، تفوق كل ما يكابده المفكرون والكتّاب من متاعب وآلام .

مع خالص التحية

طرابلس / 07 ذو القعدة 1445 هـ الموافق : 15 مايو 2024 م

الباب الأول

علم الإجتماع العسكري وحدوده

الفصل الأول

الدراسة العلمية للمجتمع العسكري

سأحاول أنْ أدخل منْ هذا الباب إلى عالمٍ مجهولٍ لدى الكثير منَ الباحثين وحتى منْ ولج منهم لم يصلْ إلى الغاية القصوى كونهم لم يعيشوا مثلنا بينَ هاتيك الأسوار و البوابات المغلقة خلفنا ، و ربما لنْ أتقيد بأسس وقواعد المنهج العلمي في البحث ومفاهيم علماء الإجتماع ولكنْ سأضع بين أيديكم خلاصة خبرة سبعةٍ وثلاثين سنةٍ في المؤسسة العسكرية ، فقد اعتمدتً البحث الميداني و الملاحظة المباشرة و المعايشة في دراسة المجتمع العسكري . و وظفتُ هذا المنهج في دراسة للوظائف التي تضطلع بها المؤسسة العسكرة في الحياة اليومية للأمة ، و ذلك منْ خلال معايشتي لقادتي و زملائي و أصدقائي في الجيش العربي الليبي .ثم إنّيِ سأحول أنْ أُلقي نظرة على العلاقات التي تربط هذه المعارف بالعلوم القريبة منه كالتاريخ والأنثربولوجيا وغيرها منَ العلوم .وإذا كان أفلطون قد ضمَّن كتابه (الجمهورية) خلاصة أفكاره الإجتماعية لغرض التخطيط لقيام المدينة الفاضلة لاشرور فيها ترفرف عليها راية الفضيلة و يشرف عليها الفلاسفة وقد تحيّز للعسكر والساسة وجعل منهم الطبقة العليا في المجتمع كونَ مهمتم الأساسية إدارة شؤون المجتمع وحمايته ، ثم غير بعض أفكاره في كتابه القوانين فإنَّني هنا مازلت أُمجِّدُ العسكر وأرى أنَّهم روح الأمة ودمها النقي ، ويجب علينا أنْ نضع أيدينا على الجرح النازف لهذا المجتمع المنغلق على نفسه ونحاول مُدَواته بِوضع مقترحاتٍ وحلولٍ جذريةٍ فالإصلاح لا يغني عنِ العمل والضمير الوطني ما يزال حاضراً ، والكفاءات العسكرية متوفرةٌ ، فقد ظل جيشنا العتيد وإلى اليوم ، يمدنا بكفاءاتٍ عاليةٍ شكلت العمود الفقري لقوته ، غير أنَّه ومنذ العقود الأخيرة بدأ عطاؤه يتراجع ، وأخذت ثقته تهتز ، ومخرجاته تضعف حتى وصل إلى هوةٍ بعيدةٍ ومكانٍ سحيقٍ.

إنّ المجتمع العسكري منْ أكثر المجتمعات غموضاً كونه يقبع خلف الأسوار العالية والأسلاك الشائكة فليس له أيّ جاذبيةٍ نحو الشعب ؛ ذلك كون العلاقات العسكرية داخل هذا المجتمع منْ أعقد العلاقات الإنسانية فهي تحكمها قوانينٌ صارمةٌ جداً وبيروقراطيةٌ صريحةٌ وواضحةٌ منْ أعلى قمة الهرم حتى سفحه و مشاعرٌ إنسانيةٌ صادقةٌ و علاقاتٌ إنسانيةٌ صافيةٌ واستجاباتٌ انفعاليةٌ ووجدانيةٌ تختلف بالنسبة للمشتركين فيها ونوع الخبرة التي يتضمنها الموقف الإجتماعي القائم بينهم. وأنَّ جوانب هذه العلاقة ليستْ واضحةٌ للعيانِ أبداً منْ حيث توصيف أطراف العلاقة عليها ولهذا فكل الباحثين المهتمين بهذه القضايا غير العسكريين الذين خاضوا هذا العلم لم يتوصلوا إلاّ إلى النزر اليسير منَ النتائج . لأنَّ أفكارهم

تتباين في درجة وضوحها أو غموضها عنِ الحياة الإنسانية في الثكنات و المعسكرات ، ولذلك فإنَكلَّ باحثٍ يود الوقوف على تطور المجتمع العسكري ويتعرف عليه ، عليه أنْ يعيش داخل أسوار المعسكرات سنواتٍ طويلةٍ جداً وأنْ يتدرج في المناصب العسكرية ويحصل على كل أنواع التدريب القتالي التخصصي والتدريب القيادي العسكري ويحاول أنْ يتتبع حقائق الحياة العسكرية خلف الأسوار فلكل طائفةٍ منَ المجتمع لها مفكريها ولها فلسفة حياتها الخاصة فبضعُ سنواتٍ كمجندٍ لا تكفي للخوض في هذا البحر الهائج منَ العلاقات الإنسانية والسلوك البشري المتميز ؛ إنَّ الفلسفة العسكرية عبارةٌ عنْ تأملاتِ رجلٍ صُنع ليقاتل لديه وقتٌ يقضيه للتفكير العميق بحيث لا ينقص تلك التأملات النزعة التحليلة فهي مرتبطةٌ بفكرةٍ ثاقبةٍ تظهرها للوجود غير مفككةٍ . لماذا ؟ أعتقد أنّ الجواب كان عند أرسطو في كتابه السياسة حيث يقول : إنّ الإنسان مدني بطبعه وأنَّه يستحيل على الإنسان أنْ يعيش منفصلاً عنِ المجتمع .

أولاً : ما هوعلم الإجتماع العسكري ؟

ربَّما يعتقد القاريء أنَّ إجابةً حاسمةً سيقدمها أيّ عسكريّ متخصصٍ بسهولةٍ، بينما أعتقدُ أنَّ تعريف علم الإجتماع العسكري هو الإشكالية الأولى في هذا المدخل . فلو سألنا عشرة عسكريين هذا السؤال ما حصلنا على إجابةٍ واحدةٍ ، لهذا فإنَّ السؤال يثيرُ سؤلاً آخراً : لماذا لايعرف العسكريين علم الإجتماع العسكري ؟ إذنْ ما هي التعريفات المطروحة لهُ ؟ سأحاول الإحاطة بالوضع الراهن والدخول مباشرةً في التعريف ويكون مقبولاً لدى المهتمين بالقضايا العسكرية وأنْ يحصرَ القاضايا الأساسية التي يعتني بها (علم الإجتماع) . فرغبتي في إصلاح حال الجيش العربي الليبي هي التي دفعتني للكتابة ، إنَّ الفوضى التي تضرب أطنابها في أوصال كل الأسلحة والصنوف أساسها عندي هي الفوضى الفكرية ولا يمكن إصلاح أيّ مجتمعٍ قبل إصلاح فكره وتفكيره و بالتالي ثقافته ، وذلك بأنْ تخضع هذه الضواهر الإجتماعية العسكرية المتخلفة للتحليل والكشف عن علاقاتها ونظمها و التعرف عليها وأعتقد أنَّه بتعميم هذه المعارف يتم الإصلاح المنشود ؛ وذلك باستخدام الأسلوب الإستقرائي الذي يعتمد على الملاحظة العلمية ووضع الفرضيات وجمع البيانات وتحليلها لإثبات صحة الفرضيات منْ عدمها . و الكشف عنِ الحقائق الإجتماعية العسكرية يساعدنا بلا شك على توجيه الإصلاح المنشود وفق ما تتطلبه ظروف الجيش ، ودرجة تطوره ، ولا شك أنَّ خطط الإصلاح المبنية على أُسسٍ علميةٍ تجنب الجيش الكثير منَ الهزات العنيفة وتوفر المال والجهد و الوقت ولا تترك مجالاً للإرتجال .

إنَّ علم الإجتماع العسكري هو أنْ يفعل العسكريين ما تعلموه في الكليات والمدارس العسكرية لأنَّهم مرغمون على ذلك طوعاً أو كرهاً ، فطاعة قواعد السلوك والتصرف وهو ما نُسميه الضبط والربط العسكري لأنَّ هذه القواعد السلوكية تحدد بمجموعةٍ منَ النظم والقوانين الصارمة يتعلمها العسكريون في الكليات والمدارس العسكرية ثم يتشربونها منْ خلال المشاركة الإجتماعية العسكرية داخل أسوار المعسكرات ، إنّ َهذا النظام له أشكالٌ متعددةٌ لأحداثٍ إجتماعيةٍ عسكريةٍ متعددةٍ مثالٌ على ذلك فإنَّ طابور الجمع الصباحي العسكري كشكلٍ ومناسبةٍ يختلف إختلافاً تاماً على طابور المراسم العسكرية عند استقبال الرؤساء كشكلٍ أخرٍ ومناسبةٍ أُخرى ، والطريقة التي وُجد بها هذا النظام داخل هذه المؤسسة

المنغلقة على نفسها هو موضوعنا في هذا الكتاب . وعلم الإجتماع العسكري هو معارف تُشبهُ (علم الإجتماع) العام و تنطبق عليها الشروط الضرورية للعلم المستقل وهي وجود طائفةٌ منَ المجتمع وهي العسكر نتخذها موضوعاً للكتاب و إمكانية خضوع العسكر لمنهج البحث العلمي والوصول إلى القوانين والنظريات وإمكانية تعميم النتائج . فيمكننا تعريف علم الإجتماع العسكري بأنَّه : دراسة المجتمع العسكري داخل معسكراته و ثكناته في السلم والحرب منْ حيث ظواهره ونظمه والعلاقات بين أفراده برتبهم ومناصبهم المختلفة . أو أنَّه ذلك العلم الذي يدرس السلوك العسكري وتفاعل العسكريين الذي يبرز منْ خلال التأثير المتبادل الذي يمارسه هؤلاء العسكريين في علاقاتهم المتبادلة منْ حيث المشاعر والتوجهات والأفعال والآوامر التي تحكمها المناصب و الرتب ؛ باختصار فإنَّ علم الإجتماع العسكري هو علمٌ يدرس نظام العسكر الإجتماعي داخل الوحدات وخارجها أوقات السلم و أوقات الحرب . ومنْ ثمَّ فإنَّ دراسة علم الإجتماع العسكري سوف تفيدنا فيما إذا كانت تصوراتنا وافتراضاتنا عنِ المجتمع العسكري صحيحةٌ أمْ لا ! كأنْ نتصور أنَّ الجنود مسؤولون عنْ أخطائهم أو أنَّ وجود نظام للعقوبات ضروري للمجتمع العسكري ؛ أو حول طبيعة السلطة العسكرية التي ربما لم يكنْ لدى المواطن العادي أيّ تصوراتٍ أو أفكارٍ حولها . إنَّ علم الإجتماع العسكري يُمكِّننا منَ الحصول على المعلومات التي تتعلق بأبعاد الخبرة العسكرية والتي يجهلها الكثير منَ الناس ، كذلك يمكننا القول بأنَّعلم الإجتماع العسكري هو علم دراسة الظواهر العسكرية داخل المعسكرات في السلم والحرب أو النظم الإجتماعية العسكرية أو العسكري في علاقته بالبيئة العسكرية والمجتمع المدني وثقافة هذا المجتمع . ويرجع اختلاف التعريفات إلى سببين رئيسيين أولهما الموقف النظري الفكري الذي جاء منه التعريف والسبب الثاني هو ربَّما لِافتقادي للمنطق العلمي المناسب .

يقول الدكتور محمد الجوهري أستاذ علم الإجتماع بجامعة القاهرة أنَّ النسق الإجتماعي هو أهم وحدةٍ في دراسة علم الإجتماع فإذا سلطنا الضوء على النسق الإجتماعي العسكري لإنَّنا نراه أكثر جمالاً وانضباطاً وحيويةً و ديناميكيةً يفتقرها إليها أيّ نسقٍ إنسانيّ أخرٍ . إنَّ الروابط التي تربط أيّ نسقٍ عسكريّ هي القوانين العسكرية الصارمة ، و الثقة المتبادلة بين القيادات داخل هذا النسق وتنسيق وتحديد الواجبات و المهام بين مستوياته المختلفة بحيث لا يحدث أيّ تداخلٍ أثناء تنفيذها و روح الفريق ؛ لقد تشربنا هذه الروح من أول يومٍ إلتحقنا فيه بالخدمة العسكرية وحفظنا تعريفها من أول يومٍ حتى غُرِستْ فينا غرساً لا يُقلعُ أبداً . هذه الروح لا نجدها خارج الأسلاك الشائكة إلاَّ قليلاً . هذا النسق الإجتماعي العسكري يبداء منَ المجموعة الصغيرة التي نسميها الحضيرة ثم الفصيل ثم أكبر قليلاً وهي السرية التي تتكون من ثلاثة فصائل ثم الكتيبة إلى أنْ نصلَ إلى التشكيلات الكبرى والجيوش المتكاملة وكل نسقٍ منْ هذه الأنساق في حياته اليومية يخلق عدداً من الوقائع والأحداث العسكرية التي نسميها بالظواهر العسكرية حجم هذه الأحداث يتناسب طردياً مع حجم النسق العسكري ؛ هذا الهيكل التنظيمي المتناسق للقوات المسلحة يمثل ميدان دراسة علم الإجتماع العسكري والهدف منْ هذه الدراسة هو الحصول على صورةٍ واضحةٍ للمجتمع العسكري وجوانب حياته والتعرف على قيم هذه الحياة وفهم أنماط التغيير العسكري الجاري في العالم الآن وغيرها منْ أهداف (علم الإجتماع العام). ويجب أن ْنعي بوضوحٍ أنَّ العسكري ليس

سوى إنسانا ً" عادياً " إذا خرج عنْ نطاق سلاحه أو صنفه ويجب أنْ نؤمن أنّ َتنوع المعرفة في ميادينها المختلفة هي واجهةٌ واحدةٌ بين كل آفاق هذه المعرفة .

ما مدى علمية علم الإجتماع العسكري ؟

منْ وجهة نظري لا يمتاز علم الإجتماع العسكري بالسمة العلمية فلا نحتاج إلى التجريب والقياس الدقيق كالعلوم الطبيعية ومحاولة القول أنَّ السلوك العسكري هو جزءٌ منَ الظواهر الطبيعية فإنّنا سنتعثر بشدةٍ في الدراسة مع الأخذ بعين الإعتبار الظواهر الذاتية للعسكريين كالقيم والعواطف و عدم إهمالها في إيّ دراسةٍ ؛ ورغم إنّي أعتقدُ أنَّ السلوك الإنساني العسكري والظواهر الذاتية بمثابة القاعدة الأساسية التي تحكم وقائع المجتمع العسكري داخل معسكراته . فإنَّ دراسة الظواهر الاجتماعيَّة العسكرية أعتبرها نوعاً منَ الفلسفة ومحاولة إخضاع هذه الظواهر لنفس مناهج العلوم الطبيعيَّة لنْ يصل بنا إلى أيّ نتائجٍ . إنَّ علم الإجتماع العسكري لا يعدوا أكثر منْ كونه مجرَّد نظرةٌ تأمُّليةٌ لما يدور حولي داخل هاتيك المعسكرات فلستُ متخصصاً ولكنَّني أستطيع أنْ أكتبَ وأحللَ أغلبية تلك الظواهر والمشاعر ؛ يقول الدكتور أحمد إبراهيم خضر : الذي لا جِدال فيه هو أنَّ نشأة علم الاجتماع لم تكنْ نشأةً علميَّة ، وأنَّ علماء الاجتماع الأوائل كانوا يلبسون ثوب الفلاسفة الأخلاقيين ، وما كُتِبَ لأفكارهم البَقاء إلاَّ لأنَّه نُظِرَ إليها على أنهَّا فكرٌ يحلُّ المشاكل.أ.هـ ؛ منْ وجهة نظري فإنَّ الفرق بين الظواهر الطبيعية والسلوك الإنساني جليةٌ وواضحةٌ فهي ليست كيمياء نجري تجاربها في المعمل وليس قوانين الفيزياء والطبيعة التي نعيشها كل يومٍ ، إنَّها تلك المشاعر والعواطف والعلاقات المجردة التي لا نستطيع إخضاعها للتجربة والقياس إنَّما هي ظواهرٌ ذاتيةٌ نفسيةٌ نُسلط عليها أضواء البحث والتحليل .

ثانياً : العقبات التي تواجه دراسة الظواهر الإجتماعية العسكرية

1- مقاومة العسكر للإختراق

منَ الصعب جداً إخضاع جُندياً أو مجموعةً منَ الجنود لأيّ اختباراتٍ معمليةٍ بالإضافة إلى ذلك فإنَّنا لا نستطيع أنْ نُدخل أيّ ظاهرةٍ عسكريةٍ إلى معمل الأبحاث ؛ ويتحتم على الباحث في كل الأحوال الحصول على الموافقات الأمنية لإجراء أيّ دراسةٍ داخل المعسكرات بحيث أنَّنا لا يمكنُ أنْ نثق فيما إذا كانت النتائج المسخلصة واقعيةً أمْ لا . وهذه الصعوبة لا تنتطوي على أيّ تنازلاتٍ مهما كانت صغيرةً ، وانغلاق المجتمع العسكري على نفسه يجعله كتلةً متناسقةً لا يمكن اختراقها حتى في ظل أكثر الظروف مثاليةً لأنَّ فوقية العسكر وغرورهم يجعلهم يرون أنَّ كل شيءٍ قادمٍ من خلف الأسوار غريبٌ ولا يمكن الوثوق فيه وسنرى الكثير منَ العسكريين سيخفون أفعالهم ودوافعهم عنِ الباحثين .

2- نذرة المعلومات والبيانات

بيد أنَّ قلة البيانات عنِ الظواهر العسكرية والسلوك الإنساني العسكري الذي بالضبط والربط العسكري ، سيؤثر على اهتمام أيّ باحثٍ أو ملاحظٍ لهذه الظواهر ، هو نوعٌ منَ التحدي الذي يطمح إليه

هؤلاءِ الباحثون وهو السبيل الوحيد الذي يصل بنا إلى تقييم ومعرفة هذه الظواهر منْ أجل تقاريرٍ نهائيةٍ تمثل حجر الأساس للأجيال العسكرية القادمة منَ العلماء والباحثين . ومنْ أسباب ندرة المعلومات والبيانات عنْ أيّ باحثٍ في هذا المجال هو الأمن العسكري الذي يمنع تسرب مثل هذه المعلومات ويجب على الباحث الحصول على موافقاتٍ أمنيةٍ عديدةٍ قبل البداء في أيّ عمليةٍ بحثيةٍ ، ولا تقتصر المعلومات على معرفة ماهية المجتمع العسكري وحسب ، أو حتى في طبيعة تسليحه، لكنَّ الأمر أعمق منْ ذلك ؛ بحيث يوجب معرفة طبيعة الأنشطة العسكرية التي يقومون بها، والعلاقات التي ترتبطهم بالمجتمع المحيط منْ حيث كونه موالي لهذه القوات أم لا ، والعلاقات التشابكية التي تربطها بالقوات العسكرية الحليفة في نفس المنطقة أو الجبهة القتالية ، وإلى أيّ مدىً تختلف عنْ بعضها، وفيمَ تتفق، جنباً إلى جنبٍ توقع العمليات القتالية التي سيقومون بها مستقبلاً وتوقيتها والأسلحة التي ستُستخدم بها، وفي مرحلةٍ متقدمةٍ منْ أيّ بحثٍ فإنَّه منَ الضروري تشريح العقلية العسكرية خاصةً القيادية والبحث في الأسباب والدوافع التي تحركها بعيداً عنْ منهج الخطابات الإعلامية التي تساعد على تسطيح أيّ بحثٍ وتعميق فشله . وبالإضافة إلى الأمن العسكري فيمكن الإشارة إلى عددٍ منَ العوامل التي تساهم بدورها في تعقيد معضلة الوصول إلى المعلومات حول المجتمع العسكري ، وهي كالتالي:

1- أزمة الثقة بين العسكريين وبين الباحثين ؛حيث أنَّ كل العسكريين ملزمين قانوناً وعرفاً عسكرياً بالمحافظة على كل المعلومات والبيانات العسكرية مهما كانت بسيطةٍ ومها كان تصنيف درجة سريّتها ، وأنَّ أيّ عسكريٍّ لو أعطى معلومةً بسيطةً ربمَّا سيلقى منْ زملائه إشكاليات التهميش والإهمال المتعمد واتهاماتٍ بعدم الوطنية ، وتساهم تلك الحالة منْ عدم الثقة في صعوبة الوصول إلى المعلومات عنِ المجتمع العسكري .
2- عدم نشاط إدارة التوجيه المعنوي في آداء دورها و إضهار صورةٍ جميلةٍ للمجتمع العسكري ؛ هذا لا ينفي الجهود التي تقوم بها القوات المسلحة في هذا المضمار ناهيك عنْ حالة اللايقين التي تعتري المجتمع المدني المحيط بالمعسكرات فيما يتعلق بواجب هذه القوات .

ونتيجة لتلك الأسباب يمكنُ القول أنَّ المعضلة معقدةً نوعاً ما ، وأنّ ◌َأُفق حلها ليس سهلاً ، في ظل استمرار التعاطي مع المجتمع العسكري بمنظورٍ أحاديّ الجانب يعتمد النظرة الأمنية كلٌ أوحدٌ ووحيدٌ ، حتى إنَّ هذا المنظور الأحادي يعاني منْ خلل نقص المعلومات والتي ترتبط ببديهيات العمل العسكري والتعامل مع التجمعات المدنية المحيطة . ويمكن القول أنّ تلك الأسباب مجتمعةً قد أدتْ إلى مايلي :

أ- تزايد إنغلاق المجتمع العسكري على نفسه وتنامي هذه الطبيعة مع تطور الأسلحة وتعقيد النشاط العسكري وتطوره ، الأمر الذي زاد من تعقيده فضلاً عنْ أنَّها ساهمتْ في تعميق الهُوة بين المجتمع العسكري والمجتمع المدني .
ب- محدودية تأثير وفعَّالية الحملات الدعائية العسكرية واقتصارها على رد الفعل على العمليات القتالية لا استباقاً للفعل نفسه .

ت- تعقُّد خريطة العلاقات نتيجة نموها متشابكةً وذات التأثير سلبي ، بما يُقوّض من قدرة الباحثين على الحصول على المعلومات .

ث- بجانب تلك التداعيات ، تجدر الإشارة إلى أنَّ تضارب المعلومات ونتائجها ، الأمر الذي يدفع إلى تعديلات دائمة تثير الجدل بشأنِ أيّ نتائجٍ ، بما يضفي بُعدًا جديدًا على نتيجة البحث .

كيف يمكن علاج الخلل ؟

إنْ لم تكنِ المعلومات "الدقيقة" و الهامة هي الركن الأساسي في أيّ بحثٍ إجتماعيٍ ، فإنَّها ستكون محدودة التأثير كغيرها . من ناحيةٍ أخرى فقد قيل الكثير فيما يتعلق بضرورة تبني مقارباتٍ شاملةٍ بين المجتمع المدني والمجتمع العسكري ، خاصةً وأنّ أيّ تحرّكٍ أمنيٍّ أو عسكريٍّ لايكون جزءً منِ استراتيجيةٍ أوسعٍ لمعالجة مشكلات الأمة المتجذّرة في ذلك المجتمع ، سيكون في أفضل الأحوال مجرّد إجراءٍ مرحليٍّ قصير الأمد يزعز الثقة بين الطرفين ، إلاَّ أنَّ تطبيق هذه المقاربة يحتاج إلى حدٍ أدنىً من الإستقرار والثقة . ومنْ ثمّ يمكن القول أنَّ هناك بعض السبل لمعالجة هذا الخلل ؛ لعلّ أبرزها :

1- حتمية تنمية علاقاتٍ وثيقةٍ بين الجيش والمجتمع المدني .

2- ضرورة القراءة الدلالية المتعمقة للفكر العسكري منْ قبل الباحثين ؛ بمالا يظهر الجيش بمظهر الجيش الهش غير القادر على حماية أمنِ الدولة واقتصادها وشعبها .

3- عدم قدرة الباحثين على التنبوء بالأحداث والتحركات العسكرية المستقبلية ؛ تلك الأحداث ربَّما تصبح أعمالاً قتاليةً وتدخل حيّز التنفيد لتغير الواقع .

4- تحيّزِ الباحثون للمجتمع المدني ، قد يكون ذلك عمداً في بعض الأحيان أو منْ أجل خدمةٍ لقضيةٍ شخصيةٍ فتقود الباحث ميوله إلى البعد عنْ جادة الصواب مدفوعاً بدوافعٍ تتداخل في عمله وتقلل منْ درجة موضوعيتة بحثهِ كالقيم التي يؤمن بها أوِ انتمائهِ الحزبي أوِ القبلي .

5- الأفكار الخاطئة عنِ القوات المسلحة و التي تمثل مجموعها المعارف الشائعة عنِ الجيش والأحكام الفاسدة وسوء الفهم لواجبات الجيش ويمكن القول أنَّ أبرز هذه الأفكار هي :

أ- جميع المشاكل العسكرية غير قابلةٍ للحل

ب- العسكريون غير مسؤلون عنْ أخطائهم الشخصية ويتحمل الجيش كل التبعات

ت- الأخلاق العسكرية هي الأخلاق المثالية والتي ترنو إلى الكمال دائماً ، وأنَّه غير لائقٍ أنْ نحكم على العسكريين على أساس المباديء الأخلاقية العسكرية .

ث- نظرة بعض الجماعات بعدم ضرورة وجود الجيش أصلاً ، و يمكن الإستغناء عنه و إحلال بعض المليشيات المسلحة بديلاً عنْه .

الفصل الثانى

بعض المفاهيم الأساسية في المجتمع العسكري

يحاول علماء الإجتماع وضع مصطلحاتٍ فنيةً لما يسمونه بعلم الإجتماع مقلدين في ذلك بقية العلوم الطبيعة منْ أجل تسمية الظواهر وتحديدها ثم وضعها في إطارٍ لتحليلها وفهمها ولذلك فكثيرٌ منهم يستخدمون لغةً خاصةً تدل عليهم . إنَّ الظواهر السلوكية العسكرية والقيم لا تحتاج إلى أسلوبٍ خاصٍ أو مفرداتٍ فنيةٍ لتوضيحها ، ويكفي منْ ذلك توظيف اللغة توظيفاً صحيحاً لتوضيح وجهة نظر الباحث أو نتائجه ، ومنْ وجهة نظري يجب مراعاة استخدام اللغة المألوفة التي يتيسر فهمها لكل قاريءٍ بحيث لا يحتاج إلى عناء التفسير والتأويل واستخدام الأسلوب العسكري هو الأفضل لأنَّه يشترط البساطة في التعبير وغير قابل للتأويل ، كذلك الإقتناع بأنَّه لا يوجد أيّ مصطلحاتٍ فنيةٍ لوضعها في الدراسة قيد التنفيذ واستخدام المفردات والتصنيفات التي تتوافق مع المفاهيم والتقاليد العسكرية ؛ ومع ذلك فإنّي أحصر بعض المصطلحات الأساسية التي ستواجهنا عند دراسة الكتاب وفي معرفة علم الإجتماع العسكري في المفردات التالية :

1- الوحدة العسكرية وهي تعني : التخصص العسكري ومستوى الوحدة العسكرية (حضيرةٌ ، فصيلٌ ، سريةٌ ، كتيبةٌ ، سربٌ ، مجموعةٌ قتاليةٌ ، فوجٌ ، لواءٌ ، فرقةٌ .....إلخ....).
2- الثقافة العسكرية : وهي مجموعة الأفكار والتقاليد العسكرية والمعتقدات والأعمال العسكرية اليومية وقت السلم والطقوس التي تؤثر بشكلٍ غير مباشرٍ في سلوك وكفأة الأفراد القتالية وكيفية أدائهم لواجباتهم والتي تميز أفراد الجيش عنْ غيرهم بحيث تشكل منهجاً مستقلاً كما أنَّها تنتقل منْ جيل لآخر بين العسكريين في الجيش الواحد . وتتكون الثقافة العسكرية منْ مجموعة أشكال النشطات الإنسانية العسكرية المكتسبة في المدارس والكليات العسكرية والمتوارثة في المجتمع العسكري ومنَ الأسلحة و المعدات العسكرية المرتبطة بها . ويجب أنْ نميز بين عناصر الثقافة العسكرية وسماتها وبين الكيان الكبير و التي هي مركبات الثقافة العسكرية ، فالإلمام والمعرفة التامة للسلاح كقطعةٍ أو آداةٍ معرفةً فنيةً هي سمةٌ من سمات ثقافة الفرد كعسكري ، ومعرفته كيفية أستخدام هذا السلاح في المعركة هي سمةٌ أُخرى ومنْ أجل أنْ نستوعب ثقافة أيّ مجتمعٍ عسكريٍ يجب علينا أنْ ندرس أسلوب حياته و طريقة عمله وقت السلم .
3- الأعمال القتالية : وهي تحركات الوحدات أو إعادة تمركزها أو نشرها ، وأعمال النفير وإعلانهِ والمناورات المختلفة ، وعمليات الإستطلاع بمختلف الأسلحة أوِ اشتبكات وحدات الإستطلاع

مع العدو ، أوِ القصف التمهيدي أوِ التأمين القتالي للوحدات أو أيّ اشتباكاتٍ مع العدو قبل المعركة الرئيسية ، وكذلك تشمل المهام والواجبات في السلم والحرب والمستوى القيادي .

4- روح الفريق : وهي العامل النفسي والفكري المهم الذي يربط أجزاء الوحدة العسكرية فتصبح كياناً كلياً موحداً حيث يُجسِّد مبدأ التعاون بمفهومه المتجدد ، وأبسط تعريفٍ لروح الفريق : أنَّها نكران الذات و العمل من أجل الجماعة معاً على إختلاف القدرات و الخبرات وأدائها بشكلٍ منسجمٍ بحيث يبذل كل عسكريٍّ بشكلٍ منفردٍ و بغض النظر عنْ رتبته أقصى جهده في تنفيذ الواجب ، و هي تتأسس على روح افتخار الفرد بوحدته وولائه لها والإستعداد للتضحية من أجلها . وكلُّ وحدةٍ عسكريةٍ تتمتع بنوعٍ من روح الفريق يميزها عنْ غيرها منَ الوحدات في مختلف الأسلحة والصنوف . وتقوم روح الفريق على ثلاث أُسسٍ هي : العادات والتقاليد الوطنية والعسكرية ، الثقة في الكفاءة القتالية للوحدة ، والثقة في مستقبل الوحدة . إنَّ الثقافة العسكرية والتقاليد العسكرية تفرض هذا النوع منَ العواطف الإنسانية بتلقائيةٍ وكلما كبر التشكيل تضخمتْ هذه الروح حتى تصبح على مستوى الجيش بكامله ومنْ ذلك فإنَّنا نجد أنَّ المشكلات الإجتماعية داخل الجيوش أقلُ وطأةً وخطراً منها في أيّ تجمعاتٍ مدنيةٍ ، ويرجع ذلك للأسباب التالية :

أ- أنَّ الحياة في المعسكرات متكاملةٌ نوعاً ما ، رغم صعوبتها حتى على الضباط بسبب القوانين الصارمة التي تتحكم في كل شيءٍ .

ب- أنَّ كل الوحدات داخل ثكناتها أو معسكراتها قادرةٌ على مقاومة أيَّ تحدٍ خارجيٍّ .

ت- مستوى السلوك العسكري الرفيع المتمثل في الضبط والربط العسكري يؤدي إلى أعلى درجات التكامل الإنساني . إنَّ قياس درجة هذا التكامل تعتمد أساساً على مستوى الضبط والربط العسكري للوحدات والتشكيلات هذا المعيار الذي تفتقده المجتمعات المدنية التي تتأثر بأبسط المؤثرات الخارجية .

5- التشكيلات العسكرية : وهي عبارةٌ عنْ وحداتٍ عسكريةٍ كبرى تتكون منْ وحداتٍ أصغرٍ يتفاعلون مع بعضهم البعض ولهم نفس التخصصات العسكرية والواجبات القتالية . وتشمل التشكيلات الصغرى الفوج واللواء والكتيبة المجحفلة ، أما التشكيلات الكبرى فتشمل الفرقة والقوة المجحفلة أو اللواء المجحفل والقوة الجوية وهي جزء كبير من القوات الجوية مثل القوة الجوية الثامنة في الحرب العالمية الثانية ؛ منْ هنا نستطيع أنْ نلاحظ مدى تماسك الوحدات والتشكيلات مع بعضها البعض ومدى إلتصاقها بخصائص السلاح أو الصنف الذي تتبعه . منْ هذا المستوى في التماسك العضوي الذي يفرضه القانون العسكري والعرف والتقاليد العسكرية نلاحظ استمرار وبقاء هذه الوحدات والتشكيلات لمدةٍ طويلةٍ منَ الزمن . ويتميز العسكريون عنْ غيرهم منَ التجمعات الإنسانية بالقيافة العسكرية المميزة والضبط والربط العالي واحترام الذات والأخرين والتضحية وغيرها من أخلاق الفرسان التي

يفتقر إليها أيّ تجمعٍ إنسانيٍ آخرٍ ، كما يتميز العسكريون عنْ غيرهم بتعقد العلاقات وحبهم لبعضهم و تفاعل الغرباء عنْ بعضهم وكأنَّهم منْ نفس الوحدة .

6- الهيكل التنظيمي : الهيكل التنظيمي لأيّ جيشٍ يحدد العلاقات بين أفراده بدقةٍ متناهيةٍ ويعطيه شكلاً مميزاً وهويةً مختلفةً عن بقية التجمعات الأخرى وأسماً مخالفاً له هيبةً و وقاراً يحدد أهدافه النبيلة ، ويُتيح ممارسةَسلوكٍ إنسانيٍ مخالفٍ لغيره دون أيّ لبساً أو خللاً ، كما أنَّه يضع معاييرٍ معقدةٍ لقبول أيّ أفرادٍ جددٍ ، كذلك يحدد هذا الهيكل التظيمي نشاطات أفراده داخل المعسكرات والإدارات المختلفة منْ أجل تحقيق تلك الأهداف النبيلة منْ خلال القوانين العسكرية المختلفة .كما يتميز الهيكل التنظيمي لأيّ جيشٍ بتحديد المهام والواجبات في السلم والحرب والمرونة اللازمة لتنفيذها . بالإضافة إلى ذلك فإنَّه يحدد الرتبة الخاصة بكل منصبٍ و مواصفات القادة و الأمرآء الذين سيتولون تلك المناصب ؛ إذن فالهيكل التنظيمي للجيش هو إطارٌ يوضح التقسيمات الرئسية التي يتكون منها الجيش مرتَّبةٌ على شكل مستوياتٍتأخذ شكل هرمٍتنساب منْ خلاله الأوامر والتعليمات والتوجيهات منَ المستوى الأعلى إلى المستوى الأدنى ؛ ومنْ خلال هذا الهيكل تتوضح دوائر اتخاذ القرارات ومراكز السلطة العسكرية والمسؤولية و يوضح العلاقة بين هذه التقسيمات ومكوناته منَ التقسيمات الأدنى . فهو عبارةٌ عنْ إطارٍ تسلسليٍ للمؤسسة العسكرية يوضح فيه الوظائف والمناصب والرتب وإرتباطاتها الإدارية الوظيفية والعسكرية والعلاقات بين الأفراد ويوضح المسؤوليات والواجبات والمهام في السلم والحرب وفق السلاح والصنف تحت إشراف القيادة العامة للقوات المسلحة لتحقيق أهداف الجيش الكبرى . ويرسم خطوط السلطة بين القادة وهيئات الركن و أسلوب الإتصال بين القيادةالعامة للقوات المسلحة ورئاسات الأركان و الإدارات المختلفة .

7- الجيش : وهو أكبر تجمعٍ عسكريٍ يتكون من مجموعة من الأسلحة والصنوف تقوم بواجبات ومهام مختلفة للوصول جميعاً لهدفٍ واحدٍ ، وهو أكبر تجمعٍ ينتمي إليه عسكريٌ . والجيش متكيفٌ بذاته فهو أمةٌ داخل أمةٍ له رصيدٌ كافٍ من القوانين و العادات والتقاليد الخاصة به التي تمكنه منَ العيش في أيّ بيئةٍ لمدةٍ طويلةٍ ؛ ولهذا التجمع الإنساني الضخم حدودٌ دقيقةٌ تعيّنه وخطوط حمراء ترسم هذه الحدود بحيث لا يمكن تجاوزها . ولا يمكن استعمال هذا المصطلح لأيّ غرضٍ آخرٍ .

8- القوات المسلّحة : هي مجموع الجيوش المنظمة ذات الطابع العسكري ، والتي تكون خاضعة لقيادة تسلسلية هرمية واضحة المعالم حسب الرتب والمناصب ، وتكون هذه القيادة مسؤولة عن سلوك مرؤوسيها ووأفرادها ، وهم يخضعون لنظام تأديبي داخلي يلزمهم بالامتثال لقانون النزاعات المسلّحة . ولما لهذه القوة من منظومة قوانين عسكرية خاصة بها لفرض الانضباط والقانون ، إضافة إلى ما تتمتع به من قيادة وتدريب جيدين . أي أنها تعرفٌ أخرٌ للجيش ، ويمكن أن تتكون القوات المسلحة من أكثر من جيش واحدٍ . ومهام القوات المسلحة حسب

العقيدة الدفاعية الروسية و (تتبع هذه العقيدة بعض دول الإتحاد السوفيتي السابق والصين وصربيا ، وعدد من الدول العربية منها : ليبيا ، مصر ، الجزائر ، اليمن ، سوريا ، العراق) كالتالي :

إن تغيرات سياسة الدفاع وتغير الوضع في السياسة الخارجية يفرض دائماً وجود أولويات جديدة للأمن القومي ؛ من أجل ذلك توضع أمام القوات المسلحة مهام مختلفة والتي يمكن أن تنظم في أربعة مجالات رئيسية هي :

1. ردع التهديدات العسكرية والسياسية لأمن أو مصالح الأمة .
2. ضمان المصالح الاقتصادية والسياسية للأمة .
3. تنفيذ العمليات العسكرية في زمن السلم .
4. إستخدام القوة العسكرية .

إنّ ملامح تطور الوضع العسكري والسياسي في العالم يتسبب في إمكانية زيادة تنفيذ المهمة الواحدة إلى أخرى وكما هو معروف بأن مشاكل الوضع السياسي العسكري من الناحية الأمنية لأي أمة يعتبر معقد جداً ومتعددة الأوجه . فإنّ واجبات القوات المسلحة لاحتواء التهديدات العسكرية والسياسية وضمان الأمن الوطني للأمة بفضل الإجراءات التالي :

1. الإكتشاف المبكر لنمو الصراعات العسكرية أو السياسية ، والإكتشاف المبكر للتحضيرات لهجوم مسلح على أراضي الدولة و (أو) حلفائها .
2. الحفاظ على درجة عالية من الاستعداد القتالي للقوات المسلحة ، وتعبئة القوات النووية الاستراتيجية والقوات والوسائل التي تضمن استخدام وتطبيق هذه المكونات .
3. تنظيم إدارة الصيانة في كل الأسلحة والصنوف على مستوى يضمن إلحاق الضرر على المعتدي في أي حالة .
4. المحفاظة على المجهود الحربي والاستعداد للتعبئة والتدريب وقت السلم إلى المستوى الذي لا يسمح بأي عدوان من النطاق المحلي .
5. الإستعداد لنشر الصواريخ الاستراتيجية في إطار التدابير التي تتخذها الدولة في ظروف الحرب .
6. تنظيم الدفاع عن الحدود .
7. ضمان المصالح الاقتصادية والسياسية للأمة يشمل العناصر التالية :
   1. ضمان أمن المواطنين في مناطق النزاعات المسلحة وعدم الاستقرار السياسي أو غيرها .

2. تهيئة الظروف لضمان أمن النشاط الاقتصادي للدولة أو هياكلها الاقتصادية .
3. حماية المصالح الوطنية في المياه الإقليمية والجرف القاري والمنطقة الاقتصادية الخالصة للدولة ، وكذلك في أعالي البحار والمحيطات والمضائق والخلجان والممرات المائية الدولية .
4. تنفيذ قرارات القائد الأعلى للقوات المسلحة ووهو أعلى سلطة سياسية للدولة لتنفيذ عمليات عسكرية أو شبه عسكرية باستخدام قدرات القوات المسلحة أو جزءٌ منها في مناطق المصالح الحيوية الاقتصادية والسياسية للأمة .
5. تنظيم وتسيير حرب المعلومات والإستخبارات .

تقوم القوات المسلحة بعمليات القوة التالية في زمن السلم :

1. تنفيذ الإتزامات للدول الصديقة والحلفية وفقاً للمعاهدات الثنائية أو الاتفاقات الدولية الأخرى .
2. الحرب ضد الإرهاب الدولي ومكافحة التطرف السياسي والنزعات الانفصالية ومنع وقمع أعمال التخريب والإرهاب ، والهجرة غير الشرعية .
3. نشر استراتيجية صاروخية جزئية أو كاملة والمحافظة على الاستعداد لاستخدامها واستخدام سلاح الردع النووي .
4. تنفيذ عمليات حفظ السلام التي أقرتها الأمم المتحدة أو غيرها من المنظمات الدولية كسيناريوهات لحفظ السلام أو فرض السلام في التحالفات التي أنشئت في المنظمات الدولية التي توجد بها الدولة كعضو ، أو التي توجد فيها على أساس مؤقت .
5. ضمان حالة الدفاع عن النفس (الطوارئ) وفقا لقرارات الهيئات العليا لسلطة في الدولة .
6. حماية حدود الدولة براً وبحراً وجواً .
7. الضمان القوي للعقوبات الدولية التي فرضت بموجب قرار مجلس الأمن للأمم المتحدة .
8. الوقاية من الكوارث البيئية وغيرها من حالات الطوارئ والقضاء على آثارها .
9. يتم تطبيق القوة العسكرية من أجل ضمان الأمن للأمة .

يجب أن تكون القوات المسلحة مستعدة للمشاركة المباشرة في هذه الأنواع من الصراعات العسكرية :

1. النزاعات المسلحة .
2. أي شكل من أشكال حل التناقضات والصراعات السياسية والعرقية والدينية والإقليمية وغيرها يعتبر استخدام السلاح حيث أن الدولة (الدول) المشاركة في العمليات العسكرية لا تدخل في حالة ما يسمى بالحرب . في النزاعات المسلحة تميل الجهات المشاركة في النزاع تميل إلى متابعة أهداف عسكرية وسياسية .

3. الصراع المسلح يمكن أن يكون نتيجة حادث مسلح في الصراع على الحدود أو عمل مسلح واشتباكات أخرى محدودة النطاق يستخدم فيها الكفاح المسلح كوسيلة لحل النزاعات .
4. الصراع المسلح يمكن أن يكون ذا طابع دولي (بمشاركة دولتين أو أكثر) أو ذا طابع داخلي (باستخدام المواجهة المسلحة على أراضي دولة واحدة) .

والقوات المسلحة هي عماد الدفاع عن أمن الوطن برًّا وبحرًا وجوًّا . ويتم تشكيلها وتسليحها وتدريبها لتحقيق الأهداف الإستراتيجية التي تضعها الدولة . وتتكون القوات المسلحة في الدول الكبرى من عدة جيوش ، وفي الدول الأصغر تتكون من جيش واحد . وفي كثير من الدول التي تمتلك جيشا كبيراً يقود قواتها المسلحة ضابط برتبة مشير وهي أعلى رتبة تمنح في القوات المسلحة . وأغلبية الدوول تفصل فصلاً واضحاً بين أسلحة القوات المسلحة فتتكون من القوات البرية ، والقوات البحرية والقوات الجوية . إلاّ أن بعض الدول تزيد من التفصليات ، فتفصل حرس الحدود عن القوات البرية ويتكون قوة مستقلة تسمى قوات حرس الحدود ، وتفصل الدفاع الجوي عن القوات الجوية كقوة مستقلة وتسمى قوات الدفاع الجوي . ولكل من هذه القوات قيادة وهي جزء من القيادة العامة للقوات المسلحة ورئاسة أركان مستقلة تنفذ سياسة القيادة الجوية ، وتجمع هذه الأركانات رئاسة الأركان العامة للقوات المسلحة . أو هيئة الأركان المشتركة حسب نتظيم القوات المسلحة لكل دولة . فهيئة الأركان المشتركة تجمع كلاً من رئاسة الأركان العامة والقيادة العامة للقوات المسلحة في منظومة واحدة ، أما رئاسة الأركان العامة للقوات المسلحة فهي منظومة منفصلة ولكنها تتبع للقيادة العامة للقوات المسلحة .

إن التخطيط للمعركة الحديثة المشتركة يستند إلى فهم واقعي للموارد الحديثة وقدرات الأمة وتنطلق من حقيقة أن القوات المسلحة جنباً إلى جنب مع المؤسسات الأمنية الأخرى يجب أن تكون مستعدة لصد أي هجوم وهزيمة المعتدي ، وعدا ذلك يجب أن تكون القوات المسلحة على استعداد للقيام بعمليات نشطة (دفاعية أو هجومية) تحت أي سيناريو أو إطلاق العنان للحروب والنزاعات المسلحة من حيث استخدام العدو المكثف لأسلحة دمار قتالية حديثة ومتطورة بما في ذلك أسلحة الدمار الشامل من جميع الأنواع . ينبغي للقوات المسلحة أن تكون قادرة على:

1. في حالة السلم وفي حالات الطوارئ الحفاظ على ضبط الردع الإستراتيجي وانجاز المهام للحفاظ على الاستعداد القتالي الدائم من أجل حل المشكلة بنجاح في وقت واحد في نزاعين مسلحين من أي نوع دون اتخاذ تدابير لتعبئة إضافية . عدا ذلك يجب على القوات المسلحة القيام بعمليات حفظ السلام سواء بشكل مستقل أو كجزء من الوحدات المتعددة الجنسيات .

2. في حال تفاقم الوضع السياسي العسكري و العسكري الإستراتيجي يجب توفير الانتشار الاستراتيجي للقوات المسلحة لردع تصعيد الموقف على حساب قوى الردع الإستراتيجي ومناورة قوات الاستعداد الدائم .

3. في زمن الحرب ردع هجوم العدو الجوي . الفضائي بالقوى الموجودة وبعد النشر الاستراتيجي الواسع النطاق العمل من أجل حل المشكلة في وقت واحد في اثنتين من الحروب المحلية .

9- الضبط والربط العسكري : وهو عبارةٌ عنْ نمطٍ منْ أنماط السلوك الإنساني العسكري والقيم التي تدور حول حاجات العسكريين وما تصاحبها منْ طرقِ التفاعل الإنساني العسكري . وهو بهذا المعنى ظاهرةٌ ثقافيةٌ وتنظيميةٌ في نفس الوقت ، فهو يتضمن الإجراءات التي وضعها الجيش وتراكمتْ عبر السنين ، ويتضمن كذلك الأفراد والوحدات القائمة بهذا العمل ؛ ونلاحظ أنَّ تقسيم الجيش إلى وحداتٍ صغرى وتشكيلاتٍ كبرى هو تقسيمٌ كلاسيكيٌّ غير قابلٍ للتطبيق خارجه على أيّ مجتمعٍ لآخرٍ ، وتعتبر هذه الوحدات والتشكيلات نظماً إجتماعيةً عسكريةً أساسيةً ؛ إلى ذلك فهناك أنماطٌ أُخرى منَ السلوك العسكري تعتبر منْ أنماط الضبط والربط العسكري كإلتزام العسكريين في مجالات الأنشطة المختلفة وبلوغهم فيها إلى مراتبٍ عليا كالرياضات المختلفة والعلوم المختلفة والقانون والأعمال الخيرية التي تقوم بها مؤسسات الجيش المختلفة .

10- وزارة الدفاع هي الوزارة الحكومية المناط بها تولي شؤون الدفاع عن الدولة ، وهي الواجهة السياسية للقوات المسلحة ، ويتولى رئاستها وزير الدفاع ، وهو أحد أعضاء مجلس الوزراء وتسمى وزارته "وزارة الدفاع" وهي نظرياً مسؤولة عن جميع مسائل الدفاع والجيش . وبعض الدول تعتمد مصطلح وزير الحربية بديلاً عن وزير الدفاع . وقد يتولى وزير الدفاع (إذا كان عسكرياً) منصب القائد العام للقوات المسلحة . أما إذا كان الوزير شخصيية مدنية فيكون المنصبين منفصلين . وزير الدفاع يعدّ منصبا في الحكومة ووزارة الدفاع تعدّ وزارة سيادية بمعنى أنها تعدّ وزارة مهمة في جهاز الدولة وتعبر عن سيادة الدولة المستقلة والتي تتمتع بسيادة كاملة على أراضيها.

11- المؤسسة العسكرية : هي الدعامة الأساسية التي تقوم عليها الدولة من أجل الدفاع عن أرض الوطن ، وهي قطاع حكومي تشرف عليه رئاسة الوزراء ، وهكذا عندما نريد أن نتكلم على القوات المسلحة كقطاع حكومي نقول : المؤسسة العسكرية . وهي تشغلُ أهميةً كبيرةً في المجتمع ، ونظراً للتطوراتِ التي تشهدُها المؤسّسات في مختلف المجالاتِ يتوجبُ علينا فهم طبيعة وآليّة عملها ومعرفة تنظيمها والعلاقات الرابطة بين أركانها المختلفة ، وبين غيرها من مؤسسات الدولة ؛ ونستطيع تحديد حياة المؤسّسة العسكرية بقدرتها على مواكبةِ تغيرات المجتمع والتأقلم مع تطوراته ، إذن يمكننا تعريف المؤسّسة العسكرية بأنها : " هيّكل تنظيميٍ مستقل مالياً ، ويخضع لكلاً من الإطار القانونيّ والاجتماعيّ الخاص به ، له أهداف دفاعية وأمنية وتنموية ؛ وإنَّ المؤسّسة العسكرية باعتبارِها منظمةٍ تُعتبرُ في ذات الوقت هيكلاً اجتماعياً واقعياً ومتعاملاً اقتصادياً ، وتتبعُ خصائص تنظيميّة مستقلة عن بقية مؤسسات الدولة .

12- القيم العسكرية : وهي تصور القيادة العامةلجيش لشيءٍ معينٍ بحيث يؤثر على سلوك العسكريين . بمعنىً آخرٍ هي تلك الأفكار التي يؤمن بها العسكريون وتحدد لهم ما يفعلونه و كيف يفعلونه كما تحدد هذه القيم الأشياء العزيزة على نفس العسكريين كحب الوطن و المؤسسة العسكرية ، وما هو الشيء الثمين كتحقيق النصر في المعركة و ما هو هو الشيء الجذاب كالحصول على أسلحةٍ جديدةٍ .. إلخ ...إنَّ هذا الشيء المرغوب فيه منْ وجهة نظري هو مصلحة الوطن بزوايها المختلفة وهي تحمل أشمل الصفات الإنسانية إستجابةً وأكثرها عموميةً وأكثرها ثباتاً واستقراراً ؛ مصلحة الوطن كقيمةٍ عسكريةٍ غير قابلةٍ لتغيير مع ندرة الأشياء المرغوب فيها أو وفرتها أو زيادة أو نقصان الحاجات أو وجود بدائلٍ أُخرى ؛ إنَّ مفهوم هذه القيمة لمنْ أسهل القيم العسكرية وأكثرها وضوحاً ولا يفهمها إلاَّ العسكريون . إنَّ حقيقة هذا الأمر في الحياة العسكرية اليومية لكل العسكريين باختلاف رتبهم ومناصبهم في غاية البساطة لا تحتاج لشرحٍ أو توضيحٍ ، فهي مترابطةٌ بفائدة الوطن ارتباطاً وثيقاً ، وتزداد هذه القيمة أثناء الإنتكاسات أو الهزائم العظيمة أو أثناء المؤامرات التي تُحاك ضد الوطن . وهذه القيمة النادرة خارج المعسكرات مُستمدةٌ من الثقافة العسكرية وهي قيمةٌ يؤمن بها كل العسكريون وتحظى بتأييد ودعم كل المؤسسة العسكرية ؛ وإذا بحثنا على براهينٍ تثبت لنا ذلك فما علينا إلاَّ دراسة الحروب السابقة ، حتى العسكريين الذين خانوا أوطانهم كانوا يرون أنَّ تلك الخيانة إنَّما تصُبُ في مصلحة الوطن .

13- المذهب العسكري : وهو تلك الأفكار والنظريات التي ترسم للعسكرين الطريق لأداء واجباتهم ومهامهم في المواقف المختلفة في إطار العقيدة العسكرية . وتتمتع العقيدة العسكرية بالإقتناع التام الواعي أو غير الواعي لدى العسكريين . بحيث تكون الإستجابة للمواقف المتغيرة شبه مسبقةً تجسيداً للقيم العسكرية ومنبثقةً من العقيدة العسكرية .

14- الروح المعنوية : وهي ورحٌ عامةٌ تنتشر بين الأفراد الذين يكونون الجماعة الواحدة ، وتظهر في ثقة الأفراد بجماعتهم وفي الثقة بالذات نحو ما يقوم الفرد منْ دورٍ في الجماعة وإخلاصه لها واستعداده للكفاح منْ في سبيل أهدافها . وبظهور المقاييس السوسيومترية عُرِّفتْ الروح المعنوية بأنَّها : المشاعر المشتركة بين أعضاء الفريق الواحد أوِ الجماعة الواحدة ، وقد كان زلني في سنة 1939م أول منْ حاول قياس الروح المعنوية . أيْ أنَّ الروح المعنوية هي : الحالة النفسية للفرد في موقفٍ معينٍ وتحت تأثير ظروفٍ معينةٍ . وتعتمد الروح المعنوية على عاملين أساسيين هما : إثارة الدوافع النفسية نحو الأحداث الجارية والأهداف المرجو تحقيقها ، والثاني التماسك الوظيفي التعبوي حيث تتحسن الروح المعنوية إذا كانت الوحدة تتبادل التجاذب النفسي والعاطفي وأنْ يستمد النظام فيها على الإتفاق الإجتماعي العسكري ؛ وتتطلب الحروب الحديثة جهود الكثير منْ أفراد الشعب للإسهام في الدفاع ورد العدوان ، ولم تعدْ المسئوليات منْ نصيب قلةٍ مقاتلةٍ وحدةٍ ، وتمتد الكثير منَ الواجبات التي كانت في الماضي قاصرةً على العسكريين وحدهم إلى الأمة المحاربة بحالها. وتشمل الروح المعنوية المعنويات الفردية والمعنويات الجماعية ، وترجع المعنويات الفردية إلى حالةٍ معينةٍ منَ الراحة البدنية والعاطفية تسمح للفرد بالأمل في الحياة والعمل بطريقةٍ مناسبةٍ مع اشتراكه في الأهداف الرئيسية للجماعات التي يكونها

(مهنيةٍ أوِ اجتماعيةٍ) ، ورغبته في القيام بأعبآئه بنشاطٍ وحماسٍ وتحكمٍ في نفسه . ويعتمد الفرد في ذلك على اقتناعه بضرورة تحقيق أمانيه الفردية والإجتماعية بالرغم منَ العقبات والأزمات . أمَّا المعنويات الجماعية فتتعلق بالإشتراك الواعي في الأهداف الجماعية وتفترض وحدة الأماني المحددة الواضحة التي تؤخذ في الإعتبار وتمتزج بالأماني الفردية والثقة في النجاح وفي ملأمة الوسائل المستعملة وفي القادة والزملاء وكذلك في النفس .

15- الكفاءة القتالية : وهي قدرة الجيش الحقيقة و إمكانياته على خوض الحرب وتحقيق النصر بأقل جهد وأقل خسائر ، والحقيقة الهامة حول الكفاءة القتالية ، أنها غير معلنة وإنمَّا يمكنُ التنبؤ بها منْ خلال المناورات أوِ الأعمال القتالية الفعلية . إنَّ الكفاءة القتالية هي معيارٌ للسلوك العسكري في ميدان المعركة وتحدد سلفاً نوع الحكم الذي سيصدره الآخرون على أفعال الجيش ؛ فهناك سلوكٌ يعد مذموم في الميدان لدى بعض الثقافات كتعذيب الأسير أو قتله ولكنه غير مذموم في بعضها وإنْ تحكّمتْ فيه القوانين الدولية ؛ إنَّ أخلاق الفرسان التي يتمتع بها العسكريون هي المعيار الحقيقي لسلوكهم في ميدان المعركة والذي هو نتاج الكفاءة القتالية للوحدات والثقافة العسكرية للأفراد ، وهو الذي يحدد أنَّ هذا العسكري صالحٌ أو طالحٌ . ويتنوع هذا السلوك الكامن خلف النفس البشرية بتنوعها الظاهري بحيث يتم التعبير عنه بطرقٍ متباينةٍ منْ جيشٍ إلى آخرٍ . والكفاءة القتالية التي تحقق النصر للوحدة أوِ التشكيل تعتمد على أربع أُسسٍ هي :

أ. الكفاءة العسكرية
ب. الضبط والربط العسكري
ت. الروح المعنوية
ث. روح الفريق

16. الكفاءة العسكرية هي : القدرة على تنفيذ المهام والواجبات بنجاح من الناحية الفنية والمادية أيْ التخصص التعبوي . فالكفاءة العسكرية هي جزءٌ من الكفاءة القتالية يتصل بالقدرات الفنية والمهنية البحتة مثل مستوى التدريب واستخدام الأسلحة وصلاحية المعدات . وللكفأة العسكرية عنصران أساسيان هما : كفأة الأفراد وكفأة الأسلحة والمعدات .
17. الجاهيزية القتالية : وهي درجة استعداد الجيش لخوض المعركة بناءً على القدرات القتالية ، والكفاءة القتالية للجيش ، والحالة الإقتصادية للأمة . وتنفيذ الواجبات بشكلٍ يتسق مع تنظيم الجيش وإدارة الموارد العسكرية وتدريب القوات أثناء النفير . وهي أحد الواجبات الإستراتيجية للقيادة العليا للجيش ، ويستوجب ذلك بأن يكون الجيش في حالة تأهب دائم وكامل ، ونظراً للتكلفة المالية الضخمة المترتبة على ذلك وإرهاق ميزانية الدولة فإن الجاهيزية القتالية تتم على مراحل كالأتي :

أ. تأهب قتالي دائم (يومي) .
ب. تأهب قتال عالي .
ت. تأهب قتال كامل

ث. تأهب قتالي أقصى

18. الخيانة : وتعرف الخيانة بأنَّها : إنحراف السلوك العسكري عنْ مساره ، وخرق كل القيم السائدة في الجيش والتعدِّي عليها . إنَّ الخيانة أحد الموضوعات الرئيسية في التنظيم الإجتماعي العسكري ، وقد سنَّ المُشرع العسكري القوانين اللازمة للحد منها بعقوباتٍ صارمةٍ تصل إلى الإعدام في ميدان المعركة . والخيانة في أيّ جيشٍ تعتبر سلوكاً نسبياً يعد خروجاً على قيم هذا الجيش ، ومع ذلك يجب أنْ لا نخلطَ بين الخيانة وعدم الإمتثال للأوامر العسكرية التي هي عدم الإمتثال لثقافة الجيش حيث أنَّ هذا السلوك المنحرف يمثل بوضوحٍ الإعتداء على قيم المجتمع العسكري التي لا يستطيع العسكري المنحرف التملصَ منها تماماً حتى و لو كان هذا العسكري محاطاً بمجموعةٍ منّ الأفراد الذين تتعارض أفكارهم مع القيم العسكرية عموماً والجيش الذين ينتمون إليه جميعاً ؛ ويحدث ذلك لثلاثةِ أسبابٍ: أولها كونُ ذلك العسكري مرتزقٌ ويقاتل غالباً من أجلِ المال أو هدفٍ يصبوا إليه فليس كل منْ لبِسَ البدلة العسكرية هو عسكريٌ بضرورة ، وثانيهما أنَّ العسكري يقاتل بدون قناعةٍ ولم يُهيءْ أصلاً للحرب وهذا قصورٌ في أعمال النفير حيث أنَّ الأمة لم تتهيءْ لقبول الحرب ولم تتمِّ الإجابة عنِ السؤال لماذا نقاتل ؟ و الثالث كون ذلك العسكري يقاتل دون وعيٍّ فقط بمجرد أنَّ وحدته اشتبكتْ مع العدو وجد نفسه في الميدان ، وهذا قصورٌ في التدريب ومستوى الثقافة العسكرية .

19. الآوامر : وهي العملية التي تتيح للعسكريين الذين يتواصلون مع بعضهم أنْ يؤثر كلٌ منهم على الأخرين سواءً بالأفكار أوِ النشاطات وهي تنقسم قسمين : الأول هي الآوامر منَ المستوى الأعلى إلى المستوى الأدنى في السلم وفي الحرب شفويةً أو مكتوبةً ، وثانيهما التفاعل الإنساني بين الأفراد في المستوى الواحد ؛ ولهذا نستطيع أنْ نلاحظ أنَّ التأثير المتبادل يختلف إختلافاً كبيراً في الحالتين ، فالمستوى الأول أقل نشاطاً لأنَّ إستلام الآومر منَ المستوى الأعلى وتطبيقها هو واجب إلزامي القيام به فلا يعدو التفاعل على الطاعة وحبُّ القائد والتأثر بشخصيته ولا يستمر طويلاً ، أمَّا الثاني فهو الأكثر نشاطاً وربَّما تستمر سنوات طويلة حتى بعد الإنتقال منَ الوحدة أو إنهاءِ الخدمة أوِ الوفاة فيستمر هذا التفاعل الإنساني مع أسرة المتوفي . والكثير من المصطلحات العسكرية هي السائدة في عملية التواصل كاستعمال الرتبة أو الرقم العسكري في عملية التخاطب ، أوِ استعمال المصطلحات الفنية للسلاح الواحد وكذلك الكثير من الحركات والإيماءات العسكرية التي تستعمل في كل الجيوش (كما سنطلق عليها لاحقاً الطقوس العسكرية) ؛ هذه الآوامر وسيلة الإتصال بين عقول العسكريين الذين بدورهم يحولونها إلى معانٍ ثمّ أفعالٍ تستطيع فهمها مباشرةً ذلك أنَّ أسلوبَ التخاطب العسكري أسلوبٌ واضحٌ في معانيه و غير قابلٍ للتأويل .

20. الواجبات والمهام : هي شكلٌ من أشكال التواصل الإجتماعي العسكري وهي تختلف في وقت السلم عنها في وقت الحرب لما تترتب على كلٍ منهما من نتائجٍ ، وهي سلوكٌ عسكريٌّ متوقعٌ منَ القادة و الآمرين وهيئات الركن أثناء تفاعلهم مع المستوى الأدنى وقت السلم و وقت الحرب ، منْ هنا نستطيع توقع ردة فعل وسلوك المستوى الأدنى وهم صغار القادة والجنود أثناء تنفيذهم

للواجبات والمهام و كيفية تنفيذها، و نبني توقعاتنا هذه على نوعين من المعلومات ؛ معلوماتٌ عنِ الشروط التي تحكم الموقف العسكري الراهن (سلم / حرب) وخبرة المستوى الأدنى وهي تعتمد على درجة تأهيليه وكفأته القتالية . ويصعب الفصل بين هذين النوعين منَ المعلومات حيث أنَّهما ينصهران ويمتزجان في بعضهما البعض في كل لحظةٍ من حياتنا العسكرية لأنَّ المعايير التي تحدد لنا كيف نقوم بهذا الواجب أو ذاك تختلف باختلاف الموقف ونوع السلاح فهي تتعدل باستمرارٍ على أساس الخبرة ووجهة نظر القائد . والواجبات والمهام إمَّا أنْ تكون معقدةٌ وهي على مستوى الوحدات والتشكيلات الكبرى أو بسيطةٌ وهي على مستوى الأفراد أوِ المجموعات الصغيرة كحضيرة صيانة الطائرات في خط الطيران أو حضيرة هندسةٍ عسكريةٍ ؛ والواجبات والمهام أنواع فمنها واجباتٌ مكملةٌ أيْ أنَّها جزاءٌ من واجبٍ أو مهمةٍ كبيرةٍ تقوم به عدة وحداتٍ في النفس الوقت لتحقيق هدفٍ أو عدة أهدافٍ ، أو واجباتٌ متشابهةٌ تقوم بها عدة وحداتٍ في نفس الوقت كالإسناد الناري لفرقةٍ مدرعةٍ تقوم به كتيبة المدفعية وسرب الطائرات العمودية ويحتوي هذين النوعين على معاييرٍ تتطلب تبادل بعض الواجبات والمهام وهذا يعني أنَّ أداء العسكري لواجباته على أساسٍ سليمٍ يتطلب أنْ يؤدي زميله في الجهة الأخرى واجبه على نحوٍ سليمٍ أيضاً ؛ والنوع الثالث هو واجباتُ أو مهامُ تعيزٍ أو إسنادٍ لوحداتٍ أُخرى كالإسناد الناري التعبوي الذي تقوم بها وحدات الطيران القادفة المقاتلة لفرقةٍ المدرعةٍ في جبهة القتال ؛ أو عند تراجع أيّ وحدةٍ أو عدم قدرتها على إنجاز واجباتها تقوم القيادة العامةبتعزيزها منْ أحتياطيها . إنَّ التقصير أوِ التهاون واللامُبلاة في تفيذ الواجبات قد يؤدي إلى الهزيمة وهذا الشيء الذي لا يرغبه أيّ عسكريٍّ والقوانين العسكرية صارمةٌ في هذا الإتجاه فقد تصل إلى الإعدام في ميدان المعركة . وتنشأ الكثير منَ المعضلات التعبوية و المشاكل الإدارية اللوجستية نتيجةً لذلك ، أو خطاءٌ في فهم المهمة أوِ الواجب .

21. التنشيئة العسكرية : وهي العملية التي تستهدف تأهيل وتدريب الأفراد ليصبحوا عسكريين عن طريق تعليم المعارف العسكرية المختلفة والعلوم الطبيعية وتعليم القيم والواجبات العسكرية وغرس المفاهيم الثقافية العسكرية في نفوسهم . وهي عمليةٌ مستمرةٌ لا تنقطع لأنَّ واجبات وأهداف المجتمع العسكري لا تكتسب في مرةٍ واحدةٍ بل على امتداد فترة بقاء العسكري في الخدمة . وبجانب الجانب الإيجابي للتنشئة العسكرية في إعداد كوادرٍ مؤهلةٍ للدفاع عنِ الوطن فإنَّ الجانب السلبي كون المؤسسة العسكرية مؤسسةٌ استهلاكيةٌ فهي تستهلك الكثير من موارد الدولة الإقتصادية ، كذلك فإنَّ شغل وضعٌ عسكريٌّ جديدٌ يتطلب ترك الوضع القديم وهذا يحتاج إلى مصاريفٍ إضافيةٍ قد ترهق مزانية الدولة . ولا تختلف التنشيئة العسكرية من جيشٍ إلى جيشٍ كثيراً ولذلك نجد كثيراً منَ الدول تقوم بتنشيئة عسكريها في دولٍ أُخرى صديقةٍ أو حليفةٍ . والتنشئة غير التدريب فهي جزءٌ منه ويستمر تدريب العسكري بعد تنشئته في إحدى المدارس أوِ الكليات العسكرية حتى تقاعده أو نهاية خدمته .

22. لصراع مع المجتمع السياسي : وهو صراعٌ بين القيم والقوة والنفوذ السياسي ولا يقتصر هذا الصراع على النصر فحسب بل يتعدّاهُ إلى محاولة إخضاع الخصوم . وهذا الصراع نراه واضحاً في كل الدول وعلى مرِّ التاريخ فلا ينتهي صراع العسكر مع الساسة إلاّ بإخضاع أحدِهما للآخر . اللهم في بعض الدول الديموقراطية ويكون هذا الصراع مصحوباً بمشاعرٍ عدائيةٍ أو حتى كراهيةٍ ؛ فمثالٌ على ذلك لا يرضى أيّ عسكريٍّ مهما كانت رتبته أنْ يقودَه رجلٌ مدنيٌّ مهما كانت كفأته . أعتقدُ أنَّ هذا الصراع هدفه دائماً السلطة والتي أساسها العسكر ، وفي مثل هذه الصرعات دائماً ما يحتكر العسكر المُثل العليا الرفيعة التي أنشؤو عليها . ولا يتعبر هذا الصراع صحيٌّ للدولة لسببين : الأول كل مجتمعٍ منهما يقول أنا الدولة وبذلك يخترق الخطوط الحمراء للآخر ، وأنَّ مثل هذا الصراع يقسم الشعب على أُسسٍ متباينةٍ طبقيةٍ أو عقيدةٍ سياسيةٍ حزبيةٍ أو وضعٍ اقتصاديٍّ مختلفٍ ولنْ يصبح الأعداء إخوةً وبذلك تهدم الدولة ويفقد المجتمع ككلٍ تماسكه الفكري والأيديولوجي والعقائدي وتفقد الدولة مقوم وجودها الحقيقي ، يقول بن خلدون : (عندما تنهار الدول يكثر المنجمون والأفاقون والمتفقهون و الإنتهازيون ، وتعم الإشاعة وتطول المناظرات ، وتقصر البصيرة ، ويتشوش الفكر) ، أمّا الصراع الصحي فهو الذي يُشير إلى عدم انسجام القيم العسكرية المشرئبة نحو الكمال مع مفاهيم المجتمع المدني أوِ السياسي اللذان يكثر فيهما الإنحراف والجريمة ويفتقران إلى روح الفريق ؛ وهذا الصراع جديرٌ بالدراسة فهو يتصل اتصالاً مباشراً بالصرعات الفردية وويثق الصلة بها . و الثاني أنَّ أعداء الموسسة العسكرية سوف يستغلونه في تشويه صورتها عند أفراد الشعب و بذلك ستفقد هذه المؤسسة جزءً مهماً منْ رصيدها الشعبي و مصدقيتها .

23. المنصب العسكري : وهو المكان الذي يشغله أيّ عسكريٍّ في الهيكل التنظيمي للقوات المسلحة ، وتأثيره على محيطهِ . و منَ المعروف أنَّ المنصب العسكري يعطي لشاغله التفضيل والتقدير في وحدته ومحيطه العسكري ونصيباً أكبراً منَ الموارد المعنوية والإقتصادية (كالمرتب والسلف والمُكفأت) ، ونصيباً أكبراً منَ السلطة العسكرية والقدرة على التحكم في نشاط وسلوك مرؤسيهِ ، بالإضافة إلى عبء المسؤلية والواجبات التي تمنحه قدراً أكبراً منَ الحقوق . ويوضح الهيكل التنظيمي للقوات المسلحة التدرج الهرمي للمناصب القيادية وهيئات الركن لكل الأسلحة والصنوف بحيث يكون واضحاً جداً مُبيّناً الفروق بين المناصب المتدرجة والحقوق والواجبات والإمتيازات ؛ ولهذا فإنَّنا لا نرى أيّ قياداتٍ غير رسميةٍ في علم الإجتماع العسكري التي تنشأ بشكلٍ عشوائيٍّ في المجتمعات غير المنظمة . وتُعطى هذه المناصب بمعاييرٍ معينةٍ أهمها خصائص العسكريين وتأهيلهم العلمي والقيادي بالإضافة إلى الرتبة التي يفرضها الهيكل التنظيمي لكل منصب ؛ وتُحدِث هذه المناصب أحياناً علاقاتٍ سلوكيةً معقدةً داخل الوحدات تنشأ عن قوى الجذب والنفور بين الأفراد . إلاَّ أنَّها لا تخضع إطلاقاً لاختبار (القياس الإجتماعي) أوِ المكانة السوسيومترية . وكثيراً ما يغير المنصب العسكري سلوك شاغره ويكتسب شعور الرغبة في تجنب فقدان المنصب تكون أقوى منَ الرغبة في الحصول على منصبٍ جديدٍ ولهذا نرى كثيراً من الجيوش

يحددون مدةً زمنيةً لكل منصبٍ باعتبار أنَّ المنصب العسكري سلطةٌ يجب تداولها ، أيضاً فإنَّ القائد أوِ الآمر في منصبه سوف يبداء في تكرار نفسه بعد عدة سنواتٍ ويفقد الشهية في التطوير والإبتكار ويسعى للمحافظة على امتيازاته على حساب واجباته العسكرية . و المنصب العسكري هو السلوك العسكري المتوقع من الآمر أوِ القائد أثناء أعطاءه للأوامر أو أثناء تنفيذه لها أو تفاعله مع قادته ومرؤوسه أو أؤلئك القادة والآمرينَ الذين يشتغلون مناصب أُخرى ، وكلما قل دور المنصب العسكري كلما خل توازن القيام بالواجبات والمهام وانهارت منظومة القيم العسكرية وعلى رأسها الضبط والربط العسكري ، وتكون أدوار هذه المناصب مكملةٌ لبعضها داخل الوحدة الواحدة أو متاشابهةٌ داخل السلاح الواحد أو معززةٍ من سلاحٍ آخرٍ ؛ وتقتضي القوانين و الأعراف العسكرية أنَّ كل قائدٍ يقوم بواجبات منصبه سليمةً بحيث يؤدي زميله الآخر بواجبات منصبه على نحوٍ سليمٍ أيضاً . إنَّ قيام القائد بأداء منصبه لا مُبالياً أو غير مهتمٍ يعتبر ظلمٌ لجنوده وهيئة ركنه ولسوف نجد أنَّ تلك الوحدة لا تقوم بواجباتها بالكفاءة المطلوبة ؛ إنّ أدآء هذه المناصب لوجباتها أشبه بمسرحيةٍ واقيعةٍ نعيشها كل يومٍ كل فردٍ يقوم بواجبه متكاملاً كتروس الساعةِ تماماً ، ذلك أنَّ هؤلاء القادة و الآمرون وهيئاتُ الركنِ المختلفة لا يخفون شخصياتهم ولا يطمسونها وأنَّهم يقومون بواجباتهم في الجيش على أحسنِ وجهٍ .

24. التنقل والتدرج : وهو حركة العسكريين بين الوحدات والتشكيلات المختلفة وتدرجهم في الترقية ؛ ويأتي على ثلاثةِ أشكالٍ : التنقل الجغرافي وهو أنْ ينتقل العسكري من منطقةٍ عسكريةٍ إلى آخرى ، والتنقل الإعتيادي ويكون داخل المنطقة العسكرية ، والتنقل الوظيفي وهو تغير التخصص العسكري ؛ أمَّا التدرج في الترقية فتوضع له معاييرٍ خاصةٍ لا تختلف كثيراً من جيشٍ إلى آخرٍ .
25. الشخصية العسكرية : وهي قدرة العسكري بغض النظر عنْ رتبته على فرض إرادته على زملائه رغم مايلقاه منْ مقاومةٍ أحياناً (وسوف نتناولها بالتفصيل في فصلٍ لاحقٍ) . و الجميع يهتم ويتحدث ويدرس الشخصيات العسكرية البارزة ودورها في الحروب و لم تهتم الدراسات بنفوذ ضباط الصف و الجنود في المعارك و الأدوار الرائعة التي قاموا بها . و بالنسبة للرتب المختلفة فإنَّ الأقدم له قوة القانون على فرض إرادته وهذا ما نسميه بالسلطة الشرعية أيْ أنَّها مُستمدةٌ منْ شرعية القانون أولاً ومعلومةٌ من قبل القيم العسكرية ثانياً . أمَّا القدرة على العمل بدون سلطةٍ شرعيةٍ فهي النفوذ حيث تجد سائق قائد الوحدة مثلاً يستطيع أنَّ يقدم لك خدمةً بدون تسلسلٍ عسكريّ ، أوِ النفوذ القبلي والمناطقي وهو مذموم جداً لأنَّه لا يراعي مصلحة الجيش وبالتالي المصلحة الوطنية ، أيضاً هذه القدرة ليست تبادليةٌ فالأقدم أوِ القائد أوِ ألآمر دائماً له السلطة فلا يجوز للإحدث إتخاذ القرار أبداً ، فلا يستطيع أيّ عسكريٍ مقاومة قائده وإلاَّ أصبح مُتمرداً فمهما ضعفت شخصية القائد فالولاء له واجبٌ باسم القانون والعرف العسكري .
26. المعسكرات والثكنات : المعسكرات هي تلك المباني والمنشئات والحصون الدائمة التي يتواجد فيها العسكريون وتوجد بالمعسكرات كل وسائل الإقامة الدائمة والتدريب والترفيه ، وقد يوجد بالمعسكر الواحد أكثر منْ وحدةٍ منْ نفس السلاح أوِ الصنف أو قد تكون مختلفة الأسلحة

والصنوف . أمَّ الثُكْنةُ بسكون الكاف فهي منشأتٌ مؤقتةٌ أو دائمةٌ ولكنها تختلف عنِ المعسكر كونها غير كاملة التجهيز ولا توجود بها كل وسائل الإقامة أوِ التدريب وقد يتواجد بالثُكْنة جزءٌ منَ الوحدة أو أكثرٍ . وجمعها ثُكَنُ الجُنْدِ : أيْ مَراكِزُهم ؛ والثُكْنةُ تعني أيضاً الرايةُ والعلامةُ ، وجمعهاثُكَنٌ بفتح الكاف .

27. أهداف الجيش الكبرى : وهي ثلاثةٌ الدفاع عنِ الوطن ، وحماية الحدود ، ومساعدة الأجهزة الأمنية عند الضرورة .
28. التراث العسكري : هو النتاج المادى والفكرى الذى خلَّفه جيشٌ ما والذى سيؤدى دوراً أساسياً في تكوين الشخصية العسكرية للجيل الحديث في عقله الباطن (نمط التفكير) وسلوكه الظاهر ، وهكذا يفهم التراث العسكري علي أنَّه منْ صنع الجيش ونتاج النشاط العسكري الواعي في مراحلٍ متعاقبةٍ منذ نشئتِ هذا الجيش ، ونحن كعسكريين لا خيار لنا في تراثنا لأنَّه حدث فعلاً وورثناه ، ولكننا نستطيع أنْ نطور منه ما يلزم حاضرنا و بهذا الإختيار نصنع تراثاً لجيلٍ عسكريٍّ قادمٍ .
29. الوعي العسكري : الوعى العسكري هو نتيجة التفاعل بين العسكري و عالمه المادى المحيط به داخل المعسكرات و الثكنات ، وهو يلعب دوراً هاماً فى التطور الإجتماعى العسكري ، سواء كان هذا الدور إيجابياً أو سلبياً ، فالأفكار التى يحملها هذا العسكري قد تساعد على تطور المجتمع أو قد تكون عائقاً أمام هذا التطور.
30. العقيدة العسكرية : العقيدة العسكرية هي الشكل الرسمي المعتمد من إستراتيجية الأمة حول طبيعة المعركة الحديثة المشتركة واستخدام القوات المسلحة خلالها . وهي تتكون من شقّين أساسيين وهما ؛ شق اجتماعي سياسي وآخر عسكري تقني. ونعنِي بالشق الاجتماعي السياسي جميع المسائل المتعلقة باقتصاد الأمة وبطريقة أدائه و قدراته و امكانيته على الإستمرار طول فترة الحرب ؛ والقواعد الاجتماعية تعني مدى اقتناع الأمة بالحرب و استعدادها لها وهذا العامل يعتمد على النفير وأعماله ، والأهداف السياسية المتعلقة بالحرب . وهو بالتالي الجانب الأكثر تأثيراً وثباتاً خلال النزاع العسكري ، وعليه يتعيّن على الجانب العسكري التقني الالتزام بتحقيق الأهداف السياسية المتوقعة من الحرب ، ويتلخّص هذا الجانب في خلق تكوين عسكري وتسليح القوات المسلحة بأحدث الأساليب التقنية والاتزام بالأساليب العلمية الحديثة في تدريب القوات وتوصيف التشكيلات العسكرية وتوظيفها وإدارة العمليات العسكرية المختلفة والحرب بأكملها .
31. التعليمات والتوجيهات : التعليمات هي نوعٌ منَ الأوامر العسكرية والإرشادات ، وتكون كاملة التفاصيل حول (مهمةٍ / واجبٍ) مفردةً أو ضمن خطة واجبة التَّنفيذ سواء أكانت شفهيّة أم خطيّة تصدر من القيادات العملياتية والتعبوية . أمَّا التوجيهات في نوعٌ منَ الأوامر العسكرية والتوصيات واجبة التنفيذ سواء أكانت شفهيّة أم خطيّة ، تصدرها القيادات العليا للجيش أو المعركة وتكون حول أهداف محددة بدون تفاصيل إضافية حول آلية التنفيذ أو وقته .
32. المعركة الحديثة المشتركة : هي الوسيلة الوحيدة لتدمير العدو ، وهي عبارةٌ عنِ الإشتباك المنظم المسلح للتشكيلات والوحدات والوحدات الفرعية لكلا الطرفين ، والغرض منْها تدمير قوات العدو

أو تكبيده الخسائر الفادحة ، وكذلك الإستلاء على الخطوط و المناطق والأهداف العامة والتمسك الثابت بها ، والمعركة الحديثة المشتركة هي المعركة المشتركة حيث يتم تنفيذها بالجهود المشتركة للقوات والصنوف المختلفة والتي تعمل على أساس تنسيق الأهداف والمهام والمكان والوقت بتعاونٍ تامٍ ، وتوجيه مجهودها الرئيسي لتنفيذ المهمة العامة وهي تدمير العدو بالكامل وبسرعة .

33. الجندي والعسكري : حسب تعريف قانون رقم (40) لسنة 1974م بشأن الخدمة في القوات المسلحة العربية الليبية ، الجندي هو كل عسكريٍّ لم يصل إلى رتبة نائب عريفٍ . والعسكري هو تعبيرٌ يشمل الضباط وطلبة الكليات والمدارس العسكرية وضباط الصف والجنود في القوات المسلحة العربية الليبية .

34. الضابط : حسب قاموس تاج العروس : ضَبَطَهُ يَضْبُطه ضَبْطاوضَبَاطَهُ بالفَتْحِ : حَفِظَهُ بالحَزْمِ فهو ضَابِطٌ أَي حازِمٌ ، وضَبَطَ الرَّجُلُ الشَّيءَ يَضْبُطُه ضَبْطاً إِذا أَخَذَه أَخْذاً شَديداً ورَجُلٌ ضَابِطٌ ؛ فأشتقت هذه الكلمة منْ ضبط الفرد المسؤل في المجتمع العسكري على تربية وتنشيئة وقيادة جنوده ، وغرس عادة ومفهوم الضبط والربط العسكري في نفوسهم وتعويدهم على التضحية والإخلاص والتفاني في تنفيذ الواجبات . وهو حسب القانون السابق كل عسكري تحصل على رتبة ملازم فما فوق .

35. القيادة العامة والقيادة العليا للقوات المسلحة : القيادة العليا للقوات المسلحة هي أعلى سلطة سياسية في الدولة ، ملك أو رئيس أو غيره .. ، أمّا القيادة العامة للقوات المسلحة هي مجموعة قادة الأسلحة الرئيسية الثلاثة (البرية والبحرية والجوية) وقادة المناطق الجغرافية ، وقائد هيئة العمليات ، وقائد هيئة الإستخبارات العسكرية ، وآمر هيئة المشتريات العسكرية وقادة الجيوش ، أما قوات الدفاع الجوي إذا رئاستها منفصلة عن القوات الجوية فإن قيادتهما الإستراتيجية واحدة ، كذلك الحال مع حرس الحدود تكون قيادته موحدة مع قيادة القوات البرية ، وغيرهم من القادة والآمرين حسب الحاجة ، أما رئيس الأركان العامة فعادةً لا يكون عضواً في القيادة العامة للقوات المسلحة لأنه يعتبر كالمدير التنفيذي الذي ينفذ سياسة القيادة العامة للقوات المسلحة في التدريب ورفع الكفاءة القتالية ودرجة الإستعداد القتالي ووغيرها من الواجبات فبالتالي فهو ليس قائداً للقوات المسلحة . ويرأس تلك المجموعة من القادة : القائد العام للقوات المسلحة .

36. هيئة الركن : هي مجموعة من الضباط يكونون مستشاري القائد من مستوى كتيبة وما يعادلها فما فوق ، ويكون لهم تأثير مباشر على عملية اتخاذ القرار ، ويجب على القائد الاستماع إلى مشورتهم شفوياً أو وكتابياً ، وله الحق في الأخذ بها أو تعديلها أو رفضها ، فمثلاً الكتيبة الجوية (سرب الطيران) فإنّ هيئة الركن تتكون من : ضابط العمليات وضابط الإستخبارات ، وضابط التسليح ، وقائد سرية الصيانة .

37. القائد والآمر : القائد هو من يتولى قيادة أي وحدة قتالية كبيرة أو صغيرة كانت ، أمّا الآمر فهو قائد أي وحدة إدارية لا تشكر في المعركة أو تشارك بصورة غير مباشرة ، كالكليات والمدارس

العسكرية وبعض الإدارات التي تتبع رئاسة الأركان العامة للقوات المسلحة . والقادة والأمرآء هم ضباط بالضرورة .

الفصل الثالث
وجهاتُ نظرٍ متعددةٍ للنظام الإجتماعي العسكري

لا شكَّ أنَّ الظروف المختلفة وزوايا الرؤيا المختلفة لأيّ جيشٍ سوف تبرز أفكاراً وتيَّاراتٍ مختلفةً ومتباينةً أيضاً حول هذا الجيش برغم منْ أنَّ علم الإجتماع العسكري دائمُ الإستقرار والتنظيم وخير مثالٍ على ذلك الجيش العربي الليبي الذي حافظ على توازنه ونظامه بعد نكبة فبراير ، رغم الهزات العنيفة التي مرَّ بها والمشكلات الإجتماعية العسكرية التي عانى منها لمدةٍ تجاوزتْ السبع سنوات كتابة هذا الكتاب . إنَّ الواقع الإجتماعي العسكري واقعٌ إيجابيٌ دائماً حتى أثناء الهزيمة بما يحمل من نظم إجتماعيةٍ معقدةٍ يحكمها القانون العسكري الصارم والقيم العسكرية المتوارثة جيلٍ عن جيلٍ ، هذا الإستقرار تبرزه الوظائف العسكرية المستقرة ، وإنّي أعتقدُ أنَّ علم الإجتماع العسكري لايصل إلى المرحلة السلبية أبداً بتأثير تلك العوامل فلا يتغير أو تُلغى مؤسساته إنَّما تطور من حينٍ إلى حينٍ فالجيش يشيخ ولا يموت أبداً ، فلا توجد قوىً إجتماعيةٌ متصارعةٌ أو قوىً متنافسةٌ على الزعامة ، إنَّما هو نظامٌ إجتماعيٌ متكاملٌ متساندٌ ومستقرٌ ، وقد أفرز هذا الإستمرار التاريخي للجيوش موقفاً نظرياً أساسياً متميزاً عنْ كل المجتمعات الإنسانية وهو ما يُسمى بالوضع الراهن (لا ترى سِوى النظام والإستقرار) . رغم أنَّ هذا الواقع لا يُرى بمنظارٍ واحدٍ إنَّما هناك منظوراتٍ متعددةٍ مرتبطةٍ بالواقع التاريخي والإجتماعي وما ينطوي عليه من تناقضاتٍ وحروبٍ ؛ والمعيار الأساسي لوجهة نظري هي قدرة أيّ شخصٍ على فهم الواقع الإجتماعي العسكري والتنبؤ بحركاته .

ولكي ندرك الوقائع الإجتماعية العسكرية ونستطيع تفسيرها علينا معرفة نقاطٍ مهمةٍ ودراستها جيداً فهي المواقف النظرية للتفسير التي تعطينا دلالاتٍ على المدى الذي تؤدي فيه الوظائف العسكرية المختلفة :

1. تصنيف المواقف العسكرية في السلم والحرب
2. تفسير هذه المواقف والتنبؤ بما سيحدث أو تطور هذه المواقف على ضؤ هذا التفسير
3. تقييم هذه المواقف بناءً على القوانين العسكرية

ونستطيع أنْ نميز بين هذه المواقف الثلاثة بثلاثة عناصرٍ هي : المنصب ، والواجبات والمهام ، وحدود واجبات الوحدة ، وربما توجد عناصر آخرى ولكنَّني لا أعتبرها أساسيةٌ . إنَّ المجتمع العسكري متشبعٌ بوحداتٍ وإدارات الإسناد والتعزيز الأمر الذي منْ خلاله يحقق المتطلبات الضرورية للبقاء والإستمرار ، تلك الإدرات تقوم بأعمالٍ إيجابيةٍ دائماً فلا يمكن الإستغناء عنها فلا يمكن تصور حياةٌ اجتماعيةٌ عسكريةٌ بدونها ، هذا يعطي علاماتٍ إضافيةٍ للهيكل التنظيمي العسكري المتماسك والمتميز عنْ غيره ، هذا التماسك الإجتماعي نسميه التماسك البنائي . ونظراً لأهمية هذا التماسك وبحكم أنَّه أحد الإتجاهات النظرية المسيطرة على تركيبة المجتمع العسكري سندرس بعض دعائمه الأساسية بشيءٍ منَ التفصيل .

أولاً : مو اقفٌ عسكريةٌ تقليديةٌ

1- الخدمة العسكرية كوظيفةٍ

أولاً : علاقة العسكري بالمجتمع داخل الأسوار

يستجيب العسكريون لمتطلبات الحياة العسكرية داخل المعسكرات والثكنات بحيث يجدون أماكنهم الملائمة لهم حسب تخصصاتهم العسكرية وسرعان ما يندمجون في هذا الوضع ، ويمكن لكل عسكري منْ تطوير نفسه وتقوم القوات المسلحة بوضع برامج خاصةٍ لتدريب منتسيها والرفع منْ كفأتهم . بحيث تكون شُعَبُ التدريب في الأسلحة والصنوف هي الفاعل الرئيسي والنشط في برامج التدريب المختلفة التي تتوج عادةً بمناوراتٍ عسكريةٍ على مستوياتٍ مختلفةٍ أيضاً تحت إشراف إدارة التدريب وهيئة العمليات ، كما يشمل التدريب التعليم المعرفي في العلوم الطبيعية المختلفة فنجد في الجيش جميع التخصصات المدنية كالأطباء والمهندسين والمعلمين والعلماء والباحثين الإجتماعيين والأطباء النفسانيين ومدربي كرة القدم وغيرهم . ويتسم دور العسكريين في هذه الظروف الإجتماعية المختلفة بالإيجابية رغم كونهم خاضعين إلى ضغوط المجتمع العسكري المعقدة وضغوط المجتمع المدني خارج الأسوار ، فهم يمتثلون لها جميعاً ولا يعكسون في تصرفاتهم هذه الضغوط . ولايتصرفون وفقاً لأهواهم وإراداتهم إلاَّ فيما هو مقبولٌ ومسموحٌ به و إجتناب ما هو مكروهٌ أو مرفوضٌ منَ المجتمع العسكري . فهم مجرد أدواتٍ في أيدي تخصصاتهم المختلفة إنْ صحّ التعبير فالعسكري لايملك إرادة التغير رغم أنَّ مجتمعه مستقرٌ . هذا ما أُسميه بفلسفة التنوير الإجباري .

ثانيا : مفهوم التنظيم الإجتماعي العسكري

هو أحد المفاهيم الأساسية للمجتمع العسكري وأساساً فيمكن تقسيم التنظيم الإجتماعي العسكري حسب الأسلحة الرئيسة الثلاثة وهي الجيش أو ما يعرف بالقوات البرية ، والقوات البحرية ، والقوات الجوية والدفاع الجوي . كما يمكن تقسيم هذه الأسلحة إلى صنوفها المختلفة ؛ إنَّ هذه التنظيمات الأصغر دائماً ما تكون متوازنةٌ (غير متصارعةٍ) وإنَّ أيّ قوىً تهدد استقرار أيّ تنظيمٍ أصغرٍ فإنمَّا تهدد استقرار التنظيم بكامله أيْ الجيش كله وبالمعنى الشوملي يهدد استقرار الوطن ؛ ولنا في ليبيا بعد نكبة فبراير خير مثالٍ . أيْ أنَّ التنظيم الإجتماعي العسكري غير مهددٍ إطلاقاً بما يعرف بفعل القصور الذاتي لأجزاء التنظيم الأخرى ، هذا النموذج الفريد لا يمكن أنْ تجده في أيّ مجتمعٍ آخرٍ ، وهو يمثل عنصراً أساسياً من عناصر التخصصات العسكرية . أمّا السِّمة الثانية للتنظيم الإجتماعي العسكري هي الطوق الحديدي بمعنى أنّ الأفراد العسكريين المكونين لهذا التنظيم متميزون عن بقية الشعب خارج هذا الطوق وهم معزولون عنه فكرياً وأيدولوجياً بأطوقٍ من الأسلاك الشائكة . وأنَّ هؤلاء العسكريين دائماً ما يحاولون المحافظة على هذا الطوق وحدوده ومكوناته من تلقاء أنفسهم ؛ فلا إمكانيةً لأيّ تغييرٍ جذريّ للمجتمع العسكري لأنَّه سيؤدي إلى خلق حالةٍ من اللاتوازن الإجتماعي . والسمة الثالثة وخاصةً على مستوى الأسلحة والصنوف وهي سمة الترابط الإجتماعي العسكري وإنَّك لتجدُ إستجابةً لأيّ طارئٍ يحدث لأيّ فردٍ أو

مجموعةٍ من بقية السلاح فكل عسكريّ يرتبط بكل الأجزاء ويعتمد عليه ، بشكلٍ أو بآخرٍ . إنَّ التخصص (الصنف) هو نموذجٌ عضويٌّ في جسم (السلاح) فكل عضوٌ يقوم بواجباته ليتكامل ويتناسق مع بقية الأعضاء ، أيْ أنَّ كل سلاحٍ مكونٍ من أعضاءٍ متفاعلةٍ ومتداخلةٍ ومعتمدةٍ على بعضها البعض في توازنٍ وتناغمٍ وانسجامٍ .

ثالثاً : مفهوم الجُندية

للجُندية مفهومان لغويان لكلٍ منهما دلالته الخاصة فالأول تعريف القانون العسكري الليبي لكلمة جُنديٌ وهو ذلك الفرد العسكري الذي لا يحمل أيَّ رتبةٍ عسكريةٍ وهو القاعدة العريضة والرئيسية للمجتمع العسكري ، والثاني يحمل مفهومٌ بلاغيٌّ تجريديٌّ ويعني أنّنا كلنا جنودٌ فِدَاءٌ لهذا الوطن ويشمل ذلك كل الرتب العسكرية وهو نفس المفهوم الذي يحدده القانون العسكري لكلمة "عسكريٌ".

ومنْ خلال الهيكل التنظيمي للقوات المسلحة نستطيع أنْ نفهم الطريقة التي يعمل بها المجتمع العسكري وسرٌّ بقائه حيث أنَّ جميع أجزاء هذا الهيكل تحدد المهام والواجبات في السلم والحرب أيْ أنَّها كلها أجزاءٌ وظيفيةٌ فهي تلعب دوراً إيجابياً في بقاء التنظيم العسكري والمحافظة على توازنه أيضاً فإنَّنا لانرى أيَّ أجزاءٍ غير وظيفيةٍ إنْ تعطلتْ هددتْ وظايف الأعضاء الأخرى . ففي المجتمع المدني الجريمة خللٌ وظيفيٌ في أيّ مجتمعٍ وتهدد أمنه واستقراره من ناحيةٍ ومن ناحيةٍ أُخرى فهي تدعم النظام الأخلاقي للمجتمع وتُحيي ضميره . والجندية وظيفةٌ ظاهرةٌ إذا استثنينا الفكر الإستراتيجي الذي أعتبره وظيفةً عسكريةً كامِنةً ، فالجندية دائماً واضحةِ الممارسات والإستخدمات واضحةِ الأهداف ذات أنشطةٍ تلعب أدواراً معروفةً وتخدم أغراضاً وطنيةً جليةً ومتصورةً في السلم و الحرب ، أمَّا الفكر العسكري ذو الوظائف الكامنة و الخفية يسعى إلى تحقيق أهدافٍ لا شعوريةٍ وغير واضحةٍ للكل رغم أنَّ هؤلاء المفكرون هم جنودٌ أيضاً .

إنَّ الطريقة التي تسير بها الحياة العسكرية في منظور الجندية تتمثل في أنَّ جميع عناصر الحياة العسكرية في تفاعلٍ مستمرٍ مع بيئتها بطريقةٍ ظاهرةٍ مختلفةٍ عن بقية التجمعات الإنسانية فهي تستجيب لميراث البيئة العسكرية أكثر منْ كل شيءٍ لكي تدعم توازن واستقرار التنظيم منْ ناحيةٍ ومنْ ناحيةٍ أخرى رفاهية العسكريين أنفسهم داخل المعسكرات ، فترى في المعسكرات كل الأغراض نافعةٌ ذاتُ فائدةٍ ووظيفةٍ ؛ كذلك لا يوجد في الجندية وظائف سلبيةٍ تفسد الهيكل التنظيمي بل إنَّها تكبح وتقمع بشكلٍ فعّالٍ كل العناصر التي تقوم بوظائفٍ سلبيةٍ ، لا أريد أنْ أُكرر نفسي ولكنّي مضطرٌ لإعادة القول : إنَّ المستوى الحقيقي للشخصية (العسكرية) عندي أنَّه فوق الزمان والمكان إذْ في المبدأ العسكري لا يمكن أنْ تكون جندياً بوعدٍ مسبقٍ إنمَّا عليك أنْ تتطوع وتبذل قصارى جهدك حتى تصبحَ جندياً ، أو لا تصبح ؛ والجندي في الحياة العسكرية ما عليه إلاَّ العمل والتضحية وهذان شرطان مهمان حتى يتقدم في الدرجات العسكرية بدون مقابل ، والعمل العسكري عندي يعني التسليم والتفويض والتضحية ، فأمَّا التضحية هي أنْ يتجه الجندي إلى الموت حباً في الله فيبذل جهده في تقويم ذلك دون مقابلٍ ماديّ يناله مكافأةً على تبرعه ، وإنما يرجو بذلك كله وجه الله تعالى ونصرةَ دينه وطمعاً في الثواب ومغفرة الذنوب وذلك من أجل تطهير النفس ،

فالجود بالنفس أسمى غايةٍ في الجود ؛ فالطريق الى الله بالمستوى العسكري هو طريقٌ صعبٌ بتعويد النفس وترويضها والشرط تسليم الجندي نفسه لهذه الإرادة العليا بعيداً عن مطامع النفس . فالجندية مهنةٌ شريفةٌ لا يجيدها إلاّ النبلاءِ ولا يُعاديها إلاَّ الجُهَلاءِ ، أمَّا التفويض delegation ، هو أنْ يعهد الشعب إلى هؤلاء الجند بالدفاع عنه ، ولا يمكن منْ حيث المبدأ للسلطة العسكرية أنْ تتصرف باختصاصها المسند إليها في الدستور أو القانون أو اللوائح العسكرية إلاَّ بعد الرجوع إلى نواب الشعب ، ومع ذلك قبل العسكر التفويض قانوناً وعرفاً ، وذلك فيما يجيزه الدستور والقانون . و يقوم تفويض الإختصاص على أُسسٍ مهمةٍ أصبحتْ مستقرةً فقهاً وعرفاً في القانون العسكري ، وتجمل هذه الأسس بالآتي:

1. إنَّ الجيش ملزمٌ بأنْ يمارس اختصاصه المعين له بمقتضى المبادئ الدستورية .
2. أنَّ تفويض الشعب يجب أنْ يكون دائماً وليس جزئياً وعلى الجيش ممارسة اختصاصه كاملاً.
3. التفويض يؤدي إلى تعديل قواعد الإختصاص .
4. لا يجوز تفويض هذه الإختصاصات لغير الجيش .

وبصورةٍ عامةٍ فإن الجيش صاحب الاختصاص الأصيل في الدفاع عنِ الوطن ، ولا يمكن أنْ يحل محله أحدٌ ، وهذا يعكس الشرعية الشعبية ، فمنْ يفوض بعض اختصاصاته يستطيع أنْ يسترد التفويض.

إنَّ الجندية تسعى لتجاوز الواقع وتتطلع نحو الأفضل ، سواءً أكان الواقع حسناً أم سيئاً . فالركود ليس منْ طبيعتنا ، فالخدمة العسكرية تحتاج إلى أنْ تكون إنساناً قبل كل شيء ، لا حيواناً يتلذذ بعذابات الناس وآهاتهم ، العمل الخيري وإغاثة الملهوف حينما تصاحبه الشماتة والمنُّ وإهانة الذات فهو عملٌ إجراميٌ لا يمت لروح الجندية بصلةٍ . والقول بأنَّ كل شيءٍ حسنٍ وعلى ما يرامٍ ، إنما هو خداعٌ لقادتنا السياسيين وغير لائقٍ كرداءٍ عسكريٍ نتدثرُ به ، فهو لا يتلاءم بالأساس مع كينونتنا العسكرية المشرئبة أبداً نحو المواقف الأكثر كمالاً. و إنَّ مفهوم الجندية في صورتها الأخلاقية ، ينبغي أنْ يتحوّل إلى مصدرٍ يستلهم منه الشعب القيم الوطنية التي يفترض أنْ تكونَ حارسةً لها، ومدافعةً عنها ، وعاملةً على تطبيقها . إنَّ الجنديةّ أنْ تحترقَ مثل الشمسِ لتُشْرِقَ مِثلها . وهكذا هي الحياة العسكرية في حين ينخرط الجنود في القتال الذي يتطلبُ جهداً جسدياً وعقلياً كبيراً نجد القليل منَ القادة الذين ينتجون الأفكار الإستراتيجية والخطط القتالية . حيث سنلاحظ تناقضاً بينَ التكهن والدليل العلمي .

2 - التفاعلات العسكرية

وهي مجموعة الحركات التي يقوم بها العسكريون في مواقفٍ معينةٍ منَ الحياة العسكرية كالتحية العسكرية مثلاً أو الوقوف أستعداداً في حالة دخول الضابط الأقدم ، وهي تسعى لربط كل المجتمع العسكري في كل العالم فهذا التفاعلات تربط الجيوش الصديقة والحليفة والعدوة أيضاً ، فهي نوعٌ من

التنشئة العسكرية كنظريةٍ عامةٍ في المجتمع العسكري وتستند إلى ثلاثة مفاهيمٍ أساسيةٍ هي : الإشارات والمعاني ، والسلوك ، والواجبات والإندماج

أ – الإشارات والمعاني : هذه الحركات في طبيعتها إشاراتٌ يقوم بها العسكريون لكلِ إشارةٍ منها معنىً خاصاً بها وأحياناً تصحبها أصواتٌ وأفعالٌ تنطوِي على معنىً ، وتكتسب هذه الإشارات أهميتها وتصبح لها دلالةً حينما تكتسب نفس المعنى لدى مستقبلها ، وهو نفس المعنى الذي كان يقصده العسكري الذي أعطاها . أيْ أنَّها إشارتٌ عسكريةٌ لها معنىً مشتركاً تكتسب من خلال التفاعلات الإجتماعية العسكرية .

ب – السلوك : إنَّ هذه التفاعلات في مجموعها تجري بإنسايبية بين العسكريين حتى خارج أسوار المعسكرات بحيث يرتبطون ببعضهم البعض منْ خلالها . ويتم تنظيم هذا السلوك العسكري وتنسيقه من خلال القوانين العسكرية ؛ فيتصرف العسكريون بالطريقة التي يتوقعها منهم قادتهم أو زملائهم ، فهم يراعوا أنْ يكون سلوكهم مطابقاً للأنماط العسكرية المتعارف عليها في كل جيوش العالم في ذات الوقت كلنا نعلم أنَّ كل العسكريين لديهم نفس الأنماط التي تشكل البنية الإجتماعية العسكرية وكيفية الرّدِ عليها فهي أنماطٌ لها ردودٌ تتجلّى فيها طبيعة المجتمع العسكري المنغلق على نفسه والسلوك الذي ينجز هذه الردود .

ج _ الواجبات والإندماج : يستمر التنظيم الإجتماعي العسكري في أداء واجباته وبقاء المؤسسة العسكرية بسبب قدرة العسكر على المحافظة على سلوكهم المرسوم لهم بعنايةٍ فائقةٍ وهو وعي العسكري بذاته العسكرية كنتيجةٍ لخبرته في سلوكه العسكري الذي تتطور فيه قدرته السلوكية منْ خلال التفاعلات الإجتماعية العسكرية ؛ ومنْ خلال هذا السلوك اليومي يقوم هؤلاء العسكريين بأداء واجباتهم التي تعتبر دالةٌ عسكريةٌ . وتعتبر هذه الواجبات اليومية جزءٌ منَ الثقافة العسكرية لأنَّها تعرّف ما ينبغي أنْ يكون عليه سلوك العسكري ذو الواجبات المحددة . إنَّ المجتمع العسكري في ظل التفاعلات العسكرية هو شبكةٌ معقدةٌ جداً منَ الأفعال والأعمال والتفاعلات وكلها منظمةٌ ومراقبةٌ بالضرورة وما يترتب عليها منْ واجباتٍ ، وتستمر المؤسسة العسكرية في أداء مهامها على أحسن وجهٍ بسبب التنشئة العسكرية المميزة لأفرادها الذين يندمجون تلقائياً في الخدمة ومتطلباتها ، ويتطلع كل عسكريّ إلى إنجاز واجباته المتوقعة منه ؛ منْ هنا نلاحظ أنَّ كل المؤسسة العسكرية تعمل في تناسقٍ وتعاونٍ منْ أجل إنجاز واجباتها المتوقعة منها وتحقيق أهدافها الكبرى .

ثانياً : المو اقف العسكرية الراديكالية

1- وجهة نظرٍ شخصيةٍ

إنّ َالراديكالية مصطلحٌ معروفٌ في الأدبيات السياسية يعني تغيير البُنى الإجتماعية باتباع أساليبٍ ثوريةٍ وتغيير نظم و قيم المجتمع بأساليبٍ جوهريةٍ . ويعني ذلك إحداث تغييرٍ جذريّ للمجتمع منْ حيث قيمه وثقافته وقد تصل إلى ايديولوجياته ، منْ وجهة نظري فإنَّ الراديكالية تعني الإصلاح بالقوة المسلحة . ولا توجد طبقةٍ اجتماعيةٍ واضحة المبادئ كوضوح الشمس إلاَّ المجتمع العسكري ؛ حيث تتشابك العلاقات فيه بطريقة السهل الممتنع ، فإذا ما جمعنا الراديكالية والنزعة العسكرية في علم الإجتماع العسكري ، فإنَّ كلاهما يتشاركان في السلوك والروح الوطنية ، ممثلين بذلك التناغم الأمثل لمصالح الأمة والعمل على التداخل الهيكلي في أعمال الحكومة ، والالتزام المثالي لتسلسلٍ هرميّ ممنهجٍ مصاحبٍ لمحاولاتٍ تناشد بمصلحة الشعب ، إنَّ هذه المبادئ رموزاً لا يقتصر ذكرها على الخطابات الرنانة فقط ، وليست إهداراً للجهد أوِ الوقت ، بل تهتم بالعمل الجاد للسيطرة على زمام السلطة . فالأنماط الطبقية التقليدية ، ليس لها مكان ٌفي المجتمع العسكري وإنَّه يجب المزج بين طرفي الراديكالية والنزعة العسكرية معاً حتى لا يستطيع أيّ ٍمنهما الإستمرار دون الأخر ، ولا ينمو كل واحدٍ على حدةٍ ، ويجب أنْ يتقابلا دائماً في نقطةٍ محددةٍ يُكتبُ فيها التاريخ ، أُسمّيها فترة محاولات إصلاح السلطة ، لتعود للوقوف على قدميها مرةً أخرى ، مستهلكةٍ كل الطاقة العسكرية العاملة على تقنين السياسات ، ثم تَحُول ما تبقى بالضرورة من الحملات المناهضة لعسكرةِ السلطة ، لتقبع تحت مظلةِ الوطنية والراديكالية والنزعة العسكرية ، في تحالفٍ أبديّ ٍمستقرٍ بينهما .

إنَّ علم الإجتماع العسكري يجب أنْ يفرزَ نوعاً خاصاً منَ الراديكالية ، أُسمّيهِ بالراديكالية العسكرية ، والتي تعني مناصرة الإصلاحات الجذرية والأساسية والحاسمة في المنهج السياسي للأمة ، كالمطالبة بالحريات الأساسية والديمقراطية والعمل على تعميق التنمية السياسية . إنَّ ظهور هذا النوع منَ الراديكالية نتيجة لقصور السلطة في الممارسة السياسية ، أيْ إنَّها حركةٌ إصلاحيةٌ يقوم بها الجيش عند الضرورة بتفويضٍ شعبيّ جماهيريّ في ثوب ٍجديدٍ وليدَ فكرٍ سياسيّ وتجربةٍ في الحكم والإدارة ، حيث يدرك المجتمع المدني حاجته إلى قيادةٍ من نوعٍ جديدٍ ترشد الشعب إلى الطريق الذي ينبغي سلوكه للوصول إلى تحقيق قيام هذا المجتمع خلال المرحلة المقبلة ، إنّ َالقدرة الإجتماعية تنشأ منْ إرادة الشعب ولا تتحقق إلاَّ بإرادة الجيش . والدستور هو أساس الحكم وتمتع الحكَّام بالقوة السياسية هو امتدادٌ لرغبة الجيش وإرادته . إنَّ اتخاذ مثل هذا التيار من قبل المؤسسة العسكرية ككلٍ يجب أنْ ينطلق أساساً منْ رؤية الواقع الإجتماعي على الإفتراضات التالية :

أ- عدم إمكانية قيام أيّ نظامٍ ديموقراطيّ عربيّ ، مع عدم إيماني بالديموقراطية الغربية التي تقودنا بالضرورة إلى الليبرالية النقيض الأساسي للإسلام .

ب- النظام الإجتماعي القبلي هو المسيطر على الحياة الإجتماعية والسياسية

ت- الطبقات الإجتماعية خارج القبيلة

2- القوة والسلطة في المجتمع العسكري

القوة منَ المفاهيم الأساسية في الصراعات الإجتماعية إلاَّ أنّنا لا نجد لها مكاناً بهذا المفهوم داخل معسكرتنا بل إنَّ مفهومها معنويٌّ يستمده القائد منْ منصبه ، أمّا السلطة فهي إرادة القائد التي تجدُ آذاناً صاغية وإرادةً مُطيعةً منْ قبل الضباط والجنود ؛ فالسلطة العسكرية إذنْ هي قوة منصب القائد ، إذنْ هي تختلف باختلاف المناصب ومرتبطةٌ بها دائماً . وهي سمةٌ ضروريةٌ وعامةٌ للحياة العسكرية . وكون وجود هذه السلطة فوجود أفراد خاضعين لها بالضرورة لا ينتج أيّ صرعاتٍ إجتماعيةٍ حقيقيةٍ كتلك اللتي نجدها في المجتمعات المدنية خارج المعسكرات ، منْ هنا نلاحظ أنّ السلطة العسكرية مصدراً منْ مصادر استقرار المجتمع العسكري .

3 – المثالية العسكرية

إنَّ المثالية العسكرية منَ القيم البارزة التي تطورت عبر الزمن وانتقلت منْ جيشٍ إلى جيشٍ حتى تبلورت في وقتنا الحاضر ، وإنّي أعتبرها نوعاً منَ الراديكالية في علم الإجتماع العسكري وهي حركةٌ مضادةٌ لأسلوب الحياة المدني وهي نوعٌ منَ التّمدد الشخصي على الأساليب البديلة في الحياة المدنية أو هي بعض الحالات المتغيرة للوعي كنمطٍ آخرٍ من أساليب التعبير العسكري يبادر بها العسكريون بمختلف رتبهم وتُنظم على أساسٍ فرديّ .

وتستند المثالية العسكرية على بعض الأفكار التي تهتم بالقضايا الإجتماعية و إلى دعمٍ نظريّ من التفاعلات العسكرية وهي كما قلتُ ذات طابعٍ راديكاليّ يهتم بقضايا المجتمع المدني ومشكلاته باعتبارها ((تهمُّني)) . بحيث يكون السلوك العسكري محكوماً بطريقةٍ لا يفكر بها المواطن المدني ، فيسعى كل عسكريّ في هذه العملية التفاعلية إلى أنْ يعرف كل الأشياء ويبادر إلى معالجة المعضلات معالجةً عقلانيةً ومنطقيةً كتقدير الموقف تماماً ؛ ومواجهة الآخرين بأفكارٍ جديدةٍ و أنماطٍ سلوكيةٍ جديدةٍ . هذه المثالية تعاني من قصورٍ شديدٍ كون العسكريين لا يقدّرون مَنْ أمامهم مِنَ المدنيين حيثُ أنَّ بعض الناس يتمتعون بالحرية وبالإمكانيات التي تمكنهم منَ الهرب منْ قيود المثالية العسكرية التي تفرضها الحياة العسكرية ، إلاَّ أنَّ الأغلبية الساحقة منَ الناس لا تستطيع الهروب منْ قبضة المثالية العسكرية القاهرة . مع هذا فإنَّ الطريقة التي ينظم بها البناء الإجتماعي العسكري لجيشٍ معينٍ هي الأكثر أهميةً في تشكيل حياة العسكريين . أختمُ بقولي بأنَّه توجد رؤيةٌ واحدةٌ للنظام الإجتماعي العسكري وهي الرؤية التقليدية التي تصف المجتمع العسكري بأنَّه مجتمعٌ تقليديٌّ لا يتغير أبداً مهما تقدم وتطور فكرياً أو تسليحاً ، فهو كياناً متكاملاً منظماً ومنسجماً بفضل وجود قيمٍ مشتركةٍ تحفظ تضامنه وتماسك أفراده ، فلا صراعاتٍ كصراعات المجتمعات المدنية فيه إنَّما حالة توازنٍ واستقرارٍ دائمين ، وهذا النظام لا يقبل التغيير طالما أنَّ النظم المكونة له هي نظمُ وظائفٍ عسكريةٍ تواجه الحاجات الإنسانية العسكرية وتشبعها . أمَّا الراديكالية فهي نظرة المؤسسة العسكرية للمجتمع المدني خلف الأسوار تدعوا إلى تدخل الجيش في حياة هذا المجتمع إذا دعتِ الضرورة إلى

ذلك بتفويضٍ شعبيٍّ ، كأنْ تمُر الأمة بحالة عدم أستقرارٍ نتيجة الصراع بين المصالح الوطنية والقوى الإجتماعية المتعارضة .

الباب الثاني

الثقافة العسكرية

الفصل الأول : المجتمع العسكري والثقافة العسكرية

بناء العلاقات العسكرية الإجتماعية واستمرارها وتغيرها

يقول علماء الإجتماع : يطلق اسم جماعةٍ على عددٍ منَ الأشخاص الذين تقوم بينهم علاقاتٍ اجتماعيةٍ منظمةٍ وهذا ما أعنيه بالضبط عندما أتكلم عنِ النسق العسكري فبالإضافة إلى انتظام العلاقات بين العسكريين بمختلف رتبهم وتخصصاتهم وأسلحتهم فهناك شيٌ آخرٌ يربطهم وهو القدر الكبير منَ التعاون المفروض بينهم حتى أنَّك لتجدنَّ بنداً خاصاً بالتعاون في أيّ مخططٍ عسكريٍ في السلم أو الحرب منْ هذا المنطلق يمكنك التمييز بين العسكريين وغير العسكرين في أيّ جماعةٍ ؛ وهذا ما أُسميه بالآنا العسكرية وهي حبّ العسكري لجماعته والإستعداد للتضحية منْ أجلها .

إنَّ المفهوم الأساسي لمتغيرات العلاقات الإجتماعية العسكرية هو مفهومٌ تصوريٌ حول شيءٍ ملموسٍ تراه بعينكَ على أرض الواقع أيْ أنّه مفهومٌ تجريديٌ ، وتكون هذه العلاقات دائماً منتظمةٌ وهادفةٌ مبنيةٌ على السمعِ والطاعةِ ؛ فعندنا عرفٌ سائدٌ يقول : طبقِ الآوامر أولاً ثمّ ناقشْ . كما يستطيع أيُّ جُنديٌ تقديم عريضة تظلمٍ في آمرهِ أو قائدهِ وعلى القائد تحويلها فوراً إلى المستوى الأعلى . هذا النوع منَ النظام لا تجده خارج المعسكرات . إذنْ العلاقات الإجتماعية العسكرية دائماً وأبداً تكون منتظمةٌ وهادفةٌ . وأزيدُ في الوصف فأقولُ إنَّها علاقاتٌ بنأةٌ دائمةٌ أو مؤقتةٌ ثُنائيةٌ أو جماعيةٌ . والمظهر الأساسي لهذه العلاقة هو الضبط والربط العسكري مدعومةٌ بالإحترام المتبادل ، ونتائج هذه العلاقات تكون إيجابيةٌ دائماً وهادفةٌ دائماً ، إذنْ نحن نستطيع رؤية تكمل المظاهر الخارجية ولكنَّنا لا نرى العلاقة ذاتها . فقط نسمع شواهداً ونرى دلائلاً أيضاً نستطيع أنْ نسألَ أيَّ عسكريٍ عنْ هذه العلاقة ونستطيع تسجيل ملاحظاتنا والمعلومات التي تحصلنا عليها عنْ هذه العلاقة .

إنَّ الإنتماء إلى المؤسسة العسكرية هو الذي يحدد كيفية سلوك كل عسكريٍ تجاه زميله أو قائده ، وهو الذي يحدد كيف تُحسّن وكيف تنمو هذه العلاقة وكيف يستجيب الطرف الأخر لها وكيف هو رد فعله تجاهها ، إنَّ العلاقات الإجتماعية العسكرية يجب أنْ تُفصح عنْ نفسها في مواقفٍ ظاهرةٍ صريحةٍ في نمطٍ عسكريٍ ملائمٍ تحدده القوانين والأعراف العسكرية . ومنَ الطبيعي أنَّه يدخل في تحديد تلك العلاقات عواملٌ بيولوجيةٌ ونفسيةٌ خاصةٌ بكل عسكريٍ ، تجدُني لا أستطيعُ الخوض فيها .

إنَّ الكليات و المدراس العسكرية هي منْ تعلمُ هؤلاء العسكريين كيفية إقامة هذه العلاقات المعقدة ومدلولاتها وكيفية التصرف حيالها والهدف منها ، مثلاً : لمنْ تعطى التحية العسكرية ومتى وأين وكيف تعطى باليد أو بالسيف أو بالندقية .. إلخ ... منَ الظوهر العسكرية وكيف يكون سلوك العسكري أثنأها وكيف يكون ردَّ فعليه عليها . فكل عسكريٍ يجب أنْ يعرف ويتدرب على المئات منَ القواعد السلوكية العسكرية

ومعرفة حدود واجبه الذي يؤديه ، وكذلك الواجبات التي يجب أنْ يؤديها الآخرون المشتركون معه في نفس الموقف . إنَّ هؤلاء الأفراد لو أنَّهم عاشوا خراج المعسكرات لكان سلوكهم تغير عنِ السلوك المتوقع منهم الآنَ . وهذا يطرح علينا سؤلاً مهماً وهو : ما مدى الإختلاف المتوقع في سلوكهم ؟ بشكلٍ مُحددٍ سلفاً فإنَّ التغير سيكون جذرياً إذْ أنَّ الإستعدادات الموروثة والتكوين البيولوجي لكل إنسانٍ في حالة تفاعلٍ دائمٍ مع محيطه الإجتماعي بحيث تخرج لنا نمط الشخصية التي نحن في واقعها والتي نرصد تصرفاتها في الوقت الراهن .

ومفهوم الثقافة العسكرية هو مجموعةٌ منَ الحقائق الواقعية نعيشها مجردةً كل يومٍ ، والثقافة العسكرية هي تصرّف العسكريين (مع الأخذ في عين الإعتبار الفروق الفردية بينهم) على نحوٍ عسكريٍّ يخضع للنظم العسكرية ، هذه النظم هي معايير الثقافة العسكرية ومنها نستطبع أنْ نستخرج قيماً معينةً لها مكانتها الخاصة في هذه الثقافة ، منْ أهم هذه القيم هي الضبط والربط العسكري ، والإلتزام طواعيةً وبشكلٍ يكاد أنْ يكون تلقائياً لتلك القواعد والقيم واستيعابها والتشرب بها . و تتسم هذه القّيم بالإنغلاق على ذاتها ويتسم المنغلق على ذاته بالشراسة مع كل مختلفٍ .

والمجتمع العسكري ثابتٌ دائماً ولا يتفكك بمرور الزمن رغم تجدد أعضائه (العسكريين) دائماً ، ومنَ القواعد التي تحددها الثقافة العسكرية بدقةٍ هي كيفية استقبال زميلاً جديداً وكيف يتعرف هذا العسكري الجديد على زملائه ؛ ومنْ ميزات المجتمع العسكري إضفاء صفة الإستمرار والدوام على علاقته الإجتماعية وتكرارها وإخضاعها لقواعده وقوانينه الصارمة وإكسابها صفة الروتينية . في نفس الوقت فإنَّ الخروج على هذه القواعد ومخالفتها هو أمرٌ نادرٌ ويواجه بعقوباتٍ شديدةٍ . أيضاً نلاحظ إتجاهاً آخراً وهو الإتجاه نحو تطوير السلوك العسكري نحو الأفضل أو على الأقل المحافظة عليه وبكل بساطة يستطيع أيِّ دارسٍ أو ملاحظٍ أنْ يدرك أنَّ الإتجاه الثاني هو الأقوى دائماً . رغم كبر حجم المجتمع العسكري وتعقيده فإنَّ آثار سلوك أفراده على استمرار المؤسسة العسكرية تكون واضحةٌ للجميع وهي لا تمثل عنصرٌ في وعي الكثير منهم وخاصةً ذوي الرتب الصغيرة كالجنود والضباط الصف ؛ أمَّا أثرُ التغيرات التي تطرأ على البيئة العسكرية ودورها في التأثير على العلاقات العسكرية داخل المعسكرات تكون غير واضحةً أحياناً أيْ أنَّ الوعي يأْتي متأخراً عنِ الوقت المناسب ولكنَّها سرعان ما يتم التعرف عليها ومحاربتها بصرامة القوانين العسكرية .

والتغيرات الإجتماعية المقصودة فهي ليست شيئاً جديداً على كل المجتمعات الإنسانية بما فيها المجتمع العسكري الذي يرغب دائماً في بناء نفسه بحرصٍ أكثرٍ و أَميلَ إلى تبصر عواقب كل جديدٍ وتوجيه هذه التغيرات المخططة نحو هدفٍ معينٍ ، ويتعين على كل عسكريٍ في هذه الحالة أنْ يتدبّر كل خطوةٍ يخطوها ويجتهد في التعرف على الآثار الجانبية لتلك التغيرات ، إنَّ العسكري المثقف يعمل على التخطيط المفصل الدقيق لوقعِ خطاهُ . وذلك بسبب إدراكه لتعقد العلاقات في المجتمع العسكري وتشابك أجزاء البناء العسكري وتداخله .

المفهوم العام للثقافة العسكرية

إنَّ الإستراتيجية العسكرية من المفاهيم المركبة للثقافة العسكرية عموماً لذلك كان لابد لتحديد أبعادها المختلفة بدايةً منَ المفردات وصولاً لتحديد مكوناتها . وسأحاولُ أنْ أكونَ على قدرٍ عالٍ من الوضوح حسب وجهة نظري ، فبالرغم منْ شيوع لفظ الثقافة العسكرية في لغة الحياة العسكرية اليومية فليس ثمة اتفاق على معنىً محددٍ لها ولا على الخصائص المحددة لها شأنها شان العديد منْ مفاهيم العلوم الاجتماعية وزاد منْ هذا الإختلاف التشوش الذي أحدثته نكبة فبراير على الجيش العربي الليبي وتعديتها منْ خبرة الأستقراطية العسكرية إلى خبرةٍ أخرى وهي خبرة شباشب الإصبع وليس أدل على هذا من حالة التدهور التي نعيشها الآن ؛ فهل نستطيع رصد التطور الدلالي للمفهوم منْ أصوله اللغوية إلى الاستعمالات العسكرية اليومية و هل نستطيع رصد نتائج هذا التطور وتحديد العناصر الجوهرية في المفهوم منْ ناحيةٍ ومدى ملاءمة استخدامه في حياتنا العسكرية اليومية داخل معسكراتنا وخارجها منْ ناحيةٍ أُخرى.

كانت الثقافة عند فولتير تنمية العقل وغرسه بالذوق والفهم وتزيينه بالمعرفة وهذا المفهوم "السطحي" مازال سائراً بين الناس . إلى أنْ ألف إدوارد تايلور كتابه الثقافة البدائية الذي تضمن في أول فقرة منه تعريفاً للثقافة يعد حتى اليوم منْ أوفى التعريفات وأشملها حيث نص هذا التعريف أنَّ الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان منْ حيث هو عضوٌ في مجتمعهِ . فإذا حددنا نوعاً معيناً من الثقافة تخص فئةٌ معينةٌ من المجتمع منغلقةً على نفسها نسميها الثقافة العسكرية فيجب علينا أنْ نُبدِّلَ معنى الثقافة العام من الدلالة على أحوال العسكريين إلى الدلالة على أحوال الجيش بكل فروعه وصنوفه بحيث تطلق كلمة الثقافة العسكرية على مجموع عناصر الحياة العسكرية وأشكالها في جيشٍ من الجيوش والتي تشكل في مجموعها طريقة حياة هذا الجيش . فنقول بأنَّها مجموعة أساليب الحياة العسكرية لجيشٍ ما أيْ أنَّها الميراث العسكري الذي يحصل عليه الجندي منْ وحدته التي ينتسب إليها وهي التي تحدد الأساليب الحياتية العسكرية وهي طريقة التفكير والشعور والمعتقدات العسكرية ، إنَّها الخبرة العسكرية مخزونةٌ في ذاكرة أفرادها أو في كتبها .

إنَّ للثقافة العسكرية معانٍ كثيرة فهي عبارةٌ عنْ نتاج عملية التعلم والنظام والخبرة العسكرية واستنارة الذوق والبحث عنِ الكمال للمارسة الفكر العسكري وشدته وقسوته وهذا الذوق متمثلٌ في :المضمون المادي للقوات المسلحة وهيئتها الخارجية منَ الزاوية التي ينظر منها الشعب إلى هذا الجسم المنغلق على ذاته . وتنقية السلوك والفكر العسكريين . والتعرف على الفنون القتالية العسكرية والمجالات الفسيحة للعلوم العسكرية وتذوقها والذوبان فيها باعتبارها نوعاً من المهارة أو المعرفة العسكرية والتقنية المهنية . إنَّ الإطار الجمالي للسلوك العسكري ومنتجاته المتمثلة في الفكر العسكري والآومر والتنفيذ ، هذا السلوك المعتمد على قدرة العسكري على التعليم ونقل المعرفة والخبرة إلى الأجيال المتتالية منْ خلال استعمال الأسلحة المختلفة واللغة العسكرية والتفكير المجرد.

والثقافة في اللغة العربية منْ ثقف أيْ حذق وفهم وضبط ما يحويه وما قام به أو ظفر به وتعني تهذيبٌ وتشذيبٌ وتقويمٌ وتسويةٌ بعد اعوجاجٍ فتضم كلمة الثقافة معانيَ :

1. الحذق والفطنة : فنقول : ثقف الرجل أيْ أصبح حذقاً وفطيناً .
2. سرعة أخذ العلم وفهمه يقال : ثقف الطالب العلم أيْ فهمه بسرعةٍ .
3. التهذيب والتأديب يقال: ثقّف المعلم الطالب أيْ هذّبه وأدّبه .
4. تقويم المعوج منَ الأشياء يقال: ثقّف الصانع الرمح أيْ سوى اعوجاجه .
5. كما ترد كلمة ثقف بمعنى جدد وسوى .

وبهذا المعنى ينطوي مفهومها العسكري على عددٍ منَ الدلالات يمكن إجمالها في ما يلي:

1- أنَّ الثقافة العسكرية مفهومٌ ينبع منَ الذات العسكرية ويسري في دمائها ، ولا يغرس فيها فالكلمة تعني تنقية الفطرة العسكرية وتشذيبها وتقويم إعوجاجها ثم دفعها لإطلاق طاقاتها العسكرية المعرفية والقتالية .

2- أنَّ مفهوم الثقافة العسكرية يعني البحث والتنقيب والظفر بكل القيم العسكرية التي تُصلح العسكري بغض النظر عنْ رتبته وتهذبه وتقوم اعوجاجه بما يفتح الباب أمام العقل لكل المعارف والعلوم النافعة .

3 - إنَّ مفهوم الثقافة العسكرية يعني معرفة ما يحتاج إليه العسكري طبقاً لظروف بيئته ومجتمعه ، وليس مطلق أنواع المعارف والعلوم فالعسكري يجب أنْ يكون ذو فطنةٍ وذكاءٍ وثابتِ المعرفة بما يحتاج إليه فالثقافة العسكرية تعني إدراك طبيعة قضايا المجتمع العسكري وما يصلحه.

4 - أنَّ الثقافة العسكرية متجددةٌ لا تنتهي فدلالات التهذيب والتقويم تعني التجدد الذاتي ، أقصدُ مراجعةِ الذات وتقويمها وإصلاح اعوجاجها . فهي الصفات الخلقية والقيم العسكرية التي تؤثر في الفرد منذ إلتحاقه بالخدمة العسكرية ، وهي تلك العلاقة التي تربط سلوك العسكري بأسلوب الحياة العسكرية في الثكنة وخارجها وبذلك تكون الثقافة العسكرية هي المحيط الذي يشكل فيه العسكري طباعه وشخصيته . إنَّ الثقافة العسكرية منْ وجهة نظري اكتساب درجةٍ من العلم والمعرفة و الإبداع والإبتكار الفني في التخصص العسكري في إطارالسلوك الخاص بالجيش بحيث يشكل لمحةً جمالية للفرد مع كونه إنسانٌ خُلق ليُقاتل .

5 – إنغلاق الثقافة العسكرية داخل مجالها الفكري العسكري أمرٌ مدمر لقدراتها على إنجاز تطور المجتمع العسكري ، هذا مع ما تمتلكه منْ قدراتٍ فكريةٍ عسكريةٍ رحبة المدى ، فإذا ماقارنَّا هذا مع العسكري الذي لا يمكن مقارنة مجاله الثقافي مع المجال الثقافي العام أدركنا مدى ما يخسره هذا العسكري منْ انغلاقه داخل قوقعته العسكرية .

ومن المفاهيم الأخرى للثقافة العسكرية :

1. تراث الجيش المنقول جيلاً بعد جيلٍ .

2. العقائد العسكرية والمفاهيم والعادات والتقاليد العسكرية .

3. تلك المقومات التي يكتسبها العسكري كفردٍ في وحدةٍ عسكريةٍ .

4. طريقة الحياة العسكرية وفقاً للفكرالعسكري والعقيدة العسكرية في جوانبها المادية والمعنوية .

و إذا جمعنا بين هذه المفاهيم يمكننا تعريف الثقافة العسكرية على أنَّها : ذلك المخزون الحي في الذاكرة العسكرية كنموٍ تراكميٍّ مكونٍ منْ محصلة المعارف والعلوم والأفكارا لإستراتيجية العسكرية والعقيدة العسكرية والأخلاق والقوانين والأعراف والتقاليد والمدركات الذهنية والحسية والموروثات التاريخية والدروس المستفادة من الحروب الإنسانية على مرّ التاريخ والبيئية المحيطة التي تصوغ فكر العسكري كفردٍ في المجتمع وتمنحه القيم الإجتماعية التي تصوغ سلوكه العملي كعسكريٍّ .

لم يظهرْ هذا المفهوم بصورةٍ واضحةٍ ولم أعثرْ له على أيّ أثرٍ في المطبوعات العسكرية أو أبحاث المعاهد والمؤسسات العسكرية العربية على الأقل . فلا يوجد لها تعريفٌ واضحٌ أو نموٌ أوظهورٌ في أيّ كتابٍ ولم يتبنَ ثقافة الجيش كمدخلٍ للتّحليل أيّ مُفكرٍ عسكريٍّ .

وإنَّي أُعرف ثقافة الجيش حسب وجهة النظر التي أتبناها منْ خلال العناصر المكونة لها أو نعرفها بتأثير تلك العناصر والمكونات على سلوك العسكريين أو نستطيع تعريفها أيضاً منْ خلال وظائفها ويمكن الوصول إلى تعريفٍ تكامليٍّ لمفهوم ثقافة الجيش منْ خلال دمج التعريفات المختلفة التي سنتحصل عليها على سبيل المثال :

1- الثقافة العسكرية هي نظام القيم السائدة في الجيش والذي يتضح منْ خلال الإنتاج الثقافي لمنتسيبهِ والذي يتمثل في البطولات والإنتصارت والأمجاد التي حققها هذا الجيش.

2- أو هي الإطار المعرفي المكون منَ الأفكار الإستراتيجية العسكرية والعقيدة العسكرية والعلوم العسكرية والقيم ومعايير الضبط والربط العسكري والأهداف التي يتقاسمها العسكريون في الجيش وتُبنى هذه الثقافة على مجموعةٍ من الخصائص الأساسية التي يثمنها العسكريون في الجيش .

3- أو هي نسيجٌ من الآوامر العسكرية والتعليمات والتوجهات الصادرة منَ المستويات العليا التي يتعامل بها الجيش والعادات التنظيمية الخاصة به ، والقانون العسكري الصارم الذي ينظم هذ التعاملات ومستوى الضبط والربط الذي ينظم قواعد ووسائل السلوك المقبول عسكرياً .

4- أو هي نماذجٌ من الإستراتيجيات والعقائد العسكرية والمعايير وأنماط السلوك العسكري والأهداف التي يشترك فيها العسكريون والتي توضح معنى وقيمة الجيش بالنسبة لأعضائها وبالنسبة للأمة وتحدد لهم القواعد الملزمة وتخلق الانسجام والتجانس فيما بينهم.

5- الثقافة العسكرية في مفهومها الفلسفي هي العلاقة الجدلية بين المعارف العسكرية والتقاليد والقيم والقوانين والأخلاق والعادات التي يكتسبها العسكري منْ خدمته العسكرية ، وترتكز هذه العلاقة على عاملين أساسيين هما : العسكري ضمن وحدته الصغرى التي تكونُ جزاءً منْ تشكيلٍ أكبرٍ ، وثانيهما الجمع بين المعرفة المادية العسكرية (السلاح أو الصنف) ومستوى الروح المعنوية ؛ حيث تعتبر الخبرة العسكرية إضافةً إلى المعارف المادية التي يتلقاها العسكري نظرياً مكوّنَا الثقافة العسكرية الأساسيين . أعتقدُ أنَّ هذا التعريف لمفهوم الثقافة العسكرية يتّسع لكل الإحتمالات العسكرية بسبب عدم تطور الفكر العسكري بشكل ميكانيكي ، بل يخضع التطور لذاتية كل مفكر عسكري وخبراته.

ومنْ هنا فإنَّ الإستراتيجية العسكرية التي تتبناها الأمة والعقيدة العسكرية التي يتبناها الجيش لهما تأثيرٌ قويٌّ ومباشرٌ على سلوك العسكريين وأدائهم لواجباتهم وعلاقاتهم بقادتهم وزملائهم وتعكس هذه القيم والمعتقدات درجة التماسك والتكامل بين أفراد الجيش كنظام رقابةٍ داخليّ يدق الأجراس عندما يخرج السلوك عنِ الحدود التي رسمت له ومنْ ثمَّ فإنَّ هذه القيم تعبر عنْ قدرة الجيش على إيجاد قيمٍ أساسية يمكن أنْ تتحرك حولها كل الجهود وعلى جميع المستويات في الجيش. وما يجمع هذه التعريفات على اختلافها هو عنصرا الإستراتيجية والعقيدة العسكرية اللتان تمثلان القاسم المشترك وتشير هذه الإستراتيجيات إلى الأهداف والعقائد والأفكار في أيّ جيشٍ وتصل هذه الإستراتيجيات إلى العسكري منْ خلال الأوامر والتعليمات والتوجيهات والتفاعل المستمر بين القادة والأفراد كما تساهم القيادة كمنظومةٍ بشكلٍ كبيرٍ في غرس هذه القيم العسكرية التي تتبناها في أفرادها .

مما سبق يمكنني أن أُضيف تعريفاً أخراً للثقافة العسكرية بأنَّها : مجموعة الأفكار والتقاليد العسكرية والمعتقدات والأعمال العسكرية اليومية وقت السلم والطقوس التي تؤثر بشكلٍ غير مباشرٍ في سلوك وكفأة الأفراد القتالية وكيفية أدائهم لواجباتهم والتي تميز أفراد الجيش عنْ غيرهم بحيث تشكل منهجاً مستقلاً كما أنَّها تنتقل من جيلٍ لآخرٍ بين العسكريين في الجيش الواحد .

وعند تناول أبعاد مفهوم الثقافة العسكرية السائدة في أيّ جيشٍ ، لابدَّ أنْ نعرف الفرق بين مصطلح الثقافة العسكرية ومصطلح البيئة العسكرية التي أشبهها بحالة الطقس الجوي فإنَّ البيئة التي نعيشها داخل المعسكرات والقواعد العسكرية ابتداءً من القيافة والهيئة والحركة والأوامر وصولاً إلى تحقيق أهداف الحرب تعكس الأنماط السلوكية والاتجاهات والمشاعر المتكررة والقابلة للملاحظة ، والتي تصف الحياة في الجيش في حين أنَّ الثقافة العسكرية تجسّد الأسس الأكثر عمقاً للجيش . فكلاهما يقعان داخل نفس النسق فالبيئة العسكرية هي المناخ المحيط بنا الذي يمثل الشعور العسكري ، بينما تجسد الثقافة العسكرية اللاشعور الذي يُبرزُ هويتنا ، ويمكننا القول بأنَّ الثقافة العسكرية إطار الأفكار العسكرية والتقاليد والأعراف وهيكلية الجيش . وتنبع أهمية التفريق بين المصطلحين من اعتباراتٍ عديدةٍ أهمها أنَّه يعكس حقيقة التفاعل بين المكون الثقافي العسكري المشكل لمناخ العمل داخل الجيش، وبناءً على ذلك يمكن تقرير أنَّ الثقافة العسكرية هي المولّد الذي ينتج المناخ العسكري داخل المعسكرات والثكنات

والقواعد العسكرية الذي يشكّل الفضاء الذي يعمل فيه هؤلاء العسكريين بجوانبه الإيجابية والسلبية ، وهو لا يختلف بين جيشٍ وآخرٍ فلا يجد العسكري اختلافاً كبيراً كونه في وحدته داخل بلاده أو أنَّه في معسكر جيشٍ حليفٍ أو صديقٍ فهو نفس المناخ تقريباً لنفس البيئة العسكرية ، والمناخ العسكري يمثل أهداف وتوجهات أفراد الجيش ومستويات كفأتهم القتالية ونوعية أدائهم في مختلف الأسلحة والصنوف. وباختصار يمكنني القول بأنَّ جودة المناخ العسكري هو المؤشر على مستوى الثقافة العسكرية والعكس بالعكس .

مميزات وخصائص الثقافة العسكرية :

على ضوء التعريفات السابقة يمكننا أنَّ نحدد الصفات والخصائص الأساسية التالية التي يمكن أنْ تتميز بها الثقافة العسكرية :

1- الثقافة العسكرية كلٌ مركبٌ حيث يمكن التمييز بين ثلاثة مكوناتٍ للثقافة العسكرية هي الروح المعنوية للقوات والمكون المادي ويشمل جميع الأسلحة والمعدات القتالية وغير القتالية والتسهيلات المتاحة والمكون السلوكي ويظهر في الضبط والربط للوحدات بالإضافة إلى الكفاءة القتالية للوحدات والممارسات العلمية في السلم والحرب ، فالثقافة العسكرية هي خليطٌ من هذه المكونات بنسبٍ متفاوتةٍ .

2- الثقافة العسكرية متكاملةٌ حيث أنَّ أيّ تغيير يطرأ على أحد جوانبها سرعان ما ينعكس أثره على باقي المكونات .

3- الثقافة العسكرية هي نوعٌ من الثقافات الإنسانية المحصورة في نطاق الجيش كمؤسسةٍ منغلقةٍ على نفسها ، فهي ظاهرةٌ خاصةٌ بالعسكر فقط .

4- الثقافة العسكرية متصلةٌ ومستمرةٌ وذلك من خلال توارث الأجيال وتعاقبها داخل هذه المؤسسة .

5- الثقافة العسكرية مكتسبةٌ ، وتجري مجرى الدم في العروق : رغم أنَّها تنتقل من جيلٍ إلى جيلٍ منْ خلال التعلم والتلقين والمحاكاة والممارسة . لؤلئك العسكريين الذين ولدوا ليكونوا مقاتلين . وأنَّ الثقافة العسكرية مكتسبةٌ أيْ أنّ َالعسكري يتعلمها بتعليم والتدريب في الكليات والمدارس العسكرية وسيزيد اكتسابه لها كلما اتسعت دائرة معارفه العسكرية والطبيعية وذلك عنْ طريق الدورات التدريبية والتأهيلة المتتالية التي يتحصل عليها العسكري أثناء فترة خدمته في الجيش ، واحتكاكه بزملائه في وحدته أو غيرها منْ وحدات الجيش المختلفة أو أثناء المناورات داخل الوطن أو خارجه أو أثناء الأعمال القتالية المختلفة أو منْ ميدان المعركة مباشرةً ، ونستنتج منْ ذلك أنَّ الثقافة العسكرية ليست فطريةً ولا موروثةً ، ولكنَّها نتيجية الإختراع العسكري على مرّ الزمن ، وتنتقل من جيلٍ إلى جيلٍ عنْ طريق التعلم والإحتكاك . إنَّ الثقافة العسكرية سلوكٌ مكتسبٌ ينقله منتسبوا

الوحدة كاملاً كما اكتسبوه كاملاً من جيلٍ إلى جيلٍ ، وينقلون جزءً منه إلى الوحدات في نفس السلاح أو غيره ، أو وحداتٍ صديقةٍ في السلم والحرب .

6- الثقافة العسكرية متغيرةٌ سلباً وإيجاباً ، وهي عرضةٌ للترك والإهمال وسريعة الإكتساب ويمكن إضافة مفاهيمٍ جديدةٍ لها وذلك منْ خلال تغير الأزمان والأجيال والتقاء الثقافات وتبادل الخبرات العسكرية .

7- الثقافة العسكرية ثقافةٌ تراكميةٌ شأنها شأن العلوم والآداب حيث تتزايد الثقافة العسكرية وتتراكم منْ خلال ما تضيفه الأجيال على مكوناتها منْ عناصرٍ وخصائصٍ وهي سريعة التكيف ومرنةٌ ولها القدرة على الإنسجام وذلك تمشياً مع مطالب العسكري البيولوجية والنفسية وملاءمة البيئة الجغرافية وتطور الثقافات المجتمع المحيط . والثقافة العسكرية تراكميةٌ شأنها شأن ثقافات الجماعات الأُخرى ، فهي تنمو وتتطور من جيلٍ إلى آخرٍ حتى تصل إلى شكلها النهائي الذي نعيشه .

8- أنَّ الثقافة العسكرية تحدد أنماط الحياة الإجتماعية العسكرية في أيّ معسكرٍ .

9- أنَّ الثقافة العسكرية تختلف عنْ ثقافة المجتمع خارج الأسوار فهي تعمل على توفير سبل الحياة وتنظم الحياة الإجتماعية العسكرية بشكلٍ يوفر لكل العسكريين ما يتطلبونه منْ حاجتهم المعيشية والمعنوية بنفس الطريقة والأسلوب في كل المعسكرات ، إذنْ فهي لا تختلف في الوسائل المؤدية إلى إشباع هذه الحاجات وفي شكل التنظيم نفسه .

10- أنّ الثقافة العسكرية هي ثقافةٌ إنسانيةٌ ولكنْ لا يصنعها الإنسان العسكري الذي خُلق ليقاتل ولكن تصنعها المؤسسة العسكرية ، وعلى كل العسكريين الحفاظ عليها .

11- تتأثر ثقافة كل جيشٍ بالخبرات والظروف البيئية كالجغرافيا والبيولجيا ، وكذلك في تتأثر بالأوضاع الإجتماعية تأثيراً مباشراً ، وذلك لأنَّ كل عسكريٍ سوف يدخل ثكنته بجزءٍ كبيرٍ من ثقافة بيئته كونه من المدينة أو القرية أو الواحة ، وهكذا .

12- أنَّ كل جيشٍ يحاول الحفاظ على ثقافته ، إلاَّ أنَّ الثقافة العسكرية عرضةٌ للتغيير و التطوير بفضل ما تضيفه إليها من الأجيال الجديدة منْ أسلحةٍ وخبراتٍ ومصطلحاتٍ لفظيةٍ وغيرها ؛ أمَّا القيم العسكرية فهي بطيئة التغيير ولا يمكنُ ملاحظتها إلاَّ بعد فترةٍ زمنيةٍ معينةٍ ، وتختلف سرعة هذا التغيير من جيشٍ إلى آخرٍ .

13- تنتقل الثقافة العسكرية من أمةٍ إلى أُخرى عن طريق وسائل الإتصال المختلفة كالحروب والمناورات المشتركة أو في حالات الإيفاد التعليمي لدى الدول الصديقة أو الحليفة لاكتساب علومٍ أو مهراتٍ عسكريةٍ جديدةٍ ، و عنْ طريق البعثات و الملحقيات العسكرية أو الكتب والمجلات العسكرية وشبكة الإنترنت ، أو عنْ طريق الإستعمار بأشكاله المختلفة .

14- أنَّ الثقافة العسكرية شيءٌ واحدٌ متماسكٌ لا يمكن تقطيعها إلى أجزءٍ كثقافات المجتمع الأخرى فالجيش مثله مثل أيِّ كائنٍ حيٍّ لا نستطيع فهم أسلوب حياته إلاَّ وهو حيٌّ ؛ فلا يمكن فهمها إلاَّ جملةً واحدةً .

15- اللغة وسيلة إتصالٍ رمزيةٍ وهي مكونٌ أساسيٌّ من مكونات أيِّ ثقافةٍ تعمل على تراكم التراث الثقافي العسكري وزيادته ، وبطبيعة الحال في أساس أيِّ عملية تنشيئةٍ إجتماعيةٍ .

16- الثقافة الشعبية : وهي ثقافة المجتمع بصفةٍ عامةٍ وهي ثقافة الجماعات التي هي أساس ثقافة أفراد الشعب بمختلف طبقاته وبيئاته ، وأعني بذلك كل ثقافةٍ تتبعها فئاتٌ أو جماعاتٌ معينةٌ بينما لا تتبعها جماعت أُخرى.

17- الثقافة العسكرية ذات مضمونٍ واحدٍ فهي لا تتنوع إلى حد التناقض ، كنمطٍ من سلوكٍ إنسانيٍّ في مجتمعٍ ما يعد جريمةً ، وفي مجتمعٍ آخرٍ يعد فضيلةً .

18- الثقافات العسكرية متشابهٌ في اطارها الخارجي مهما اختلفت الجيوش في سلم التقدم الحضاري . في كل جيشٍ نجد أشكالاً ثقافيةً غالبةً كاللغة والدين ، والنظم العسكرية ، والضبط والربط العسكري وغيرها ، هذا التشابه هو الذي يوحد كل الجيوش في شكلها العام .

التنشئة العسكرية و الثقافة العسكرية

إنَّ طبيعة التنشئة العسكرية تختلف باختلاف البيئة الإجتماعية والسياسية وترتبط ارتباطاً وثيقًا بطبيعة أيِّ تغيراتٍ اجتماعيةٍ عسكريةٍ فضلاً عنْ تأثره بثقافتة العسكرية ، إنَّ نجاح عملية التنشئة العسكرية تتوقف على مدى تعليم وتلقين الثقافة العسكرية للعسكريين ، والتغير واقعٌ حتميٌّ كما سنناقشه لاحقاً وهو حركةٌ طبيعيةٌ لا يمكن إيقافها أو منعها والمجتمع العسكري كجزءٌ من الأمة بثقافته ومعارفه يخضع لعمليات تغيرٍ متواصلةٍ .

لقد وجد مفهوم التنشئة العسكرية اهتماماً كبيراً في كل الجيوش وله جذورٌ ممتدةٌ في اهتمامتها ، تسعى كلها إلى كيفية تطويرها والاهتمام بها . ويرجع فساد التنشئة العسكرية إلى غياب روح العسكرية بسبب عجز المؤسسات التدريبية عنْ تلقين القيم العسكرية وحب الوطن للأفراد ، أمَّا قيم الفضيلة العسكرية فإنَّ عمادها الأساسي هو التعليم على أسسٍ علميةٍ وتربويةٍ عسكريةٍ ، والتسلح بالمعرفة النظرية والعلمية التي سوف تيسر للعسكريين مستقبلاً أسباب الإندماج في المجتمع العسكري وتوجه سلوكهم العسكري . ربَّما هذه مجرد بعض التصورات الإنطباعية تغلب عليها النزعة الأخلاقية العسكرية تهتم بدراسة العلاقة بين التنشئة العسكرية والسلوك العسكري ، وهي ملاحظاتٌ اكثر منها تحليلاتٌ .

ونتيجةٌ لبعض التغيرات الإجتماعية التي تمس الواقع العسكري فإنَّ تحليل هذه القضية ينطلق منْ واقع كوننا عسكريين يقع علينا واجب العناية بهذا الموضوع ، وأعتقدُ أنَّ لهذا الموضوع اتجاهين أساسيين في تحيد مفهوم التنشئة العسكرية ، الأول باعتبار التنشئة العسكرية عمليةٌ يتم بها تدريب العسكريين الثقافة والقيم العسكرية والمعارف العسكرية والعلوم التطبيقية والقيادة والإستراتيجية وغيرها منَ العلوم في خبرة

وذاكرة الجيش ، والإتجاه الثاني كون العسكري من خلال عملية التشئة في الكليات والمدارس العسكرية سوف يكتسب كيانه وشخصيته العسكرية بحيث يستطيع التعبير عنْ ذاته العسكرية . منْ هنا فإنَّني أُحدد مفهوم التنشئة العسكرية في هذين الإتجاهين وأعتقد أنَّهما يقدمان نظرةً متكاملةً لمفهوم التنشئة العسكرية وأنَّهما ضروريان لها . أمَّا مصادر التنشئة العسكرية فإنَّ خبرة العسكري سوف نجدها مستمرةٌ طول حياته العسكرية وتنقالته بين الوحدات أوِ الأسلحة ، وتقوم بها أساساً الكليات والمدارس العسكرية بمختلف تخصصاتها ودرجاتها العلمية .

كذلك فإنَّ لوسائل الإعلام كالصحف العسكرية أوِ المواقع الإلكترونية التي تهتم بالشؤون العسكرية والتسليح نجد لها دوراً و إنْ كان ثانوياً فإنَّ له تأثيراً بالغاً على توزيد العسكريين بالخبرات اللازمة . وتمارس المؤسسات التعليمية العسكرية أدواراً متباينةً على العسكري تبعاً للرتبته ونوعية التدريب الذي سيتحصل عليه ، علماً بأنَّ كل المؤسسات التعليمية العسكرية تتفق في المباديء التي تسعى لتأكيدها من قيمٍ أو علومٍ عسكريةٍ ، وفقاً لظروف الجيش السياسية والإقتصادية ، وإنَّ تنقل أيِّ عسكري بين عدة مدارسٍ سوف يترك في نفسه أثاراً متداخلةً لا يمكن عزلها عنْ بعضها .

إنَّ مفهوم التنشئة العسكرية يعبر دائماً عنْ أسلوب المحافظة أو تغير التقافة العسكرية للجيشٍ ما ، باعتبار أنَّ الثقافة العسكرية منْ أهم مجالات التنشئة العسكرية وإنْ لم تكنْ ركيزتها الأولى ، وذلك باعتبار أنَّها كل ما يتعلمه العسكري بهدف تنمية المفاهيم العسكرية ، ومعرفة الحقوق والواجبات وكيفية التكيف مع المجتمع العسكري .

كما أنَّ التنشئة العسكرية تساهم بشكلٍ أساسيٍّ ، في غرس العقيدة العسكرية والمذاهب العسكرية والقيم الإجتماعية وحب الوطن والتضحية من أجله وروح الفريق والولاء للمؤسسة العسكرية ؛ إنَّ استمرارية غرس الثقافة في نفوس العسكريين لمنْ أهم الوظائف الإجتماعية العسكرية التي تميزها عنْ بقية المجتمعات في الأمة .

ولما كانت الثقافة العسكرية حصيلة المفاهيم الإجتماعية للجيش على مدى سنواتٍ طويلةٍ جداً فهي تعتبر منْ وجهة نظري أساسُ بقاء الجيش واستمراره واستقراره ، وتهتم باتجاهته وأهدافه الكبرى وتتمثل الثقافة العسكرية منْ خلال العلوم العسكرية وطبيعة العلاقات بين العسكريين وبين العسكريين والقيادت العسكرية وبينهم وبين المؤسسة العسكرية كذلك فإنَّ الثقافة العسكرية تتمثل في الكفاءة القتالية للأفراد والوحدات ومدى حب العسكريين وولأهم للجيش وبالتالي للأمة. كما أنَّ مفهوم الثقافة العسكرية كما قلتُ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفلسفة حب الوطن والتي تؤكد على تلقينها في مراحل مبكرةٍ منَ التنشئة العسكرية .

إنَّ للخبرة العسكرية دورٌ بارزٌ في تشكيل الشخصية العسكرية ، وللعسكريين دورٌ مهمٌ في صناعة الأحداث العسكرية ، و تتعرض الثقافة العسكرية منْ خلال هذه الأدوار لقدرٍ كبيرٍ منَ التغيير يعكس بالتالي التغيير الإجتماعي الحاصل في المجتمع العسكري .

بذلك سوف نصل إلى نتيجةٍ مهمةٍ : أنَّ البنية الثقافية العسكرية لأيّ جيشٍ ما هي إلاَّ البحث في المفاهيم العسكرية الأساسية له ، لأنَّنا منْ خلال هذه المفاهيم نستطيع فهم تركيبة هذه البنية وانتظامها في الوعي الإجتماعي العسكري .

الثقافة العسكرية بين حب الوطن والقوى التي تصيغ قيّمها ومعاييرها

إنَّ الثقافة العسكرية ليستِ الفن ولا المتاحف أوِ المسارح ولا هي المعلومات العامة في علوم العصر ، بل الثقافة العسكرية تبداء منَ القيافة وحُسن المظهر وسمو السلوك والروح المعنوية العالية والأخلاق العسكرية الرفيعة وروح القيم العسكرية والعادات والأعراف العسكرية ومعرفة العلوم الطبيعية والعسكرية والتقدم العسكري المادي (التسليح) ، وتنتهي الثقافة العسكرية في مضامين الوعي والأحاسيس والتصورات المشتركة بين العسكريين لما هو قائمٌ في حالة السلم ولما ينبغي أنْ يكون في حالة الحرب ، والتي تتوارث داخل المجتمع العسكري جيلاً بعد جيلٍ أيْ بتدريب العسكري في الكليات والمدارس العسكرية والتلقين الشفوي في المعسكرات ، بما في ذلك التسليح الذي يتضح في المضامين ؛ والمشاعر التي تتضح في الواجبات والمهام ، أو ما يبدعه العقل العسكري منِ استرايجيةٍ أو تقنيةٍ عسكريةٍ جديدةٍ ، إنَّ الثقافة العسكرية هي حب الوطن الذي يتغذى عليه العسكريون بمختلف رتبهم وتخصصاتهم ، و الأرض التي تنمو عليها العلاقات الإجتماعية العسكرية وهي مجموعةُ القوى التي تشكل المجتمع العسكري وتصوغ قيّمه ومعاييره ، وهي الخلاصة التي تستخلص منَ العلاقات الإجتماعية العسكرية المتكررة بين العسكريين ؛ فالثقافة العسكرية إذنْ هي مجموعةٌ منَ القواعد التي تتبلور من خلال الحياة اليومية داخل المعسكرات على مرِّ السنيين فتصبح كتصوراتٍ تقليديةٍ وعاداتٍ ثابتةٍ معروفةٌ لكل العسكريين في المؤسسة العسكرية .

ونستطيع أنْ نُحدد المعيار الثقافي لأيّ جيشٍ إذا وجدنا أنَّ كل أفراده بدون استثناء يتبعون نظامه في ظروف السلم كما في ظروف الحرب . إنَّنا ننظر إلى القيم والقواعد الثقافية العسكرية بوصفها موجودةٌ ومسلمٌ بها ونستطيع تحليل تلك العلاقات الإجتماعية العسكرية على ضوئها والتي تلتزم بتلك القيّم والقواعد إلتزاماً لا يختلف كثيراً في درجة دقته وشدة سطوعه . ونستطيع ملاحظة تكون أيّ قواعدٍ ثقافيةٍ عسكريةٍ جديديةٍ أو تطورها داخل علم الإجتماع العسكري ، وتكون هذ الثقافات الجديدة عنْ طريق سنُ قوانينَ عسكريةٍ جديدةٍ تنظم أوجهُ التعاون أو إحداث صنوفٍ جديدةٍ مثلاً ، ومعرفة الآثار المترتبة عليها ، ومدى إلتزام العسكريين بها .

إنَّ التبادل الثقافي العسكري بين الأمم يتم بتبادل الخبرات وإرسال البعثات والملحقيات العسكرية وتدريب العسكريين الأصدقاء والحلفاء ، وتتسم هذه الثقافات العسكرية بالتنوع والثراء ؛ تنوع العقائد والمذاهب العسكرية وثرائها بالأسلحة الحديثة والتقنية العسكرية المتطورة والإستراتيجيات المبتكرة ، والملاحظ دائماً أنَّ العناصر المستعارة التي تدخل إلى ثقافةٍ عسكريةٍ معينةٍ تحاول أنْ تكيّف نفسها مع المعايير السائدة في تلك الثقافة العسكرية وكما قلتُ سابقاً إنَّ القيّم العسكرية شيءٌ موجودٌ وهي الأرضية

التي يتغذى عليها المجتمع العسكري ، والعسكري الذي ينتمي إلى ذلك النظام العسكري ينتمي في نفس الوقت إلى ثقافته العسكرية وهو لايمكن أنْ يكون جندياً (بمفهوم الجندية) إلاَّ إذا تعلم عناصر تلك الثقافة العسكرية وتشرب تصوراتها وأفكارها ، وسبب ذلك تلك العلاقات العسكرية المنظمة التي تعتبر جزءً لا يتجزءُ منَ الثقافة العسكرية ؛ إنَّ الجيش ليس مجردُ أفرادٍ عسكريين فالأمر أعقد منْ ذلك ، إنَّ الجيش حتماً سيتجاوز حياة أفراده ويستمر في الوجود بعد إنتهاء خدمتهم فيه ، وسيكون مستقلاً عنهم في لحظةٍ ما رغم بقائهم جزءً منه خارج الجيش ، فضلاً عن ذلك فإنَّ إنتماء العسكري إلى الجيش عبارةٌ عنْ إنتماءٍ جزئيٍ ، أقصدُ أنَّ الجيش بجموع شخصياته (كل أفراده منْ عسكريين ومدنيين) ، ولكنه يمارس كل إنتماءٍ منه بجزءٍ فقط من ذاته وهي الآنا العسكرية وهذا المفهوم هو المنصب والواجبات ، فالقائد أوِ الآمر منصبٌ يختلف عن هية الركن ويختلف الواجب باختلاف المنصب ، والضابط يختلف عنِ الجندي أو ضابط الصف ولكلٍ منهم واجبٌ يقوم به داخل هذه المؤسسة التي تفرض على كل عسكريٍ أنْ يتعلم واجبه حسب القواعد المتعارف عليها وهي التي يلتزم بها كل العسكريين بحيث يكون هناك توافق وتناغم بين الواجبات المختلفة ؛ هذا التوافق والتلاؤم بين الواجب المحدد بالقانون العسكري من ناحيةٍ والميول الشخصية من ناحيةٍ أخرى تظهر أهميته أثناء التوترات الإجتماعية العسكرية المختلفة كالمناورات أو إعلان النفير أو أثناء المعركة ، أو أثناء تغيير القادة . فالإنسان يتعلم الثقافة منْ خلال الإنتماء إلى مجموعةٍ معينةٍ والعسكري كذلك فهو ملمٌ بكل ثقافة المجتمع العسكري بالإضافة إلى ما يخص تخصصه ، وكلما كبر هذا المجتمع وتضخم كلما ازدادت ثقافته تطوراً ونمواً ، وكلما ازدادتْ عدد العناصر الثقافية العسكرية إزداتْ تشابكاً وتعقيداً حتى تفوق قدرات العسكري على الإستيعاب . وتبقى الثقافة العسكرية عبارةٌ عنْ واقعٍ نعيشه داخل المعسكرات شديد القوة وبالغ التأثير في حياة كل عسكريٍ ينعكس هذا التأثير على حياته خارج الأسوار والأسلاك الشائكة .

إنَّ الوطن هو بيئة العسكري الكبيرة التي تشمل كل ما خلقته مهارة الشعب وإبداعه وما يتطلبه تطوره الثقافي والحضاري وما يحتاجه في نشاطه الإجتماعي وهذا ما يُسمى بالتراث الثقافي الإجتماعي ، إذنْ فالثقافة إنسانيةٌ والثقافة العسكرية جزءٌ منها وقد تقدم تعريفها ، ولكنَّها في كلِ الأحوال هي كل تلك الأعمال التي يقوم بها العسكريون في السلم والحرب وكل ما يؤمنون به منْ عقائدٍ ومذاهبٍ عسكريةٍ وما يحملونه منْ أفكارٍ عسكريةٍ وما يشعرون به منْ أحاسيسٍ وما يحملونه منْ صورٍ وما تراكم لديهم منْ عاداتٍ وأعرافٍ وتقاليدٍ عسكريةٍ وما تعلموه منْ معارفٍ عسكريةٍ وطبيعيةٍ وما يوجه سلوكهم منْ قوانينٍ عسكريةٍ ومعارفٍ وعلومٍ ؛ وباختصار فهي كل التراث العسكري وهي أسلوب والطريقة العسكرية في الحياة داخل المعسكرات وخارجها . ونرى أنَّ هذه الثقافة التي هي منْ صنع العسكر على مرِّ الزمن خاضعون لها وملتزمون بها ويثنون عليها أينما حلّوا ويمجدونها ويحرصون عليها ويسعون إلى تطويرها كلما أمكن ذلك ، وتتأثر ثقافة العسكري بطريقةٍ مباشرةٍ بثقافة البيئة أو الطبقة الإجتماعية التي نشأ فيها وانتمى إليها التي هي بدورها تتأثر بثقافة المجتمع (الشعب) ككلٍ ، إذنْ فإنَّ ثقافة المجتمع هي الأساس لأيّ ثقافةٍ داخله .

وإنِّي أتصور دائماً أنَّ كل عسكريٍّ محترف يمثل ويحيط بجميع أجزاء الثقافة العسكرية وموكناتها المعقدة ، فالثقافة العسكرية يجب أنْ تَسبُغَ كلَ عسكريٍّ رغم تعدد وتشابك وتداخل أجزآئها ؛ فمثلاً المعارف العسكرية بدون ضبطٍ وربطٍ هي حذلقةٌ ، والضبط والربط العسكري بدون معارفٍ عسكريةٍ آلةٌ ، وإنَّ الفكر العسكري إذا نبع من شخصٍ مدنيٍّ زندقةٌ عسكريةٌ لا تدعوا إلى الإعجاب . وذكاء العسكري بدون معارفٍ عسكريةٍ وطبيعيةٍ وبدون ضبطٍ وربطٍ عسكريٍّ هو زيفٌ وخواءٌ . إنَّنا نجدُ دائماً الثقافة العسكرية مترابطةٌ ومتداخلةٌ بحيث تحقق كمالها . ولهذا يجب على كل عسكريٍّ أنْ يكون كاملاً في جميعها ؛ إذنْ الثقافة العسكريةكاملةٌ ، هذا الكمال لا نجده في أيِّ فئةٍ أو طبقةٍ إجتماعيةٍ أُخرى ، وبصورةٍ أدقٍ في المؤسسة العسكرية ككلٍّ . هذه النقطة تغيب عنْ ذهن كثيرٍ من المحللين والباحثين ، لأنهَّم يعتبرون الثقافة على أساس إتقان فنٍ واحدٍ بالإضافة إلى عدة أشياءٍ مكملةٍ لهُ ، ويسقطون من حساباتهم فنوناً أُخرى .

على أنَّ الثقافة العسكرية ليست هي الجيش بطبيعة الحال ، ولكنَ المؤسسة العسكرية كمجموعةٍ كبيرةٍ جداً منَ الأفراد (العسكريون) هي التي تصنع ثقافتها كأيَّ فئةٍ أو طبقةٍ إجتماعيةٍ ، فلا يستطيع العسكريون الإنفصال عمّا صنعته مؤسستهم أيْ أنَّ العسكري مقيدٌ رغم حريته بالمجتمع العسكري وبالثقافته ؛ أعتقدُ أنَّني أدور في دائرةٍ واحدةٍ وذلك لأنَّني وجدت نفسي أتنقل بين ثلاثِ نقاطٍ مهمةٍ وهي المجتمع العسكري والثقافة العسكرية والعسكريون أنفسهم .

وبطيعة الحال فإنَّ المستوى التعليمي العسكري للفرد والتباين في الرتب والمناصب يرتبط ارتباطاً طردياً بالثقافة العسكرية ، أيْ أنَّه كلما تدنّت الرتبة العسكرية فإنَّ الثقافة العسكرية ستميلُ إلى العمومية ، وكلما زادت الرتبة أوِ المنصب فإنَّ الثقافة العسكرية تزداد غزارةً ، إنَّ عمومية الثقافة العسكرية يتبعها كل أفراد المجتمع العسكري بدون استثناءٍ حيث يميل كل العسكريين إلى الإحاطة بعلوماتٍ عامةٍ عنِ الأسلحة والصونوف وواجباتها وأهدافها ولا يتوغل في ذلك كالمتخصيصن فدور الجنود وضباط الصف يتضآءل فيها ، فلا تجد لهم أدواراً في كل أوجه الحياة العسكرية ، أما العسكريون الأعلى رتباً ومناصباً فإنَّهم يحيطون بكل أجزآئها أيْ أنَّه كلما علا المنصب زادتْ خصوصية الثقافة العسكرية ، وتمثل خصوصية الثقافة العسكرية للطبقة العليا من القيادات وهيئات الركن جزءً كبيراً من ثقافة المجتمع العسكرية وهي تعكس عواملاً عديدةً بين أجزاء المجتمع العسكري ؛ أيْ أنَّ كل طبقةٍ عسكريةٍ ستصبح لها شخصيةٌ مستقلةٌ بفضل تلك الخصوصيات أمَّا العموميات فهي تلعب دوراً بارزاً في تماسك المجتمع العسكري وترابطه نظراً لشمول تطبيقها . هذه العموميات و الخصوصيات تظهر لنا بوضوح الطبقات المختلفة داخل المجتمع العسكري والتي يمكن أنْ نقسمها إلى ثلاثِ طبقات ٍمن حيث الرتب و المناصب وسندرسها لاحقاً في فصلٍ مستقلٍ ، هذه الطبقات هي :

1- القادة و الأمرآء وهيئات الركن
2- صغار القادة وغيرهم منَ الضباط
3- ضباط الصف والجنود

القيم التنظيمية للقوات المسلحة

تؤدي القيم التنظيمية للقوات المسلحة دوراً مهماً في الحفاظ على هوية الجيش وثقافته وتدعم وجوده وتؤثر في نشاط العسكريين وكفأتهم القتالية لهذا يجب أنْ يحرص القادة على تطوير القيم التنظيمية وتبنيها لتحقيق الأهداف المنشودة للقوات المسلحة ومنْ أهم القيم التنظيمية للقوات المسلحة :

1- قوة تماسك الجيش

إنَّ القيادة الناجحة هي التي تتحمل مسئولية تحديد مستقبل الجيش ومنْ ثمَّ تتبنى قيمة القوة التي تدعوا بقية القيادات وهيئات الركن والقيادات الصغرى إلى قيادة الجيش بفعاليةٍ منْ خلال إدراكها لمدى مستوى التدريب للقوات ومستوى كفأتها القتالية والعمل على الرفع منْ مستوى الضبط والربط وطاعة القادة بقناعة العسكري وليس الخوف منهم مما يؤدي إلى التغلب على مشكلات التلكؤ والإهمال والتهرب من المسؤلية المتأصلة عند الإنسان نحو التنظيم وتُكتسب هذه القوة من عدة مصادر أهمها:

1- العملية والمعلومات والجاذبية والمكافأة والعقاب : ويتم اكتساب هذه المصادر الأربعة للقوة والحفاظ عليها منْ خلال تهيئة الظروف الخاصة بالإهتمام والإحترام والقدرة على اتخاذ القرارات المناسبة واللازمة للسلطة الفعالة.
2- - القيادة المتميزة : تتطلب القيادة العسكرية المتميزة مجموعةً عاليةً منَ القدرات والكفاءات النادرة لا تتوافر إلا في الصفوة منَ الضباط ؛ لذلك تعد هذه الصفوة كقيمةٍ خياراً صعباً إذْ يتم اختيارهم وفقاً لعدة معايير منها : تحديد الكفاءات وسجل السلوك والتعرف على قيم المرشح تجاه القيادة وتقييم كفاءته الفعلية وأهليته للقيادة من خلال عدد الدورات القيادية المتحصل عليها ، واستكشاف دوافعه للعمل وإنجاز الواجبات ، وعدد الوحدات التي عمل بها وغيرها من القيم التي تحددها القيادةالعامة للقوات المسلحة .
3- الضبط والربط العسكري : تتبنى قيادة الجيش الناجحة قيمة الضبط والربط العسكري وتقوم بتحديد معيار النجاح الأفراد في أداء واجباتهم ومع كافة التضحيات التي يقدمها الجندي في الميدان أو حتى وقت السلم فإنَّه لايكافأ على ذلك ، والجندي المتشبع باللاشعور لايطلب المكافأة ، ولما كان الثواب والعقاب منَ الأساليب الأولية للتاثير في الآخرين فإنَّ القدرة على الإثابة لا تتعدى بعض الأوسمة والأنواط التي نفتخر بها ونعلقها على صدورنا تعبيراً ضمنياً لما قدمناه من أجل الوطن بدون أيّ مكافأةٍ ، أمَّا العقاب يعد مصدرًا للقوة للقيادة الناجحة فحين ينزل بنا ذلك العقاب فإنَّنا نتلقاهُ بصدرٍ رحبٍ . ويُستخدم الثواب والعقاب منْ أجل توحيد جهود الجيش في اتجاه رفع مستوى الأداء والكفاءة القتالية والجاهزية القتالية ، ولمّا كانتِ الأوسمة والأنواط تؤثر على سلوك الأفراد وكفأتهم القتالية فإنَّه يمكن استخدام قوة المكافأة لاجتذاب

العسكريين المتميزين وإبراز الإمكانات الكامنة وتشكيل السلوك المناسب وتوحيد الجهود منْ أجل تحقيق أهداف الجيش الكبرى .

4- الكفاءة القتالية : يُعرفُ الجيش المتميز بقيمة كفأته القتالية ومدى فعالية قيادته وقدرتهم على اتخاذ القرارات المناسبة في السلم والحرب وفهم المشكلات التي تواجه الجيش واقتراح بدائلٍ مناسبةٍ لحلها وأداء الواجبات والمهام بطريقةٍ صحيحةٍ واكتساب العسكريين اتجاهات إيجابية نحو العمل الجاد وتطوير الهياكل التنظيمية والتزام القيادة العامةالتزاماً تاماً بقيمة الكفاءة من أجل الأداء الفعال وتوجيه الأفراد إلى تحسين العمل وإتقانه والتكيف مع التقنيات العسكرية الحديثة . وتجنب الصراعات بين كبار القادة في اتخاذ القرارات لأنَّ المشاركة في صنع القرارات لها أثرها في تنمية كفاءة القيادات في المستويات الصغرى منَ القوات المسلحة وزيادة إحساسهم بالمسئولية وتفهمهم لأهداف الجيش .

5- العدالة : تدرك الجيوش القوية أنَّ رضا العسكريين وشعورهم بالعدالة في المعاملة والرواتب والمكافآت يعد حافزاً للأداء الواجبات والمهام بتفانٍ ، لذا تتبنى هذه الجيوش قيمة العدالة التي تتطلب منَ القادة أنْ يتعاملوا مع جميع العسكريين بنفس المستوى والمحافظة على الضبط والربط العسكري في أعلى مؤشراته بهدف الحصول على ولائهم وانتمائهم للمؤسسة والإلتزام بواجباتهم وحصولهم على حقوقهم بطريقة تتوافر فيها العدالة والمساواة .

6- قوة وتماسك الوحدات الصغرى : تنجزُ الوحدات الصغرى المتميزة بالديناميكية والفاعلية والقيادة الرشيدة أهدافَ الجيش في السلم والحرب منْ خلال العمل بصورةٍ أكثر فعاليةٍ وجديةٍ داخل المعسكرات والقواعد العسكرية و تعويض جوانب الضعف في التشكيلات الكبرى وبناء الإجماع والإلتزام بروح الفريق وإثارة الدافعية للعمل وجذب انتباه القيادة العامة، وتجنب حدوث الأخطاء وهذا يتطلب تدريب هذه الوحدات بعنايةٍ وتبصرٍ وتروٍ منْ أجل الصالح العام للقوات المسلحة ومنْ أجل إيجاد توازنٍ بين المهارات الشخصية للقادة الصغار وقادة التشكيلات الكبرى ومنْ أجل تلاحم الأفراد المتقاربين في أهدافهم ولديهم مهارات العمل الجماعي .

7- النظام : وهو منْ أبرز صفات أيّ جيشٍ ويتم ذلك عنْ طريق تطور القوانين التي تنظم تصرفاته وتوفر القواعد الأساسية للسلوك المقبول لمنتسيبه وتمارس هذه الجيوش نفوذاً كبيراً على سلوك عسكريها منْ خلال تلك القوانين ولذلك فإنَّ كل العسكريين يدركون الأهمية العسكرية للقانون في تنظيم سلوك العاملين في الجيش ويقومون بابتكار الأنظمة القانونية التي تنظم السلوك في المجالات منْ قبيل قانون العقوبات والإجرآت والصحة والسلامة والإدارة العسكرية وقت السلم ومعايير الجزاء والمكافآت ومنْ هنا تظهر الحاجة إلى أنظمةٍ وقوانينٍ لتوضيح المعايير والسلوك والعلاقات الإنسانية

والعسكرية التي يلتزم بها العسكريون . وتترك هذا القيم التنظيمة المشار إليها آثارها في إدارة وقيادة الجيش ، فالقيم الخاصة بالقوة والصفوة والمكافأت تؤثر في أداء العسكريين وممارستهم في حين أنَّ القيم الخاصة بالكفاءة تؤثر بوضوحٍ في أداء المهام والواجبات أمَّا القيم الخاصة بالعدالة تؤثر في الوحدات الصغرى والنظام في سلوك الأفراد وعلاقاتهم الإنسانية والعسكرية داخل الجيش .

مكونات ثقافة الجيش

وهي مجموعة العناصر التي تشكل ثقافة الجيش وحتى يتم معرفة مكونات ثقافة الجيش ينبغي التمييز بين المستويات الثلاثة للثقافة العسكرية ؛ المستوى الأول هو صورة العسكريين في أعين الشعب أو البيئة المحيطة وهو أكثر مستويات الثقافة العسكرية ظهوراً ووضوحاً ويمكن ملاحظته ورؤيته بسهولة وذلك منْ خلال:

1- البيئة المادية والإجتماعية في الجيش .
2- اللغة المستخدمة بين أفراد الجيش والتي تستخدمها الجيش في كتاباته .
3- السلوك العلني لأفراد الجيش .
4- الإبتكارات .

وبرغم أنَّ هذا المستوى منْ أكثر مستويات الثقافة العسكرية وضوحاً ويمكن ملاحظته بواسطة الملاحظين منْ خارج الجيش نفسه ، إلا أنَّه لا يعطي تفسيراً كافياً لفهم ثقافة الجيش حيث أنَّ أفراد الجيش لا يكونون بالضرورة على وعيٍّ تامٍ به فهو بالنسبة لهم شئٌ مألوفٌ اعتياديٌّ وجزءٌ منْ حياتهم اليومية . أمَّا المستوى الثاني فهو القيم العسكرية وتمثل القيم العسكرية لبُّ الثقافة العسكرية وجوهرها ويعتبر هذا المستوى على درجةٍ أكبرٍ منْ حيثُ وعي وإدراك أفراد الجيش له حيث تحدد القيم ما هو مقبولٌ وما هو غير مقبولٍ وما هو مفضلٌ وما هو غير مفضلٍ بالنسبة للعسكريين كما تساعد القيم على حل المشكلات التي تواجه هؤلاء الأفراد . والمستوى الثالث العقيدة العسكرية وهي مجموعة الإعتقادات الراسخة والتي تؤخذ كمسلماتٍ ولا يقبل التشكيك فيها ويعتبر هذا المستوى بمثابة الأساس للثقافة العسكرية وتظهر العقيدة العسكرية جليةً وواضحةً في علاقات العسكريين مع البيئة المحيطة وطبيعة نشاط الأفراد داخل وخارج المعسكرات والثكنات وطبيعة العلاقات الإنسانية العسكرية .

وبالنظر إلى أهمية الثقافة العسكرية في تكوين وجهات النظر لدى العسكريين والقيم العامة للجيش منْ خلال هؤلاء العسكريين وتفاعلهم اليومي مع الواجبات المسندة إليهم ، فإنّي أعتقدُ أنَّ منْ الخصائص المكوّنة للثقافة العسكرية هو وجوب نشأتها في مجتمع العسكري المنغلق على ذاته فتظهر الإنعكاسات الثقافية العسكرية على سلوكيات الضباط والجنود وطريقة تفكيرهم ، منْ هنا يمكننا إطلاق مفهوم الثقافة

العسكرية على مؤسسةٍ منفصلةٍ عنِ المجتمع الذي تعيش فيه و تجمعها بها صفاتٌ أساسيةٌ كاللغة أو العادات الاجتماعية . كذلك يمكن إطلاق لفظة ثقافةٌ عسكريةٌ على الأشكال العسكرية المثالية منها والواقعية ؛ فالثقافة العسكرية الواقعية هي السلوك الفعلي الذي يقوم به العسكريين في معسكراتهم أوقات السلم والحرب ، بينما تمثل الثقافة العسكرية المثالية هي تلك السلوكيات التي يعتقد العسكر أنَّه من الواجب القيام بها وفقاً لمنظومة الأخلاق والقيم العسكرية ؛ هنا تظهر لنا عقبةٌ كبيرةٌ وهي الفجوة بين هاتين الثقافتين والتي أُعرّفها بالغربة الثقافية العسكرية ؛ وتحدث هذه الغربة عندما تكافح الثقافة غير المادية للتكيف مع الظروف المادية الجديـدة . وهذا يعكس أنَّ للتطور التكنولجي السريع آثاراً على المجتمع ككلٍ ومن ضمنه المؤسسة العسكرية وهذه الغربة الثقافية ظاهرةٌ شائعةٌ في الجيش العربي الليبي الآن بسبب ميل الثقافة المثالية إلى التطور والتغير بسرعةٍ في حين تميل الثقافة الواقعية إلى مقاومة التغيير لفترةٍ أطولٍ منَ الزمن . ومنَ المدهش والمحير أنْ يجد المرء هذه «اللامبالاة» حيال هذه الظاهرة منتشرة وشائعة بين الكثير منَ الجيوش العربية ، ولكنَّ الذي لا نتسامح فيه هو التجاهل الكامل لظاهرة الغربة الثقافية العسكرية في حين أنَّ لها معطياتها المادية والمعنوية ؛ والعجيب الغريب أنْ نرى النخب العسكرية بكامل أوجهها ومحتوى قدراتها و طاقاتها لا تبدو مكترثةً بأجواء الغربة الثقافية العسكرية التي تسبح في أجوائه العفنة مع غيرها منَ العسكريين . ومنْ مظاهر التخلف الثقافي والفكري العربي عامةً والعسكري خاصةً حالة الإحتماء بالماضي والافتخار به أوِ الإعتقاد بأنَّه بالإمكان العودة بالزمان والرجوع بالأمة إلى القرن السادس الميلادي وأنَّ هذا هو الأفضل وأنَّ الوضع الذي عاشته الأمة في العصر الأول هو الوضع الأحسن في طريقٍ يغلق فيه باب التفكير وتغيب عنه دوافع الحداثة وترفض الأخذ بوسائلها التي أضحتْ لغةٌ في حد ذاتها قد تصارع باقتدارٍ سيئٍ و عفنٍ لغةَ الماضي ، وتدفعُ لغةَ الحاضرِ المتعثرةِ إلى مدارك الإستشراف المباشر بالتحسن المضطرد الموصل إلى أعلى نتائج الثقافة ، وهي في الواقع تعبير عنِ الإفلاس الفكري والتخلف العقلي . ومنْ أسباب الغربة الثقافية العسكرية : قصور العملية التنشيئة العسكرية و العمليات التدريبية فيما بعد على التخصص العسكري فقط دون التطرق إلى أيّ نوعٍ منَ المعارف الأخرى عسكريةً أو غير عسكريةٍ وعدم التعاطي مع الثقافة العسكرية والعلوم العسكرية بمعنييهما الشاملين الإعدادي "النفسي" والأخلاقي العسكري والتشييدي الإعداد العلمي العسكري وغياب الرقابة العلمية الفنية والقانونية على الكليات والمدارس العسكرية بحيث كانتْ هذه التنشئة التي حصلت عليها دفعاتٍ عسكريةٍ كثيرةٍ كانت تنتهي إلى التخلف دائماً ، ومنْ أسباب هذه الغربة تردي المضمون الثقافي المادي وهو ضعف التسليح واعتماده على أسلحةٍ قديمةٍ لا تواكب تطور الجيوش الصديقة والحليفة بالدرجة الأولى قبل العدوة ، كذلك تخلف الموروث الثقافي الوطني حيث أنَّ الثقافة العسكرية جزءٌ منه ؛ وللتنمية اللغوية شرطٌ أساسيٌّ في بعث وإرساء ودفع حركة التنمية الثقافية العسكرية الأمر الذي يعكس صدق الإنتماء وعدم التذبذب في الإنتساب إلى الأمةِ العربية منْ أجلِ أرساءِ ما أُسميه بالمناعة العسكرية ، فاللغة والثقافة العربيتان أولوية الإستعمال على أيّ لغةٍ أو ثقافةٍ أجنبيتين . أمَّا عالم الإجتماع التونسي محمد الذوادي يعتبر أسباب قصور النظريات خاصةً في إعطاء تفسير علمي وموضوعي لظاهرة التخلف بصفةٍ عامةٍ ، يرجع إلى حذفها ظاهرة الاستعمار ، منْ حسابها والحال أنَّها أهم عامل لتفشي ظاهرة التخلف العالمية . وعلى هذا

الأساس وصفت هذه النظريات بالنزعة الإستعمارية ، ولذا فقد تبنى الذوادي البعد التاريخي لدراسة قضية التخلف فقال : إنَّها كبقية أوجه التخلف الأخرى المذكورة آنفاً ، في الدرجة الأولى حصيلة الإحتلال الإستعماري الذي رزحت تحت نيره ما نسميه اليوم بالدول النامية . وطبيعة الإستعمار في شكله القديم والحديث هو استغلال الشعوب وإضعفها إنْ أمكن على كل المستويات بما في ذلك الإستغلال الثقافي والحضاري . وهكذا يتضح أنَّ لظاهرة التخلف العام فروعاً ينبغي أخذها جميعاً بعين الإعتبار . وأيّ إهمالٍ لها يؤدي إلى فهمٍ منقوصٍ وبالتالي إلى ثغراتٍ خطيرةٍ في الجهاد الأكبر ضد معضلة التخلف في المجتمعات النامية المعاصرة . ويطلق مصطلح التخلف الثقافي (عموماً) Cultural Lag للدلالة على تخلف أحد أجزاء المركب الثقافي في أثناء عملية التغير الثقافي . وتكون نتيجة ذلك إمَّا رواسباً ثقافيةً أو أثرا ً. وقد أوضح سوروكين Sorokin أنَّ نظرية التخلف الثقافي تقوم على النظريات التكاملية في المجتمع والثقافة . وهي النظريات التي ترى أنَّ كل جزءٍ من أجزاء النسق الثقافي الإجتماعي يمكن أنْ يتغير بنفس المعدل الذي يتغير به كل جزءٍ آخرٍ ، وإلاَّ أدَّى ذلك إلى ظهور حالاتٍ منَ الإجهاد الإجتماعيّ . ويقول وينك Winick : إنَّ مصطلح التخلف الثقافي :" يستخدم غالباً للدلالة على التأخير في ترجمة التغير في الثقافة المادية إلى تغير في التقنيات اللامادية التي تتحكم فيها".

وثقافة القائد تدلُ على حسنِ منطقه وفطنتهِ ، وذلك لأنَّ القائد المثقف هو الذي يتعلم أموراً جديدةً كل يومٍ في إطار المعارف العسكرية الشاملة يفيد به وحدته أولاً ، وبذلك تكون الثقافة العسكرية إحدى مكوّنات سلوك القائد الناجح الذي يساعد على تحديد طريق النصر ، وثقافة الجيش عامةً هي أهمّ المزايا التي تجعل ذلك الجيش مختلفاً عنْ غيره منَ الجيوش وتمنحه الخصوصية في التقاليد والقيم العسكرية . إنَّ هذا الفهم الشامل للثقافة العسكرية يجب أنْ يتطوّر ويشغل بال القيادات العليا السياسية والعسكرية ، والمفكرين العسكريين وإيجاد فروعاً كاملة من العلوم العسكرية تهتم بالثقافة العسكرية كأحد مباحثها الأساسية .

أهمية الثقافة العسكرية

مما سبق يمكنني القول أنَّ القيم التنظيمية للقوات المسلحة تلعبُ دوراً رئيسياً وهاماً يمكن أنْ تقوم به على جميع المستويات والأنشطة داخل القوات المسلحة فقد تؤدي إلى نجاح الجيش إذا ما ساهمت في خلق المناخ الذي يشجع على تحسين وتطوير الكفاءة القتالية كما قد ينتج عنها فشل الجيش إذا ما نتج عنها معوقات تحول دون تحقيق كفاءة القوات وفعاليتها . ولبيان أهمية الثقافة العسكرية لابدَّ منْ توضيح الدور الذي تقوم به هذه الثقافة داخل المعسكرات وسأورد أثرَ الثقافة العسكرية على كلٍّ منَ الجيش كمؤسسةٍ حكوميةٍ والعسكريين كأفرادٍ منَ المجتمع .

أ- أثر القيم التنظيمية على الجيش كمؤسسةٍ حكوميةٍ

الثقافة العسكرية هي قوةٌ خفيةٌ ذات تأثيرٍ متعدد الجوانب ولها أدواراً عديدةً منها :

1. تؤثر على نمط الإدارة العسكرية وقت السلم ووقت الحرب حيث يعكس نمط الإدارة والأسلوب الذي يتبعه القادة في تحقيق أهداف الجيش منْ حيث أسلوب القيادة ، ونمط اتخاذ القرارات وحل المشكلات الإدارية والمعضلات التعبوية ؛ حيث ثقافة الجيش (القيم و المعايير والاعتقادات) تؤثر بدرجةٍ كبيرةٍ على النمط الذي يستخدمه القادة في تحقيق الأهداف .

2. تؤثرعلى أداء الجيش حيث إنَّ الثقافة العسكرية تؤثر على إجراءات آداءالواجبات والمهام وتساهم بدرجةٍكبيرةٍ في تحقيق الكفاءة القتالية للوحدات والتشكيلات ولبلوغ ذلك المستوى لابدَّ أنْ تكون هذه الثقافة في أعلى مستوياتها .

3. تؤثر قواعد الثقافة العسكرية السائدة داخل المعسكرات والقواعد العسكرية تأثيراً فعالاً على قدرة الجيش على التكيف مع أيّ تغييرٍ.

4. تساعد على تكوين هويةِ المؤسسة العسكرية وتزود الجيش والعسكريين بالإحساس بالهوية العسكرية التي نفتخر بها حتى وقت الهزيمة ، فنستطيع منْ خلال ثقافة أيّ جيشٍ الحكم عليه من أنَّهُ جيشٌ عريقٌ وقويٌ أم أنَّهُ ضعيفٌ وفوضويٌّ .

5. تدعم استقرار الجيش كمجتمعٍ خُلق ليُقاتل وذلك منْ خلال إحساس العسكريين بانتمائهم إلى هذا المجتمع والتزامهم بتحقيق أهدافه مما يساعد على استقرار الجيش ونموه .

6. تعتبر الثقافة العسكرية قوةً مؤثرةً داخل القوات المسلحة حيث إنَّها تحفز وتثبط أنواعاً محددة منَ السلوك الفردي للعسكريين والجماعي للوحدات والتشكيلات داخل الجيش.

ب- أثر الثقافة العسكرية على العسكريين :

1- تنمية روح الولاء والإنتماء للقوات المسلحة حيث إنَّها تزود العسكريين بالإحساس بالهوية العسكرية وكلما كان منْ الممكن التعرف على الأفكار والقيم التي تسود في الجيش كلما قوي ارتباط العاملين برسالة الجيش وزاد شعورهم بانَّهم جزءٌ حيويٌّ منه .

2- تحفيز العسكريين ورفع الروح المعنوية وخلق الدافعية على العمل وآداء الواجبات .

3- مساعدة العسكريين على التكيف مع الظروف البيئية الخارجية والداخلية للجيش والبيئة المحيطة .

4- تمد العسكريين بالعديد منَ القواعد المشتركة للسلوك والضبط والربط العسكري وتعتبر هذه الوظيفة ذات أهميةٍ خاصةٍ بالنسبة للعسكريين المستجدين ، كما أنَّها هامةٌ بالنسبة للعسكريين القدامى والرُتب العالية ، فالثقافة العسكرية توجه أقوال وأفعال العسكريين

وتحدد ما ينبغي قوله أو عمله في كل موقفٍ من المواقف ، وبذلك يتحقق استقرار السلوك العسكري في السلم والحرب .

منْ خلال العرض السابق لأهمية الثقافة العسكرية وأثرها على كلٍ منَ الجيش كمؤسسةٍ حكوميةٍ والعسكريين كأفرادٍ في المجتمع ، يمكن حصر أهم الأدوار التي تلعبها ثقافة الجيش في الشكل التالي :

1. الإستراتيجية العسكرية .
2. الإحساس بالهوية العسكرية والإنتماء والولاء للمؤسسة والإيمان بأهدافها النبيلة .
3. الإلتزام برسالة الجيش وأهدافه .
4. دعم الضبط والربط العسكري .

إدارة الثقافة العسكرية

أقصدُ بإدارة ثقافة الجيش عملية بناء وتطوير وتدعيم ثقافةٍ مشتركةٍ بين المُنتسبين للمؤسسة العسكرية تكون ملائمةٌ وفعالةٌ تساعد على تحقيق أهداف الجيش . ومنْ وجهة نظري فإنَّ إدارة ثقافة الجيش تبداء بعملية بناء ثقافة الجيش ثم المحافظة عليها ثم عملية تتطوير هذه الثقافة إذا وجد الجيش نفسه مضطراً لتطوير ثقافته ؛ أقولُ إنَّ بناء الثقافة العسكرية يجب أنْ تتبناها القيادة العامة للجيش وذلك بوجود إدارةٌ متخصصةٌ لهذا الغرض ضمن الهيكل التنظيمي لإدارة التوجيه المعنوي تكون لها شخصيات قيادية ديناميكية وقيماً مسيطرةً قويةً ورؤيةً واضحةً لما ستكون عليه القوات المسلحة في المستقبل وكيفية الوصول إلى ذلك ، ولكبار القادة أثرٌ كبيرٌ على ثقافة الجيش ومدى إسهامهم في بنائها وترسيخها باقٍ حتى بعد رحيلهم ؛ كما أنَّه لا يمكن أنْ تتشكل ثقافة الجيش بمعزلٍ عنِ الثقافة القومية للمجتمع فنرى أنَّ قوة الثقافة العسكرية تتجلى في قوة ثقافة الأمة وازدهارها وقوة النشاط الأدبي بمختلف أنواعه ، وذلك لأنَّ الثقافة العسكرية تهتم بالقيم المصاحبة للسلوك الثقافي الشعبي وتعكس في جوهرها ملامح الثقافة القومية وتسخر القيم السائدة في المجتمع لتكون في خدمة الجيش .

كما أنَّ ثقافة الجيش تنمو متأثرةٌ بخبرة الجيش مع الشعب وجيوش دول الجوار بحيث يجب على كل جيشٍ أنْ يجد له مكاناً مناسباً في هذه البيئة القتالية . أمَّا نقل الثقافة العسكرية والمحافظة عليها فإنّي أرى أنَّه توجد بعض الأعمال والممارسات التي يمكن أنْ تزيد منْ درجة قبول القيم المحورية للثقافة العسكرية والتي تسهم في انتقال الثقافة العسكرية منْ جيلٍ إلى جيلٍ داخل الجيش الواحد وقبول تلك الأجيال لها ومنْ هذه الأعمال :

1. اختيار العسكريين المستجدين بمعاييرٍ خاصةٍ وهي أولى خطوات المحافظة على الثقافة والتي تعد منْ أهمها إختيار واستخدام الأفراد الذين يفكرون ويشعرون بنفس طريقتهم في الجيش وعدم التفريط فيهم وإدخال معتقدات العسكرية إلى أفكارهم وتشجيعهم على الذوبان داخل

المؤسسة العسكرية فليس كل إنسانٍ خلق ليقاتل ؛ وتعليمهم الرموز والشعارات التي تقول أكثر مما تراه العين فهي تتضمن معانٍ أكبر بكثير من المعنى الظاهر . كالشعار الذي كان مستخدماً في الجيش المصري قبل حرب 1973 " دائماً ... مصر اولاً " أو شعار القوات المسلحة العربية الليبية قبل نكبة فبراير " النصر أوِ الإستشهاد "، أو شعار قوات الصاعقة العربية الليبية " تضحية فداء مجد ،" و غيرها منَ الشعارات في الجيوش المختلفة . فهذه الشعارات ترمز لما يود الجيش أنْ يقوله ويفعله سواءً لأفراده أو لمنْ حوله .

2. تعزيز الدروس المستفادة منَ الحروب السابقة والعبر منَ قصص والأساطير والبطولات القومية ، وتنتقل هذه القصص و الدروس بالثقافة العسكرية عنْ طريق المنشورات الرسمية العسكرية أو غير العسكرية كما أنَّ قصص البطولات التي تروى داخل الجيش تؤثر تأثيراً كبيراً على المناخ العسكري داخل الوحدة ، وتقوم معظم القصص على أحداثٍ حقيقيةٍ أدّاها أو شارك فيها أفراد منْ هذه الوحدات أو بعض قادتها وتوضح هذه القصص والدروس المستفادة أهم خصائص الثقافة العسكرية كما أنَّ نقلها إلى الأخرين يمكن أنْ ينشئ أو يؤكد القيم المطلوبة .

3. الإحتفالات والإستعراضات العسكرية والمعارض الجوية : يحافظ الجيش على ثقافته عنْ طريق هذه الإحتفالات والإستعراضات العسكرية والمعارض الجوية التي يقوم بها وتتمثل في العسكريين إلى وحداتهم أو في تعارف العسكريين الجدد على العسكريين القدماء وتعرف على وحداتٍ جديدةٍ منْ صنوفٍ وأسلحةٍ مختلفةٍ أو قادةٍ جددٍ ، وحفلاتُ جوائز وتكريم الأبطال القوميين ، المثاليين والمتميزين والمتفوقين وحفلات التخرج ((وقد عبَّر أحد الخبراء عنْ معنى الإحتفالات بالنسبة للثقافة فقال : الإحتفالات بالنسبة للثقافة كالنص بالنسبة للفيلم .كما أنَّ الإحتفالات تعبر بوضوحٍ عنْ مستوى ثقافة الجيش واستعداده وجاهزيته فالمواطن البسيط الذي يحضر حفلاً يقيمه الجيش يستطيع التعرف بوضوحٍ على القيم والمعتقدات واللغة المشتركة بين العسكريين والتي تمثل في مجملها ثقافة الجيش فكما يمكن استجلاء ثقافة مجتمعٍ ما منْ خلال الإحتفالات القومية التي ينظمها فإنَّه يمكن كذلك التعرف على ثقافة الجيش منْ خلال احتفالاته ومنْ الطرق التي تنتقل بها الثقافة العسكرية وتساعد على المحافظة عليها العقيدة العسكرية المكتوبة ليطلع عليها الجميع وتحدد القواعد الأخلاقية والمعتقدات العسكرية التي تحكم أعماله القتالية ومعاركه وتصرفات العسكريين فهي وسيلةٌ مؤثرةٌ في هذا المجال فالفرد غالباً ما ينضم إلى الجيش عارفاً نوع البيئة التي وضعَ نفسه ومستقبله الوظيفي فيها ، وبالتالي فإنَّ التعبير بوضوحٍ عنِ العقيدة العسكرية للجيش يسمح للعسكري المستجد بأنْ يقرر أنَّ هذه الخدمة ملائمةٌ له أم لا. وأخيراً تغيير الثقافة العسكرية وتجديدها وتطويرها ويعمل تطور القوات المسلحة على إبراز موضوع الثقافة العسكرية نظراً لأهميته في قيادة القوات وقت السلم ووقت الحرب ليس غير الثقافة العسكرية حلٌ من أجل بلورة وفهم خطط تطوير القوات المسلحة فيجب أنْ تكون محل اهتمام القادة الميدانيين و المفكرين الإستراتيجيين و المستشارين العسكريين . ويجب أنْ تتصف ثقافة

الجيش بالتطور والتجديد والديناميكية حيث تتطور الثقافة العسكرية وتتجدد استجابةً للمتغيرات التي تحدث في البيئة الخارجية للمؤسسة العسكرية أو في بيئة الجيش الداخلية أو في تركيبة وخصائص الوحدات والتشكيلات .

إنَّ الجيوش العظمى في الوقت الحالي لم تعدْ تتفاخر بحجمها وقوتها ورسوخها وثباتها فقط بل اصبحت تتفاخر أيضاً بثقافتها العسكرية وخصوصيتها التي تعكس تميزها ولأنَّ الثقافة عامةً والعسكرية خاصةً ترتبط أساساً بشخصية الفرد وهويته فإنَّ تجديدها يلقى دائماً نوعين منَ العقبات :

1- عقبة الخوف التي تعتري القيادة العامة للقوات المسلحة عند محاولة انتقال من المعلوم إلى المجهول .

2- عقبة الرفض التي تعتري العسكريين كبشرٍ بسبب ذلك الخوف .

ونظراً لصعوبة تجديد وتطوير ثقافة الجيش فإنَّني أرى أنَّ هذا التجديد في حُكمِ المستحيل ؛ وبما أنَّ أيّ تطويرٍ للقوات المسلحة مرتبطٌ بالإستقرار والإستمرارية فإنَّ ذلك لا يتم بمجرد الرغبة في التجديد والتطوير بل إنَّها عمليةٌ معقدةٌ وبحاجةٍ إلى جهدٍ ووقتٍ لتحقيقها ولا يتم تطوير الثقافة العسكرية إلاَّ منْ حاجةٍ فعليةٍ ورغبةٍ صادقةٍ واقتناعِ القوى السياسية والقيادات العليا في الجيش بعملية التطوير بحيث يقوم القادة بدورٍ أساسيٍّ في نجاح عملية التطوير . ومنْ وجهة نظري فإنَّ ثقافة الجيش تتجدد عندما :

1. تتغير القيادة أو عندما تُقدِم قيادة الجيش على تطوير نفسها .
2. تواجه القوى السياسية والعسكرية أزماتٍ حادةٍ تجبرها على التجديد .
3. عند حل بعض الوحدات أو دمجها مع غيرها .
4. إذا كانت الدولة في منطقة تتسم بالمنافسة الشديدة وكان الجيش في مرتبةٍ أقل بالنسبة للجيوش المنافسة صديقةً أو حليفةً .
5. بعد الهزيمة ، أو أثناء الفوضى التي تعصف بالأمة بسبب الإضطرابات أوِ الأزمات السياسية أوِ الحروب الأهلية .

ويمكن تغيير عناصر الثقافة العسكرية المرئية مثل اللغة والطقوس والتجهيزات والمعدات العسكرية ، أمَّا عناصر الثقافة غير المرئية والمتمثلة في القيم والمعتقدات وسلوك العسكريين فإنَّه يصعب تغييرها وتمثل أكبر تحدي يواجه القيادة العامة للقوات المسلحة ؛ ويجب على القائد العام عند إحداث تجديد وتطوير لثقافة الجيش أنْ يركز على تغيير سلوك العسكريين أولاً . ولكن كيف يتغير سلوك العسكريين ؟ من وجهة نظري لكي يتغير سلوك العسكريين يجب أنْ تُروَّ القيمة الملازمة لتعديل سلوكهم في الإتجاه الجيد كالمكافآت والعقوبات الرادعة والتقاعد الإجباري للأجيال القديمة سبب الفساد الإداري

وتخلف الجيش واختيار نخبة من الضباط الأركانات المشهود لهم بالكفاءة العالية لديهم القيم والمعتقدات الجديدة لقيادة المرحلة الجديدة ، وإبعاد ضباط الشرف عن أي نوع من المسؤلية وتجنيد أفراداً جدداً تتوافق ثقافتهم مع الثقافة الجديدة للمؤسسة العسكرية . ووضع برامج تدريبية للثقافة العسكرية الجديدة .

أنواع الثقافة العسكرية

للفكر العسكري نوعين من الثقافة العسكرية هما الثقافة العسكرية القوية والثقافة العسكرية الضعيفة . فالثقافة العسكرية القوية هي التي تحقق إنجازاً فوق العادي على الأمد البعيد في حين تحقق الثقافة العسكرية الضعيفة إنجازاً ضعيفاً أو غيرَ مُرضيٍ في مدى البصر ، فالثقافة العسكرية القوية هي تلك الثقافة التي تهتم فيها القيادة العامة للقوات المسلحة وصغار القادة بالجنود والضباط اهتماماً ملحوظا ومتزايداً . أمَّا الثقافة الضعيفة فهي تلك الثقافة التي لا تهتم فيها القيادات الصغرى وهيئات الركن إلاَّ بأنفسهم أو بالعمل المباشر أو بالتكنولوجيا ويعطون أهتماماً قليلاً بجنودهم ، ويمكن القول بأنَّ ثقافة الجيش تكون قوية في حالة كونها تنتشر وتحظى بالثقة والقبول من جميع العسكريين في وحدات متجانسة من القيم العسكرية والتقاليد والمعايير التي تحكم سلوكهم واتجاهاتهم داخل الجيش. أمَّا الثقافة العسكرية الضعيفة فهي التي لا تحظى بالثقة والقبول الواسع من العسكريين وخاصة النخبة ولا تجدها إلا في دهاليز السطحيين المحسوبين على المؤسسة العسكرية بمجرد ارتدئهم للبدلة العسكرية ، ويفتقر الجيش في هذه الحالة إلى التماسك المشترك بين أفراده بالقيم والمعتقدات وهنا ستجد قيادة الجيش صعوبةً في التوافق والتوحد مع الأفراد ، كما سيجده العسكريون مع الجيش أو مع أهدافه وقيمه ليصبح الجيش بلا ثقافةٍ واضحةٍ و يمكن أنْ نطلق عليه أنَّه مؤسسةٍ فوضويةً . وباختصار فإنَّني أقولُ إذا أردنا أنْ نُطبقَ مبداء ثقافة القوة فإنّهَا لا تتحق إلا بتحقيق النقاط التالية وجعلها ملموسةً على أرض الواقع :

1- التعبئة بالأهداف حيث يتم توجيه العسكريين للأهداف المطلوب تحقيقها.

2- تحفيز العسكريين

3- الأفكار والمعتقدات والقيم المشتركة تجعل العسكريين موالين لجيشٍ ذا ثقافةٍ قوية ٍحيث يظهر الولاء والإخلاص لأنَّ العمل العسكري سيصبح متعةً في حد ذاته فالقيم والقناعات تصبح بمثابة قوى للإلتزام الذاتي والرقابة الذاتية .

أمَّا الجيش ذو الثقافة الضعيفة فأفراده يسيرون في دهاليزٍ مظلمةٍ تؤدي إلى ضعف الجيش ونهايته وإلى جانب هذا التقسيم للثقافة العسكرية نستطيع التميّز بين عدة أشكالٍ منَ الثقافة العسكرية باعتبارها الطابع العام للقيادة العليا للجيش يتحلى بها ويفتخر بها كل جندي وضابط في أوقات السلم والحرب على النحو التالي :

1- ثقافة البيروقراطية العسكرية : وهي إلتزام القادة والجنود بحرفية القانون واتباع النظم العسكرية بدقةٍ ، والإيمان بأنَّ كل الأسلحة والصنوف تسير على نفس النهج . هذا النمط منَ الثقافة العسكرية لا يشجع المبادرة والإبداع والتميز ويفضل الإلتزام التام بالآوامر والتعليمات وتنفيذ المهام والواجبات وفق ما تمليه . إنَّ العسكريين المثقفين بهذا النوع منَ الثقافة العسكرية مدفوعين بقناعاتٍ ذاتيةٍ ، أكثر منها إملاءاتٍ موضوعيةٍ ناجمةٍ عنْ موقفٍ معينٍ أو طبيعة الواجب ، هذه القناعات تعود للتّخوف منَ الفشل ، والخوف منْ عدم قدرة الآخرين على الإجتهاد وإنجاز الواجبات بطريقة غير المنصوص عليها في القوانين العسكرية . ويجب على كل عسكري أنْ يكونَ يتحلّى بهذا النوع من الآداب العسكرية .

2- ثقافة قوة القائد وكريزمته : وهي جزءٌ منْ ثقافة البيروقراطية العسكرية أو قريبةٍ منْها إلاَّ أنَّها إضافةً إلى ما ذُكر فإنهَّا تتجمع حول شخصية القائد وخاصةً حينما تواجه الأمة أخطار الحرب حيث أنَّ هذه الثقافة توحد الجهود خلف القائد كما يقوم القائد بحماية التابعين المخلصين . كما يتم تحفيز الأفراد عنْ طريق أسلوب الثواب والعقاب .

3- ثقافة التشجيع على الإبداع : و هي تخص القيادة العامة للقوات المسلحة وقادة التشكيلات الكبرى حيث يقوم هؤلاء القادة بتوفير بيئة العمل التي تشجع وتساعد على الإبداع والإبتكار وتشجيع الأفراد الذين يتصفون بالجرأة والمخاطرة ومواجهة التحديات .

4- الثقافة الشعبية المساندة : وهي وجهة نظر الشعب والبيئة المحيطة بالجيش ، ومدى حبهم وولأئهم له ومدى قناعاتهم بواجباته ، والتعامل مع العسكر بصفتهم الإنسانية وتعاون الشعب مع الجيش لأقصى درجة وتتميز البيئة الإجتماعية فيها بالصداقة والتعاون بين الجيش والشعب فيسود جو الثقة المتبادلة التي توفر للجيش بيئة العمل المناسبة . أيضاً يجب أنْ لا ننسى أنَّه على الجيش أنْ لا يعيش أوهام الشعب كالمحيط الثقافي الشعبي وخصائصه ومعتقداته ؛ مثالٌ على ذلك كنتُ كثيراً ما أسمع أسطورة سيدي عبد السلام الأسمر على لسان بعض قيادات القوات الجوية . وهي أسطورة شعبية يجب أنْ لا تدخل داخل الأسوار والأسلاك الشائكة .

5- ثقافة المهام والواجبات القتالية : وينحصر اهتمام هذه الثقافة في طريقة إنجاز المهام والواجبات وليس النتائج التي تتحقق فتنتشر فكرة التضحية منْ أجل الوطن والفداء والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالإستشهاد في سبيله بالإضافة الحيطة والحذرمنْ أجل تنفيذ الواجب بدقةٍ أكثرٍ وتنظيمٍ عالٍ والإهتمام بكل التفاصيل .

6- ثقافة النصر والهزيمة : وتركز هذه الثقافة على تحقيق أهداف الحرب وإنجاز الأعمال القتالية في الجبهات والإهتمام بالنتائج وعدم الرضا بالهزيمة وتحويلها إلى نصرٍ معنويٍّ

واستخدام الموارد العسكرية بطريقة مثالية من أجل تحقيق أفضل النتائج بأقل التكاليف .

7- ثقافة معرفة العدو : وهي استكمالٌ للنوع السابق من الثقافة العسكرية ولكنْ منْ زاويةٍ أُخرى وهي التركيز على الأهداف الحيوية المعادية وتطبيق مبداء أعرف عدوك ، حيث أنَّ الجنود في الجبهات يتكون لديهم التزامٌ مشتركٌ وحماسٌ قويٌّ لتحقيق النصر الذي لا يمكن الوصول إليه إلاَّ بعد دراسة العدو ومعرفته معرفةً تامةً وقت السلم ؛ كما يمتاز هذا النوع منَ الثقافة بسيادة روح الفريق والتحسين المستمر والقدرة على التكيف السريع مع سرعة تغير الموقف في الميدان ، ويعزز هذا النوع منَ الثقافة الرقابة الذاتية للجنود ويوفر لهم حريةً واسعةً في أداء الواجبات القتالية والمشاركة فيها مع بقية الوحدات المجاورة أو المساندة والمعززة بحيث تكونُ لديهم قنوات اتصالٍ مفتوحةٍ أفقياً وعمودياً دائماً .

8- ثقافة الأسلحة والصنوف : وينْصب تركيزها على نوع التخصص القتالي ونوع السلاح وأهميته في المعركة وبالتالي ينْصب هذا الإهتمام والتركيز على الأسلحة أكثر منْ الأفراد والإهتمام بتعبيئة القوات وكيفية استخدامها في المعركة . كما أنهَّا توفر الأمن القتالي بأنواعه المختلفة والإستمرارية وثبات الأداء في التدريب على الأسلحة التخصصية . ويستند هذا النوع منَ الثقافة العسكرية على افتراض أنَّ العسكريين سيعملون بكفاءةٍ قتاليةٍ عاليةٍ وفعاليةٍ عندما تسند إليهم مهاماً واضحةً . ويعتمد الجيش في مثل هذا النوع منَ الثقافة على التسلسل الهرمي والتدرج القيادي .

9- ثقافة النصر أوِ الإستشهاد : إنَّ الثقافة العسكرية قيمٌ وسلوكٌ فمنِ ادَّعاها منَ العسكريين باطلاً فإنَّ سوءَ سلوكه وضحالة معتقداته ستكشفانه ؛ فالشهادة عندنا أنْ تقدم نفسك رخيصةً في سبيل الله ، وهي فوق كل الحساسيات لأنَّ فيها سعادة الدار الآخرة والفوز بجنات النعيم . والنصر ليس نتيجةٌ حاسمةٌ مطلقةٌ مهما قدمنا منْ شهداءٍ ، بل إنَّ الإختلاف بشأنِ نتائجه هو السائد ؛ ليس بين أفراد الشعب فقط ، بل على الصعيد السياسي والإعلامي أيضًا . في الواقع إنَّ أساليب الحرب أضحتْ غير حاسمةٍ وامتلاك العدو أدواتاً تحرم المنتصر فرحة النصر ؛ وتوسعتْ مدارك الشعوب في ما يتعلق بفهم دوافع الحروب ومتابعة مجرياتها ، وجعلها أكثر قدرةً على استعاب نتائجها . إنَّ النصر الحاسم أصبح هدفاً يصعب تحقيقه ، وأمَّا النصر النسبي فصار رضاً للطرفين وهدفًا لإقناع الرأي العام المحلي ، على الرغم منَ التكاليف المادية والبشرية والمعنوية المدفوعة مقابل تلك الأهداف الجزئية المتحقِّقة . وهناك دلالاتٌ واضحةٌ تدل على تحقيق النصر منها :

1- إعتراف العدو بالهزيمة .
2- توقيع اتفاقية أو معاهدة سلامٍ تخرج أحد الطرفين منتصراً .
3- إعلان الاستسلام .
4- وضع السلاح أو طلب العفو العام منْ أحد الطرفين .

وتؤدي تلك النتائج إلى حل القضايا السياسية العالقة التي كانت سبباً للحرب منْ خلال فرض أحد الأطراف رؤيته وشروطه وتبقى نتيجة الحرب مفتوحةٌ للتأويلات . و هناك أسبابٌ تجعل من النصر مسألةً نسبيةً لا حاسمةً وهي :

1- عدم عدالة الحرب وفقدانها المصداقية .
2- عدم انكسار إرادة العدو .
3- دور الإعلام في المعركة ؛ وقدرته على السيطرة على المعلومات أو حجبها كليًا ؛ إنَّ هذا الدور قد يساهم في تشكيل ضغوطٍ غير مسبوقةٍ في وضع حدٍ للحرب قبل تحقيق هدفها النهائي أو حسمها . إنَّ قوة الإعلام ستظل قوةً نسبيةً فهي لا تعد عاملاً حاسماً ، بل عاملاً مساعداً مهماً لعوامل أكثر أهميةً لم تتوافر بعدٍ .

ويحمل النصر عندنا بعداً وجدانياً وعاطفياً وذلك لارتباطه بمفهومٍ دينيّ عميقٍ بالتضحيات والبطولات والصمود أمام العدو ، وهي مثاليَّةٌ غير ماديةٍ لها طابعٌ أيديولوجيٌّ شديد الوضوح ليصبح النصر حاجةً معنويةً يجب أشباعها . أمَّا البعد المادي للنصر فهو مرتبطٌ بتحقيق الأمن والحرية والرفاهية الشعبية ؛ وإنَّ النصر الحاسم في أيّ معركةٍ مرتبطٌ بالمفهومين ، مكتسباتٌ ملموسةٌ وحالةٌ وجدانيةٌ ترضي عواطف الجماهير . يقول المقدم الركن ظافر مراد منَ الجيش اللبناني : إنَّ تأكيد الانتصار على المستوى الإستراتيجي الوطني لا يتم في وقتٍ قصيرٍ ، بل ربَّما يستغرق سنواتٍ طوالٍ . فلطالما كانت الحروب والمعارك تخدم أهدافًا سياسيةً ، و إقتصاديةً أو إيديولوجيةً على الرغم منْ تبريرها بحججٍ أخرى . ولطالما تحقق النصر العسكري ولكن هزيمةً سياسيةً أو اقتصاديةً رافقته. ففي عالمنا هذا تغيّر مفهوم النصر، وهناك منْ يهدف إلى تحقيق نصرٍ معنويّ آنيّ التأثير، بينما يهدف آخرٌ إلى نصرٍ سياسيّ أو اقتصاديّ بعيد المدى . وهكذا نشاهد منتصرين اثنين في حربٍ ضروسٍ كلفتْ كثيراً ، ويضيع مفهوم النصر، وتُخدع الجماهير وتنقاد لأهواء أمراء الحروب وتجّارها ومخادعيها . وكم منْ قادةٍ ورؤساءٍ هزموا منْ دون أنْ يعلموا ، بسبب عدم إدراكهم للهدف النهائي للحرب ، وكيفية تحقيق المصالح الكبرى والإستراتيجية للدولة ، وكيفية ترجمة النصر العسكري واستغلاله في المجالين السياسي والإقتصادي . على الرغم منْ أهميّة الإنتصار المعنوي وتأكيد القدرة على الصمود ، ثمة كثيرون يعتقدون أنَّ رفاهية الشعب وأمنه هي أعلى مصلحة في استراتيجيات الدول الكبرى ، وكل خسارةٍ في هذا المجال ، مهما قابلها من انتصاراتٍ في مجالاتٍ أخرى ، تعتبر هزيمةً نكراءً مغلّفةً بعناوينٍ خادعةٍ أ.هـ .

إنّ التخلُّف الثقافي والفكري العسكري العربي خلّفَ جيوشاً بعينها عنْ مواكبة التغيرات التي تحدث في جيوشٍ أخرى في المنطقة كإيران وإسرائل وتركيا . إنَّ التقدم التقني قد أحدث تغيراتٍ سريعةٍ في الثقافة المادية والفكرية العسكرية أمَّا الثقافة غير المادية بما في ذلك الأفكار والقيم والنظم العسكرية ، تكون في الغالب متخلفةً عن الثقافة المادية . وهناك مشكلاتٌ لنقول أنَّها اجتماعيةٌ عسكريةٌ (أيْ أنَّها تخص شريحةً من المجتمع هي العسكر) ، كثيرةٌ تنجم عن التخلف الثقافي العسكري . فالاختراعات الحديثة مثلاً قد تحل محل الكثيرين من الجنود . وتُعدُّ الفترة التي يستغرقها هؤلاء الجنود في تعلم مهاراتٍ جديدةٍ والحصول على تخصصاتٍ عسكريةٍ تخلفاً ثقافياً يؤدي إلى تخلف الجيش بكامله والحل الأفضل في هذه الحالة هو الإستغناء عن خدماتهم . من جهةٍ أخرى يقول ستكس المحرر بمجلة ساينتفيك أمريكان : إنَّ إغراق الجنود بالمزيد من المعلومات ، ربَّما لا يمكنهم من بلوغ إدراكٍ أفضلٍ لمعركةٍ جاريةٍ . إنَّ التغيرات في الأفكار والنظم العسكرية تسبق التغيرات الثقافية العسكرية دائماً . وهذا ما نُسمّيهِ التنافر الثقافي والفكري العسكري . وهو الحالة الثقافية الناتجة عن تغير الأجزاء المختلفة للثقافة العسكرية الواحدة .

عناصر الثقافة العسكرية

لا تختلف العناصر الثقافية للمجتمع العسكري عنْ أيّ تجمعٍ إنسانيٍّ آخرٍ ، فهي تشمل : اللغة والأعراف والتقاليد العسكرية ، الفنون والأساليب القتالية المختلفة ، والعلوم العسكرية والطبيعية ، والقوانين العسكرية ، والرأي العام للمجتمع ونظرته إلى المؤسسة العسكرية .

تعريفٌ آخرٌ للثقافة العسكرية :

كما قلتُ آنِفاً يصعب إيجاد تعريفٍ للثقافة العسكرية ، ولكنْ يمكنني أنْ أُضيف بأنَّها مجموعةٌ منَ الأنماط المستترة أو الظاهرة لسلوك العسكريين مكتسباً كان أو منقولاً ، ومجموعة الإنجازات التي تقدمها المؤسسة العسكرية وكذلك العقائد والمذاهب العسكرية والأفكار الإستراتيجية وكافة القيم المتصلة بها ، أمَّا النظم الثقافية فهي نتاج سلوكِ العسكريين وشروطها الضرورية .

وإذا نظرنا إلى الثقافة بمنظار اثنوجرافيٍّ وصفيٍّ لأسلوب الحياة العسكرية ومجموعة التقاليد ، والعادات والقيم العسكرية والأدوات والفنون القتالية ، والمأثورات العسكرية داخل المعسكرات خلال فترةٍ زمنيةٍ محددةٍ أيْ بأسلوب الوصف الدقيق والمترابط لثقافة الجيش . فإنَّ الثقافة العسكرية هي ذلك الشيء المعقد الذي يشمل : المعارف العسكرية والعقيدة العسكرية ومذهبها ، وأساليب القتال ، والأخلاق العسكرية والقوانين العسكرية والعادات والتقاليد العسكرية ، وكل المقومات الأُخرى التي يكتسبها العسكري داخل ثكنته في السلم والحرب كالضبط والربط العسكري وطاعة الآوامر وحب المؤسسة العسكرية والولاء لها . أيْ أنَّ الثقافة العسكرية هي طريقة ونمط حياة العسكريين في المعسكرات وتُظهر أساليبهم القتالية ونظامهم الإجتماعي وعاداتهم وأعرافهم ؛ ولكن هل هذه الأمور تكوّن الثقافة العسكرية ؟ .

أعتقد أنّهَا جزءٌ من الثقافة العسكرية التي هي تمايزٌ بتباين الرتب والمناصب كذلك فإن ّ◌َمحتوى مجموعة العلاقات الإنسانية العسكرية تعتبر جزءً من الثقافة العسكرية ، وهي المظاهر التراكمية للتسليح والمعدات العسكرية القتالية وغير القتالية ومجموعة المظاهر اللامادية التي يتوارثها العسكريون ويتناقلونها ويستخدمونها . إذنْ فهي محتوىً فكريٌّ وآليٌّ ينظم سلوك العسكريين وحياتهم بصفةٍ عامةٍ ، وهي إمَّا أنْ تكون مكتسبةٌ يتعلمها العسكريون منْ بعضهم جيلاً بعد جيلٍ ، أو أنْ تكون متعلمةٌ في الكليات والمدارس العسكرية بحيث تعتبر حافزاً للأعمال القتالية وقت الحرب والواجبات والمهام اليومية وقت السلم .

تقسيمات الثقافة العسكرية

1- ثقافة التسليح : وهي الثقافة المادية التي تعتني بتسليح الجيش بحيث تتوافق مع استراتيجية الدولة في الدفاع عن نفسها وحلفائها أو تواجدها في مناطق النزاعات الدولية .
2- ثقافة الفكر العسكري أوالثقافة التعبوية : وهي ثقافةٌ لامادية تعتني بالسمات الثقافية العسكرية غير المحسوسة كالعقيدة والمذهب العسكري والأفكار الإستراتيجية ، والقيم العسكرية والمهارات العسكرية الفنية والقتالية واللغة الرسمية للأمة .

الهوة الثقافية العسكرية

إنَّ تتطور بعض جوانب الثقافة العسكرية أسرع منْ غيرها يحدث عدم توازنٍ في عملية التغيير أوِ التطوير ، الأمر الذي يسبب تخلفاً واضحاً في هذه الجوانب فتظهر هذه المشكلات ، وهكذا يتضح لنا أنَّ الثقافة العسكرية شيءٌ متكاملٌ ومعقدٌ بسبب إشتماله على عناصرٍ كثيرةٍ ومختلفةٍ ، تجعلها متميزةٌ عنْ غيرها منْ ثقافات المجتمع الأُخرى ، فهي طريقة حياةٍ خاصةٍ داخل المعسكرات والثكنات والقواعد العسكرية ، فهي ثقافةٌ مجتمعيةٌ لا حرية فيها للعسكري أنْ يختار نمط حياته داخل المعسكر أو خارجه .

والخلاصة فإنَّ الثقافة العسكرية هي حالةٌ إنسانيةٌ تعكس كلَّ القيم والأعراف والرُّؤَى والمعارف العسكرية التي تعلمها العسكري بحيث تبرز في وعيهِ وإدراكه لكينونته العسكرية ، فتصقل شخصيته وتميزه عن غيره منَ الفئاتِ الشعبية بما أكتسبه منْ خبراتٍ و معارفٍ عسكريةٍ ، فيظهر كالبنةٍ بنيويةٍ في المجتمع العسكري ، لتتعدد هذه اللبنة لتشكلَ الجيش وتاريخه .

الفصل الثاني

الطبقات الإجتماعية العسكرية

مفهوم الطبقات الإجتماعية العسكرية

سأستخدم مفهوم الطبقة الاجتماعية العسكرية للدلالة على مجموعةٍ منَ العسكريين ، الذين يتشابهون في كثيرٍ منَ الخصائص الاجتماعية العسكرية والثقافية التي تميزهم عنْ غيرهم منَ أفراد الجيش ، وعلى الرغم منْ أنَّ استخدام هذا المفهوم يعد جديداً ، غير أنَّ الدلالات العلمية التي ينطوي عليها تختلف باختلاف الرؤى الفلسفية للمجتمع العسكري وللعلاقات السائدة بين العسكريين داخل المعسكرات في السلم والحرب .

وفي الوقت الذي كان يستخدم فيه مفهوم الطبقات الاجتماعية خارج الأسوار بمعنىً شموليٍّ ، ليدل على التمييز بين الأثرياء والفقراء في المجتمع الواحد ، فيقال الطبقات الثرية أو الغنية، والطبقات الفقيرة يأخذ التحليل العسكري بالتمييز بين الطبقات الاجتماعية العسكرية على أساس التخصص العسكري والرتبة والمنصب الذي يشغله القائد أو الآمر في عملية إتخاذ القرار وغيره من الضباط والعسكريين ، والطبقة العسكرية هي «عبارةٌ عنْ مجموعةٍ منَ العسكريين بمختلف الرتب كبيرة العدد ، تتميز عن بعضها تبعاً لموقعها في أحد أنساق التنظيم الاجتماعي العسكري ، وتبعاً لعلاقة كلٍّ منها بعملية إتخاذ القرار ، وهي علاقةٌ يمكن التعبير عنها وصياغتها في قوانينٍ محددةٍ واضحةٍ ، وتبعاً لدورها في التنظيم الإجتماعي العسكري ». ولمَّا كانت الطبقات الإجتماعية العسكرية تتباين في مواقعها بالنسبة إلى عملية إتخاذ القرار ، وبالنسبة إلى علاقاتها بالسلاح (مثالٌ على ذلك في القوات الجوية فإنَّ قائد الطائرة برتبة عقيدٍ يختلف عن قائد لواء جويٍّ أو قاعدةٍ جويةٍ برتبة عقيدٍ) ، فإنَّ الطبقات التي تحظى بالمواقع الأقوى بالنسبة إلى عملية أتخاذ القرار هي المؤهلة لأنْ تكون المسيطرة عسكرياً ، وتكون هذه الطبقات في أعلى المناصب ، والطبقات الاجتماعية العسكرية وفق هذا التصور هي في حقيقة الأمر مجموعةٌ منَ العسكريين تخضع لتحديد قانوني يخلق منهم طبقاتٍ متفاوتةٍ ، كما أنَّها مفتوحةٌ نسبياً في اتجاهٍ واحدٍ ، إذْ تنتقل مجموعاتٍ منَ العسكريين منَ الطبقات الدنيا إلى الطبقات العليا والعكس غير صحيح ، تبعاً لمجموعةٍ واسعةٍ منَ العوامل العسكرية المطلقة والسياسية أحياناً .

الطبقات الإجتماعية العسكرية والصراع الطبقي العسكري

على الرغم منَ القول بوجوب التمييز بين أفراد المجتمع العسكري على أساس مستويات مناصبهم ورتبهم ، وليس على أساس الطبقات الإجتماعية التي ينتمون إليها ، غير أنَّ القول بمفهوم الصراع الطبقي العسكري ليس صحيحاً تماماً ، ويتضح بصورةٍ جليةٍ في تحليلات البنية المجتمعية العسكرية وتطورها الإجتماعي ، حتى إنَّ مفهوم صراع الطبقات لا ينتمي إليه .

إنَّ الطبقة الإجتماعية العسكرية هي جماعةٌ منَ العسكريين ذوي رتبٍ متقاربةٍ يؤدون التخصص نفسه في السلم والحرب ، و إنَّ وضع العسكري أثناء الأعمال القتالية يمثل بالنسبة له أخطر تجارب حياته التي تحدد معتقداته وأفعاله ، في هذا المضمون أعتقدُ أنَّ الطبقة العسكرية الواحدة تعدُ مجموعةٌ كبيرةٌ منَ الناس العسكريين إلى حدٍ ما وحسب ، تشغل الموقع نفسه داخل الهيكل التنظيمي للسلاح الواحد ، وتتميز بوجود الوعي الذاتي شرطاً ضرورياً لإنتمآئها إلى أيّ تخصصٍ عسكريٍ ، ولهذا فإنَّ منْ أهم سمات الطبقة العسكرية هو التفاعل بين المواقف المشتركة لكل العسكريين المحيطين وقت السلم ووقت الحرب من ناحيةٍ ، والمشاعر والأحاسيس التي يكونونها عن مواقفهم ، وعن اتجاهاتهم نحو قادتهم من ناحيةٍ أخرى . إنَّ طبيعة العلاقة بين صراع الطبقات العسكرية وتطور التنظيم الإجتماعي العسكري يتميز بمجموعةٍ من المراحل التاريخية التي اتصفت كلٌ منها بأنماطٍ منْ صراع الطبقات الإجتماعية السائدة آنَ ذاك ، وتختلف باختلاف الخصوصيات الإجتماعية والإقتصادية لكل مرحلةٍ ؛ فمثلاً في الفترة قبل ظهور الإسلام كان سادة العرب هم قادة الجيوش بينما كان لدى الأمم الأخرى بجوار الجزيرة العربية يختلف الأمر ، ففي التشكيلة الإقتصادية الإجتماعية العبودية إنقسم المجتمع إلى طبقتي العبيد والنبلاء الذين هم القادة ، وفي التشكيلة الإقطاعية إنقسم إلى الفلاحين والإقطاعيين الذين هم القادة ، وتتصارع الطبقتان دائماً حول مصادر الثروة والسلطة ، أمَّا في الجيوش الحديثة فأنّيَ أعتقدُ بأنَّ الإنتقال منْ كل مرحلةٍ إلى المرحلة التي تليها يخضع لقانون الترقية العسكرية تحكمه علاقة المواءمة بين الرتبة نفسها والأماكن والمناصب الشاغرة لها ، بصرف النظر عن رغبات العسكريين وطموحاتهم ورغباتهم التي تخضع في ذاتها للقوانين العسكرية منْ بينها القانون المشار إليه .

ولمَّا كانت العلاقة بين الطبقات الإجتماعية العسكرية مفتوحةً بينها ، وتتصف بالمرونة النسبية لأنَّه توجد متطلباتٍ كثيرةٍ لنيل الترقية من رتبةٍ إلى أُخرى التي تاليها ، إذْ يتاح لمجموعةٍ منَ العسكريين الإنتقال إلى الطبقات الأخرى تبعاً لظروف الجيش نفسه ، وتبعاً لمواقعها بالنسبة إلى عملية إتخاذ قرار ، فإنَّ قابلية الحراك الإجتماعي العسكري بين الطبقات العسكرية ، يُعَدّ شكلاً منْ أشكال الصراع الطبقي الإجتماعي الإرادي كونه يتم تحت رعاية القوانين العسكرية الصارمة وبرضاها ، مما يسمح بنمو قوى القيادات في مختلف المناصب واستقطاب طبقات الرتب الأدنى ، والدخول في منافسةٍ عسكريةٍ أو سياسيةٍ مع الطبقات الأقوى في بنية النظام العسكري مما يساعد على تعزيز شكل التنظيم الإجتماعي العسكري ، ويسهم في توفير الظروف المناسبة لتطوره وازدهاره بعسكريين جُددٍ وأفكارٍ عسكريةٍ جديدةٍ ، والإنتقال إلى مرحلةٍ جديدة من مراحل التطور المجتمعي العسكري ، وهذا يوضح الصلة الوثيقة بين البناء الطبقي العسكري المنظم وفقاً للقوانين العسكرية ومنظومة إتخاذ القرار في أعلى هرم هذا البناء الطبقي وهي القيادة العامة للقوات المسلحة ، وكذلك طبيعة العلاقة الصراعية بين الطبقات فيها .

الطبقات الاجتماعية العسكرية والتدرج الاجتماعي العسكري

إلى جانب تحليل ودراسة الطبقات الإجتماعية العسكرية يجب أنْ ننظر إلى عملية التدرج الإجتماعي العسكري ونقصد بها الترقية منْ رتبةٍ إلى أُخرى ومنْ منصبٍ إلى آخرٍ ، هذه العملية التي يُديرها القانون

العسكري بشروطٍ قاسيةٍ تقسم أفراد المجتمع العسكري إلى شرائحٍ متباينةٍ داخل المعسكرات ومتباينةٍ في مستويات معيشتها خارجها فتعطيها شكلاً منْ أشكال التكامل الإجتماعي الإنساني ، فالعسكريون يختلفون في صفاتهم النفسية ورتبهم العسكرية التي تعطيهم طبقةً إجتماعيةً مناسبةً فيختلفون على ضؤها في صفاتهم الثقافية والحضارية على نحوٍ أوسعٍ ، وهم كذلك يتباينون في قدراتهم وطاقاتهم وكفاءاتهم حسب تحصيلهم العلمي العسكري ونوعية سلاحهم ، مما يجعل واجباتهم ومهاهم غير متساويةٍ ، وإسهاماتهم في السلم وفي المعركة غير متساويةٍ وإسهاماتهم في التطور الاجتماعي العسكري مختلفةٍ ، ولهذا منَ الطبيعي أنَّ مستويات معيشتهم خارج المعسكرات متدرجةً حسب الظروف الذاتية والموضوعية المتعلقة بكل منهم داخل معسكراتهم ؛ وكذلك نجد مستويات معيشتهم داخل المعسكرات متباينةٍ أيضاً .

إنَّ تشكل الطبقات الإجتماعية العسكرية وفق تصوري لايعود إلى إشكالية القرب منْ مركز إتخاذ القرار العسكري فقط كونه أساسياً ، إنمَّا يمكن أنْ يعود إلى أمورٍ أخرى تتعلق بما يتمتع به العسكري من صفاتٍ وخصائصٍ نفسيةٍ وكريزما للقيادة تحدد موقعه في التنظيم الإجتماعي العسكري بالإضافة إلى قدراته الذهنية وتفوقه على نظرائه في تخصصه العسكري وما تلقّاه من علومٍ طبعيةٍ أو تخصصيةٍ أو عسكريةٍ قياديةٍ ، و لا يمكنني أنْ أتناسى قدرات بعض العسكريين على التملق للقادة والأُمرآء ومواهبهم في التسلق نحو قمة الهرم ؛ ولهذا فإنَّ مفهوم صراع الطبقات العسكرية يعد مضللاً لأنَّه في حقيقة الأمر يُخفي أشكالاً أخرى منَ الصراع داخل الوحدات والتشكيلات الكبرى بصفةٍ خاصةٍ ربَّما لا تظهر على السطح أبداً خوفاً من القوانين الصارمة وتبقى محبوسةً في بعض الممرات والمكاتب لا تتجاوزها ؛ فالطبقة الإجتماعية العسكرية تشير إلى تدرجٍ يقوم في أساسه على الأقدمية والأهلية للترقية ، أيْ أنَّ الطبقة هي مجموعةٌ من العسكريين لديها فرص الحياة العسكرية نفسها ، وتتحدد منْ خلالها قدرة العسكريين على الإرتقاء في سلم الترقيات العسكرية والحصول على المناصب المختلفة ، وتعد الأقدمية في تصوري رصيداً طبقياً مهماً جداً ، وإنْ لم تكن المعيار الوحيد المحدد للطبقة الاجتماعية العسكرية . وتحدد العلاقات الإجتماعية العسكرية بين الطبقات العسكرية تتحدد خلال التفاعل بين العسكريين المتباينين في الرتب داخل الوحدة الواحدة ، بينما تتحدد المكانة من خلال التفاعل بين العسكريين المتماثلين في الرتبة بغض النظر عنِ الأقدمية ، وعلى الرغم منْ وجود صلاتٍ عديدةٍ بين العسكريين المتباينين في مكانتهم ، إلا أنَّ الأقدمية لا تجعلهم في مكانةٍ واحدةٍ ، وبذلك نميز الطبقة والمكانة على الرغم منَ الصلة الوثيقة بينهما ، فصغار الضباط قد يحتلون مكانةً إجتماعيةً عاليةً في معسكراتهم ، رغم كونهم ذوِي أوضاعاً طبقيةٍ عسكريةٍ دُنيا . و يجب أنْ يتفق الجميع أنَّ علم الإجتماع العسكري يقوم على وجود طبقتين أساسيتين منَ الضباط : الطبقة ذات المؤهلات العلمية الأكاديمية وهم الضباط خريجوا الكليات العسكرية المختلفة وهي الطبقة التي يجب أنْ تسيطر على القرار العسكري ، والطبقة ذات المؤهلات العلمية المتوسطة والأقل منَ المتوسطة وهم ما يُسَمّوْنَ بضباط الشرف وهم في الأساس جنودٌ يُفترض أنَّهم قدموا جهوداً كبيرةً في مسيرتهم العملية حتى وصلوا إلى رتبة ضابطٍ . فوصول بعضهم إلى مراكز إتخاذ القرار العسكري بدون أيّ مؤهلات علمية سببوا فساداً فكرياً وعلمياً ومادياً كبيراً في جيوشهم ، في حين كان الأجدر بهم البقاء كجنودٍ ناشطين ناجحين بدلَ أنْ يكونوا ضباطاً أو قادةً فاشلينَ يسيطرون على عملية إتخاذ القرار أو يشاركون فيها . هذا التمايز بين الضباط خلق

صراعاً منْ نوعٍ جديدٍ لا نجده خلف الأسوار . صراعاً على القيادة والإمتيازات يصحبه كثيرٌ من الإستياء وعدم تنفيذ الأوامر أو الواجبات بصورة صحيحة . غير أنَّني لا أعتقد بأنَّ عوامل نوعية السلاح تستطيع تفسير طبيعة هذا الصراع ، والتغيرات التي تطرأ عليه ، لأنَّ البناء الفوقي للمجتمع العسكري المتمثل بالقيم العسكرية والوعي الثقافي العسكري يعد أساس التطور الذي تشهده الجيوش منذ مدة طويلة ربمَّا لاتظهر فيه مثل هذه الصراعات بصورةٍ واضحةٍ ، ويظهر ذلك بربطه للعلاقة بين التطور التقني للأسلحة والصنوف المختلفة والعقيدة العسكرية التي تعكس قوة الجيش وطموحات الأمة .

المنصب والطبقات الإجتماعية العسكرية

تنطوي الطبقات الإجتماعية العسكرية على أبعادٍ نفسيةٍ وإجتماعيةٍ بالنسبة إلى العسكريين ، كذلك تنطوي على كثيرٍ منَ الوظائف بالنسبة إلى المجتمع العسكري بصورةٍ عامةٍ ، وبالنسبة إلى الطبقات العسكرية ذاتها ، هذا المجتمع العسكري الحديث يتميز بالتعقيد الشديد ، ويعتمد على مجموعةٍ من الواجبات الإجتماعية العسكرية المتعددة والمتباينة التي يتعين على العسكريين القيام بها ، يستمدون منها مكانةً إجتماعيةً نسبيةً تعطيهم الهيبة والإحترام كالضباط الأطباء مثلاً أو ضباط الصف في المهن الطبية المساعدة ، وعليها تُبنى أشكالاً محددةً منَ التدرج الإجتماعي العسكري ربَّما يكون مؤقتاً بالنسبة لضباط الصف ، وذلك لأنَّ العسكريين مثلهم مثل بقية البشر يسعون دائماً إلى إشباع ذواتهم بما تناله منْ تقديرٍ منَ الآخرين وخاصةً قادتهم وأُمرآئهم واعترافاً متبادلاً بينهم ، ذلك أنَّ المكافآت المعنوية في الجيوش المختلفة تكسب أهميتها في نظر العسكريين لذاتها ، بوصفها مؤشراً يرمز إلى المكانة الإجتماعية العسكرية التي يتمتع بها ذلك العسكري أحياناً لا تتعدى حدود وحدته .

إنَّ التدرج الإجتماعي العسكري بهذا الشكل لا يعدُ مظهراً أساسياً للتدرج الإجتماعي العسكري بل هي مكانةٌ مؤقتةٌ منْ مظاهر المجتمع العسكري الحديث ، إنَّ التفاوت الطبقي العسكري وسيلةٌ تؤكِّدُ أنَّ أكثر الأوضاع الإجتماعية العسكرية أهميةً هي تلك التي يشغلها أكثر الضباط كفاءةً أكاديميةً وقياديةً وليس منَ السهل الحصول على مثل هذه الكفآت ويتطلب العمل على ذلك مدة منَ الزمن لإختيار هؤلاء الضباط وتأهيلهم منْ بداية تدرجهم في السلم الوظيفي العسكري . وهناك عواملٌ عديدةٌ تظهر أهمية التدرج الطبقي في الجيش منْ وجهة نظر المنصب العسكري كوظيفيةٍ قياديةٍ ، فالأوضاع الإجتماعية العسكرية العليا تتطلب مؤهلاتٍ وكفاءاتٍ خاصةٍ وتدريباتٍ طويلةٍ تخصصيةٍ وعامةٍ لا تُتاح إلاَّ لقلةٍ منَ الضباط كما أسلفتُ ، هذه القلة النسبية تعدُّ سبباً منْ أسباب التباين الطبقي العسكري . وتتمثل المعايير التي تقوم عليها تصنيفات الطبقات الاجتماعية في ثلاثة معاييرٍ أساسيةٍ : تصنيف يأخذ بالمعايير السياسية وإتخاذ القرارات الإستراتيجية ونمط وأسلوب الحياة العسكرية الأستقراطية التي يجب أنْ يعيشها الضباط ، ويقسم الطبقات في المجتمع العسكري إلى ثلاثٍ : القيادة العامةللجيش وهيئات الركن ، ورؤساء الأركانات العامة ، وقادة المناطق العسكرية والتشكيلات الكبرى . وتصنيفٌ يقوم على المناصب العسكرية كوظائف قيادةٍ ، ويقسم الطبقات في المجتمع العسكري إلى ثلاث طبقاتٍ :صغار القادة وضباطٍ وضباطٍ متنفذين ،

وتصنيف الرتب الصغرى يقوم على العلاقة المباشرة بالأسلحة ، ويقسم الطبقات في المجتمع العسكري إلى ثلاثٍ : صغار الضباط ، وضباط الصف ، والجنود .

تحليل الطبقات العسكرية

يعتمد شكل تحليل الطبقات العسكرية على اعتبار أنَّ المؤسسة العسكرية هي وحدة التحليل ، فالطبقات العسكرية هنا مجموعةٌ منَ العسكريين ترتبط فيما بينها في رُتبٍ متقاربةٍ بشكلٍ منظمٍ بما يتضمنه ذلك منْ تفاعلاتٍ إجتماعيةٍ في السلم والحرب واعتمادٌ متبادلٌ ؛ بهذا المعنى يمكن دراسة الحياة العسكرية كنظامٍ ، على اعتبار أنَّ التفاعلات الإجتماعيبة في المجتمع العسكري تشكل أنماط السلوك العسكري المختلفة .

إنَّ التركيب الطبقي في المجتمع العسكري ذو أثرٍ بالغٍ في توجيه الإستراتيجية العسكرية ، وسياسات تطوير القوات المسلحة والتنبؤ بلحظات الصدام الحتمية أثناء الأعمال القتالية . إلاَّ أنَّ تعريف مفهوم الطبقة الإجتماعية العسكرية سيبقى إشكالياً منْ حيث الأساس النظري المستند إليه أوِ الاستخدام العسكري للمصطلح وبناء التوجهات إنطلاقاً منْ ذلك ، إنَّ القيمة العسكرية التي تمثلها الطبقة العسكرية تُعد أساس التحليل الطبقي وتطوره ، وتبدل أنظمة العلاقات الإجتماعية العسكرية يُعد قياساً بشمولية المفهوم الأساسي ، وما لذلك منْ أثرٍ على فهم التكوين الطبقي والعلاقات القائمة داخل طبقةٍ عسكريةٍ معينةٍ أو في علاقة المجتمع العسكري ببعضه البعض . ولا يجب التركيز على مفهوم المادية العسكرية (أيْ نوعية التسليح و الصنف) والتي تعطي وجاهةً اجتماعيةً عسكريةً منْ نوعٍ ما ، كوحدات القاذفات الإستراتيجية في القوات الجوية . ولكن يجب أنْ نتمركز حول أهمية التكوين الطبقي العسكري والإنطلاق منه نحو أُسسٍ جذريةٍ للحياة الإجتماعية العسكرية من خلال تحليل الإستغلال الوظيفي للمنصب أوِ الرتبة . فنحن بهذا الإطار المتجدد المنطلق منْ الطبقية العسكرية أساساً نسعى إلى التركيز على علاقاتِ القوة والسيطرة والتأثير على الطبقات العسكرية الأُخرى . وبهذا يصبح التطور الأهم عندنا هو العودة للأساس الأخلاقي العسكري عوضاً عنِ التركيز على حقوق الطبقات الدنيا المحفوظة بالقوانين العسكرية الصارمة .

إنَّ دراسة الطبقية العسكرية يعتمد أساساً على البنية الطبقية والعلاقات داخل هذه الطبقة التي هي في حالة الثبات والإستقرار كما قلتُ سابقاً ، ويتم التركيز على مفاهيم الصراع الطبقي بشكلٍ آخرٍ أو منْ زاويةٍ أُخرى أقصدُ لايوجد شيءٌ أسمه المصالح الطبقية لأنهَّا محفوظة بالقانون ، أمَّا تكوين هذه الطبقة فبالقانون أيضاً ، والإختلاف الجذري بين الطبقات العسكرية هو (الوعي العسكري) عند حدوث أزماتٍ سياسةٍ أوِ انفجاراتٍ ثوريةٍ (على حد تعبير ماركس) . وضمن سياق دراسة أيّ طبقة عسكرية فإنَّ وجهة نظري الكلاسيكية تفترض دائماً حالة الثبات والإستقرار ، ويتم بناءً على ذلك دراسة البنية الطبقية والعلاقات الطبقية العسكرية ضمن عدة محاور :

1. المحافظة على البنيان الطبقي العسكري لأنَّه الواجهة الرئيسة للهيكل التنظيمي للمؤسسة العسكرية ؛ والتوسع في شرح الهرمية الإدارية العسكرية ، وتفاوت العسكريون أنفسهم وخاصةً القادة في حجم الصلاحيات المتاحة وقت السلم و وقت الحرب .

2. تحديد وتوزيع المناصب في كل طبقةٍ (المناصب الطبقية العسكرية) حسب التخصص والكفاءة بوضع ضوابط صارمة ، مثالاً على ذلك رئيس أركان القوات الجوية والدفاع الجوي في نظام القذافي كان في الأصل قائداً للواء دباباتٍ ، فلا يتقمص أحد أفراد الطبقة العسكرية العُليا دورا قيادياً في صنفٍ مختلفٍ . إنَّ طبيعة وعملية التقسيم الطبقي العسكري هي تفاوت حجم السيطرة والقيادة العسكرية التي تمتلكها الطبقات العسكرية في صنوفٍ مختلفةٍ ، فقد تكون هذه الطبقة العسكرية مكبلة في سلاحٍ ما أكثر من آخرٍ مع محافظتها على كينونتها وطبيعتها الطبقية العسكرية .

3. دراسة الطبقيةكأساسٍ لتقسيم المجتمع العسكري ، وعدم إغفال طبقاتٍ عسكريةٍ أُخرى تعمل على تزاوج خصائص من سلاحين مختلفين بأشكالٍ مختلفةٍ ، مثالاً على ذلك وحدات الدفاع الجوي الميدني . والتمييز بين العسكريين المتخصصين وغير المتخصصين ، المهرة وغير المهرة ، عاملين بأسلحةٍ متطورةٍ أو ذات ثباتٍ نسبيٍ.. الخ .

4. النظرة الشمولية ضمن سياق تطور القوات المسلحة وتمايز علاقة الجيش والسياسة والمقدرة على حشد القوات ، ومنظورٌ جزئيٌ بحسب واجبات المناصب الطبقية في تحقيق أدوارٍ قياديةٍ متمايزةٍ داخل نفس الطبقة العسكرية ، ودور ذلك في أتخاذ القرارات وإدارة الوحدات في السلم والحرب وأنواع الممارسات الفردية التي تفرضها شخصية القائد وكاريزمته .

5. التركيز على علاقات القوة واستغلال المناصب والنفوذ بين القيادات و هيئات الركن فيما بينهم ، وبين القيادات وهيئات الركن من جهة وبقية منتسيبي الوحدة من جهةٍ أُخرى ، فلا يكفي الحديث عن الفوارق بين الرتب والمناصب الطبقية والفرص المتاحة للتحسين كلٌ حسب منْصبه ، بل كيف أنَّ هذه المناصب متناقضةٌ في حد ذاتها ولكنَّها متكاملةٌ في نفس الوقت تؤدي واجباتٍ مختلفةٍ لتحقيق هدفٍ واحدٍ ؛ و الفارق أيضاً في مستوى الدخل ، وربما يُغذى هذا الفارق منْ خلال علاقات السيطرة والنفوذ . فالطبقة القيادية هي تلك التي تملك مصادر المال وبعض الفيئات المتنفذة التي تعمل لحساب نفسها متسترين عنِ القانون بطريقةٍ أو بأُخرى ، أمَّا الطبقة الدنيا المقاتلة هي التي تدفع بنفسها كوقودٍ للمعركة لا تمارس أيَّ نوعٍ منَ السلطة ، وما بين الإثنتين هي مواقعٌ طبقيةٌ متناقضةٌ متنفذةٌ قليلةُ العدد لا تكاد تذكر ، ولكنها موجودةٌ على كل حالٍ . إنَّ الفرص المتاحة للعسكريين للإستفادة منْ واجباتهم التي يقومون بها خارج مجتمعهم العسكري صعبة المنال بطبيعة القانون العسكري ، رغم الخبرات والمؤهلات التي تضعهم في مواقعٍ متباينةٍ داخل هذا النسق المعقد ، بمعنىً آخرٍ أنَّه لا يوجد مصطلح الطبقات الإقتصادية في المجتمع العسكري . و تأخذ الطبقات العسكرية أشكالاً تنظيميةً ومقْدرةً على العمل الجماعي العسكري

أكثر منها في الطبقات الإجتماعية خراج المعسكرات ، إذْ يعتمد الوعي العسكري بالمعنى الكلاسيكي على ظروف الحياة العسكرية الخشنة ، وتأثير التقسيم الطبقي في علاقات القوة حاضراً دائماً في الحياة العسكرية حتى خارج المعسكرات وإنْ لم يتشكل الوعي العسكري تماماً ، إنَّ العمل ضمن الصنوف المختلفة أثناء تنفيذ الواجبات والمهام أثناء الأعمال القتالية وعرض الإمكانات في الميدان أكثر حضوراً وملامسةً منه في روتين الأعمال اليومية ضمن الطبقة الإجتماعية العسكرية .

6. إنَّ اختلاط عوامل القوة والفرص المتاحة لتحسين المستوى الطبقي بشكلٍ أكثر ملامسةٍ للتعاملات اليومية في حضور الوعي العسكري المنظم للعلاقة بين الطبقات الاجتماعية الرئيسية .

إنَّ الصنوف المختلفة لا يمكن أنْ تكون كبديلٍ للطبقة العسكرية الأوسع ، رغم ميل العسكريين في كل صنفٍ إلى التحالف المهني إنْ صحّ التعبير لتشابه ظروف عملهم وواجباتهم في السلم والحرب في وعيٍ موّحدٍ وفهمٍ متشابهٍ لموقعهم في الهيكل التنظيمي للجيش ، ويترافق هذا التخصيص حسب التخصص العسكري مع الأخلاقيات العسكرية التي تُعْلي من شأن الحقوق الفردية لكل العسكريين لطمس الفردية التي ربَّما تفرزها بعض التحالفات الوظيفية ، إنَّها مسألةٌ معقدةٌ في الحياة اليومية العسكرية ، وهي مسألةٌ معالجةٌ عُرفياً ضمن التقسيم الطبقي العسكري الواسع ، فتتم الإستعاضة عنْ هذا التحالف بمفهوم شمولية الطبقية العسكرية والتي تفرضها روح الفريق التي لانجدها إلاَّ في المجتمع العسكري ، إنَّ مبدأ الفردية غير موجودٍ في المجتمع العسكري إلاّ أنَّ بعض الشواذ عسكرياً يلجؤن إليه ولكن الإعتقاد السائد داخل هذا المجتمع المعقد هو أحقية أيّ عسكري بفرصةٍ عادلةٍ وبحقوقٍ متساويةٍ . إنَّ المجتمع العسكري غير قائمٍ على الإغتراب والعزلة بين الطبقات العسكرية أوِ استغلال الغير ، بل يركز على تعزيز معرفة العسكرين بمختلف رتبهم بواجباتهم في السلم والحرب منْ أجل تغذية المنظومة العسكرية القائمة وفهمهم أنَّ واجباتهم لها دورٌ وتأثيرٌ على بقية الأسلحة والصنوف ، إنَّ الحياة العسكرية الخشنة القائمة على الفصل الوظيفي التعسفي على رأي ماركس هي التعاضد العضوي والتآلف القائم على التمايزات الطبقية العسكرية والوعي بها وفهم منتسبيها لواجباتهم ومهامهم في السلم والحرب .

إنَّ التركيز على التخصص الوظيفي العسكري يجب أنْ يكون واضحاً منْ خلال شُعب وإدارات التدريب بالأسلحة والصنوف ، ويبرز هنا دور المدارس العسكرية التخصصية ومراكز التدريب المختلفة بما يخلق مجالاً وأُفقاً أوسعاً للواحدات الصغرى ويرسم إطار تطورها ومستقبل منتسيبها ؛ إلاَّ أنَّ أيَّ ضعفٍ في تمايز التخصصات العسكرية وتدني مستوى تدريبها وعدم رسم حدود واجباتها وغيابها لدى الرتب الدنيا يعود لافتقارها لقادةٍ أكفآءٍ لتعبَّر عنها ، وبسبب قلة الإهتمام وقلة موارد التدريب و عدم التنظيم وعدم ثبات خط مستقبلي لهذه التخصصات يمنح عسكريها الفائدة منْ العمل الجماعي بمسماها . إنَّ التقسيم التخصصي شرطاً ضرورياً في المؤسسات العسكرية المتقدمة أو حتى المتخلفة ، منْ خلال ثقافة استدامة التخصص في نفس الصنف والتنقل بين مختلف المناطق العسكرية والوحدات والتشكيلات سوف يخلق رابطاً على مستوى السلاح نفسه وليس على مستوى التخصص أوِ الصنف فقط .

إنَّ التركيب الطبقي العسكري الواسع لا يفتقر إلى مؤسسيةٍ واضحةٍ فيستطيع دارسي علم الاجتماع والتوزيع الطبقي منَ الإستناد عليها في دراساتهم ، ويقدم التقسيم التخصصي عدة محاورٍ لفصل الطبقات العسكرية تتصل مع واقع القوة العسكرية للأمة ، وفكرها الإستراتيجي .

يميل العسكريون بشكلٍ واسعٍ إلى التعريف التخصصي ، ويتشكل وعي هؤلاء العسكريون الثقافي من خلال واجباتهم اليومية المباشرة في السلم والحرب ووفق أماكن معسكراتهم وصنفهم . ذلك لأنّ مكان المعسكر وظروف العمل أصبحت ولا تزال المكان الأول في تشكل الوعي العسكري كما تعطي جوانباً أخرى كالعرق أو القبيلة دورا أولياً في تحديد المكانة الطبقية والوعي العسكري . إنَّ هذه الأهميات التخصصية تلقى صدىً منْ وجهة نظري التي تؤكد على ثبات وخصوصية المجتمع العسكري ، حيث تؤسس تلك التخصصات إلى تسكين العسكريين في فئاتٍ و في طبقاتٍ إجتماعيةٍ واسعةٍ تكون أكثر قدرةٍ وفعاليةٍ على العمل الجماعي . أمّا الفئات المتروكة خارج هذا التقسيم هم الأقل خبرةً ومهارةً وتأهيلاً وإمكانياتٍ ، و أقل مقدرةً على الفهم التفصيلي منْ التحليل الطبقي العسكري الواسع الذي يشمل الجميع ولكن لا يقدم تفاصيل ضروريةً لأنَّه يعتمد على الهيكل التنظيمي للجيش .

إنَّ مبدأ الإستغلال والسيطرة يبقى قائماً هنا في الصورة ، لكن يتم تفصيله على درجة الرتب والمناصب والطبقات العليا فقط عوضاً عنْ حصره في الطبقات الإجتماعية العسكرية الدُنيا . مع ثبات واستقرار المجتمع العسكري حيث يسعى العسكريون بمختلف رتبهم إلى المحافضة على الإطار المجتمعي المنغلق والمعقد والمتناقض لهم ينظم مهنتهم والعمل على تحصيل ميزاتٍ تفضيليةٍ بينهم ، وتستمر فرص الصعود الإجتماعي داخل الطبقة الواحدة بشكلٍ أكبرٍ من الصعود بين الطبقات العسكرية الأخرى ، أمَّا مبدأ التميز التخصصي سيبقى محسوباً على مستوى الفئات الوظيفية بشكلٍ يساعد على الصعود الإجتماعي بنظرةٍ أكثر إيجابيةٍ . وأقصدُ بالتميز التخصصي أنْ يكون العسكري متميزاً جداً في تخصصه فكراً وتطبيقاً .

والنزاعات السياسية لا مكان لها داخل الأسور فهي باتالي لا تؤثر إطلاقاً على الحدود بين الطبقات العسكرية ؛ وبناءً على هذا الخط الفاصل وموقعه ، فلا يمكن دراسة الطبقات الإجتماعية العسكرية أو حصرها في علاقاتٍ سياسيةٍ أوِاقتصاديةٍ ، بل إنَّ هناك اعتباراتٍ رمزيةً للمجتمع العسكري تضيف في البعد التحليلي للطبقات الإجتماعية العسكرية بمعناها الكلاسيكي. يقول الكاتب الجزائري الأستاذ منصف المحواشي : ((إن ّمَا يميز الإنسان ويعطيه خصوصيةً وجوديةً هو القدرة التي يملكها على عقل الأشياء وإنشاء الرموز وشبكة المعاني ، فالعيش بالرموز وتوظيفها فعاليةً إنسانيةً بكلّ امتيازٍ ، بها يعيش الإنسان ويؤثث وجوده ويبني عالمه المادي والمعنوي ويرسي نظام الأشياء والعلاقات بينه وبين الآخرين منَ الناس. ودلالة الأشياء والعلاقات لا تدرك إلاَّ من ْخلال استعمالاتها وممَّا تتضمّنه منْ معنىً في حياتهم وممَّا تتخذه منْ دلالةٍ في متخيّلهم الجمعي . وكما قال "بيار أنصار" : فإنَّ المجتمعات سواء الحديثة منها أو التقليدية أو تلك المسمّاة بلا كتابةٍ ، تنتج دوماً متخيلاتٍ "des imaginaires" لتعيش بها وتبني منْ خلالها رموزها وصورها عنْ نفسها وعن ِالأشياء والعالم ، وبواسطتها تحدد أنظمة عيشها الجماعي ومعاييرها الخاصّة" أ . هـ .

إنَّ الرمزية العسكرية التي ينخرط فيها كل العسكريين وبمختلف رتبهم وطبقاتهم ، وتكاد لا تخلو منها أفعالهم الجماعية أوِ الفردية ، هذه الأفعال مثل الطقوس أو الممارسات الشعائرية التي يقوم بها الناس بمختلف أديانهم ، فالإنسان منْ زاوية نظر أنثربولوجية كائنٌ طقوسيٌّ بامتيازٍ . لا أدري هل يجوز لي تسمية هذه الأفعال بالطقوس العسكرية أم هي أنشطةٌ ؟ إنَّ تجمع العسكريين في الساحات في مناسباتٍ مختلفةٍ للقيام بأفعالٍ وحركاتٍ تعلموها في الكليات والمدارس العسكرية تختلف عنْ كونها أنشطةٌ . فمعنى كلمة الطَّقْس في المعجم الوسيط النظام والترتيب و(عند النصارى) : نظام الخدمة الدينية أو شعائرها واحتفالاتها ؛ وحالة الجو أو المُناخ فهي (محدثةٌ) . (ج) طقوس ؛ أعتقدُ أنَّ تلك الأفعال العسكرية كالجمع الصباحي أو طوابير الشرف أو الإستعراضات العسكرية (بريةٌ ، بحريةٌ ، جويةٌ ، أو مشتركةٌ) وغيرها كالتحية العسكرية أو رفع وتنزيل العلم ، كل هذه الأفعال نستطيع أنْ نُسميها طقوسٌ عسكريةٌ بناءً على تعريف المعجم الوسيط .

إنَّ هذه الأنشطة الطقوسية في مجتمعنا العسكري الذي طغت عليه العقلانية وسيطرت عليها لروح العسكرية تعتبر نوعاً منَ الرمزية العسكرية التي يتميز بها التنظيم العسكري ولا تجدها مطلقاً خارجه وهي تلك المجالات الواسعة التي تعطينا لمساتٍ ذات شحناتٍ سحريةٍ لها معنىً .

إنَّ الطقوس العسكرية لصيقةٌ بكل الأفعال الإجتماعية العسكرية وهي مناسباتٌ للتعبئة وتجييش الوعي العسكري بطاقاتٍ معنويةٍ تنتشر بسرعةٍ وتعيش الكينونة العسكرية . وتنهض بوظائف المجتمع العسكري وتشبع حاجاتً كامنةً في الحياة اليومية داخل المعسكرات ، والأهم منْ ذلك كله أنَّها تُوظَّف باعتبارها وسائلٌ رمزيّةٌ لتأسيس السلطات العسكرية وإضفاء الشرعية على القادة والظباط الأقدم ، وأشكال التمايز القائمة بين العسكريين أو بين الطبقات العسكرية .

ورغم كثرة الطقوس العسكرية فبعضها معقدٌ جداً كالطقوس الجنائزية مثلاً ورغم تكرارها كالجمع الصباحي اليومي أو تنزيل العلم مساءً فهي لا تخلو من الشحنات الرمزية المعنوية و اللمسات السحرية كالإستعراضات العسكرية ، ممّا يعطي الممارسات دفقها وفعاليتها الرمزيّة العسكرية الخاصّة . وتعتبر الطقوس العسكرية وظائفٌ ظاهرةٌ وليست كامنةٌ لأنَّها ترتبط بالغاية المستهدفة والماثلة في وعي العسكريين الذين يدركونها عندما ينخرطون فيها ، ويسعون إلى تحقيقها على أحسن وجهٍ لإرضاء غرورهمُ العسكري وإرضاء القادة والآميرين ، والمشاهدين إنْ وجدوا . وهي ليست مقدسةٌ البتة فلا تنهض الحياة الروحية والدينية للعسكريين بها لأنَّها ليست متصلةٌ بأشياءٍ مقدّسةٍ . إنَّ هذه الطقوس تُحفِّز الذهن الجماعي العسكري وتعبئته خلال تلك المناسبات . فتُقوّي بالطقوس التي تصاحبها المشاعر الجماعية وتتعهّد الوعي الجماعي بالتقوية ،كما تدعم إنتماء العسكريين إلى المجتمع العسكري والولاء له . وتولّد الشعور بالحماسة والغليان .

ولكن ما مدى العلاقة بين الرمزية العسكرية والرتبة في تشكيل الطبقات الإجتماعية العسكرية ، إنَّ اختلاف الرمزية يظهر واضحاً أثناء تأدية الطقوس وفي بعضها تجدها تختلف بين الرتب فمثلاً الجنود لا

يؤدون التحية للعلم أو أثناء عزف النشيد الوطني ، وهناك بعض الطقوس تختص بها بعض الأسلحة أوِ الصنوف كالطقوس الخاصة بالقوات البحرية ؛ إذن الرمزية تُعطينا ثلاثة مبادئ لدراسة التكوين الطبقي العسكري :

1- الموقع الطبقي للعسكري الذي تختلف واجباته حسب المواقف في السلم والحرب ، إلا أنه يتشكل عبر الوقت والخبرة .

2- تعبير العسكري عن نفسه واعتباراته الرمزية بأسلوب سلاحه أو صنفه .

3- تحديد مجموعاتٍ عسكريةً متجانسةً عبر الطبقات العسكرية المختلفة .

ولا يتم هذا إلاَّ بوجود ثقافةٍ عسكريةٍ رفيعةٍ تعتبر مصدر شرعية أفكار وأفعال هؤلاءالعسكريين ، حُددتْ قيمها مسبقاً تشكل نمطاً يومياً وشائعاً ، يميّز العسكريين في طبقاتهم المختلفة دون غيرهم . في هذا المجال العسكري الواسع بخطوطه الحمراء الكثيرة وهيكليته الإقصائية ، برغم ذلك كله فإنَّنا لا نرى أيّ صراعات أو نزاعات تمكننا من فهم الطبقات العسكرية بناءً عليها ، فمدى الإنتماء إلى الثقافة العسكرية يوضح الطبقات العسكرية المختلفة وتخلق بدورها قناةً أُخرى بالإضافة إلى الرتبة والمنصب لتعزيز سلطة الطبقات العُليا المسيطرة على المجتمع العسكري ، إنَّ للثقافة العسكرية دورٌ قياديٌّ لتلعبه بالإضافة إلى كونها تعبير عنْ الذات العسكرية ، إنَّ القوانين العسكرية جعلتْ منْ هذه الرمزية أكثر وضوحاً بين الطبقات العسكرية ، فالرمزية العسكرية منْ خلال أنماط سلوكها وثقافتها أقوى منْ تلك الرمزيات خلف الأسوار لأنهَّا تعبر عنْ نفسها وتُلفت النظر إلى قوتها وتطلعاتها .

إنَّ الظروف المعيشية وتحديداً الدين والعرق سوف يشكلان مجموعاتٍ صغيرةٍ داخل الطبقات العسكرية الأمر الذي سيؤدي إلى نوعٍ منَ الوصولية لبعض العسكريين فلذلك لا نستطيع إهمالهما ولا يضمر أثرهما عند الصعود على أي من المحاور .

وهناك عواملٌ مشتركةٌ بين (النساء ضباطاً أو جنوداً) حتى باختلاف مواقعهن الطبقية أو رتبهنَّ ، وهو ما يفسر في بعض الجيوش تجدهنَّ كشكلٍ تعبيريٍّ في المؤسسة العسكرية ، أمَّا أغلبية الجيوش فإنَّ وجودهنَّ متساوٍ مع الرجال في كل شيءٍ . ولكن افتقارهنَّ إلى التنظيم البنيوي الذي لا تسمح به القوانين العسكرية يفسر غياب الوعي المشترك لديهنَّ وتقييمهنَّ المشترك لعلاقاتهنَّ بالطبقات الأخرى ويجعلهنَّ يذبنَ داخل جسم الجيش .

لا تنطوي صراعات الطبقات العسكرية العليا على اعتباراتٍ منَ المصالح الفردية أوِ الجماعية ، فلا تشتد فيها العداوات و لا تسفك في سبيلها الدماء ولا يخرّب العمران ، و مصدر هذه المفارقة هو كون الصراعات المذكورة تتمحور غالباً على وجهة نظرٍ عسكريةٍ أستراتيجيةٍ ، وليس على ما هو مكتسب ، باعتبارها تدور حول خلافاتٍ سياسيةٍ / إستراتيجيةٍ ؛ بيد أنَّ الأمر في الجيش لم يختلفْ كثيراً ، إذْ نشأت فيه أيضاً صراعاتٍ فكريةٍ ، اتخذتْ شكل الصراعات غريبة الهوية ، وإنْ اكتستْ بصبغةٍ عقلانيةٍ ، واتسمتْ

بنزعة الاختيار. هكذا نشأتْ العصبيات حول الأيديولوجيات والأفكار الكبرى ، كالعلمانية والليبرالية والقومية والفاشية والشيوعية ، بكل تنويعاتها .

السُلطة والسيطرة وتأثيرها على الطبقات العسكرية

السُّلْطةُ : في الجيش هي قدرة القائد على فرض أنماطٍ سلوكيةٍ عسكريةٍ لدى أفراد وحدته بمختلف رتبهم . و سلطة القائد أساس المجتمع العسكري والقيام بأعمالٍ عسكريةٍ نتيجة فرض السلطة يُسمى طاعة الأوامر العسكرية ، وهي بصيغةٍ أُخرى : عنفٌ لفظيٌ ومعنويٌ وجسديٌ نصل به أعلى درجات الضبط والربط العسكري ، وتُطبق السلطة العسكرية استناداً إلى قوة القوانين العسكرية من خلال الإستخدام المحتمل للعقوبة بغية ضمان وجود ضبطٍ وربطٍ عالٍ داخل الجيش . وتنبع السلطة العسكرية منْ شرعية المنصب والرتبة الأقدم . وهكذا تكون قدرة تطبيق السلطة العسكرية مرتبطةبكونها موجودةٌ أصلاً.

وأمَّا علاقة السلطة بالسيطرة فهي منَ الطبيعة العسكرية ؛ فالسلطة العسكرية في جوهرها حقُّ للرتبة الأقدم وواجبُ الطاعة والإنصياع منَ الرتب الأحدث ، فالمؤسسة العسكرية لا تقوم ما لم توجد بها سلطةٌ قويةٌ تضبط الأمور في السلم وتقود المعركة في الحرب ، وتقوّم الضبط والربط العسكري ؛ ولهذا فإنَّ وجود السلطة في المجتمع العسكري ضرورةٌ لا غنىً عنها ، وهي سلطةٌ شرعيةٌ تستند إلى القوانين العسكرية الصارمة أولاً ، والقِدَم ثانياً ، فهي لا تفقد مشروعيتها أبداً ، أيْ أنَّ القائد أوِ الآمر هو حاكمٌ في وحدته فله صلاحياتٌ كثيرةٌ تصل إلى ترقية الجنود وسنُّ بعض القواعد والسياسات ، فالسلطة العسكرية هي أمرٌ وانصياعٌ ، و الخضوع لها لا يمثل عدوانًا على الحقوق أوِ الحريات . ولكن كان مجال القيادة هو السلطة العسكرية وممارستها ، وممارسة السلطة العسكرية هو ما نسميه بالسيطرة ، فالقائد الضعيف هو الذي لا يمارس السلطة أي أنه لا يسيطر على وحدته ؛ والقيادة في وقت السلم هي العمل منْ أجل الإعداد للمعركة . والقيادة هي فنُّ السلطة التي تفرض بالضرورة على العسكريين ؛ أيْ أنَّ هذه السلطة ليستْ مزايا للقادة والآميرين بقدر ما هي أسلوب عمل العسكريين ؛ ولذلك فإنّ َالقائد الناجح هو المجبول على خدمة وحدته وتجهيزها للمعركة ، فالقائد شخصٌ وهب نفسه لخدمة وطنه ، بحيث لا تكون لديه فكرة المصلحة الخاصة . ففي المجتمع العسكري ما يحكم الأخلاق الفردية للقادة أولاً والقوانين العسكرية ثانياً .

والسلطة العسكرية ليست كالسلطة السياسية لأنَّ العسكريين لم يختارو قادتهم ، ولهذا فإنَّ السلطة العسكرية هي أقرب لأنْ تكونَ (سيطرةٌ عسكريةٌ) باعتبارها نظامٌ غير ديمقراطيٌ ، ولكي تكون سيطرةٌ عسكريةٌ فيجب على كل العسكريين النظر إليها بقناعةٍ وأنّها نابعةٌ منَ العسكريين أنفسهم ولا يستطيعون تغييرها وإنْ أصبحتْ كاريثيَّةٌ . وانتقال السلطة العسكرية ناتج ٌعنْ إرادة القيادة العامة للقوات المسلحة أو القائد الأعلى بالنسبة للقيادات الإستراتيجية ، وكل ما لا علاقة له بالسلطة العسكرية ليس عسكرياً ، بل هو مدنيٌ .

الفصل الثالث

الأعمال الإجتماعية العسكرية

المجتمع العسكري كأيَّ مجتمعٍ إنسانيّ آخرٍ ، تنشأ بين العسكريين ووحداته وهيئاته وإداراته علاقاتٌ إجتماعية،معقدةٌ ذات أشكالٍ مختلفةٍ ، وهي متشابكةٌ دائماً تعتبر منْ ضروريات الحياة داخل المعسكرات . وتُعرّف بأنَّها التفاعل الإجتماعي المتبادل بين العسكريين في السلم والحرب منْ خلال عملية التواصل . والأعمال الإجتماعية العسكرية نوعان : الأول الأعمال الإجتماعية العسكرية اليومية ، وهي تلك الحياة العسكرية اليومية وقت السلم والتي يجب أنْ تهدف فقط إلى رفع الكفاءة القتالية للوحدات والأفراد وجاهزيتهم للمعركة ؛ غير ذلك فهو إهدارٌ للمال العام ومضيعةٌ للوقت . والنوع الثاني الأعمال القتالية ، هي تلك الأعمال التي تقوم بها القوات المسلحة أو جزءٌ منها استعداداً للمعركة أو جزءً منَ المعركة .

إنَّ الأعمال الإجتماعية العسكرية بين الوحدات والهيئات والإدارات ذات أمدٍ طويل تدوم بدوام الجيش . أمّا بين العسكريين أو بين العسكريين والهيئات والإدارات والوحدات فهي غالباً ذات أمدٍ قصيرٍ ، وفي كل تلك الأحوال فإنَّ الأعمال الإجتماعية العسكرية دائماً بنآءةٌ وإيجابيةٌ ، وتهدف إلى تماسك الجيش وهيكله التنظيمي . هذه الإيجابية العسكرية نجدها مغروسةٌ في أنفس العسكريين كأيديولوجيا غريزيةٍ يؤمنون بها منْ أجل البقاء والتطور ، منْ ذلك روح الفريق التي يتميز بها العسكريين عنْ غيرهم وذلك قد يدلنا على أنَّ حرص العسكري على تحقيق مصلحة الجماعة يزيدُ كثيراً عن حرصه على مصلحته الشخصية ، إلاّ أنَّ النظام العسكري فرض عليه تحقيق مصلحة الجماعة قبل تحقيق مصلحته . وتعاون العسكريين أثناء تأدية واجباتهم في السلم كما في الحرب وتُفرد بنوداً خاصة بالتعاون في كل الخطط العسكرية ، ويكون تلقائياً في أوقات السلم أمّا أثناء الأعمال القتالية فهو متبادل بين الوحدات والتشكيلات من أجل تطوير المعركة فيندفع العسكريون إلى التعاون بدافع روح الفريق التي تجمعهم وتمثل لهم قيماً ومُثلاً عُليا كالدفاع عنِ الوطن ، أو إجبارياً بحكم تنظيم المعركة بدافع توافق الهدف مع الوحدات الأُخرى ، ولهذا فهو قويٌ لأنَّه يمثل مصلحة مشتركة يشعر أيّ عسكريٍّ أنَّ نجاحه لا يكفي وحده ، بل لابد منْ نجاح الوحدة كَكُلٍ لأنَّ النصر هدفٌ مشتركٌ وعام لا يمكن تجزئته ، فهو إحساسٌ ينبع من داخل وجدان العسكري بقيمة كينونته العسكرية ومُثلها العليا وتماسكها .

التنشئة الإجتماعية العسكرية

وهي أحد أهم عمليات التفاعل الإجتماعي العسكري حيث يتم أثنآءها تعليم العسكري معايير وقيم وثقافة الجيش بالإضافة إلى العلوم العسكرية والطبيعية الأُخرى ، ليصبح هذا العسكري فرداً مُتكيفاً مع بيئته الإجتماعية الجديدة . وأساس هذه العملية هو نقل التراث الثقافي العسكري منْ جيلٍ إلى آخرٍ حتى تتكامل شخصيته العسكرية مع بيئته الإجتماعية العسكرية .

إنَّ الكليات والمدارس العسكرية هي الوسيط الأول بين العسكري والمجتمع الجديد الذي سيعيش فيه بحيث تكسبه اجتماعيته ، وتخلصه من العدات والقيم والأفكار والأنانية المدنية القبيحة التي جاء بها منْ خارج الأسوار ، وتشرف على سلوكه العسكري وتوجهه وتلقنه ما يفيده داخل الأسوار وخارجها في السلم والحرب وتقوده على الأخذ بما تقضي به عاداتها و تقاليدها العسكرية العتيدة ، وبذلك فإنَّ هذا العسكري سوف يستجيب عاجلاً لمؤثرات البيئة العسكرية ويخضع لأحكامها وقوانينها ونظامها ومعاييرها ؛ ثم تُكمل الوحدات المختلفة التي يُعين فيها العسكري وظيفة الكليات والمدارس العسكرية في عملية التنشئة الإجتماعية العسكرية بما يحقق فلسفة الجيش وأهدافه . إنَّ روح الجندية لدى أيِّ عسكري وحبه للوطن ، والمباديء العسكرية البنآءة ترجع جميعها إلى التنشئة العسكرية السليمة . فهي تزيد منْ تماسك المجتمع العسكري وكيانه الكبير الجيش وطريق إندماج الأفراد في الحياة العسكرية داخل الأسوار وتسهيل تكيفه مع واقعه الجديد وتصقل ضبطه وربطه العسكري وتغرس في نفسه القيم العسكرية وتشجعه على تقديسها فتكون جميع واجباته ومهامه موفقةٌ لها بدون الشعور بثقلها أو الشعور بالعبودية لها ، وهكذا يستطيع العسكري أنْ يتفق ويتلاءم مع ما يفرضه المجتمع العسكري .

كيف يتكيف العسكريون مع الحياة العسكرية

إنَّها عملية تضحيةٍ من جانب العسكريين على قبول النظام العسكري وأوضاعه الإجتماعية ، ويتم ذلك بتنازلهم عنْ مصالحهم الخاصة حتي يحدث الإنسجام بينهم وبين البيئة الجديدة والتقاليد المستحدثة ؛ إنَّ عملية التكيف هذه تسهل قبول العسكريون للمجتمع العسكري فيصبح جزءً منه فلا يشعر بقسوته ؛ حيث تفرض هذه البيئة الحد الأدنى منْ الظروف الإجتماعية المتشابهة لكل العسكريين حتى يقومون بكل تفاعلاتهم الإجتماعية بدون تصادمٍ أو تنافرٍ ، وتلائم بمرور الزمن بين أمزجة العسكريين وأخلاقهم ، وأهم هذه الظروف الجديدة العادات والتقاليد العسكرية والثقافات المتصلة بها ، وتختلف عملية التكيف منْ طبقةٍ عسكريةٍ إلى أُخرى باختلاف المستويات التعليمية والثقافية . وبذلك ينصهر العسكريون المستجدون في النظام الإجتماعي الجديد ويمتزجزن تدريجياً بالعناصر الثقافية الأصيلة للقوات المسلحة ويتقبلونها من الجيل القديم نتيجة الإحتكاك والإتصال الإجتماعي . ونتيجة هذا التكيف تتوحد مواقف العسكريين وتحقق إنتمائهم للجيش حتى تصبح الأهداف الذاتية واحدةٌ بالنسبة لجميع العسكريين فيشتركون في مشاعرٍ واحدةٍ ويتجسدون في ثقافةٍ واحدةٍ .

إنَّ التكيف كعمليةٍ إجتماعيةٍ عسكريةٍ نراها في مختلف مظاهر الحياة العسكرية وليست مقتصرةٌ على الثقافة العسكرية فقط ، ويحاول العسكريون الناضجون باندماجهم في المجتمع العسكري أنْ يضيفوا شيئاً جديداً إلى هذه المجتمع المعقد .

التنافس

إنَّ التنافس بين العسكريين هو سباقٌ للحصول على إستحقاق التميز على الأقران ، ويتوج هذا التميز على الأقران بالحصول على الأوسمة والأنواط والنياشين التي تزين صدور العسكريين ، وهي مصدر

فخر لكل عسكريٍّ وتجدها مكتوبةً في كل سيرةٍ ذاتيةٍ ، وتبرز المنافسة في المجتمع العسكري باعتباره مجتمعٌ يتميز بوفرة الأفراد الذين هم في مجموعهم قادرين على العمل وأدآء الواجبات المختلفة في السلم والحرب كذلك يتميز المجتمع العسكري بأنَّ فرص العمل مُتاحةٌ للجميع باختلاف رتبهم ومناصبهم وتخصصاتهم ؛ والمنافسة موجودةٌ في كل مجالات الحياة العسكرية فنجدها بين الطلبة في الكليات والمدارس العسكرية فالتنشئة العسكرية مسؤلةٌ عن حثِّ العسكريين للتنافس وذلك وفقاً للعدات والقيم الإجتماعية العسكرية التي تكسبها لهم ، أو في المعسكرات بين أفراد التخصص الواحد أو بين الأسلحة المختلفة أثناء المناورات أو في الألعاب والنشطات العسكرية بين الوحدات أو المناطق الجغرافية العسكرية .

والتنافس شيءٌ محببٌ إلى النفس وخاصةً أولائك الأفراد الذين يشعرون بقدرتهم على التنافس والتميز في مجالاتٍ يعرفونها ويتقنونها ، فهي تطلق القوى الكامنة في الأفراد واستغلالها في أكمل صورةٍ ، ويعتبر التنافس منشطاً للحياة العسكرية ومجدداً لحالة رتابة العمل اليومي في المعسكرات ويدفع بالوحدات إلى الرقي ومنشطٌ للروح المعنوية ويرفع الكفاءة القتالية للأفراد ، ويظل التنافس منَ الأعمال الإجتماعية العسكرية الإيجابية مالم يخرج عنْ حدوده وأهدافه في خدمة الوحدة فهو ينبع دائماً منْ تطلع منتسبي الوحدة إلى الرفع منْ مستوى وحدتهم في محيطهم العسكري ، سواءً أكان السلاح أوِ المنطقة الجغرافية . بذلك لا ينقلب التنافس منْ أجل تحقيق أهدافٍ فرديةٍ دون الإلتزام بالقيم الإجتماعية العسكرية فينقلب إلى عمليةٍ سلبيةٍ تُحْضِرها الحياة العسكرية .

إنَّ التنشئة العسكرية الجيدة في الكليات والمدارس العسكرية هي التي تخلق أفراداً قادرين ومؤهلين على التنافس البنَّاء الذي يعود على المجتمع العسكري بالصالح العام بحيث لا يكون التنافس بناءً إلاَّ أنْ يمُرَ عبر التعاون بين الأفراد والوحدات وتنسيق الجهود والتضامن بين العسكريين المشتركين في أيِّ تنافسٍ فلا تحدث الأضرار البالغة ويكون الفوز نسبيً دائماً وليس استعلاءً على الأخرين أوِ استئثاراً بالمراكز الأولى دون الزملاء ورفاق السلاح . وتحثُّ أخلاقنا العسكرية على أنْ لا يكون التنافس باستخدام الألاعيب الخبيثة والحيل الماكرة والغش أوِ الخداع للتخلص أو أبعاد الخصم عسكرياً كان أو غير عسكري .

إنَّ العسكريين بشرٌ بطبيعتهم ولذلك فهم يحملون ما تحمله أيِّ نفسٍ بشرية مهما حاولت منظومة الأخلاق العسكرية منْ تشذيب وتهذيب هذه النفس بالقوة ، ولذلك ربما يترك التنافس بعض العدوات بين الأفراد ، وأقصدُ من ذلك أنَّ التنافس ربمَّا يزرع بذور الإنحراف عنْ الصورة الكاملة المرسومة للعلاقات الإجتماعية العسكرية .

الصراع

إنَّ الصراع عادةً يكون بين قوىً إجتماعيةٍ مختلفةٍ تربطها وثائقٌ متعددةٌ تسعى لتحقيق هدفٍ واحدٍ فتعتبر هذا الصراع نضالاً . وهو نتيجة منافساتٍ على مصالحٍ متضاربةٍ ، منْ وجهة نظري فإنَّ المجتمع العسكري بعيدٌ جداً عنْ هذا المفهوم . فلا نرى طبقةً عسكريةً تسعى للقضاء على غيرها منَ الطبقات ، إلاَّ أنَّه منْ مضاهر الصراع أنْ يكون بين الأفراد أيضاً مباشراً أو في الخفاء وهذا لا نستبعدهُ في الحياة العسكرية

مثلما يوجد الصراع في مختلف شئون الحياة الإجتماعية كالإقتصاد والسياسة والدين والمعايير الأخلاقية والطبقات الإجتماعية والمهنية . فربمَّا تتعارض بعض مصالح العسكريين فتتغلب على روح الفريق وذلك بسبب الأنانية المفرطة وحبّ الذات ، وعادةً ما يكون مثل هذا الصراع في الخفاء فيسعى العسكري إلى إعاقة زميله ومنعه من الوصول إلى نفس الهدف الذي يسعى له هو شخصياً ، ولا يكون الصراع بين العسكريين باستخدام القوة أوِ العنف كالقتل أوِ الإغتيال مثلاً .

الفساد

الواقع يقرَّ بأنَّ أيّ مؤسسةٍ عسكريةٍ في حاجةٍ دائمةٍ وماسةٍ للتغيير والإصلاح بحثاً عنْ آلية تسييرٍ وتدبيرٍ جادةٍ ونزيهةٍ كفيلةٍ بإعادة ترميم ما إنكسر منْ خلال تفعيل الدور ملموس لهذه المؤسسة الحساسة داخل المجتمع ويجب المطالبة بالتغيير و إعادة النظر في التسيير والتدبير لهذه المؤسسة وما لها من دورٍ حساسٍ داخل المجتمع .

ولأنَّ العسكر سلطاتٌ حقيقيةٌ تحت إمرتها ، قوة المال والسلاح والنفوذ ، والسلطة وقوة توفر المعلومات ، وحصانة كوادرها العسكرية التي تجعلهم فوق كل مساءلةٍ مما يسهل اختراق الفساد بألوانه حصنها العتيد ويجعلها تتصدر عناوين الصحف دائماً ؛ وإنَّ تلك الثروات التي يتصرفون فيها بكامل الحرية سيقوم بعض ضعاف النفوس بنهبها وبعثرتها وتهريبها إلى الخارج ، وبينما تتضاعف وتتكاثر ثرواتهم تزداد وتتسع رقعة الفقر بين صغار الضباط والجنود لهذا ترى الرأي العام ينتظر بشغفٍ كبيرٍ عملية أيَّ تطهيرٍ وإصلاحٍ في صفوف المؤسسة العسكرية إذا فاحتْ روائح فسادها ولا سيما إذا كانت الفرصة سانحةٌ لو شارف العمل على الإنتهاء منَ الأولويات التي كانت قائمة وأكثر إلحاحاً .

الأمر الذي يدفع بالرأي العام الشعبي إلى طرح عدة تساؤلاتٍ ومتابعة أطوار هذه الفضائح التي لم يتعود عليها إذا تغلبتْ وتحررتْ ضمائر بعض الوطنيين منَ الرعب والخوف السائد في العلاقة القائمة بين الشعب ومؤسسة الجيش إذْ لا تجرؤ أيّ جهةٍ منَ الإقتراب منْ مثل هذه الملفات الساخنة التي تُحدث استرخاءً عسكريًّ في أيّ أمةٍ . وتتعدد أوجه الفساد داخل المجتمع العسكري مهما حاول أنْ يحافظ على نقاوته ، إنَّ تخريب الأمة يبدأ بضرب المؤسسة العسكرية المعروفة بدقة عملها ، ثم تبدأ مسيرة الإنهيار والتداعي لباقي المؤسسات كقطع الدومينو . إنَّ الفساد في المؤسسة العسكرية سيصبح فساداً مركباً في نطاق خطةٍ ترمي إلى تخريب هذه المؤسسة أخلاقياً كي تفقد ضَبطها الذي يمثل مصدر قوتها . وينقسم هذا الفساد منْ وجهة نظري إلى :

1- فسادٌ إداريٌّ في طريقة اتخاذ قرارات التعيينات والترقيات وإصدار الأوامر .
2- فسادٌ في عقود التسليح : ملف الفساد في عقود تسليح الجيش أكبر الثقوب التي تسنزف ميزانيات أيّ جيشٍ تسبب بإهدار الثروات وإضعاف الجيش وإنهاك اقتصاد الأمة ، نتيجة غياب الرقابة الإدارية الصارمة الأمر الذي يؤدي إلى تراكم الفساد ، وزيادة انتشاره في كل إدارات الدولةو المؤسسة العسكرية منْ ضمنها .

3- ملاك الوحدات الوهمي : وهو وجود ملاكاً من ضباطٍ و جنودٍ وضباط صفٍ ومعداتٍ وآلياتٍ وخِلافه يتقاضون رواتباً وميزانيات إدامةٍ وصيانةٍ ولا وجود حقيقياً لهم في الواقع .
4- فسادٌ ناجمٌ عن سلطة الإعتقال الممنوحة للوحدات العسكرية (في ظروف معينة ومؤقتة) ، مما يعطي هذه الوحدات منْ أصغر فرد فيها إلى آمريها ، لابتزاز ذوي المعتقلين .
5- فضائح الجيش والإختلال الحاصل الذي يشوب مؤسسته في الترقيات والمرتبات وكيفية تحول بعض الجنود إلى عبيد بسبب عملهم لدى كبار القيادات بدل القيام بمهامهم في وحدات الجيش ، أو ترقية جنودٍ إلى ضباطٍ ذوي رتبةٍ كبيرةٍ كعقيدٍ مباشرةٍ ، وتعيين فيئةٌ منْ ضباط الشرف كقادةٍ وآمرين في الصنوف المختلفة .
6- وجود شركاتٌ كبرى تُدارُ لصالح بعض كبار القادة النافذين ، علما بأنَّ القوانين العسكرية تمنع منعاً باتاً وكلياً علي الجيش التعاطي بالتجارة والأعمال الإقتصادية .
7- إختفاء الأسلحة منَ المعسكرا ت والثكنات وبيعها وتهريبها .
8- الرشوة والإنتهاكات ونهب الثروات .
9- سرقة المؤن المخصصة للوحدات والتشكيلات حيث يقوم قائد اللواء أو بعض معوانيه بأخذ جميع اعتمادات المعسكر منْ مأكلٍ ومشربٍ وملبسٍ ووقودٍ وغيرها ، والتصرف فيها ببيعها أو توزيعها على الأصدقاء والأقارب .

إذنْ تعتبر ظاهرة الفساد العسكري بصورةٍ خاصةٍ ظاهرةٌ عالميةٌ منتشرةٌ في كثيرٍ من جيوش العالم ذات جذورٍ عميقةٍ خاصةً بين كبار القادة وهيئات الركن ضعفاء النفوس وتأخذ أبعاداً واسعةً تتداخل فيها عواملٌ مختلفةٌ يصعب التمييز بينها ، وتختلف درجة شموليتها من مجتمعٍ عسكريّ إلى آخرٍ . ولم تحضَ ظاهرة الفساد العسكري بأيّ اهتمام منَ الباحثين العسكريين أوِ المدنيين و لم يتمْ تعريفها ودراستها بدقةٍو هي ظاهرةٌ لا يكاد يخلو مجتمعٌ عسكريٌ منها . وسأتكلم ببساطةٍ وأطرح وجهة نظري حول مفهوم الفساد العسكري ، مظاهره ، وأسبابه والآثار والإنعكاسات المؤثرة ، ثم نأتي إلى طرح بعض الحلول والمعالجات للحد منْ تأثير هذه الظاهرة على المجتمعات العسكرية .

أولاً : تحديد مفهوم الفساد.

يجب أنْ نتفق على تحديد معنى مصطلح الفساد العسكري ومضمونه حتى ينحصر الجدل في إطاره الموضوعي ، واستناداً إلى ذلك ، فإنَّه يمكننا تعريف الفساد العسكري لغةً واصطلاحاً.

ا.الفساد العسكري لغةً : الفساد في معاجم اللغة هو في (فسد) ضد صَلُحَ (والفساد) لغةً البطلان ، فيقال فسد الشيء أيْ بطُلَ واضمحل ، و هو (الجدب أو القحط) كما في قوله تعالى " ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ " (سورة الروم الآية 40) أو (الطغيان والتجبر) كما في قوله تعالى " تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَايُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًاوَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ " (سورة القصص الآية83) أو (عصيانٌ لطاعة الله) كما في قوله تعالى " إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِين َيُحَارِبُونَ

اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" (سورة المائدة الآية35) ونرى في الآية الكريمة السابقة تشديد القرآن الكريم على تحريم الفساد على نحوٍ كليّ ، وإنَّ لمرتكبيه الخزي في الحياة الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة .

ب.الفساد العسكري اصطلاحاً : لم أعثر على تعريفٍ محددٍ للفساد العسكري بالمعنى الذي نستخدم فيه هذا المصطلح داخل المؤسسة العسكرية وخارجها ، ولكن يمكنني تعريف الفساد العسكري بأنَّه إساءة استعمال السلطة العسكرية أوِ المنصب لغرض مصلحةٍ ومكاسبٍ شخصيةٍ أيًّ كان نوعها . ويحدث الفساد العسكري عادةً عندما يقوم ضابطٌ بقبول أو طلب رشوةٍ لتسهيل عقدٍ أو إجراء طرحٍ لمناقصةٍ . أو يمكن أنْ يحدث الفساد باستغلال المنصب العسكري من دون اللجوء إلى الرشوة وذلك بتعيين الأقارب في مناصبٍ حساسةٍ داخل المؤسسة العسكري منْ منطق (المحسوبية) أو سرقة أموال الجيش مباشرةً.

إنَّ ظاهرة الفساد العسكري ظاهرةٌ تحدث في كل المجتمعات العسكرية حيث تختلف درجات هذا الفساد باختلاف تطور المجتمع العسكري ؛ ففي بلدان العالم الثالث فإنَّ لفسادِ مؤسسات الدولة وبما فيها المؤسسة العسكرية وتدني مستويات الرفاه الإجتماعي تصل إلى أقصى مدياتها ، بسبب التخلف وازدياد معدلات البطالة . فالفساد قد ينتشر في البُنى التحتية في الدولة ككلّ والمجتمع العسكري بالضرورة ، وفي هذه الحالة سوف يتسع وينتشر في المجتمع العسكري كغيره منْ مجتمعات الأمة ويؤثر في نمط العلاقات المجتمعية العسكرية فيبطيء من حركة تطور المجتمع العسكري ويقيد حوافز التقدم الفكري الإستراتيجي ويحبط الروح المعنوية ويقلل من الكفاءة القتالية للوحدات والأفراد ويسقط من الحسبان كل شيءٍ عنْ روح الفريق التي يتميز بها المجتمع العسكري دون سواه منَ المجتمعات .

إنَّ الآثار المدمرة والنتائج السلبية لتفشي هذه الظاهرة المقيتة تطال كل مقومات الحياة العسكرية ، فتهدر الأموال المخصصة للتسليح والتدريب أو إدامة وصيانة الأسلحة والمعدات والمعسكرات ويضيع الوقت وتبطل الطاقات وتعرقل أداء التشكيلات الكبرى وإنجاز المهام والواجبات ، وبالتالي تشكل منظومة تخريبٍ وإفسادٍ تسبب مزيداً من التأخير في عملية بناء الجيش وتطور المجتمع العسكري والتقدم الوطني ليس على المستوى العسكري فقط ، بل ستمس عاجلاً أو آجِلاً الحقل السياسي ، ناهيك عنْ مؤسسات ودوائر الخدمات العامة ذات العلاقة المباشرة مع القوات المسلحة .

إنَّ الفساد العسكري له آلياته وآثاره ومضاعفاته التي تؤثر في نسيج المجتمعات العسكرية وسلوكيات الأفراد ، ومستوى ضبط وربط العسكري ، وطريقة أداء القوات وتعيد صياغة (نظام القيم العسكرية) وهناك آليتين رئيسيتين منْ آليات الفساد العسكري :

1. دفع وقبول (الرشوة) و(العمولة) (المباشرة) لتسهيل عقد الصفقات العسكرية المختلفة وتسهيل الأمور لرجال الأعمال والشركات الأجنبية .

2. وضع اليد على (الأموال المخصصة للجيش) والحصول على مواقع متقدمة للأبناء والأصهار والأقارب في المناصب العسكرية الحسَّاسة فتصبح توارثية . ويكون الفساد العسكري صغيراً نسبيا في الوحدات الصغرى أمَّا الفساد الكبير يحدثُ عادةً على المستويين السياسي والعسكري مع ملاحظة أنَّ الأول يمكن أنْ يكون مستقلاً بدرجةٍ أو بأخرى والثاني يمكن أنْ تكون بينهما درجةً عاليةً من التداخل والتشابك . إذْ عادةً ما يرتبط (الفساد السياسي والعسكري) بالفساد المالي حين تتحول المناصب العسكرية البيروقراطية العليا إلى أدواتٍ للإثراء الشخصي المتصاعد .

ثانياً: مظاهر الفساد العسكري :

والفساد العسكري منْ حيث مظهره يشمل أنواعاً عدةً منها :

1- فساد القادة : ويتعلق بمجمل الإنحرافات التي يقوم بها القادة وهيئات الركن عنْ عمدٍ كالفساد المالي ومخالفات القواعد والأحكام التي تنظم عمل الهيكل التنظيمي للجيش والإخلال بالمهام والواجبات وذلك بالتدخل في الشؤون السياسية أو الإقتصادية أو الأمنية بدون طلب شعبي . ومع أنَّ هناك فارقٌ جوهريٌّ بين المجتمعات العسكرية التي تنتهج أنظمتها السياسية أساليب الديمقراطية وتوسيع المشاركة ، وبين الدول التي يكون فيها الحكم شمولياً ودكتاتورياً ، لكن العوامل المشتركة لانتشار فساد القادة العسكريين في كلا النوعين منَ الأنظمة تتمثل في نسق السلطة الفاسدة التي تعكس فسادها على قادة الجيش ، وتتمثل مظاهر فساد القادة في : قادةٍ فاسدين لا يتمتعون بأدنى حسٍ للوطنية ، أو قادةٍ غير مؤهلين للقيادة أصلاً فيكنون فريسةً سهلةً للمتسلقين ، وفقدان المشاركة وإقصاء وتهميش هيئات الركن ، وسلطةٌ عسكريةٌ فاسدةٌ وتفشي المحسوبية والقبلية في المجتمع العسكري .
2- الفساد المالي: وهو تلك الإنحرافات المالية ومخالفة القواعد والأحكام المالية العسكرية التي تنظم سير العمل الإداري والمالي للجيش وأسلحته وصنوفه . ومخالفة التعليمات الخاصة بأجهزة الرقابة المالية ، ويمكن ملاحظة مظاهر الفساد المالي العسكري في : الرشاوى والإختلاس وتخصيص الأراضي المملوكة للدولة كالمعسكرات وميادين التدريب والرماية والتنازل عنِ القواعد الجوية والبحرية لجهاتٍ مدنيةٍ بدون وجه حقٍ ، والمحاباة والمحسوبية في التعيينات الوظيفية العسكرية .
3- الفساد الإداري : ويتعلق بمظاهر الفساد والإنحرافات الإدارية في الوحدات والتشكيلات الكبرى وإنحراف المناصب وأقصد به تكليف بعض المناصب بواجباتٍ ليست من صميم تخصصه كأنْ يكون آمر مدرسة النقل الجوي العسكري طيار مقاتلاتٍ ، أوِ انحرفات في أدآء الواجبات والمهام وعدم التقيد بالقوانين والضوابط والقيم الفردية العسكرية التي ترقى للإصلاح ؛ وعدم سد الفراغ لتطوير التشريعات والقوانين العسكرية ، واغتنام الفرصة للاستفادة من الثغرات بدل الضغط على صنّاع القرار والمشرعين لمراجعتها وتحديثها باستمرار . وهنا تتمثل مظاهر الفساد

الإداري العسكري في : عدم احترام أوقات ومواعيد الدوام في حضور طوابير الجمع الصبحي ومواعيد الإنصراف ، أو تمضية الوقت في قراءة الصحف واستقبال الزوار ومشاهدة التليفزيون ، والإمتناع عنْ أداء الواجبات أو التراخي والتكاسل وعدم تحمل المسؤولية وإفشاء أسرار القوات المسلحة بقصدٍ أو بدونه ، والخروج عنْ مبداء العمل الجماعي وروح الفريق .

4- فساد القيم والأخلاق العسكرية : وهو مجمل الإنحرافات الأخلاقية والسلوكية المتعلقة بسلوك العسكري وإخلاله بالضبط والربط العسكري بغض النظر عنْ رتبته وتصرفاته . كالقيام بإعمالٍ مخلةٍ بالحياء أو أنْ يجمع بين الجندية الشريفة وأعمالٍ أخرى خارجية دون أذن وحدته ، أو أنْ يستغل السلطة لتحقيق مآرباً شخصيةٍ له على حساب مصلحة الجيش أو أنْ يمارس المحسوبية والقبيلية بشكلها الإجتماعي القذر داخل المعسكرات (المحاباة الشخصية) دون النظر إلى اعتبارات الكفاءة والجدارة .

5- الفساد الفكري والأيديولوجي : وهو لعمري أخطرهم لأنه يرقى إلى أن يكون خيانةً للوطن ، وذلك بأن تقوم القيادات العسكرية العليا والإستراتيجية بالولاء لأعداء الشعب ، وتقديم التسهيلات المادية لهم باحتلال أو بيع أو ايجار معسكرات أو قواعد أو أراضي لهم . أو تقديم تسهيلات مالية كصفقات السلاح أو التدريب العسكري والأمني .

ثالثاً: أسباب الفساد داخل المجتمعات العسكرية ونتائجه السلبية

للفساد داخل المجتمعات العسكرية أسباباً كثيرةً ونتائجه السلبية أكثرٌ ، يمكن ملاحظتها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، والجانب الأساسي لأيّ نوعٍ من الفساد وخاصةً العسكري هو الأسباب السياسية الملازمة تتناغم في شدتها ودرجتها طردياً مع تنامي عدم وجود نظام سياسي فعّال يستند إلى مبدأ فصل السلطات وتوزيعها بشكلٍ انسبٍ ، أيْ غياب دولة المؤسسات حيث تظهر حالة غياب الحافز الذاتي لمحاربة فساد المجتمع العسكري . ففي ظل غياب دولة المؤسسات وتحت وطأة التهديد بالقتل و الخطف . وهناك عاملٌ آخرٌ يتعلق بمدى ضعف السلطة يسهم بشكلٍ مباشرٍ في تفشي ظاهرة الفساد العسكري ذلك أنَّ شيوع حالة الاستبداد والدكتاتورية العسكرية في السلطة الضعيفة وهيمنة العسكر يسهم بشكلٍ مباشرٍ في تنامي هذه الظاهرة وعندها تفقد السلطة شرعيتها وتصبح القيادة العسكرية هي السلطة المباشرة وتكون قراراتها متسلطةٌ بعيدةٌ عنِ الشفافية ، فضلاً عنْ حرية نشاط مؤسسات المجتمع المدني .

ويتبع ضعف السلطة عدم استقلالية القضاء وهو أمرٌ مرتبطٌ أيضاً بمبدأ الفصل بين السلطات . إنَّ السلطة القضائية الرادعة أهم مقومات عمل السلطة . هناك عاملٌ آخرٌ لا يمكن إهماله فهو يسهم في تفشي ظاهرة الفساد العسكري متمثلٌ في تدني (مستوى الثقافة العسكرية) وعدم الإهتمام بالآليات والنظم الإدارية العسكرية .

أمَّا العوامل الإقتصادية فأهمها غياب الفعالية الإقتصادية في الدولة ، وأقصدُ منْ ذلك هو تفشي الفساد بكل أنواعه في الإقتصاد كسرقة الأموال العامة وأراضي الدولة أو صفقاتٍ مشبوهةٍ التهرب منَ الضرائب والرشاوي وغيرها وهو ما سينعكس على مستوى وبنية الإقتصاد الوطني السيء ، و منْ جهةٍ أخرى قلة الوعي الحضاري للأمة ، وضعف الأجور والرواتب تتناسب طردياً مع ازدياد ظاهرة الفساد العسكري ، وأخيراً إنّ َميزانية القوات المسلحة ، الوحيدة التي لا تناقش في برلمانات الدول التي يظهر فيها هذا الفساد بصورةٍ علنيةٍ ولا تراقب منْ قبل وزارة المالية وغيرها من مؤسسات الرقابة الإدارية والمالية .

وهناك نوعٌ أخرٌ منَ الفساد في المجتمع العسكري ناتجٌ عنْ إهمال جانبٍ منْ العسكريين أنفسهم أو عدم الكفاءة لأداء الواجبات أو عدم المبالاة ويُسمى التسيب وسوء الإدارة العسكرية في السلم وله آثارٌ بالغةٌ في الحرب . وذلك بلا شكٍ يعتبر إخلالاً منْ جانب العسكري ويجب معاقبته علي ذلك ولكنه أقل خطورةٍ من النوع الأول ، وقابلٌ للعلاج ، ونستطيع أنْ نعبر علي ذلك الإنحراف العسكري منْ خلال الصور التالية :

1- التغيب عنِ الدوام بدعوة العيادات والإجازات المرضية .
2- التأخير في الحضور للمعسكرات والهروب المتكررو عدم الإلتزام بأوقات الدوام الرسمي .
3- الإستهانة بأملاك القوات المسلحة واستباحتها .
4- عدم الانصياع لأوامر القادة والآميرين أو هيئأت الركن ، وعدم احترام القانون العسكري .
5- كثرة الأفراد المدنيين بالجيش .
6- الإخلال بالضبط والربط العسكري بجميع أنواعه ، بدايةً منْ الزي العسكري والحلاقة وغيرها .
7- هناك أشكالٌ كثيرة أُخرى تؤدي إلي فساد المجتمع العسكري إذا لم تعالج بالحسم والعقاب المناسب.

ومنْ خلال هذه العوامل والأسباب المذكورة لظاهرة الفساد في المجتمع العسكري ، يمكن رصد بعض الآثار السلبية المتعلقة بتلك الظاهرة عموماً منها :

1. يساهم الفساد في المجتمع العسكري في تدني كفاءة القتالية للقوات وأضعاف درجة الجاهزية لديها .
2. للفساد في المجتمع العسكري أثرٌ مباشرٌ في حجم ونوعية التسليح ، وبالتالي تراجع مؤشرات التنمية العسكرية وتطور الجيش عموماً .
3. يرتبط الفساد في المجتمع العسكري بتردي الحالة الإقصادية للعسكريين ، منْ خلال استغلال القادة لمواقعهم المميزة في المجتمع العسكري أو في النظام السياسي وقربهم من السلطة ومراكز اتخاذ القرار ، مما يتيح لهم الإستئثار بالجانب الأكبر من المنافع الإقتصادية التي كانت ستشمل كل العسكريين . ذلك سيؤدي إلى توسيع الفجوة بين القادة وهيئات الركن منْ جهةٍ ومنْ جهةٍ أُخرى بقية أفراد المجتمع العسكري .

4. الإخلال بالضبط والربط العسكري وتدنيه إلى القاع وتدهور الروح المعنوية للأفراد ، وغياب الثقة في تطبيق المثل العسكرية العليا .
5. زعزعة ثقة الشعب في المؤسسة العسكرية .
6. إعاقة تطوير الجيش نتيجةً اختلاس المال العام .

رابعاً : مخاطر الفساد العسكري

أ. تحول الموارد العسكرية المتاحة إلى نفوذٍ اقتصاديٍ وسياسيٍ منْ خلال الممارسات الفاسدة .

ب.إصابة المؤسسة العسكرية بالضعف .

ج. إنتشار رقعة الفساد حتى يصل إلى الوحدات الصغرى والفرعية .

خامساً : الذرائع التي يتستر خلفها اللصوص

ا. السرية

ب. المطالَب الملحة

ج. الإهتمام بالعسكريين

وما يلاحظ على المجتمع الليبي عموماً أنَّ ضاهرة الفساد في المجتمع العسكري تتزايد دائماً بفعل العوامل الإجتماعية الضاربة في بنيتنا وتكوينها ونسق القيم الإجتماعية السائدة فتلعب العادات والتقاليد الإجتماعية دوراً واضحاً في نمو هذه الظاهرة حيث أنَّ هذه العادات والتقاليد مرتبطة بالحياة القبلية السائدة في مجتمعنا ، والتي يمكن أنْ نُسقطها على كثيرٍ من المجتمعات المتخلفة خاصةً العربية ؛ رغم أنَّ التنظيم الإداري لأيّ مؤسسةٍ عسكريةٍ له دورٌ أساسيٌّ في منع ظاهرة الفساد منْ خلال وضع ضوابطٍ مناسبةٍ وسنِ القوانين الصارمة لمحاربتها منْ أجل تقوية الإطار الحامي لهذا المجتمع المنغلق على نفسه الباحثُ عنِ المثالية ، وخلق تعاونٍ وتفاعلٍ ايجابيّ بين العسكريين والقيادة العامة للقوات المسلحة والجيش والدولة استناداً إلى علاقةٍ جدليةٍ تربط بينهما على أساسٍ ايجابيٍ بناءٍ يسهم في تنمية وخدمة المجتمع العسكري . ومنْ خلال هذه الأسباب والآثار المتعلقة بظاهرة الفساد في المجتمع العسكري ، يمكننا أنْ نضع بعض الحلول للحد منها وهي على سبيل المثال لا الحصر :

1- متابعة القادة وهيئات الركن باستمرارٍ وأُسرهم وأقاربهم وأصدقائهم وإنشاء مؤسسةٍ عسكريةٍ لمراقبة صرف ميزانية الجيش وتدير ممتلكاته وعائداته الضخمة .
2- إنَّ عملية الإصلاح والتغيير في المؤسسة العسكرية منَ الصعب بمكان ويتطلب التأني و الفكير ، فوراء الفساد في المجتمع العسكري سيتواجد لوبيّ ٌنشيطٌ وخطيرٌ يعمل على معاكسة مجرى التغيير أو إعاقة أيّ تحقيقٍ وإعاقة و تأخير مسيرة الإصلاح .
3- إعادة هيكلة الجيش لمحاربة الفساد داخل المؤسسةالعسكرية .
4- إنهاء الإنقسمات القبلية و الإثنية و العرقية و الجهوية في الجيش وتوحيده تحت رايةٍ وطنيةٍ واحدةٍ .

5- أنْ يتولى أبرز الضباط «كفاءةً وعلماً وشرفاً »شؤون المؤسسةالعسكرية ، وإبعاد ضبط الشرف عنْ أيّ منصبٍ مهما كان صغيراً ، وذلك يرجع لأنَّ تأهليهم العلمي المتوسط لا يسمح لهم بالترقي في المناصب .

6- إقالة الفاسدين وتقديمهم لمحاكماتٍ قاسيةٍ ليكونوا عبرةً لمنْ تسول له نفسه منْ إهانة القوات المسلحة وسلب المثالية منها .

7- إعادة هيكلة الإستخبرات العسكرية وجهازها الأمني وترقيتها منْ مجرد التلصص على الجنود والضباط إلى جهازٍ قويٍ له دورٌ فعالٌ في حماية الجيش منَ العدو وحماية الجيش منْ نفسه .

أساليب العلاج من وجهة نظري :

أولاً : أسلوب الترغيب ويتم بالحوافز الإيجابية ونتقسم هذه الحوافز إلي نوعين :

1- الحوافز المعنوية : إنَّ الترغيب يتطلب تفعيل الحافز المعنوي الذي يتم منْ خلال التقدير السليم للعسكري النشيط والمثابر ، ويتضمن الإعتراف بجهده والإشادة به ، وعلى القادة والآمرين وهيئات الركن القيام بالتالي :

أ – التدريب الجيد للمنتسبين الجدد للوحدات الصغرى وتركيز الإهتمام بهم .
ب- الإعتراف بجهود العسكرين العاملين على رفع الكفاءة القتالية للوحدات وتنمية موهبة الإبداع لديهم .
ج- التعامل مع جميع منتسيبي الوحدة على أساس الكفاءة وحسن أداء الواجبات والمهام .

2- الحوافز المادية : لعل أول حقٍ من حقوق العسكريين أنْ يتوفر لهم الأجر المجزي مقابل تطوعهم للدفاع الوطن ، ولعل سرُّ استقرار وصلاح الجيوش في الدول المتقدمة أنَّ مؤسساتها الحكومية تعطي عسكريها المرتب المجزي الذي يغطي ضرورات الحياة له ولأسرته مما يجعله مطمئناً مستقراً في وحدته قادراً علي الوفاء بمتطلبات أسرته الأمر الذي يجعله لا يفكر في اللجوء إلي استغلال المنصب أو أملاك القوات المسلحة استغلالاً فاسداً .

ثانيًا: أساليب الترهيب

إنَّ أساليب الترهيب لمكافحة الفساد في المجتمع العسكري في مفهوم الرقابة علي أداء القادة وهيئات الركن بهدف كشف الأخطاء وتصحيح الانحرافات قبل أنْ تستفحل ، وتبدأ الرقابة على العسكري بالرقابة الذاتية التي يمارسها على نفسه بدافعٍ منْ ضميره الحي غير أنَّ العسكري بشرٌ معرضٌ للخطأ وقليلٌ منَ الناس منْ تردعه نفسه عنِ الزلل ولذلك فإنَّ العسكري يحتاج إلي رقابةٍ عليه وإنَّ مسؤولية الرقابة هي مسؤوليةٌ جماعيةٌ تقوم بها القيادة العامة للقوات المسلحة والمجتمع العسكري بأكمله . وينتهي أسلوب الترهيب بتطبيق القوانين العسكرية الصارمة التي تمنع أيَّ خطاءٍ ولا ترضى به .

ولا ننسى عزيمة وإرادة القيادة العامة للقوات المسلحة في مكافحة الفساد فهي العنصر الأساسي ، لأن مكافحة الفساد ليست مجرد قضية أخلاقية بل هي ضرورة ملحة لبناء الدول . حسب «ليكوانيو» . وإحداث دائرةٍ تحقيقٍ مختصةٍ مستقلةٍ تتبع القائد العام مبشرةتقوم بالتحقيق في قضايا الفساد ، وإعطاءِ سلطاتٍ واسعة لأعضاء دائرة التحقيق في الممارسات الفاسدة في الكشف عنِ الجرائم ، ومنها مراقبة التغييرات التي تطرأ على حياة العسكريين ، وإمكان الإطلاع على حساباتهم المصرفية . و تحديد أجل سنةٍ كحدٍ أقصى يجب الإنتهاء فيها منَ القضايا منْ حيث التحقيق و الإحالة إلى المحاكم للفصل فيها أو حفظ الأوراق ، باعتبار أنَّ إطالة عمر القضايا في التحقيق ، ومرحلة المحاكمة مؤشران منْ مؤشرات الفساد أو الإهمال ، وإيجاد أنظمةٌ شفافةٌ تؤدي إلى التقليل إلى حدٍ كبيرٍ منَ الأسرار التي يملكها القادة الكبار بسبب مناصبهم الحساسة ، وكذلك الفحص المسبقلي للحالة الاجتماعية للقادة قبل توليهم أيّ مناصبٍ ، و تدخل إدارة التحقيق في مكافحة الفساد كتدبير وقائي لمنع أيّ عسكري من ْتولي منصب قيادي بسبب شبهاتٍ سابقةٍ بالفساد . كذلك إيجاد نظام فعَّال للمشتريات العسكرية يمكن الإطلاع عليه منْ خلال مركز هذه الإدارة ، وهو بوابة للمشتريات العسكرية تسمح للمتقدمين بعروض رؤية كل الصفقات والمواصفات المطلوبة .

إذنْ لا يمكننا الوصول إلى مكافحة ناجحة وجادة للفساد داخل المجتمع العسكري منْ دون وجود ثلاثة أسسٍكضمانةٍ لصدقية وفعالية هذه المكافحة هي :

أ. وجود إرادة حقيقية لدى القيادة العامة للقوات المسلحة تأخذ على عاتقها المبادرة بمكافحة الفساد داخل المجتمع العسكري .
ب. وجود منظومة قانونية عسكرية متكاملة وحديثة وصارمة ذات سيادة مطلقة .
ت. وجود إدارةً فعالةً تتولى مكافحة الفساد العسكري ، و تتمتع بالإستقلالية التامة والصرامة والصلاحيات الكاملة لاتخاذ الإجراءات المناسبة تجاه التجاوزات التي تشكل فساداً.

ثالثا : دور المجتمع العسكري

إذا عجز الجهاز الرقابي في الدولة عنْ تحقيق خطوةٍ في مكافحة الفساد في المجتمع العسكري . في هذه الحالة ما هو دور هذا المجتمع العسكري ؟

1- علينا كعسكريين التشخيص بأنَّ الفساد داءٌ ينخر في جسم المجتمع العسكري يجب إستئصاله .
2- على كل عسكريٍّ أنْ يتسلح بسلاح الرفض لكل أنواع الرشاوي مهما كانت الظروف .
3- على كل عسكريٍّ مسئوليةٍ أخلاقيةٍ وطنيةٍ في عدم الرضوخ للمطالب غير المشروعة لهؤلاء الفاسدين والإبلاغ عنهم . وهذا واجبٌ إلزاميٌّ على كل العسكرين وليس إخلالاً بالقيم العسكرية أو ضرباً لروح الفريق .

4- التحلى بالضبط والربط العسكري وعدم القفز الى الأمام للحصول على خدماتٍ بغير وجه حقٍ والإلتزام بالمحافظة على حقوق الزملاء الآخرين والمحافظة على روح الفريق التي تجمع كل العسكريين مع بعضٍ.

5- على القادة والآمرين عدم التعاقد مع الشركات والمقاولين بشكلٍ فرديٍّ دون الرجوع إلى جهات الإختصاص .

6- إنَّ الأسرة هي المدرسة الأولى للتربية ، وتقع المسئولية الكبرى على عاتقها وذلك من خلال غرس مفهوم الأخلاق الحميدة التي تعزز ركائز الوطنية والولاء للوطن والدفاع عنه .

الباب الثالث

ضوابط المجتمع العسكري

الفصل الأول : الضبط والربط العسكري

مفهوم الضبط والربط العسكري

تعني كلمة الضبط في اللغة العسكرية الإلزام والإخضاع ، وتفسر كمصطلحٍ عسكريٍّ بأنَّها قدرة العسكري بغض النظر عنْ رتبتهِ على إخضاع إنفعالاته غير الإعتيادية ، كالخوف أوِ الغضب أوِ التعب أوِ الجوع ، وغيرها وإلزام نفسه بالشجاعة والهدؤ وتحملِ المتاعب وتمالكِ الأعصاب مهما كانت الظروف والمصاعب ، كما أنَّها تعني إنجاز الواجب بدقةٍ وآمانةٍ في أصعب المواقف سلماً أو حرباً . ولهذا تتوقف كفأة أيّ وحدةً عسكريةٍ على مقدار ما يتحلَّى به أفرادها منْ قدرةٍ على ضبط هذه الإنفعالات التي غالباً ما تواجههم في ظروف القتال المختلفة ؛ و ليس منَ السهل أنْ تُكتسب هذه الصفة اللازمة لكلّ فردٍ في المجتمع العسكري ، ولكنَّ ضرورتها الملحة تتطلب أنْ تكون عادةً مكتسبةً ، ولهذا نجد أنَّ الجيوش منذ نشأتها تعتبر هذا الموضوع جُلَّ اهتمامها ، فوضعتْ له العديد منَ النظريات والقواعد كما وضعت مراجع كثيرةً في علم النفس العسكري ، حيث اشتملتِ القوانين والنظم العسكرية على العديد منَ الأسس والوسائل لتأمين الضبط والربط العسكري وإدامته .

أنَّ الضبط والربط العسكري في حد ذاته لا يتعلق بالحياة داخل المعسكرات والثكنات فقط أو ساحة العرض ، بل إنَّه حالةٌ نفسيةٌ تساعد الأفراد على انجاز الواجبات باعتبار أنَّهم ملزمون بأدآئه سواءً كانوا مراقبين أو غير مراقبين .

الضبط و الربط العسكري والثقة بالنفس

لقد وُجد نتيجة التجارب الكثيرة في السلم و الحرب أنَّ أُسس الضبط الربط العسكري تعتمد على الثقة في النفس ، فمتى وجدت الثقة في أنفُسِ العسكريين أمكننا القول بأنَّ ضبط هذه الوحدة أصبح عالياً مما يؤمن أحسن استغلالٍ لتوجيه الطاقة المادية والإستفادة منْها ، ومتى كان الضبط والثقة توفرت المعنويات التي أصبحت إحدى مباديء الحرب الرئيسية ، إذ ثبت جلياً أنَّه بالمعنويات العالية والضبط الشديد يمكن مواجهة الخطر ، إنْ لم يكنْ طوعاً فبدون الإكثرات به على الأقل ، ذلك لأن الضبط و الربط العسكري يُوَّحد الشعور بالواجب ويمنح الشجاعة ويدفع إلى التضحية والإخلاص ويؤدي إلى الإعتزاز بالنفس وبالوحدة العسكرية والوطن .

إنَّ الضبط والربط يدفع الأفراد إلى عمل ما يكرهون مهما سأتِ الظروف في صمتٍ ورضى النفس ، وغرز روح الإندفاع والجرأة ، وبذلك يمكننا القول بأنَّ حِسَّ العسكريين بالمسؤلية الملقاة على عاتقهم والفهم

الواقعي بخطورة هذه المسؤلية هو الإحساس الذي يُبنى عليه الضبط والربط العسكري . إلاَّ أنَّ خلق هذه الصفة كما يظهر لا يمكن تحقيقه بسهولةٍ لأنَّه يتعلق بالناحية الفعلية والبدنية معاً ، ولذا فالضبط والثقة بالنفس والصنف والوحدة والسلاح وكذلك المعنويات العالية هي عماد الكفاءة القتالية للجيش وسرُّ نجاحه ، والذي يجب أنْ يُبنى على الواجب المقدس والهدف الأسمى للجميع والتضحية والتفاني والإخلاص للوطن عندما تدعو الحاجة لذلك .

الضبط والربط العسكري عند الحاجة

إنَّ الضبط في المؤسسات المدنية يعني قدرة الأفراد على العمل كفريقٍ دون مرعاة المصلحة الشخصية ، أمَّا في المجتمع العسكري فهو يعني إنجاز الوحدات لواجباتها أثناء المعركة إنجازاً تاماً وبصورةٍ صحيحةٍ لتحقيق النصر . فالجندي يقوم بتنفيذ واجباته بإخلاص ضمن وحدته دون الإلتفات إلى ما قد يصيبه أو يلحق به ، مضحياً بنفسه في سبيل الله ، ثمّ الوطن ، وهكذا الحال بالنسبة للوحدات .

إنَّ ضبط المعركة هو القدرة على حمل أنفسنا على الإستمرار في القتال بالتقدم إلى الأمام والصمود لإحراز النصر مهما كلفنا ذلك . فالتاريخ العسكري يحكي لنا نماذجاً كثيرةً منَ الضبط والربط العسكري إبَّانَ الحروب تبرهن لنا على ما كان يتمتع به الأفراد من الضبط وما هي النتائج التي أُحرزتْ بسبب الضبط الراقي أو السيء ، فصمود الجيش الثامن أثناء الحرب العالمية الثانية في حصار مدينة طبرق الليبية الذي دام ثمانية أشهرٍ إلاَّ نوعاً منْ أنواع الضبط والربط العسكري القويم الذي كانت تتمتع به قوات الجيش الثامن في ذلك الوقت والذي أدَّى إلى النصر في النهاية . ومخالفة الرماة للنبي صلى اله عليه وسلم في غزوة أحد نوعاً آخراً من سوءِ الضبط الذي أدَّى إلى هزيمة المسلمين في بداية المعركة .

إنَّ الضبط والربط العسكري هو طاعة القوانين والأوآمر العسكرية ، وهو عادةٌ تكتسب منذ أول يومٍ ينخرط فيه الفرد في الجندية ويدفعه إلى الطاعة المطلقة والتنفيذ الفوري لكل ما يطلب منه من واجباتٍ مشروعةٍ لإعتقاده بصحة ما يطلب منه إنجازه ، فهو إذنْ يعمل ما في صالح القوات المسلحة والوطن وفقاً للأنظمة والقوانين والمصلحة العامة بواعزٍ منَ الضمير ، ودافعِ الإخلاص دونما خوفٍ أو مراقبةٍ ، إنَّه حالةٌ نفسيةٌ خاصةٌ ونظرة العسكري للآوامر . وبالضبط والربط العسكري نحصل على الجواب السريع والعمل الفوري لتنفيذ الأوآمر وإنجاز الواجبات دون جدالٍ أو تأخيرٍ ودون مُرعاةٍ للمصلحة الشخصية أو ما يلحق الفرد منَ انهماكٍ أو هلاكٍ . وبذلك نجد أفراد المجتمع العسكري يعملون وينجزون أكثر مما يناقشون .

لماذا نحتاج إلى الضبط و الربط العسكري

إنَّ الضبط و الربط العسكري جوابٌ سريعٌ لتنفيذ الأوآمر والقدرة على إجابة الطلب دون النظر إلى المصلحة الفردية كما أنَّه يعتبر همزة الوصل بين الخطة المرسومة والتنفيذ المطلوب والصحيح نظراً لأنَّ المعارك تتطلب تنفيذ وإنجاز واجباتٍ شاقةٍ في أحلك الظروف وأمرّها ، لذلك وجب علينا غرس عادة

الضبط والربط العسكري في نفوس العسكريين وتكوينها والإستمرار في ممارستها في المجتمع العسكري عن طريق وضع النظم والقوانين والمطالبة بتنفيذها وقت السلم . و يمكن تعريف الضبط والربط العسكري على أنَّه التمسك والإلتزام التام والدقيق بالنظام أيْ أنَّه إلتزامٌ وليس اختياراً أو طواعيةً وبما أنَّ الضبط والربط العسكري هو اصطلاحٌ عسكريٌّ ومعناه ينصرف لأغراضٍ عسكريةٍ بحتةٍ فإنَّ المفهوم الخاص للضبط والربط العسكري هو : "مجموعة الأوامر والتعليمات التي يتلقاها العسكري أثناء الخدمة ممنْ هم أعلى منه رتبةً أو منصباً وتنفيذ هذه الأوامر على نحوٍ يؤكد دقة وسرعة تنفيذ الأوامر الصادرة إليه ومدى ارتباط الفرد بالوحدة التي يقوم بخدمتها ، وهو انصياعٌ ضبطيٌ وليس فكريٌ . أيْ أنَّ الضبط والربط العسكري هو الولاء للمؤسسة العسكرية وليس ولاءٌ لفكر القائد أو عقائده ، يقول جورج أورويل وهو صحافي وروائي بريطاني: الولاء يعني إنعدام التفكير ، بل إنعدام الحاجة للتفكير ، الولاء هو عدم الوعي .

والقاعدة الأساسية للضبط والربط العسكري قاعدةٌ تقويميةٌ أيْ إنَّها قَرْرَتْ بأنَّها مجموعة الأوامر التي يترتب على العسكري بغض النظر عنْ رتبته تنفيذها بدون أيّ ٍجدال ٍأو نقاشٍ أو ترددٍ فهي قد ربطتْ بين تلقي الأوامر وواجب تنفيذها ، هذا التقرير ألزم العسكري بالتنفيذ وأنَّه يعتبر الأوامر الصادرة إليه قراراتٌ ثابتةٌ ويعتمد نجاح المهمة على سرعة الإستجابة والإخلاص في تنفيذها . أما كون الضبط قاعدةٌ تقويميةٌ أيْ أنَّها حَدْدَتْ كيف يجب أنْ يكون عليه سلوك الأفراد وقومتْ هذا السلوك نحو قادتهم أو منْ هم أدنى منهم رتبةً أو مع زملائهم أو في مظهرهم أو كلما يتعلق بنطاق عملهم .

إنَّ الضبط والربط العسكري منْ أهم القيم الإجتماعية العسكرية ، وهو ما يميز العسكريين عنْ غيرهم وقد كتب فيه الكثير منَ العسكريين ولكن لي وجهة نظرٍ أعمقٍ مما قرأتُ وسمعتُ . فهو يستحوذ على اهتمام كل العسكرين بمختلف الرتب لأنَّه يمس صميم الحياة العسكرية في السلم والحرب ، ويتصل بتنظيم العلاقات بين الرتب المختلفة والمناصب المختلفة ، و هو يحظى بالقبول الإرادي منْ كل العسكريين بدون قوةٍ تفرضه ، وهو أساسٌ في انتظام التفاعلات الإجتماعية العسكرية لأنَّه يحافظ على استقرار المجتمع العسكري وتماسكه ويدعم بقية القيم الإجتماعية العسكرية ، ويمنع إنحرف تلك القيم أوِ الأعراف والتقاليد العسكرية . ولذلك ، فعلى الرغم منْ أنّ القرار التعبوي الذي يتخذه جندي باستخدام القوة القاتلة قد يبدو منعزلاً ، فإنّه ليس إلاّ الحلقة النهائية التنفيذية في سلسة من السلطة تصل إلى القائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع . يقول دانيل مونز " Munoz D " وأخرون في كتاب " جذور السلوك في الحرب " منشورات الصليب الأحمر الدولي 86 / 853 / 2004 : وفي الواقع يمر الجنود عبر تدريب صارم مصمم بحيث يضمن أن تنخرط فرديتهم انخراطاً جزئياً داخل الهيكل التنظيمي للقوات المسلحة الأوسع الذي يدعمونه ، ولا يشجع إبداعهم في العمل والقيادة إلاّ ضمن قيود محددة . فمعظم الإجراءات التي يتخذونها بشأن ، الأعمال القتالية تتحدد بموجب الآوامر التي يتلقونها أو على الأقل يتقيدون بها . حتى أقل المخالفات ضرراً للإنضباط مثل التقصير في تلميع الحذاء لها تبعات على مدار حياتهم العسكرية ، تمتد من الحرمان من امتيازات إجازة نهاية الأسبوع إلى التسبب في توقيع العقاب الجماعي على الوحدة التي ينتمون إليها . وكان من نتائج هذا المزج بين التدريب والأعمال القتالية والحوافز والحرمان من الحوافز "العقوبات" أنّ الجندي

وزملاءه أفراد الوحدة يُكَونون رباطاً من الولاء فيما بينهم ، يقال إنه أوثق صلة من الرباط الذي يجمع بين زوجين .

ونقصد (بالضبط والربط العسكري) سلوك العسكريين وتصرفاتهم في حدود المجتمع العسكري ، وينعكس هذا السلوك على حياة الأفراد خارج المعسكرات ، ويمتثل العسكريون لقواعد الضبط والربط العسكري كعاداتٍ وتقاليدٍ عسكريةٍ تفرضها القوانين العسكرية ويتدرب عليها الأفراد أثناء التنشئة العسكرية ، بحيث تكون تلك العادات والتقاليد قيوداً منظمةً ومتسقةً على سلوك كل العسكريين ، وبالرغم منْ أنَّ القوانين العسكرية تعتبر قواعدٌ آمِرَةٌ للعسكرين مطالبين بالتقيد الحرفيُّ بها ، فهي إجباريةٌ وحتميةٌ لا يمكن الخروج عليها ، و قد سنتِ القوانين العسكرية كثيراً منَ العقوبات للمخالفين أوِ أولئك العسكريون غير المنضبطين ، منْ ناحيةٍ أُخرى فإنَّ عادات المجتمع العسكري وتنظيماته وُضِعتْ لتخدم الطبقات الإجتماعية العسكرية ، ولهذا نرى البعض يحاول الخروج عليها .

مراحل تكوين عادة الضبط والربط العسكري عند الأفراد

1. التمرين على ممارسة عادة الضبط والربط العسكري بواسطة الإرشاد والتلقين وإلقاء المحاضرات .
2. التكرار على ممارسة عادة الضبط والربط العسكري بصورةٍ صحيحةٍ .
3. الإكثار منْ ممارسة عادة الضبط والربط وتقويتها حتى تصبح غريزةً فطريةً . وذلك بإعطاء آوامر وتعليمات مجحفة وغير منطقية للعسكريين المستجدين وإجبارهم على تنفيذها ، وماقبتهم عقوبات شديدة في حالة عدم التنفيذ .
4. العادت السليمة : يتم توليد العادات السليمة عنْ طريق الإقناع ، ولمَّا كانت العادة تتولد بتكرار العمل فإنه لكي نحصل على عادتٍ سليمةٍ لابد من تصحيح أيّ خطاءٍ .

إذنْ فإنَّ الضبط والربط العسكري يُعد مطلباً فردياً ومطلباً مجتمعياً لأنَّه مصدر إعتزازٍ وفخرٍ للمؤسسة العسكرية . فانتماء العسكري لمجتمع الأسوار فإنَّه كما أسلفتُ يتبنى قيم ومعايير تلك الأسوار وقواعد السلوك داخلها ويحرص على ضبط نفسه بنفسه قولاً وفعلاً وفق قيم الجتمع العسكري ومثاليَّاته الكبرى ، فيتمسك بها فكراً ورأياً ويتعود عليها حتى تسري في نفسه لا شعورياً فلا يشعر بأنهَّا تقيد حريته وتصبح جزاءً منه كاضميره في الرقابة على نفسه وحاجةً شخصيةً تتطلب الإشباع ، قياساً على هذا العسكري (بغض النظر عنْ رتبته) فإنَّ المجتمع العسكري ككلٍ يسير بنفس المنوال فهو كتلةٌ كبيرةٌ منغلقةٌ على نفسها منضبطةٌ في حياتها ، أريد أنْ أقول أنَّ الضبط والربط العسكري هو حاجةٌ ماسةٌ ومطلبٌ مهمٌ للمجتمع العسكري يجب إشباعه ، لأنَّ المجتمع العسكري قرر الإستمرار والإستقرار منذ نشئته فحدد مسبقاً القواعد والنظم والقيم والمعايير التي تحدد سلوك أفراده بمختلف الرتب والمناصب في السلم والحرب ، وهكذا تكون الحياة العسكرية خاليةً منَ الفوضى والإنحرافات ، مع ذلك فإنَّنا نرى إداراتٍ خاصةً تراقب المخالفين ولديها جزآءات بالثواب والعقاب وتطبق القوانين العسكرية عليهم .

وتحدث المخالفات الضبطية لسببين رئيسيين ، الأول تدني المستوى الثقافي العسكري تدفع العسكري للإبتعاد عن معيير السلوك العسكري ، والثاني عاملٌ نفسيٌّ بسبب عدم إكتمال بناء الشخصية العسكرية للفرد ، والمعنى أنَّ خروج بعض العسكريين عنِ نظام المجتمع العسكري ممكنٌ جداً ، ولكن ليس إلى درجة الفوضى أو محاولة القضاء على تضامن واستقرار المجتمع العسكري .

وسائل الضبط والربط التي يمارسها المجتمع العسكري

هناك عدة وسائلٍ يتبعها المجتمع العسكري لتحديد سلوك أفراده أهمها :

1- الثقافة العسكرية
2- القانون العسكري
3- العقيدة العسكرية
4- التنشيئة العسكرية والضغوط النفسية
5- الرتبة والمنصب العسكري
6- البيئة والقيم الإجتماعية المدنية
7- الثقافة العامة
8- المثل العليا
9- الحالة الوطنية (سلم أو حرب)

إنَّ الضبط والربط العسكري يكفل سلوكاً جيداً وقويماً لكل المجتمعات العسكرية بغض النظر عنْ الهوية أوِ الجنسية أوِ الدين وفي كل وقتٍ منَ الأوقات لأنَّ القوانين العسكرية لا تفرق بين الجندي والضابط والآمر والمأمور ، ولهذا نرى أنَّه في المجتمع العسكري لا يوجد الكثير من مصادر التشريع أو تعدد مصادر الضبط .

عوامل الضبط والربط العسكري

1- ضوابطٌ أساسيةٌ : وهي التي تنبع وتُمارس من خلال المجتمع العسكري نفسه ، كالقوانين العسكرية والتنشيئة العسكرية والرتب والمناصب المختلفة والحالة الوطنية .
2- ضوابطٌ غير أساسيةٍ : وتحكمها البيئة والحياة العسكرية اليومية داخل المعسكرات ، والروح المعنوية السائدة و الحالة الوطنية للأمة ، والأحاديث اليومية .

وتعتبر القاونين العسكرية أقوى مضاهر الضبط والربط العسكري فهي تهدف إلى إستقرار المجتمع العسكري ، وتنظيم العلاقات بين أفراده وطبقاته ، وهو ملزمٌ لجميع الرتب ويمتاز بوضوحه ودقته . فلم يتركْ أيّ علاقةٍ إلاَّ ووضع لها ضوابطها من حيث الحقوق والواجبات ، والجيش هو المسؤل عنْ فرض القوانين التي يسنها على مجتمعاته ، وهو المخول بتوقيع العقوبات المختلفة وذلك منْ خلال هيئات وإدارات

خاصة . فالقانون العسكري يفرض قوة تضامن المجتمع العسكري معبراً في الواقع عنْ إرادة الجيش عاكساً لأعرافه وتقاليده وقيمه العسكرية ، والضبط والربط العسكري هو صدىً قوياً للقوانين العسكرية حيث يجمح ميول العسكريين ونزواتهم الطائشة .

ويتم التدريب على الضبط والربط العسكري في المؤسسات التعليمية العسكرية حيث تغرس المباديء الجديدة في نفوس العسكريين المستجدين والقيم العسكرية وصقل مفاهيمهم وثقافتهم العسكرية ، وبذلك تحقق المؤسسات العسكرية إلى جانب العملية التعليمية التخصصية جانباً تثقيفياً وتعليمياً عسكرياً وتقوم بدور المجادل والمقنع بالفلسفات العسكرية وتكوين شخصية العسكريين وترسيب المفاهيم العسكرية التي يراها المجتمع العسكري ضروريةً .

سياق تدريب الضبط والربط العسكري

1. تلقين العسكريين المستجدين مباديء الضبط والربط بواسطة المحاضرات .
2. تمرين المستجدين على ممارسة الضبط والربط عملياً كالمسير العسكري وأداء التحية العسكرية وغيرها منَ الأعمال اليومية .
3. تكرار الممارسة على الضبط والربط العسكري من خلال مراحل التدريب المختلفة وكذلك التكليف بالواجبات المختلفة كالحراسة والخفارة مع ملاحظة ومتابعة تنفيذها والقيام بها على الوجه المطلوب .
4. عدم فسح المجال لخرق عادة الضبط والربط العسكري أوِ الإنحراف عنها بالإخلال والإهمال وذلك بمعاقبة كل من هم تحت التدريب الضبطي إذ لا فرق بين الهفوات البسيطة والمخالفات ، ومنْ ناحيةٍ نظريةٍ فإنَّ تكوين العادات لا يتم إلاَّ بوسطة المراقبة منْ قبل آمري الضبط العسكري الذين يجب أنْ تتوفر فيهم بعض الصفات كونهم مربين عسكريين ، و المقصود بذلك هم الضباط في المجتمع العسكري .

الضبط والربط أساس نجاح النظام العسكري

يأتي الضبط والربط العسكري على رأس أولويات الأدبيات والتقاليد العسكرية العالمية ويشكل مع الروح المعنوية والعمل بروح الفريق ثلاثية متداخلة تكون عادةً السبب الأول لنجاح أو فشل أيَّة مؤسسة عسكرية وكونه الأبرز والأهم يعتبر وجوده في المؤسسة العسكرية حجر الزاوية في نجاح القيادة وفعاليتها نحو تحقيق أهدافها ، إذْ أنَّه لا يقتصر فقط على أساس ٍمحددٍ منَ الأداء الفني للخدمات والوظائف وتنفيذ المهام والواجبات بل يتعداها إلى السلوك الشخصي للأفراد والضباط ، ولذلك تتوقف قيمة أيّ وحدةٍ عسكريةٍ على مدى تحلي أفرادها بالإنضباط والتقاليد العسكرية والخصال الحميدة والأخلاق الفاضلة .

ويعد الضبط والربط مظهرا ًأساسياً منْ مظاهر الحياة العسكرية وعلامةً فارقةً على الجدية في التعامل بما يظهر مدى الإحترام وحسنِ التصرف والولاء للسلطة القانونية واحترام وتقدير القادة وتنفيذ الأوامر والتعليمات العسكرية بنصها وروحها بكامل الرضا دون أيّ ٍحرجٍ بما يكون نتيجته حسن أداء العمل والمهام ، وهو طبعٌ متقدمٌ يغرس في النفس ويصقل بالتدريب المستمر ليكون إيجابياً قائماً على

الإقتناع وليس سلبياً يقوم على الخوف منَ العقاب وتكون نتيجته تحقيق مستوىً راقٍ منَ الأداء الفردي والجماعي في مختلف الظروف .

وتقاس كفاءة المؤسسات العسكرية بمدى ضبطها وإلتزامها بتعاليمها وتقاليدها التي تغرس فيها روح الطاعة والإلتزام وقدرتها على تنفيذ واجباتها ، وخاصةً عندما يكون الباعث على التقيد بمباديء الضبط والربط الإقتناع والرغبة في العمل وليس الرهبة أو الخوف من العقاب .

أسس الضبط والربط العسكري :

يقصد بأسس الإنضباط العسكري مجموعة العوامل التي تهدف إلى خلق القناعة لدى الأفراد العسكريين بما يحقق ضمان قوة الانضباط في نفوسهم وضمان ثباته واستمراره وهذه الأسس هي :

1. الفهم الصحيح لمفهوم العقيدة العسكرية .
2. حب الوطن والتفاني في سبيل الدفاع عنه .
3. الثقة المتبادلة بين الآمر والمرؤوسين وتنمية وتبادل الإحترام والتقدير فيما بينهم .
4. التدريب المستمر على الضبط والربط العسكري والإنصياع للأوامر والتعليمات برضىً تامٍ .
5. العلم والمعرفة والقدرة على الإبداع .
6. توقيع العقوبة العاجلة على المخطيء وعدم تركه يتمادى في ممارساته الخاطئة حتى لا يكون مصدراً للسلبية والإنحراف داخل المؤسسة العسكرية .

مقومات الضبط والربط العسكري :

7. الطاعة : تعتبر أهم ركنٍ منْ أركان الضبط والربط العسكري ويقصد بها الطاعة التامة المبنية على اقتناع الأفراد بالعادات والتقاليد العسكرية وممارستها والأخذ بها دون أيَّة مماطلةٍ أو إعتراضٍ ، وبطيبٍ خاطرٍ وانقيادٍ صحيحٍ .
8. القدوة الحسنة : يجب أنْ يتحلى القادة على كافة المستويات بالضبط والربط فإذا كان القادة والآمرون وهيئات الركن يضرب بهم المثل الأعلى في الضبط والربط سيكونون قدوة حسنة لمرؤوسيهم .
9. المدح والإستحسان وتقدير الأفراد : إنَّ إظهار الإستحسان والمدح منْ المستوى الأعلى سواءً كان فردياً أو جماعياً وتقدير الأعمال الجيدة يؤثر تأثيراً كبيرا ًفي تقوية أواصر الضبط والربط ، والعسكري إذا شعر بأنّ َله قيمةً وأنَّه مُقدَّرٌ على عمله فإنَّه يتقبل كلما يؤمر به ويشعر بالثقة في نفسه وفي قادته وفي الأوامر الصادرة إليه .
10. الثواب والعقاب : يتطلب الضبط والربط أنْ يؤدي كلٌ واجبه على أحسن وجهٍ ، ويمكن أنْ تغرس الحاجة إلى الضبط والربط في الفرد بالإلتجاء إلى إحساسه وإدراكه وذلك بأنْ يكون الضبط والربط مشوقاً إليه ، وفي الحالات القليلة التي لا يفلح فيها الإلتجاء إلى إدراكه يكون الإلتجاء إلى العقاب الذي يجعل الفرد يقدر الحاجة إلى الضبط والربط . وأنَّ أفضل ما يغرسه القائد في نفس الجندي هو الشعور بأنه إذا حافظ على الضبط والربط فسوف يكون موضع تقديرٍ ومكافأةٍ من قائده ، وأنَّه إذا أهمل في قواعد الضبط والربط العسكري فهو معرضٌ للعقاب .

11. تحديد الواجبات والمسؤوليات : منْ أهم مقومات الضبط والربط مراعاة الفروق الفردية عند تصنيف الأفراد وتحديد الواجبات والمسؤوليات بما يتلائم مع طاقة العسكريين وقدراتهم .
12. الثقة في الآخرين وفي الوحدات التي تتألف منها التشكيلات الكبرى وبالتالي المجتمع العسكري .
13. التضحية في سبيل المباديء والرفاق ونكران الذات .
14. الإخلاص وأدآء الواجب كاملاً مهما كان شاقاً أو خطيراً بواعزِ الضمير لا طمعاً في مصلحةٍ شخصيةٍ أو خوفاً منَ العقاب .
15. المكافأة .
16. القدوة الحسنة منَ القائد .
17. المحافظة على كرامة العسكري .
18. مراعاة العوامل البشرية والفروقات بين الأفراد .
19. المحافظة على وجود روح الطاعة والسلوك السليم .
20. وقاية العسكري منَ العوامل المؤثرة على الضبط والربط العسكري مثل :
    أ. الوقاية منَ الأمراض والأوبئة .
    ب. مكافحة الإشاعات .
    ت. سؤ استخدام السلطة مع الجنود .

و في كثيرٍ منَ الأحيان يكون ليس هناك بدٌ منْ توجيه الأفراد في المؤسسة العسكرية نحو الإلتزام بالتعليمات العسكرية والتحلي بالضبط والربط منْ استخدام القوة والحزم والسلطة الممنوحة قانوناً للأقدم والأعلى رتبة وليس ثمة ضررٌ في ذلك مقارنةً بالنتائج المرجوة منْ ذلك داخل المؤسسة العسكرية بما يعكس روح النظام العسكري المطلوب التقيد به والثمار التي تجنى منْ وراء ذلك .

مقياس الضبط و الربط العسكري

إنَّ فقدان الضبط في المؤسسات المدنية يؤدي إلى الفوضى والإرتباك وإلى ضياع الوقت والتنافس اللاشريف بين الأفراد و الجماعات ، لأنَّ انعدام الضبط يعني عدم توفر الطاعة والإحترام ، وكذلك تضاؤل التضحية في سبيل الآخرين والواجب وتغلب الأنانية وحب الذات والمصلحة الشخصية ، وبذلك نجدهم يتناقشون أكثر مما ينتجون .

أمَّا بالنسبة للعسكريين فهو قضية موتٍ أو حياةٍ ، فالضبط السيء يؤدي إلى الهزيمة أو إلى نكسةٍ شديدةٍ تؤثر في مستقبل الأمة ، والضبط القويم ولا سيَّما إنْ توفرت معه وسائل القتال فهو بدون شكٍ يؤدي إلى النصر .

ما الذي يؤمنه الضبط والربط العسكري ؟

1. تنفيذ الأوآمر العسكرية بدقةٍ و بسرعةٍ .
2. الإخلاص في الواجب واحترام الآخرين .
3. ثقة الأفراد والوحدات ببعضهم .

4. رعاية حقوق الأفراد .
5. التضحية في سبيل الرفاق والوطن .
6. النصر الأكيد في المعركة .

أهم مظاهر الضبط والربط العسكري :

1. السلوك الفردي القويم للأفراد داخل وخارج الثكنات والمعسكرات .
2. المظهر الحسن للأفراد والمحافظة على الأوامر والتعليمات الخاصة بالزي العسكري واحترام وتقدير شرف الإنتماء للمؤسسة العسكرية .
3. التصرف السليم وأدآء الواجبات بإخلاص في حالة غياب القادة أوِ الآمرين .
4. الطاعة المباشرة للأوامر وتجنب التردد في تنفيذها .
5. كفاءة الجنود في تأدية واجباتهم والهمة العالية في تنفيذ أعمالهم بصورةٍ تبعث على الفخر والحماس .
6. احترام الأفراد لقادتهم وزملائهم وإشاعة روح الود في التعامل بينهم .
7. المحافظة على الأسلحة والمعدات في جاهزيتها والشعور بأنَّها جزءٌ لا يتجزء منْ شرف العسكري وكرامته .
8. تقبل الجنود للتقاليد العسكرية والابتعاد عنِ العادات المدنية السابقة والعمل بروح الفريق دائماً .
9. تأدية التحية العسكرية بطرقةٍ صحيحةٍ وبشدةٍ ونشاطٍ .
10. الطاعة الغريزية للأوآمر بإخلاص وحماس .
11. احترام العسكريين بمختلف الرتب للأقدمية والزملاء .
12. احترام المواعيد والحضور والإنصراف والطوابير والنوبات.
13. عدم التمارض واختلاق الأعذار .

العوامل التي تؤثر في رفع مستوى الضبط والربط العسكري :

منْ أهم العوامل التي تؤثر في رفع مستوى الضبط والربط داخل المؤسسات العسكرية مايلي :

1. الروح المعنوية : وهي حالة نفسيةٌ عقليةٌ وعاطفيةٌ تجعل العسكري يظهر شعوره الخفي في نفسه ، فتراه يسمو وتعلو مقوماته الروحية والنفسية ليعانق السماء فخراً وعزةً بالله ودينه ووطنه مؤمناً ببذل الغالي والنفيس في سبيله عنْ إيمانٍ وعقيدةٍ .
2. الحماس : وهو المجهود الذي يقدمه العسكريون لأداء واجباتهم بدافعٍ قويٍّ يفوق الطاعة فيكون إعتزاز العسكري بما يقدمه خدمةً لدينه ووطنه ووحدته هو الدافع لكل عمله .
3. الفهم الجيد لمعنى التقاليد والأدبيات العسكرية : وهو ما يؤدي لقبول تنفيذ الأوامر العسكرية الصارمة بروحٍ قويةٍ وطاعةٍ تامةٍ بما يولد الثقة عنْ رغبةٍ وإقتناعٍ والشعور بأنَّ الجميع جنودٌ متعاونون لتنفيذ واجباتهم .

هل الضبط والربط العسكري يولد الثقة بين الأفراد والوحدات ؟

الإجابة بكل تلقائيةٍ نعم ، وذلك لأنَّ الفرد يعلم سلفاً بنتيجة الضبط وأنَّ رفيقه سيقوم بواجبه كاملاً وسيضحي في سبيل رفاقه بكل غاليٍّ ورخيصٍ وأنَّه سوف يقدم مصلحة الوحدة والرفاق على نفسه . و هكذا بالنسبة للوحدات ، فهي على ثقةٍ تامةٍ منْ أنَّ الوحدات الأُخرى ستؤدي واجبها في المعركة نحوها ضمن الواجب الكبير الذي تنشده هذه الوحدات ، وأنَّ غايتها هي : التضحية منْ أجل النصر ، وهكذا تقوم الوحدات بواجباتها ومسؤلياتها إزاء بعضها البعض ، فتضحي جميعها في سبيل الوطن غير آبهةٍ بما يلحق بها منْ خسائرٍ ومتاعبٍ ، و هو ما يسمى بضبط الوحدات والجماعات وهو أسمى أنواع الضبط والربط العسكري .

أهداف الضبط والربط العسكري :

1. دعم المحافظة على هيبة المؤسسة العسكرية وبالتالي هيبة الدولة بإعتبار أنَّ المؤسسة العسكرية عنوان لقوة الدولة وعزتها .
2. رفع الروح المعنوية للعاملين في المؤسسة العسكرية .
3. المحافظة على النظام العسكري والإلتزام بالقوانين والتعليمات العسكرية وضمان عدم الخروج عليها وارتكاب مخالفات ٍإنضباطيةٍ وفقاً لقواعد الضبط والربط العسكري .
4. تنمية روح الفريق لدى الأفراد في المؤسسة العسكرية .
5. سرعة الإستجابة للأوامر وتنفيذها بدقةٍ متناهيةٍ مع الصدق والأمانة في العمل .

المشاكل المتعلقة بالضبط والربط العسكري

كثيراً ما يعترض القائد عدة مشاكلٍ متصلةٍ بالضبط والربط وهي تحتاج إلى علاجٍ حاسمٍ نذكر منها الأتي :

1- التردد في طاعة الأوآمر .
2- إهمال العسكريين في تنفيذ الواجبات .
3- المشاحنات والمشجارات بين العسكريين وخاصةً الجنود.
4- سياسة الإنتقام لدى بعض الأفراد ضعفي النفوس أوِ المرضى النفسيين .
5- عدم الإنقياد ورفض الأوآمر .

التحية العسكرية أساس الضبط والربط العسكري

التحية العسكرية هي رمز الإحترام والإنضباط وهي عرفٌ عسكريّ ٌمترسخٌ وتقليدٌ منتشرٌ تلتزم به جميع جيوش العالم في ثقافتها العسكرية احتراماً للضباط وإنزالهم منازلهم وفي بروتوكولاتها عند الوقوف لتحية أيّ علمٍ وطنيٍّ أو إحتراماً لنشيدٍ وطنيٍ حتى وإنْ كان للعدو .

وتَعني التحية العسكرية السلام وأصلها الحياة والبقاء . فالتحية تفعلةٌ من الحياة ، وقولهم : حيّاك الله هي بمعنى أبقاك الله وعمّرك . وقيل هي من استقبال المُحيّا وهو الوجه . وهناك معنىً ثالثاً للتحية وهو الدنو والقرب حيث يقال حيَّا الخمسين أيْ دَنَا منها ؛ وقال الله تعالى في سورة النساء الآية 85 : "وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَاإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلّ ِشَيْءٍحَسِيبًا ". إنّ التحية سواءً كانت كلاماً مكتوباً

أو مقولاً أو إشارةً من ْعلامات اللياقة وحسن الأدب ودليلٌ على الإحترام . والتحية بالمصافحة أو الإشارة باليد والرأس أكثر التحيات إنتشارا ًفي جميع الحضارات ، وفي مختلف العصور والأزمنة .

أمَّا في قواعد السلوك العسكري فتعتبر التحية العادية أو المصافحة ابتذالاً منافياً للإنضباط المفروض على العسكريين . فحسن الإنضباط عنصرٌ أساسيٌّ في نجاح الجيوش وتقدمها ولذلك فالتحية العسكرية التي هي رفع اليد اليمنى حتى الجبين وما يصاحبها منْ وضع إستقامة هي دلالةٌ على الإحترام الواجب منَ العسكري لمنْ هو أعلى منه رتبةً (و إنْ كان عدواً) ، كلما التقى بهم أو تقابل معهم . وهي تعبيرٌ منَ العسكري على الإنضباط والطاعة . وهي تحيةٌ متبادلةٌ بين الطرفين ، إذْ يُرد عليها بنفس الإشارة . وهي أنواع : التحية باليد والتحية بالسيف والتحية بالبندقية والتحية بدون غطاء الرأس ، وتحية بهو الضباط ، وتحية الطائرات لساحات الإستعراض والمهرجانات والإحتفالات وتحية الطائرات لميادين القتال أوِ الإنزالِ . والتحية بالصافرة وتحية سفن القتال ، وغيرها .

والتحية العسكرية أكثر التحيات النظامية إنتشاراً ، (هناك أشكال مختلفة من التحيات مثل إشارات التحيات الرياضية ، والتحية الكشفية ، وتحيات الفنانين للجمهور وغيرها) ، وهناك تحياتٌ عسكريةٌ أخرى متميزةٌ أبرزها التحية النازية المعروفة التي فرضها هتلر على الجيش الألماني . كذلك التحية الفاشية للجيش الإيطالي في عهد موسوليني .

والتحية العسكرية تقليدٌ قديمٌ مُختلَفٌ في أصوله ، فهناك منْ يرى أنْ أصل التحية العسكرية يعود إلى عهودٍ قديمة ٍجدا ً، عندما كان يلتقي المسافرون على الطريق فيشير الواحد منهم للآخر برفع يده اليمنى مفتوحةً تأكيدا ًعلى أنَّه أعزلٌ لا يحمل سلاحاً ، وليعلن له أنَّه مسالمٌ وليس عدواً .

إنَّ خلق عادة الضبط و الربط العسكري تتطلبُ روحاً عاليةً ، و لابد منْ توفر سعتِ الصدر و الصبر ، كما أنَّ تعود العسكريين على الضبط يجب أنْ يكون على طريق فهم الواجب و الإدراك و الإرشاد ، لا بالعنف و كذلك تعويدهم بأنَّ الضبط و الربط العسكري صفةً لازمةً للحياة العسكرية لأنَّه الوسيلة التي تجعل العسكري متمسكاً بواجبه مهما عَظُمَ أو كان خطراً ، وهو أيضاً الدافع الخفي لتنفيذ الأوآمر و الإلتزام بالأنظمة و القوانين العسكرية .

الفصل الثاني : الإلتزام العسكري

إنَّ الالتزام في مدلوله اللغوي يعني ملازمة الشيء والتمسك به وإلزام النفس به ، وعلى هذا فالملتزم عسكرياً قد ألزم نفسه بالإمتثال للآوامر العسكرية بكلِّ جوارحه طواعيةً وبشكلٍ تلقئِيٍّ كما يُمليه عليه ضميرهِ ، واتخاذ الجندية بمفهومها كعقيدةٍ ومعاملةٍ وأخلاقٍ وسلوكٍ في السلم والحرب داخل المعسكرات وخارجها ، فيعيش الفرد عسكرياً في سره وعلانيته ، في نفسه ومع أسرته ، وفي مجتمعه العسكري ومع سائر الناس ، فالجندي الملتزم عسكرياً لا يتجرد منْ عسكريته أنَّى كان ، ولو اقتضت ظروفه المعيشية أنْ يعيش مع غير العسكريين بعيداً عنِ البيئة العسكرية ، إثباتًا للهوية والذات العسكرية ، ولا يكون الإلتزام العسكري في جانبٍ منْ جوانبه فقط ، وإنمَّا يكون بالمجتمع العسكري في عمومه ابتداءً بالقيم والعقيدة و المذهب وانتهاءً بالهيئة والقيافة والضبط والربط وتنفيذ الواجبات ، والملتزم عسكرياً ملتزمٌ بالقوانين والعرف والعادات والتقاليد العسكرية بالضرورة . وبناءً على ذلك يمكننا تعريف الإلتزام العسكري بأنَّه : اتباع السلوك العسكري السليم غريزياً نتيجةً تكوين العادات العسكرية بطريقةٍ سليمةٍ .

والفكر السائد في المجتمع العسكري اليوم استعمال مصطلح "الإلتزام العسكري"في كل الواجبات و المهام الضبطية التي يقوم بها الفرد بوصفه عسكرياً ، كالتحلي بالأخلاق العسكرية ، والاحتراز عنْ مساوئ الأخلاق خارج المعسكرات والثكنات ، ونحو ذلك منَ السلوك العسكري الإيجابي ، حيث أنَّ مصلحتها ليستْ قاصرةٌ على الفرد نفسه ، وأثرها شخصي وهو ارتباطُ علاقته بالجيش ، ويتغاضى بعض العسكريين بهذا الحصر للمفهوم عنِ الواجبات التي ينفذها بتأثير ضميره كفردٍ عسكريٍّ مع كونها هي أعمق معنىً وأشدُ أثراً منَ الواجبات الضبطية ، لأنَّ خطابها موجهٌ لجميع أفراد المجتمع العسكري ، ومصلحتها منْ حيث الأثر أوضحٌ ، فإنَّ القيام بها يسقط الحرج عنِ الجيش ، فالعمل المتعدي أفضل منَ القاصر ، بل لا تستقر أحوال المجتمع العسكري إلاَّ بها ، مثل طلب العلوم وتحصيلها بشتى تخصصاتها ، وإغاثة المستضعفين أثناء الكوارث الطبيعية أو أثناء الحروب ، ودور المجتمع العسكري في السلطة السياسية ، والدفاع عنِ الوطن ، ومقاومة الغزو الفكري والإعلامي ونحو ذلك مما يدخل عندنا كعسكريين محترفين تحت الواجبات التعبوية . ولعل منْ أسباب حصر هذا المعنى منَ المجتمع العسكري منْ سوء فهم العسكريين لواجباتهم التعبوية ، وإشكالية التسمية ، وإهمال المناورات والجانب التوعوي للواجب التعبوي ، وتداخل مسؤولية القيادة العامة للقوات المسلحة و القيادات الصغرى في القيام بالواجبات التعبوية ، وأضيفُ هنا مشكلة ضعف الوازع العسكري وهو حس المسؤلية كعسكريٍّ .

والإلتزام العسكري هو منْ إلزَامِ الفرد نفسه بتمسك بأفكار وأهداف وأيديولوجية الجيش ، إنّ َالإلتزام العسكري هو فعلٌ إراديّ ٌمنَ العسكري عنْ سابق إصرارٍ وقناعةٍ ، بينما إلزام الفرد نفسه هو آلية تحركها قاعدة الإجبار والتقييد قبل التقيّد .و الإلتزام منْ منظورٍ فلسفيٍّ نابعٌ منَ الكبح ، أيْ أنَّ هناك حدوداً تضبط العسكري ، فلا يناقشها مخافة الوقوع فيها . فالإلتزام العسكري مفضلٌ والإلزام مكروهٌ ، فالإلتزام أمام المجتمع العسكري محبوبٌ ، وأمام القانون العسكري واجبٌ ، و أمام العقيدة العسكرية أيديولوجية ، و أمام الذات العسكرية رغبةٌ . وهو ما يحتاج إليه العسكري ولا يكون في هذا أيُّ إجبارٍ أو

إكراهٍ ، فالتنشئة العسكرية ليست في الإلزام سوى في الكليات والمدارس العسكرية ، و إلتزام العسكري في فكره وفلسفته ليس سوى انعكاساً لإلتزامه في حياته العسكرية ؛ وبالتالي سيقع ضحية إلتزامه العسكري دائماً . لأنَّ الإلتزام هو ما يُساعد الشخصية العسكرية في بحثها عنِ الكمال ، من ٍوجهة نظري أنَّ الإلتزام العسكري نقطة تحوّل لفلسفة الحياة العسكرية ، حيثُ أنَّني أعتقدُ أنَّ نقطة التحول هذه لا تكتمل إلاَّ بالإلتزام الذي يأخذ شكل التضحية والتي تحدثنا عنْها في فصلٍ سابقٍ ، ومنَ الإلتزم العسكري أنَّ بلوغ الإستراتيجية العسكرية هي في الخوض فيما لا نعرفه أو ما هو يبدو توقعاً بالنسبة لنا ، لأنَّ الإستراتيجية العسكرية هي التحدث عنْ معرفة المستقبل ، بذلك ستكون الحدود العقلية لأيّ ٍعسكريٍّ واضحةٌ في فعله ، والإلتزام به هو منْ أساسيات العمل العسكري ، فمعرفة العدو هو ما يقودنا إليه ، وهو ما يدفعنا إلى قتاله ، والإلتزام بطلب الإستراتيجية هو إلتزام بالتخطيط للمستقبل التي بدورها تسعى لرفاهية الأمة . ومنَ الإلتزام العسكري عدم الإلتزم بحدود معيّنة في الفلسفة والفكر والمعرفة فلا نجعلها مقتصرةٌ على العلوم والمعارف العسكرية فحسب ، ويجب أنْ نأخذ على عاتقنا بأنْ نظهر بمظهر غير الراضين عمَّا يجري في مجتمعنا العسكري اليوم ، فنحاور على بيّنةٍ وتبييناً ولا ندَّعي احتكار المعرفة ،حتى يُصبح الإلتزام العسكري عملاً سَوْقياً تعبوياً وما المجتمع العسكري سوى إلتزامٌ يبدأ منَ الفرد في محيطه العسكري لينتهي إلى الأسلحة الصنوف والتشكيلات الكبرى .

والإلتزام العسكري التزام ٌفكريٌّ والتزامٌ فلسفيٌّ إذنْ مصطلح الإلتزام له معانٍ فلسفيةٍ وأخلاقيةٍ وإجتماعيةٍ وقانونيةٍ ، فلسفياً الإلتزام هو جوهر الحياة العسكرية بمعنى أنَّ العسكري لا يمكنه أنْ يعيش بدون مبدأ الإلتزام ، وأخلاقياً فإنَّ الإلتزام هو المحافظة على مكتسبات المجتمع العسكري ماديةً كانت أو معنويةً ، أمَّا إجتماعياً فهو تعهدٌ إجتماعيٌّ ملزمٌ للعسكري أيَّ كان منصبه أو رتبته يتعهد عرفاً بمقتضاه بقبول الحياة العسكرية بكل مشتملاتها ومقتضياتها أيْ تطبيق لمبدأ الأثر النسبي لهذا التعهد وليس خروجاءٍ عليه . والمتعهد هو العاقد نفسه وليس الأخرون ؛ أمَّا قانوناً فالعسكري ملزم ٌقانوناً باعتباره مسؤولاً عن ٍأشياءٍ ماديةٍ أو معنويةٍ . ويشمل الإلتزام القانوني التزامات القوانين العسكرية والمدنية . فالإلتزام أو نظرية الإلتزام تتكون منْ مبادئٍ أساسيةٍ أهمها :

1. إحترام القسم القانوني ، والوفاء به .
2. تحمل مسؤلية الخيانة والغدر والتجسس لصالح العدو ، وغيرها منَ الجرائم الجنائية كسرقة أموال الجيش عينية أو مادية أو الفساد الإداري وغيرها .
3. تنفيذ الواجبات والمهام بصورة الصحيحة .
4. الطاعة والضبط والربط والتقيد بالقيم والأعراف العسكرية .

مفهوم الإلتزام العسكري وخصائصه:

أ- مفهوم الإلتزام العسكري :

يمكن أنْ نعرف الإلتزام العسكري بأنَّه : رابطةعرفيةٌ وقانونيةٌ بين العسكري والمجتمع العسكري يلتزم بمقتضاها بتنفيذ الواجبات والمهام المسندة إليه والتقيد بكل القيم والأعراف والتقاليد والقوانين العسكرية . ويلاحظ أنَّ هذه الرابطة العرفية تسمى بالحق المجتمعي إذا نظرنا إليها منْ ناحية العسكري ، وذلك لأنَّ للمجتمع العسكري الحق في مطالبة العسكري بما يقع على عاتقه منْ أداء الواجبات ، وإذا نظرنا إليها منْ ناحية العسكري تسمى إلتزاماً أو واجباً شخصيً ، و ذلك لأنَّ العسكري يقع عليه عبء الوفاء بالأداء الذي إلتزم به تجاه المجتمع العسكري فهو الطرف الملتزم في الرابطة . ونلحظ مما سبق أنَّ الإلتزام العسكري يحتوي على مظهرين : الأول هو الرابطة الشخصية بين المجتمع العسكري والعسكري نفسه . والثاني هو مظهر القيمة المادية والمعنوية للإلتزام والتي يتخذ بمقتضاها موقعاً في ذمة المجتمع العسكري كحقٍ ، موقع في ذمة العسكري كواجبٍ . ويمكن القول أنَّ المفهوم الذي وصل إليه الإلتزام العسكري في المرحلة التي وصل إليها منْ تطور في المعركة الحديثة المشتركة هو المفهوم الذي يبرز المسألتين الآتيتين :

1. أنَّ للإلتزام العسكري واجهة ٌدمويةٌ عنيفةٌ " مادية أو معنوية " أيْ النظر إلى محله الذي هو العنصر القتالي ، كما أنَّ له واجهةٌ شخصيةٌ أيْ العلاقة التي تربط المجتمع العسكري بالعسكري نفسه ، فالإلتزام حالةٌ قانونيةٌ تربط شخصاً معيناً .
2. أنَّه منَ الضروري أنْ يوجد المجتمع العسكري منذ نشوء الإلتزام ، ويدخل في ذلك جل التصرفات القانونية العسكرية الناشئة عن الإرادة المنفردة للجيش كما في الاشتراط لمصلحة العسكري والوعد بمرتب والترقية والتأمين الصحي . أيْ أنَّ الالتزام العسكري حالةٌ قانونيةٌ يرتبط بمقتضاها العسكري بتفيذ واجب عيني أو بالقيام بعمل قتالي دون التفكير في الامتناع .

ب- خصائص الإلتزام العسكري :

يتبين لنا منْ خلال ما سبق ، أنَّ الإلتزام العسكري يمتاز بمجموعة منَ الخصائص :

1. الإلتزام واجبٌ قانونيٌّ : أيْ يكفل القانون إحترامه لفائدة المجتمع العسكري ، وهو مقترنٌ بالعقوبة الذي يفرضها القانون العسكري عند الإخلال به ، وبهذا يختلف الإلتزام عنِ الواجبات غير القانونية ، كالواجبات الأخلاقية التي تعتبر واجباتٌ ضبطيَّةٌ .
2. الإلتزام العسكري يقع على عاتق العسكري نفسه : والمقصود أنَّه لابد منْ وجود المجتمع العسكري وقت نشوء الإلتزام ، وهذا بخلاف العسكري الذي لا يشترط أنْ يكون معيناً وقتَ نشوءه ، بل يكفي أنْ يكون قابلاً للتعيين في وقتٍ لاحقٍ ، لكنْ مع ضرورة تعيينه منذ قيام الإلتزام أو قبل تنفيذه حتى يقع عليه . وهذا الكلام يجعل القوانين العسكرية تنطبق على المدنيين العاملين بالقوات المسلحة .
3. الإلتزام له قيمة دموية عنيفة : أيْ أنه يمتاز بالأعمال القتالية العنيفة حسب مقتضيات المعركة ، ومقتضى هذه الخاصية أنَّ قواعد نظرية الإلتزام لا تطبق إلاَّ على الواجبات القانونية ، لذا فإنَّ

الإلتزام العسكري يدخل ضمن العناصر الإيجابية للذمة القانونية للمجتمع العسكري ، كما يدخل ضمن العناصر الإيجابية المعنوية للعسكري كونه يحقق أهداف الأمة .

مضمون الإلتزام العسكري وعناصره:

أ- مضمون الإلتزام العسكري :

إنَّ الإلتزامات العسكرية هي التي يكون محلها الواجبات ، التي بطبيعتها لا تقع تحت حصر، و بالتالي فإنَّ أيّ واجبٍ سيكون محلاً للإلتزام مادام هذا الواجب ممكناً ومحدداً منَ القائد أو قابلاً للتحديد ومشروعاً وأخلاقياً منْ وجهة النظر العسكرية ، ويترتب على ذلك أنَّ هذه الإلتزامات العسكرية لا تقع بدورها تحت أيَّ حصرٍ ، وذلك لاستحالة حصر محلها . ومضمون الواجب الذي يلتزم به المجتمع العسكري قبل العسكري نفسه فلا يخرج الإلتزام العسكري على أنْ يكون إمَّا إلتزاماً بإعطاء الحقوق الوظيفة العسكرية أوِ التزاماً بتنفيذ الواجب وعدم الإمتناع عنْ تأدية الواجبات .

ب- عناصر الإلتزام العسكري :

يتألف الإلتزام العسكري منْ وجهة نظري منْ عنصرين أساسيين هما : عنصر الأوامر والتي تكون على هيئة أوامرٍ مباشرةٍ أو تعليماتٍ أو توجيهاتٍ أو بلاغاتٍ ، وعنصر المسئولية فإذا توافرا سُمِّيَ إلتزاماً عسكرياً كاملاً أو تاماً ، وإذا تخلف أحدهما كان الإلتزام ناقصاً . ويقصد بالأومر كل مايصدر منْ أيّ قيادة عسكرية مهما كان مستوها منْ أوامرٍ وبلاغاتٍ أو تعليماتٍ أو توجيهاتٍ شفويةٍ كانت أو مكتوبةٍ ، وإنشغال ذمة القيادة بهذا الإلتزام ، ويقصد بالمسئولية : وجوب تنفيذ تلك الآومر أوِ التوجيهات أوِ التعليمات والتقيد الحرفي بمضمون البلاغات . فإذا توافر في الإلتزام العسكري هذين العنصرين استحق الحماية القانونية . والحماية القانونية ليست عنصراً منْ عناصر الإلتزام العسكري التام وإنمَّا هي منْ ضروریاته .

إنَّ الإلتزام العسكري واجبٌ ثابتٌ يستلزم منَ العسكري القيام به والمداومة عليه لصالح المجتمع العسكري ، فلا يمكنه التنصل منْه أوِ التخلف عن ْآدائه ، مثل الإلتزام بتنفيذ الواجب أوِ المهمة ، أو أداء عملٍ معينٍ كالتحصيل العلمي التخصصي و المعرفي . ويوجد العديد منْ مجالات الإلتزامات في الحياة العسكرية ، فهناك التزاماتٌ قانونيةٌ تخضع للقانون العسكري ، وهناك التزاماتٌ مدنيةٌ تخضع للمسؤولية والتزامات طبيعية الحياة خراج المعسكرات والثكنات ، ويهدف الإلتزام العسكري إلى تحسين الأدآء ورفع مستوى الكفاءة القتالية ، وبالضرورة الإلتزام بتحقيق أهداف الجيش الكبرى والإلتزام بأيديلوجية الجيش والحب الوطن فهو يعمل كدافع وحافز لحدوثه .

مصادرالإلتزام العسكري :

يقصد بمصادر الإلتزام العسكري كيفية نشأته ومنْ أصدره وما هو السبب ، وتتنوع مصادره وتختلف حسب إرادة القادة والآميرين ومنْ مصادره : أوامرٌ إرادية مكتوبةٌ أو ميدانيةٌ شفويةٌ أثناء تنفيذ الواجبات والمهام ، و مصادرٌ غير إراديةٍ تتمثل في القانون العسكري أوِ العادات والتقاليد العسكرية ، وعدم التقصير في تنفيذ الواجبات والمهام . ويجب أنْ يستوفي الإلتزام حقوقه في كل الأوقات منْ ناحية وضوح الواجب أوِ المهمة والقدرة على التنفيذ بتوفير كل الإمكانيات والقبول ؛ منْ هنا يكون العسكري مهما كامت رتبته أو منصبه مجبراً عرفاً وقانوناً على الإلتزام العسكري . والإيجاب : هو فرض التعبير عنْ إرادة القائد أوِ الآمر بما يريد إلزامه للعسكري ، ومنْ شروطه : يجب أنْ يكونَ واضحاً ومحدداً ولا يجب أنْ يحمل الصفات الضمنية أيْ غير قابلٍ للتأويل . ويمكن إجراء تعديلات عليه بدون أخذ القبول . ولا يؤخذ بعين الإعتبار إذا لم يكنْ هناك قبول منْ العسكري . والقبول : هو طاعة الآوامر والولاء للجيش ، ولا يجب التراخي أوِ التقاعس عنْ أداء الإلتزامات العسكرية سواءً كانت ماديةً أو معنويةً ؛ ولا يسقط الإلتزام العسكري بخروج العسكري منْ الجيش أو تقاعده ، ويسقط في حالة عدم المقدرة الذهنية أو الجسمية أو في حالة الطرد من الخدمة العسكرية بحكم قضائي ، كما يسقط إذا أُمِر العسكري بالخيانة أوِ التنزل عنِ الشرف ؛ ولا يمكن للعسكري اللجوء إلى القانون لإعفائه من هذا الإلتزام العسكري لأي ظرفٍ . وإنْ كان الواجب الملزم به عمل غير مشروع ، أو يترتب عليه ضياع حقوق .

إنَّ القوانين العسكرية لم تفرق بينَ الواجبات التعبوية والضبطية منْ حيث الإلتزام بهما ، لأنَّ المخاطب هو العسكري في كلتا الحالتين المكلف ابتداءً ، ويقع أداؤهما منه على وجه الإلزام والحتمية . والفكر العسكري والإلتزام به يلزم العسكري كفردٍ والمجتمع العسكري كمؤسسةٍ على حدٍ سواءٍ ، لأنَّ القانون العسكري يخاطب الفرد بشكلٍ خصوصيّ ولا يعالج حاجات المجتمع العسكري ، فالعسكري ابن بيئته ، ولا يتوقع أنْ يستقيم الجندي بدون مجتمعه العسكري ، لذلك لا يتنوع الفكر العسكري بينَ هذا وذاك ، باعتبار العسكري مجبراً ، وباعتباره فرداً منَ المجتمع العسكري ، فالتزام الفرد باعتبار الأول هو التزامٌ فرديٌّ أو شخصيٌّ ، وباعتباره الآخر فهو التزامٌ مجتمعيٌّ تضامنيٌّ .

وهذه الواجبات التعبوية لا تقل أهمية ًعنَ الواجبات الضبطية ، حيث أنَّ القيام بها والمحافظة عليها تحقق أهداف الجيش في جميع مقوماتها الحياتية وقت السلم وجميع مراحل المعركة وقت الحرب ، واستقرار هويته وتعزيز مصيرها ، إنَّ الواجبات الضبطية هي القيام بمصالحٍ عامةٍ للمجتمع العسكري ، و الهدف منها تحصيل المصالح ودرء المفاسد . ومنْ هنا فإنَّ الواجب الضبطي مكمِّلٌ للواجب التعبوي ، لأنَّ الواجب التعبوي لا يقوم إلاَّبالواجب الضبطي .

كما أنَّ التشريعات العسكرية لم تفرقْ بينَ الواجبات التعبوية والضبطية منْ حيث الإلتزام بهما ، لأنَّ المخاطب في كلا النوعين هو العسكري المكلف ابتداءً ، ويقع أداؤهما منه على وجه الإلزام والحتمية ، ولا

يثاب عليهما إنْ أدَّاهما على الوجه المطلوب ، ويُعاقب إنْ تركهما ، وإنْ كان هذا الأمر لا يلغي الفروق الموجودة بينهما .

الفرق بين الواجبات الضبطية والتعبوية

ترجع الفروق بينَ الواجبات التعبوية والواجبات الضبطية إلى مضمون المهمة أو الواجب ، وكيفية تنفيده ، وتأثيره على أهداف الوحدة في السلم أو الحرب . والخلاصة أنَّ العبرة في الواجبات التعبوية ليست بالعدد والأسلوب القتالي فحسب ولكن تأثيره على سير المعركة ، أمَّا منْ حيث المضمون فالمقصود منه نوع الواجب الذي أمر القائد القيام به على الوجه الصحيح حسب الخطة ، فإنَّ الواجبات التعبوية والواجبات الضبطية على رغم كونها متساويةٌ منْ حيث وجوب التنفيذ ، وهما منْ حقوق المجتمع العسكري على مُنتسيبهِ ، إلا أنَّ مقتضى الواجب التعبوي التعاون والتكثير ، وحدَّه لا يحصر بوحدةٍ واحدةٍ أو فردٍ واحدٍ ، أمَّا الواجبات الضبطية فهي ما يقع وجوبها وتنفيذها على العسكريين فُرادى أو مجموعاتٍ ، لذلك نص عليها العُرف العسكري بأنَّها واجباتٍ" عينيةٍ" ولا تقبل الإنابة . وأمَّا ما يتعلق بالواجب منْ حيث التنفيذ ، فإنَّ الواجب الضبطي يسقط الطلب به بمجرد تنفيذه منَ العسكري وثبْرأ بذلك ذمته كالتحية العسكرية مثلاً ، لأنَّ الأمر العسكري فيه متعلقٌ بالعسكري نفسه ، وأمَّا الواجب التعبوي فإنَّه يتعلق بتحقيق الهدف دون النظر إلى عدد العسكريين أوِ الوحدات القائمةُ به ، ومتى تحقق الهدف الذي أراده القائد حسب الخطة انتهى الواجب ، سواء قام به فردٌ أو جماعةٌ أو وحدةٌ بأكملها ، ولو نفَّذَ العسكري أو المجموعة الواجب التعبوي ، ولم يتحقق الهدف ، فإنَّ ذمة الأفراد المكلفين أوِ الوحدة أوِ الوحدات تبقى مشغولةً حتى يتم تنفيذه مطابقاً للخطة أو تعديلاتها وتحقيق الهدف ، لأنَّ التكليف فيه عامٌ ، وهو بهذا الإعتبار " واجبٌ تعبويٌّ "ملزم التنفيذ .

وباعتبار أنَّ الواجب التعبوي يتميز بالتكليف العام حسب الخطة أو أمر القتال فهو "واجبٌ قتاليٌّ" ، ويطلب منْ جميع المكلفين الإلتزام به وتنفيذه ، كلٌّ حسب تفاصيل أمر القتال ، والخلاصة أنَّ العبرة في الواجب التعبوي ليستْ بالعدد والتنفيذ فقط ولكن تحقيق الهدف المرجو منه . وتكرر الواجبات الضبطية يومياً في السلم والحرب تحقق منْ معاني الثّبَات على القيم العسكرية وما يجلب منْ منفعةٍ للمجتمع العسكري . والغاية منها مصلحة العسكري نفسه ، ويتدخل الحظ النفسي عنده ، لأنَّه مأمورٌ بالدفاع عنْ وطنه وقياماً بضروريات حياته العسكرية وبحفظ عقله لإدراك الواجبات والمهام ، في حينِ أنَّ الغاية منَ الواجبات التعبوية تحيقيق أهداف المعركة ، فلا تتدخل فيها الحظوظ النفسية . وبناءً على هذا المعنى فإنَّ كلّ عسكريٌّ مكلفٌ بتكرار الواجبات الضبطية لما يحقق منْ معاني الثَّبات على القيم العسكرية لأنّ َالهدف منَ الواجبات الضبطية يتكرر بتكررها ، كالجمع الصباحي الذي يتكرر حصوله صباح كل يوم ، في حين أنَّ تنفيذ مهمةٍ في ميدان المعركة لا يتحقق الهدف منه بتكراره كل يوم .

كما يتمثّل الإلتزام العسكري في قيام الأفراد بتبنّي مواقف عسكرية محدّدةٌ وواضحةٌ ومستمرّةٌ ، تترجم منْ خلال تنفيذ الواجبات الضبطية والتعبوية بمهنية واحترافية والتعاون مع الزملاء لتحقيق أهداف

الوحدة في السلم والحرب . والتَّقيد التام بأيديولوجية الجيش وعقيدته العسكرية فهو إلتزامٌ فكريٌّ وليس ضبطيٌّ ، وخلافه رفض كلُّ ما يمتُّ للجندية وعقائدها بصلةٍ . وإنْ كان مثل هذا الرفض قابلاً للتصنيف أيضاً ضمن الإلتزام العسكري بطريقةٍ غير مباشرةٍ كتوقيع معاهدات الإستسلام مثلاً ، لكونه مساهمةٌ موضوعيّةٌ ولا شعوريّةٌ في تثبيت وضع الأمة القائم وتزكيته . فإن كل ما يقوم به القادة السياسيّون ، وتفاديا لإنخراط والمشاركة في أنشطتهم السياسية ، هو في نهاية المطاف سوى تكريسٌ للإلتزام العسكري ، وهو ما يتعارض مع الموقف المعلن الرافض لكلّ سياسة إنهزامية . إنَّ الاصطفاف العسكري والتقدير السياسي مهما كانت درجة ملاءمته لايكفينا لفهم حاضرنا بل إنَّه يتعين علينا التفكير سوياً في صيرورتنا المشتركة ، فما يميز عصرنا حسب "هايدغر" هو أنَّنا لا نفكر بعد ؛ لكنْ وفيما وراء هذا الحكم القاسي والمرعب فإنَّما ينبغي التأكيد عليه هو أنّ ثمةَ لحظاتٍ تكون أكثر ملاءمةً ليقظة الفكر منْ غيرها .

الفصل الثالث

العقد الإجتماعي العسكري

مفهوم العقد الإجتماعي العسكري :

إنَّ " العقد الاجتماعي العسكري " يعنى أنَّ ثمة تعاقدٍ بين مجموعةٍ منَ الأفراد منْ أجل الإلتحاق بالجيش وصنوفه و أسلحته ، وهو كالتعاقدِ بين الحكام والمحكومين ، كما هو الحال عند لوك ، وليس بين المحكومين (العسكريين) وبعضهم البعض ، ويجب على المجتمع العسكري أنْ يقوم على أساس التعاقد الذى يتمثل فى يمين الولاء والخضوع بين القيادة العامة للقوات المسلحة وبقية العسكريين بمختلف الرتب والمناصب . وإنَّ تناول هذه الفكرة منْ منطلق عسكري ، حيث إبراز المجموع والارتكاز على المجموع كمجموع ، وليس على الفرد . بالمعنى الغامض لهذه الكلمة ، فاعتبار المجموع (المجتمع العسكري) وحدة قائمة بذاتها لها كيانها هو تصور العقد الاجتماعي العسكري ، فهذا الطرح الجمعي ، إلى جانب كونه جديداً ، فإنَّه أحد ركائز الفكر العسكري .

والجدير بالذكر أنَّ العقد ليس افتراضاً خيالياً ، بمعنى أنَّه موجودٌ وليس سابقةٌ تاريخيةٌ له ، حيث التجأت إليه الجيوش كتبرير فيزيائي لنشأتها ، أيْ أنَّ العقد هو الصورة النمطية لمجتمع العسكر . ولقد ساعدت نظرية العقد الاجتماعي العسكري على ترسيخ حق السلطة العسكرية المقدس للقادة ، بما يحمله هذا الرسوخ على الحق المقدس للقادة العسكريين منْ تحقيق لعلمانية السلطة العسكرية ، أىْ نقل مصدر السلطة منْ ميدان المعركة إلى مقر قيادة الجيش ، فليس للأفراد المشاركون فى هذا العقد حق في السلطة ، وليسو مصدراً لهذه السلطة . وانطلاقاً منْ هذا المبدأ سأحاول أنْ أتعرض لفكرة العقد الاجتماعى العسكري : أنَّ السلطة المطلقة للقيادة العامة للجيش ، بوصفها أمراً لا غنىً عنه للنظام الإجتماعي العسكري والوحدة الوطنية للأمة .

العقد الاجتماعي العسكري هو مبحث أساسي في الفلسفة الاجتماعية والأخلاقية العسكرية . منْ خلالها يمكن لنا أنْ نفسر نشأة المجتمع العسكري ، و بقاءه واستمراره ، متخذين منَ العقد المكتوب مع المؤسسة العسكرية ، والعقد غير المكتوب الذي أقره العسكر طواعيةً فيما بينهم خدمةً للأمة ، أساساً للحقوق و الواجبات التي تنظم شؤون الحياة العسكرية داخل المعسكرات وخارجها وقت السلم ووقت الحرب ، وقاعدةً للتوفيق بين القادة والعسكريين بمختلف رتبهم ، ووسيلةً لإزالة التناقض بين ميول العسكري الفردية وواجباته العسكرية ، وأداةً تمنع التنافس على المصالح والمناصب ، وعدم جعله صراعاً تناحرياً يهدد العسكريين في حياتهم وحقوقهم وواجباتهم وحرياتهم .

إنَّ نظرية العقد الاجتماعي العسكري تختلف عنْ نظرية العقد الإجتماعي الإنساني بوصفها عقيدةٌ مناهضةٌ لأنواع الحكم المطلق أو الاستبدادي . لأنَّ الحياة العسكرية تحت قيادةٍ ديكتاتورية مطلقةٍ ، و لهذا فإنَّ مفهومها يختلف اخلافاً جذرياً عنْ نظرية العقد الإجتماعي الإنساني ، إنَّ جوهر هذه النظرية يقوم على أنَّ العسكريين بطبيعتهم منْسَاقين للديكتاتورية العسكرية ، ومنْ ثم لا بدَّ مِنْ خضوعهم لمجموعة القوانين العسكرية ، التي تضمن سير الحياة العسكرية طبقاً للصورة النمطية المتوارثة منذ نشأتِ الجيوش النظامية ، ومنْ ثم ضرورة التحول منْ الحالة المدنية الإفتراضية للأفراد (الحالة الواقعية) إلى نموذجٍ ذهنيٍّ مثاليٍّ ووصولاً إلي المجتمع العسكري الذي يتوافق عليه الجميع .

وفكرة الطبيعة التعاقدية للمؤسسة العسكرية هي فكرةٌ جديدةٌ طرحت في العصور الحديثة ، ثم تطورت حتى وصلت إلى قمتها في وقتنا الحالي ، إنَّ مفهوم الجيش باعتباره ذو طبيعةٍ عضويةٍ ، فهو منْ وجهة نظري كيانٌ يعتمد في أهميته على أهمية الأجزاء المكونة له ، ولا قيمة لأيِّ جزءٍ خارج الكل . ومنْ ناحيةٍ فلسفيةٍ أخرى فإنَّ المنفعة والمصلحة الذاتية لا يعتبران عصب الحياة العسكرية ، وأنَّ الجيش لا يقوم على عقد منفعةٍ بين العسكريين ، ولا يكفل تقابل المنافع وتبادلها بينهم ، وبهذا العقد غير المنفعي تقوم الدولة ويسود الأمن .

إنَّ الفلسفة العسكرية تؤكد على ضرورة المشاركة الفاعلة منْ جانب القادة العسكريين على المستوى الإستراتيجي في إدارة شئون الدولة ، والدولة بهذا المعنى تقوم على أسس أخلاقية عسكرية وأمنية ، والأمن يعني القانون الطبيعي للحياة ، والدولة لا تكون دولةً بالمعنى الصحيح إلاّ إذا كانت مملوكةً ملكيةً مشتركةً بين جميع مؤسساتها .

إنَّ فكرة تعاقد الفرد مع الحكومة (أو الجيش بالمعنى الأدق) منْ أجل حماية الأمة ، وبالرغم أنَّ الجيوش لا تؤمن بفكرة حرية العسكرية ، أو إرجاع السلطة العسكرية إلى الأفراد ، وهذا يدل على أنَّ النظرية واضحة عنِ العقد ، ويُظهر الكثير منْ مقوماتها ، لأنَّ القانون العسكري يعتبر القبول أهم أركان النظرية ، وفكرة العقد الإجتماعي العسكري تتضمن فكرة القبول وأنَّها ركنٌ أساسيٌّ فيها ، أمَّا الفكرة السياسية هي أنَّ الجيش يوافق على تعيين الفرد ، ومعنى هذا أنَّ الجندي حين يدخل المجتمع العسكري يكون ضمنياً قد تعاقد مع الشعب للدفاع عنه بدون مقابل . ولكن ويمكن القول أنَّه منْ أجل بلورة نظرية العقد الاجتماعي العسكري ، سوف نركز على تناول عدد من النقاط التي تمثل جوهر نظرية العقد الاجتماعي العسكري ، وهذه العناصر يمكنُ إجمالها على النحو التالي :

أولاً : حالة المدنية

وهي حالةٌ افتراضيةٌ يغيب فيها " مفهوم المجتمع العسكري" ، فهى ليست واقعةٌ معينةٌ ، بل فكرةٌ ضرورية نبني عل أساسها النظرية ، أنَّ الغريزة الأساسية للإنسان في حالتها المدنية هي حب التمتع بالحياة والفوضى القانونية ، وليس هناك غريزةٌ اجتماعيةٌ تجبر الإنسان على التعاون مع الآخرين إلاَّ الفطرة الإنسانية ، وهي دافعٌ منَ الضمير أوِ الدين ليس إلاَّ ، إنَّما يسعى الإنسان دائماً على المحافظة على أسرته

كحق طبيعي في الحياة ، والبعض يسعى إلى القوة أوِ الجريمة كوسيلة لإشباع رغباته دون رادع من الضمير أوِ الدين .

إنَّ الفوضى المدنية هى السمة الغالبة على حالة المدنية خارج المعسكرات ، رغم وجود مبادئ العدالة والإنصاف والرحمة والتواضع والعرفان بالجميل ، ولكن التزام الأفراد بما نسميه بالضبط والربط كان لا ينبع منْ داخلهم ، إلاَّ بوجود قوة خارجية تفرضه عليهم ، ولكن في المجتمع العسكري المنظم تتحول كلُّ هذه المباديء إلى إلزامٍ داخليٍّ ، حيث يعمل المجتمع العسكري على تدريب الأفراد وغرسها فيهم .

ولمَّا كانتِ الأمة حريصةً على تحقيق مصالحها ، تولدتْ لدى الجميع ضرورة التعاقد مع الأفراد للدفاع عنْ هذه المصالح ، بدون أيَّ نوعٍ منَ الصراعات ، ولولا خوف الأمة وقناعتها بوجد جيشٍ يحميها لما ظهرت فكرة التعاقد ، كأحسن وسيلة لبث الطمأنينة بين أفراد الشعب . وأصبح العسكري بمقتضى التعاقد ملزماً بالوفاء ؛ مخافة ألاَّ يحترم الآخرون العقد الذى بينه وبينهم . أو أنَّه يقع في مستنقع الخيانة منْ حيث لا يدري ، فالخوف إذنْ هو أساس التعاقد وليس حب الوطن في هذ الحالة ، لأنَّ الحب و التضحية يغرسان في العسكري لاحقاً ، والخضوع للعقد مرده خوف العسكريين منَ القانون العسكري أو ببساطةٍ أكثرٍ خوفهم منْ بعضهم البعض ، إذنْ الخوف المشترك هو أساس القيام بالواجبات المهام وغيرها منْ الالتزامات العسكرية ، وتأدية الحقوق المفروضة . ويتدرج عددٌ منَ العسكريين في المناصب التي تمارس سلطتها منْ خلالهم ، فلا نرى نزعات على السلطة العسكرية . و بمقتضى هذا العقد يتنازل الجميع عنْ إرادتهم لإرادة القادة وهيئات الركن ، فيكون لهم بمقتضى هذا العقد السلطة المطلقة لعمل كل ما يرونه صالحاً للمؤسسة العسكرية ، وبالتالي لصالح الأمة . إذنْ فالعقد الاجتماعي العسكري هو اتفاق العسكريين فيما بينهم على التنازل عنْ حقوقهمُ المطلقة للقادة وهيئات الركن اللذين يستطيعون التصرف بالإنابة عنْ كل عسكري شارك فى إقامة العقد ، وهو تنازلٌ أبدىٌّ لا رجعة فيه . ولا يعتبر القائد الأعلى للقوات المسلحة طرفاً فى العقد لأنَّه بين الشعب والجيش ، وليس بين القائد والشعب ، وتبعاً لذلك لا يستطيع القائد الأعلى للقوات المسلحة أنْ يرتكب أيَّ خرق للعقد ؛ لأنَّه لم يشاركْ فى إقامته .

إلا أنَّ بعض العسكريين قد يحاول الفكاك من هذا العقد لاعتقادهم (الباطل) أنَّهم اجبروا على دخوله أوِ اضطروا إلى ذلك ، وأنَّه يناقض طبيعتهم ويحدُّ منْ حريتهم التى كانوا يتمتعون بها فى حالتهم المدنية الأولى . وفى هذه الحالة فإنَّ العقد يلزم الجميع باحترام وتنفيذ بنوده ؛ لأنَّه إذا لم تتوفر هذه القوة ، فإنَّ العقد لن يكون سوى كلماتٌ جوفاءٌ بدون معنىً واقعيٍّ ، و الشخص الذى تتوفر له هذه القوة هو القيادة العامة للقوات المسلحة .

و منْ أجل تأكيد السلطة المطلقة للقيادة العامة للجيش ، فإنَّ ذلك يتضح منْ خلال إبراز فرديتها ، وتوجهها المحافظ دائماً ، ويتوقف ذلك على الإجابة على ثلاثة تساؤلاتٍ ربَّما تساعد فى إيضاح ذلك ، وهى منْ أينَ يستمد القائد حقه فى ممارسة السلطة المطلقة ؟ ما الذى يبرر قيام مثل هذه السلطة العسكرية المطلقة ؟ و أليس لهذه السلطة المطلقة منْ حدودٍ ؟ .

1. مصدر حق ممارسة القائد للسلطة المطلقة : أنَّ مثل هذا الحق لا يستند أساساً إلى أيّ منطق عقلى ، إلاَّ أنَّه هناك ما يبرره حين ننظر إلى مصلحة الأمة الإستراتيجية أو حتى مصلحة الوحدات الصغرى على المستوى التعبوي . وكذلك نستطيع القول نفسه بالنسبة لحق القيادة ، إذ ليست هناك أية ضرورة عقلانية تبرر حق الأقدامية في تولي منصب القيادة ، فالقيادة العسكرية إذنْ لا تقوم على أيّ أساسٍ طبيعيّ كيْ تستمد منه شرعيتها . إنمَّا يستمد القائد حقه فى ممارسة السلطة منْ ذلك الاتفاق الاختيارى الملزم الذى يقيمه العسكريون مع القيادة العامة للقوات المسلحة يطيعون بموجبه كل قراراتها ، وتوصياتها وبلاغاتها وكل مايصدر منها منْ آوامرٍ في السلم والحرب ليضعوا حداً لصراعات الحق الطبيعى للمارسة السلطة ، وذلك بإقامة سلطة القانون العسكري الذى يؤمِّن لكلّ عسكريٍّ كلَّ حقوقه ، وإذا كانت هذه السلطة مطلقةٌ ؛ فلأنَّه بدون مثل هذه القوة لا يمكن أنْ يُقام الجيش .
2. ما الذى يبرر قيام السلطة العسكرية المطلقة ؟ : إنَّ ما يبرر هذا السؤال هو الطبيعة البشرية حسب هوبز ، فلقد كانت المشكلة الرئيسية التى تشغله هى مشكلة العواطف البشرية وكيفية السيطرة عليها ، فالطبيعة البشرية تتحكم فيها الأهواء ، فالمنطق يقرر أنَّ المصلحة الحقيقية للعسكري هي مصلحة الطاعة وهذه المصلحة الغريبة يُجمع عليها جميع العسكريين ؛ ولما كان العسكري نفسه آلةٌ طبيعيةٌ للقتل ، كان لابدَّ منْ وجود آلةٌ اصطناعية تضبطه ، وهي السلطة المطلقة للقيادة العامة للجيش ، التي هي وحدها الكفيلة بتحقيق الغاية الأفضل التى ارتآتها مصلحة الأمة .
3. حدود السلطة المطلقة : إنَّ العلاقة القائمة بين العسكريين الذين ارتضوا إقامة المجتمع العسكري الحديث التي تتولى فيها السلطة العسكرية القيادة العامة للقوات المسلحة المتمثلة في القائد العام للقوات المسلحة وهيئات ركنه ، هي علاقة عقد أو اتفاق أو معاهدة لتأمين الدفاع عنِ الأمة ومصالحها . إنَّ مثل هذه المعاهدة لا تُنقض ، رغم أنَّ هذا المجتمع يعيش فى خطرٍ دائمٍ ، وخاصةً حين تتعرض الأمة للخطر ، ذلك أنَّ المجتمع العسكري كمجموعةٍ منَ المواطنين اختاروا طواعيةً العيش معاً فى ظل قانون العسكر ، وهمهمُ الأول هو حماية الأمة لا مجتمعهم العسكري ، وإذا كان العقد الاجتماعي العسكري يعنى تخلى كل مواطن منْ هؤلاء عنْ حقه كفرد فى استخدام عنفه للدفاع عنِ الأمة ، بل يجب عليه أنْ يتجمع مع عددٍ آخرٍ منَ المواطنين للقيام بذلك الواجب ، فالقبول بالسلطة المطلقة يبدأ حين تُهدَد الأمة فى وجودها أو سلامتها ، وهذا هو الحد الأول للسلطة المطلقة للقائد العام للقوات المسلحة ، أما الحد الثانى فيقوم حين لا يعود الجيش قادراً على حماية الأمة ، فحدود السلطة المطلقة هى حدود حياة الأمة ووجودها .

فإذا اتخذنا العقد الإجتماعي العسكري كأساسٍ لبناء الجيش ، فهل يعني ذلك الغلبة والانتشار له على حساب باقي مؤسسات الدولة . إنَّ الفطرة العسكرية هي قانون الطبيعي الذي يحكمنا ، ويُلزمنا بطاعة قادتنا والأعلى رتبة دائماً ، أيْ أنَّه لا وجود للنزعات الأنانية والمصلحة الذاتية " كمجتمع مثالي " لأنَّه محكومٌ بالعقل والطاعة ، وكانت القوة موزعة بين القادة وليس بين الأفراد ، وهكذا أجبرنا على أنْ نكونَ شركاء فى كل

المميزات العسكرية . وقد أحس القانون العسكري بالضرورة تنظيم حياة الفطرة العسكرية هذه ، إذ يوجد تحديدٌ واضحٌ متميزٌ للقوانين العسكرية ، وتوجد الكثير منْ الهيئات المنظمة تباشر تنفيذ هذا القانون وتتخذ القرارات اللازمة لذلك . وتنازلنا بكامل حريتنا عنِ الكثير منْ حقوقنا بالقدر الذى يتيح للسلطة العسكرية أنْ تقوم بواجباتها فى الدفاع عنْ مصالحنا وحقوقنا كمواطنين صالحين وهبنا حياتنا منْ أجل بقاء الأمة . ولا يجوز هذا الانتقال إلى الفطرة العسكرية إلا برضاء العسكريين ، حيث أنَّ رضاءهم هو أساس قيام الجيش وليست أية سلطةٍ أُخرى . أيْ أنَّ العقد الاجتماعي العسكري يجسد جانبين أحدهما سلبى : وهو المعوقات التى تعوق ممارسة العسكريين لحريتهم ، رغم كونها حق المقدس في كل الدساتير وهي منافيةٌ للعقل والمنطق . أمَّا الجانب الإيجابى : فهو ثمة حقوقاً طبيعيةً فى حالة الفطرة العسكرية لا يمكن التنازل عنها ، وهي حق الحياة الكريمة ، والملكيات الخاصة . إذنْ فالمجتمع العسكري يخلق لنا حتى حقوقنا كما يخلق لنا واجباتنا .

إنَّه منَ الواضح سهولة التفرقة فى طبيعة المواطن المدني وبين ما كلٌ هو عسكري ، فالحياة المدنية ليست مجرد افتراض لكى نستطيع التوصل إلى الحكم على حالة المجتمع العسكري . لأنَّه هناك علاقة مباشرة بين ترف الحياة المدنية وتقشف العسكريين و خشونتهم ، وبين الضبط والربط ، وبين اضمحلاله منْ ناحيةٍ أخرى . لأنَّ تصرفات العسكريين فى هذه الحالة تستند إلى العقل و الوعي العسكري ، وإلى مجموعةٍ منَ المشاعر العسكرية الفطرية ، وإلى حافز منَ المصلحة الوطنية ، وإلى مؤشر الأمن القومي الذي يفتقده كل المدنيين حتى في أعلى مناصب الدولة .

وبوصول الأمة إلى ذلك الحد الذى تغلبت فيه العقبات التى تضر ببقائها ، على القوى التى تستطيع كل استعمالها منْ أجل استمرارها . عندئذ لم يعد فى امكانية تلك الحالة الإنهزامية أنْ تدوم ، وكانت الأمة ستهلك لو لم تغير طريقة وجودها . فكان لابد منَ البحث عن شكل قوةٍ مجتمعةٍ منْ شأنها أنْ تحمى الأمة ، شكل للقوة يكون فيه كل فرد مع الأعضاء الآخرين غير خاضع لنفسه ، وغير متمتعٍ بالحرية التى كان يتمتع بها من قبل . تلك هى الحالة الحقيقية والرئيسية التى يبحث العقد الاجتماعي العسكري عنِ الحل الصحيح لها .

فالعقد الاجتماعي العسكري هو ميثاق يتنازل بموجبه الأفراد كلٌ عنْ نفسه للأمة بشكلٍ عامٍ أو للمجتمع العسكري على وجه التخصيص والتعاقد ، والعسكري جزء منْ هذه الأمة ، وبذلك ينهى العقد الحياة المدنية ليبداء عهد الفطرة العسكرية ، و يعمل على إنشاء المجتمع العسكري المثالي ، حيث تصبح السيادة والسلطة منْ حق القيادات وهيئات الركن لا منْ حق الأفراد ، إذ يتنازل كل عسكري عنْ حقوقه للمجتمع العسكري حينما يشعر بأنَّه يُساهم بكل قدرته تحت إرادة قائده ، ويلتقى كلُ العسكريين على شكل هيئةٍ فيها كل فردٍ يكون الكل . أيْ عندما يقرر كل فرد منَّا نهائياً وبشكلٍ حرٍ ، أنَّ ما يريده هو ما تريده قيادته ، فإنَّه لا يفعل فى طاعته لها سوى ما يريد هو نفسه . إنَّ هذا الكلام لا ينطوى على أيَّةِ مغالطةٍ ؛ لأن الجيش

هو المجتمع العسكري حيث نجمع بين سلطات التشريع و التنفيذ ، بدون واسطة لتنفيذ القوانين (حكومة) ، وذلك يتطلب قيام عقدٌ ، إذ العقد أساس لقيام المجتمع العسكري .

والسلطة غير مقيدة ، رغم أنَّ العسكريون يتنازلون كلية ودون تحفظ عنْ جميع حقوقهم للمجتمع العسكري ، إلا أنَّ هذا التنازل لا يُفقد الأفراد حرياتهم وحقوقهم نهائياً ؛ لأنهم سيستعيضون عنها بحرياتٍ وحقوقٍ عسكريةٍ يقررها لهم المجتمع العسكري الذي أقاموه ، لأنَّ بوجود هذه المؤسسة العسكرية يفترض وجود هذه الحقوق والحريات العسكرية ؛ لأنَّها لا تقوم إلاَّ إذا حمتها . وصيغة العقد وطبيعته لا تحمل فى ثناياها أيَّ نوعٍ منَ الحرية ، بل المساواة التامة ؛ لأنَّ العسكريين بردّهم أنفسَهم إلى المجتمع العسكري ، يعودون إلى نقطة البداية حيث تتحقق المساواة التامة بينهم ، كما أنَّ تجمُّعهم يكون كاملاً بالإطلاق لا يسمح بأيَّة أفضليةٍ لأى فردٍ بل للجيش كله .

ثانياً إرادة القيادة العامة للقوات المسلحة :

أنَّ للمجتمع العسكري شخصية قانونية ذات إرادة هي " إرادة القيادة العامة للقوات المسلحة " ، التى تنحو دائماً نحو تحقيق الكفاءة القتالية والجاهزية القتالية والعناية بالمجتمع العسكري ، ولا تتحقق إرادة القيادة العامة للقوات المسلحة إلاّ بتحقيق المطالب الثلاثة مجتمعةً على حدٍ سواءٍ . و" إرادة القيادة العامة للقوات المسلحة " هى مصدر القوانين والتشريعات العسكرية ، و تتكون من المجلس الأعلى للقيادة الجيش ، وهيئات ركنه فى علاقتهم بعضهم ببعض وحكمها عادلٌ غيرُ جائرٍ.

وهنا يجب أنْ نميز بين " إرادة القيادة العامة للقوات المسلحة " و بين كلٍ منْ إرادة العسكريين أنفسهم ؛ لأنَّ إرادة العسكري أحياناً أنانية تعكس مصالحه الشخصية . و إرادة الجيش تَجمُّعٌ لإرادات قادته الإستراتيجيين أيْ " إرادة القيادة العامة للقوات المسلحة " فهى إرادة مصلحة الأمة واهتمامتها وأهدافها ، وهي تمثل إرادة الأمة ككلّ كشخصيةٍ واحدةٍ ينصهر فيها العسكريون وإراداتهم ، وهى مستقلةٌ عنْ إرادة الأفراد أو إرادة المجتمع ، لأنَّها ستصبح إرادة كلَّ متعاقدٍ .

ويجب أنْ نعرف أنَّ سيادة الجيش منْ سيادة الشعب ، وأنَّ سيادته لا تُباع ولا تُشترى ، وغير قابلة للتحويل أو التصرف فيها ، وليس فى وسع الجيش أنْ يتنازل عنْ سيادة الشعب ، لأنَّها وحدةٌ لا تتجزأ ، و " إرادة القيادة العامة للقوات المسلحة " عملاً منْ أعمال السيادة ، وتُبنى عليها سياسة الأمن القومي ، فسيادة الجيش تعبيرٌ عنْ إرادة الأمة ، فهي لا تُباع ولا تُشترى ، و غير قابلة للتقسيم ، ومعصومةٌ منَ الخطأ . ولا يحد سيادة الجيش إلا حدُ وحيدٌ هو الذى يرسمه الشعب نفسه .

وأساس إرادة الأمة هي مصالحها وأهدافها ، ومن ثم ترتبط " إرادة القيادة العامة للقوات المسلحة " بإرادة الأمة التى لا تتعارض فيما بينها ، أما إرادة الأمة فتوضح أنَّ المنفعة بين جميع أفراد الشعب واحدةٌ ، ومنْ هنا فهى تهدف إلى تحقيق الرفاهية الشعبية لا رفاهية كل فردٍ على حدةٍ ، وهنا تصبح طاعة " إرادة

القيادة العامة للقوات المسلحة " واجبة لأنَّها منْ طاعة " وليّ الأمرِ" . أريدُ أنْ أقولَ أنَّه إذا لم تنصهر إراداة الأمة وإرادة الجيش فى إرادةٍ واحدةٍ يستحيل أنْ تقوم الدولة .

ثالثاً : إرادة العسكريين

هي العزيمة أو المشيئة لدى العسكريين بغض النظر عنْ رتبهم ، والقدرة على التصميم لتنفيذ الواجبات والمهام بالصورة الصحيحة ، وفي الفلسفة العسكرية فهي قوةٌ يقصد العسكري فيها أمراً واحداً واضحاً دون غيره ، إذن فإرادة العسكري هي اتجاهه نحو تنفيذ واجباته أو امتناعه عنْ فعلٍ ما طبقاً لإرادة قائده ، وإنْ مفهومنا كعسكريين للإرادتنا ؛ هو ذلك الجهد الذي نبذله منْ أجل تنفيذ واجباتنا ، وهي الطاقة التي تدفعنا نحو ذلك ، فهي قوةٌ منْ أعظم قوى العسكريين ، فعندما نقاتل العدو فإنَّنا نهدف دائماً إلى تدميره أو ثنيّ إرادته . فنحن منْ دونها لا يمكننا أنْ ننفذ واجباً ما أو نُحجم عنْه ، وهي الطاقة التي تجعل النصر يخرج منْ مخيلة القائد وهيئة الركن إلى الواقع الفعلي ، وحيث إنّ الإقدام على المعركة يتطلب التخطيط لها أولاً ، ومنْ ثم العزم على تحقيق النصر ، ومنْ ثم بذل الجهد لتحقيقه فإنَّ مكونات إرادة العسكريين هي التخطيط ، والعزم والجهد ، ثم الإقدام بثباتٍ في مواجهة العدو . وهي موجودةٌ عند جميع العسكريين ، ولكنها بدرجات مختلفة فهي تخضع للعوامل الذاتية الداخلية للعسكري نفسه ، و بيده إضعافها أو تقويتها . وقوة إرادة العسكريين هي مثابرة العسكري واندفاعه لتنفيذ واجباته بصرف النظر عنِ الصعوبات التي يواجهها ، وإنَّ السبيل الوحيد للحصول على قوة الإرادة لدى العسكريين هو إرادة القوة بحد ذاتها ، وتتحكم في هذه القوة عدة عواملٍ أهمها : حب الوطن وعدالة القضية والقناعة بحتمية المعركة والروح المعنوية لدى الأفراد والولاء للمؤسسة العسكرية ، فلا يمكن للعسكري أنْ يقوّي إرادته دون أنْ تكون لديه الرغبة في القوة نفسها ، ولا يمكن أنْ تقوى إرادة العسكريين إلّا إذا أصرّ العسكري نفسه على تحقيق أهداف الجيش الكبرى وذاته العسكرية التي تحقق الغاية منْ وجوده في المجتمع العسكري ، وكلما كان فهم العسكري للإرادة العسكرية وأنواعها عميقاً كلما تمكّن منْ استخدامها لتحقيق أهداف الجيش الكبرى وتفانَى في خدمة الأمة ، فيبدأ بإرادة الحياة للأمة التي تتمثل في عقائده الدينية وتاريخ أمته ، ثم ينتقل لإرادة العقيدة العسكرية ، ومنها إلى إرادة القوة بعواملها المذكورة ، والتي تقوده بدورها نحو مصلحة الأمة وأهدافها الإستراتيجية ، وبذلك يصل العسكري إلى تحقيق ذاته العسكرية بتوظيفه لقوى الإرادة العسكرية المختلفة . وتعرف قوة إرادة العسكريين أيضاً على أنّها ضبط العسكري لنفسه وسلوكه بضوابط المجتمع العسكري ، إنَّ قوة إرادتنا كعسكريين محترفين هي مفتاح انتصارنا في المعركة ، وذلك بتغلبنا على خوفنا ، أو أيّ شعورٍ باللامبالاة ، وذلك منْ خلال استخدامنا لإرادتنا العسكرية وتوظيفها ، إنَّ قوة إرادة العسكريين هي القدرة على مقاومة جميع مغريات وترف الحياة المدنية ورغبات النفس وتجاوز الأفكار الهدامة منْ أجل تحقيق أهداف الأمة الإستراتيجية ، إنَّ العسكري الناجح هو منْ يجني نتائج خبرته السابقة جميعها ، وهو الذي يقوّي إرادته ، وهو منْ يضعفها ، ويمكن للإنسان أنْ يدرب نفسه ليصبح قوي الإرادة حسب علماء النفس .

إنَّ العقد الإجتماعي العسكري غير مكتوبٍ لأنَّهُ " عقد الجندية " عقد الدفاع عنِ و الوطن والتضحية في سبيله ، ويعد هذا العقد قائماً ولو كان غير مكتوبٍ ، و في هذه الحالة لا يحتاج للعسكري إلى

إثبات العقد وحقوقه التي نشأت عنْه وتُرتب آثاره ، وإلاَّ تحول إلى عقد مرتزقة أو جماعات مسلحة كالعصابات أوِ المليشيات ، ولا يقع على العسكري عبء إثبات التعاقد شفاهةً مع الأمة . إذنْ هو عقد تم إنشاؤه بواسطة تنفيذ الواجبات ، وأعطاء الحقوق بين العسكري والجيش ، لكنه غير مكتوبٍ أو منطوقٍ . عقد الجندية هو بديلٌ عرفيٌّ لعقدٍ لا يفترض أنَّ يتم تحريره كي لا نتحول إلى مرتزقةٍ . فلا يوجد سجلٌ مكتوبٌ و لا اتفاقيةٌ شفهيةٌ فعليّةٌ . إنَّه شكلٌ منْ أشكال العقد الضمني التي يوفرها القانون تلقائيًا . ذلك يعني أنَّه عند شراء منتج ما ، يتم ضمان أنْ يعمل المنتج لغرضه العادي . على سبيل المثال الثلاجة مناسبة للحفاظ على برودة الطعام . بشكل عام عقد الجندية هو اتفاقية غير مكتوبة بين العسكري والأمة .

وعقود الجندية نوعان : عقد الواقع التعبوي ويتم منْ خلال سلوك غير لفظي أو أفعال بين العسكري والمؤسسة العسكري على الرغم منْ عدم الاتفاق على أيِّ شيءٍ ، فإنَّ أفعال الطرفين كافيةٌ للشروع في العقد . ويحدث الواقع التعبوي عندما يلتحق المواطن بالخدمة العسكرية . فتشير أفعال ذلك العسكري على أنَّه سيبذل قصارى جهده للدفاع عن الأمة بدون مقابل تلقي أتعابه ، وتشير تصرفات المؤسسة العسكرية إلى أنَّها تنوي توفير البيئة المناسبة للتدريب والقتال . في هذه الحالة عقدًا واقعياً قد تم إنشاؤه منْ تصرفات الطرفين . إذا فشل العسكري في الدفاع عنِ الأمة ، أو عجزت المؤسسة العسكرية عن توفير البيئة القتالية ، فسيترتب على ذلك حدوث خرق للعقد . يسمى هذا الخرق " الهزيمة " . والثاني هو العقد القانوني الذي يفرضه القانون على كلا الطرفين ، على الرغم منْ أنَّه لا ينوي أيٌّ منَ الطرفين الدخول في اتفاقية تعاقدية . في حالة تضرر أحد الطرفين على حساب طرف آخر ، يفرض القانون عقوباتٍ مناسبة لكلا الطرفين ، وهو نوع منَ العقود المعيارية المُعَدةُ مُسبقاً بعنايةٍ بالغةٍ ، ومحددٌ بزمنٍ واضحٍ ، لا تجد فيه ما يدل على واجبات العسكريين أو مهامهم . بلْ إنَّه مثل أيِّ عقد عمل تجاري .

ويجب أنْ يوفر العقد الاجتماعي العسكري الملزِم أخلاقياً جميع وسائل الحياة الكريمة لجميع العسكرين حسب رتبهم و مناصبهم وطبقاتهم ، داخل المعسكرات وخارجها وفي جميع الأوقات سلماً وحرباً . إنَّ المجتمع العسكري الذي يصرّ على أنَّ دوره ليس توفير هذه الحياة كالمجتمع العسكري أثناء حكم القذافي ، بل يرى واجبه هو تسهيل الوسائل للعسكريين لتأمينها بأنفسهم ، يمكنه القيام بذلك عنْ طريق إلغاء الجيش وتهميشه وإعلان قيام الشعب المسلح . وعلى العكس منْ ذلك ، فإنَّ سبب حرمان الدولة جيشها منْ ضروريات الحياة الكريمة هو إصرار يتطلب منْ العسكريين البحث عنِ العمل وإبقائهم في صراع دائم منْ أجل البقاء بدل منْ رفع كفأتهم القتالية وتحضيرهم للمعركة . وأنا عشتُ هذا الواقع بكل تفاصيله ، رأيت طياري القاذفات الإستراتيجية يعملون في أعمال البناء ، ورأيت مدربي الطيران يعملون سائقوا لسيارات أجرة ، أو بحارة في مراكب الصيد . بينما كان ينعم برفاهية الحياة كل منْ هو منتسبٌ لأحد الكتائب الأمنية للقذافي أو أفراد أسرته . الذي حدث ، هو أنَّ المؤسسة العسكرية الليبية هي التي طردت أولادها منَ المنزل ، وكان عليها إعالة نفسها ، ولكن مع القيام بذلك فقد الجيش العربي الليبي سلطته الأخلاقية للسيادة على تصرفات أفراده أو لتحمل أعباء إرادة الأمة ، فسقط سقوطاً رهيباً ومدوياً في أحداث فبراير ، وبسقوطه سقطت الدولة الليبية . ووفقًا لأحكام العقد الاجتماعي العسكري يحتفظ أو يستعيد هؤلاء العسكريين

حقهم في كل شيء ، ولديهم ما يسوّغ اللجوء إلى جميع الوسائل التي يرونها ضرورية لإعادة بناء الدولة ومؤسساتها الدستورية ، منْ أجل البقاء الأمة ، ووحدهم مَنْ يقررون ما هو ضروريٌّ ومفيدٌ أيضًا ، لقد أصبح لديهم مُبررٌ للعودة إلى السلطة .

إنَّ العقد الإجتماعي العسكري نظريةٌ حقوقيةٌ لها شروطها ، وأركانها ، وفرضياتها ، وذلك لأنَّ جوهر العقد الإجتماعي العسكري في فلسفة حب الوطن يتمثل في أنَّها عقدٌ يأتي بعد علاقة بين متعاقدين ، هدفه ليس حل إشكال حقوقي لا يستطيع أحد الخصوم أو كلاهما التوصل إليه ، بل هو منْ أعظم العقود فائدةٌ للأمة ، وتعد القاعدة الأساسية التي يرتكز عليها العقد الاجتماعي العسكري هي اتفاق الأطراف ، لأنه يصنع الاتفاق حيث لا يستوي وجوده بدون تراضي بين أطرافه كمتطلب لإسناد الاختصاص بالدفاع عن الأمة ، فإذا تخلف ركن الرضا امتنع القول بوجود عقد اجتماعي عسكري ، وبالضرورة بطل القول بصحة العقد المكتوب ، لذا وجب أن يكون الرضا صادر عن إرادة سليمة معبر عنها صراحةً ، ويتم ذلك عندما نحلف اليمين وقسم انهاء فترة التدريب ، يقترن هذا التعبير الصريح بالإيجاب مع القبول ، وصادرٌ من ذي أهليةٍ . ومتطلبات الرضا أكثر سهولةٍ في الجيش من أيّ مؤسسةٍ أُخرى . خاصة أثناء المواجهة الفعلية مع العدو ، حينها يصبح الرضا بإسناد المهام القتالية . ولا يتضمن هذا الرضا شرط اللوجوء إلى المحاكم وهو ما يسمى التعاقد بدون اتفاق .

ومن الشروط اللازمة المتعلقة بصحة العقد الاجتماعي العسكري شرط الرضا، وجود الإرادة لكل الطرفين ؛ من ذلك نستطيع طرح الإشكالية التالية : إلى أي مدى يمكن اعتبار وجود الإرادة و التعبير عنها شرط من الشروط الرضا في العقد الإجتماعي العسكري ؟ وكيف يمكن حدوث تطابق الإرادتين لكي يتوفر هذا الركن ؟

شروط وجود الإرادة والتعبير عنها

إنَّ العقد الإجتماعي العسكري يقوم على ثلاثة أركانٍ هي : شرعية المؤسسة العسكرية ، الدفاع عنِ الوطن ، والتراضي ، وهكذا فإنَّ العقد صحيحاً من وجهة نظري . والتراضي هو تطابق الإيجاب بين الجيش والعسكري ، والقبول به كتعبيرٍ عنْ إرادتي الطرفين ، دون الإخلال بالنصوص القانونية ، ومنه التساؤل الذي يمكن طرحه هو : كيف يعبر العسكري عنْ إرادته ، وما هي السبل التي يتخذها في هذا التعبير ؟ ومتى ينتج هذا التعبير أثره القانوني ؟ إنَّ إرادة العسكري هي : " انعقاد عزمه على الدفاع عنِ الوطن كمحل للتعاقد " ؛ وتوافر الإرادة لدى العسكري بهذا المعنى يستوجب أنْ يعقل معنى التصرف الذي يبرمه ويقصده . ولكي يتوافر الرضا بالعقد الإجتماعي العسكري لابدَّ أنْ توجد الإرادة في كل منْ طرفيه ، والإرادة يقصد بها أنْ يكون العسكري مدركاً لما هو مقدم عليه ، ولذلك يُربط العقد الإجتماعي العسكري بين الإدراك والتميز ، ولذلك أيضا يُربط العسكري بينه وبين التميز . ومنْ أجل مصالح الأمة يجب الإعتبار بالإرادة كنتيجةٍ لإحداث أثرٍ قانونيّ . فعبرة الإرادة في خدمة الأمة تعهدٌ شخصيٌ ينشأ عنه العقد ويترتب عليه إلتزامٌ قانونيٌ منْ جانب العسكري .

ولا يعتد بالإرادة المتخاذلة الإنهزامية المُحبطة للهمم ، أو مقترنة بتحفظٍ فكريٍّ لا تدركه المؤسسة العسكرية ، ولا يعتد بالإرادة المشروطة بالمشيئة لأنَّ الجيش لا يأوي المرتزقة أو أولئك الذين يتسغلون تواجدهم بالجيش لتحقيق أهدافِ جماعاتٍ أو أممٍ أُخرى . ولا بالإرادة الصورية الوهمية المخادعة كالتي تستعملها الأقليات والإثنيات ، فإنَّ إرادة العسكري في جميع هذه الأحوال تعتبر غير موجودةٍ أصلاً . وتقسم إرادة العسكريين إلى الأنواع التالية :

أولاً : الإرادة الحقيقية

لأنَّ العقد الإجتماعي العسكري يستمد قوته الملزمة منْ الإرادة الحقيقية لعسكريين في الدفاع عنِ الوطن ، فهي أساس الإلتزام الإرادي لهم ، وجوهر التصرف القانوني للمؤسسة العسكري ، أمَّا التعبير عنْها فما هو إلا مظهر لتلك الإرادة لا يُعتدُ به . فالعقد الإجتماعي العسكري ينشأ منْ إرادةٍ واحدةٍ ، لذا فإنَّ العسكري يلتزم بما أراده حقيقةً ، ولا يجوز إلتزامه نتيجة إعلانٍ خاطئٍ عنْ إرادته كأسير الحرب مثلاً .

ثانيا : الإرادة الخفيَّة

إنّ الإرادة مالم تخرج إلى الواقع لا يصح أنْ يكون لها أثراً قانونياً ، فإنَّنا لا نقبض على الخائن أو الجاسوس مالم يُثْبَتْ لنا ذلك ذلك لأنَّها شيء كامنٌ في النفس ، ولابدَّ لإنتاج أثرها أنْ تتخذ مظهراً قانونياً . وهذا المظهر يكون عينياً بالإفصاح عنها ، فلا يجوز للعسكري أنْ يدّعي أنَّ نيتهُ الحقيقة تخالف إرادته التي أعلن عنها طالما أنَّه قد اختار هذا التعبير لإرادته فهو دليل لا يقبل إثبات عكسه ؛ ويجوز أنْ يكون مظهر إرادة العسكريين الخارجي تعبيراً صريحاً كحماسهم أثناء الطقوس أوِ المناورات العسكرية المختلفة ، أو ضمنياً كما هو الحال في حياتهم اليومية داخل المعسكرات أو خارجها ، أو قد يكون السكوت في أحوالٍ معينةٍ مظهراً للتعبير عنْ إرادة العسكريين . إنَّنا نأخذ الإرادة الحقيقية أساساً في العقد الإجتماعي العسكري ، ولا يعتد بالتعبير عنِ إرادة العسكري إلا في الحدود التي يأتي هذا التعبير مطابقا لحقيقته .

شروط إرادة العسكريين :

يجب لقيام العقد الإجتماعي العسكري أنْ توجد الإرادة لدى الموطنين المتقدمين للخدمة العسكرية ، ولدى القوات المسلحة حين تعلن نيَّتها عنْ قبول متطوعين جددٍ ، ويجب أنْ يعيَ المتطوع للخدمة العسكرية الأمر الذي يقصده ويريده ، أيْ أنْ يكون هذا المواطن صاحب شخصيةٍ معنويةٍ أو اعتباريةٍ حسب القانون أيْ أنّه قادرٌ على التكاتف مع المتطوعين الآخرين لتحقيق أهدف الجيش الكبرى ، وقادرٌ على الالتزام بتنفيذ الواجبات والمهام المسندة إليه في السلم والحرب ، ولديه معرفةً واسعةً بحقوقه ؛ وعلى ذلك لا يعتد بإرادة فاقد التمييز كالصبي أو الذين لم يبلغوا سن الثمانية عشرة ، ولذلك يطلب عادةً موافقة وليُ الأمرِ ، وكذلك لا يعتد بإرادة منْ فقد وعيه بصفةٍ مؤقتةٍ كالسكران ، أو منْ كان خاضعاً للتنويم المغناطيسي مثلاً ، ويلزم أنْ تتجه إرادة المتطوع للخدمة العسكرية إلى ميدان المعركة حتى ينعقد العقد الإجتماعي العسكري ، كيْ يتمُّ إحداثُ أثراً قانونياً معيناً ؛ فلا عبرة بإرادة المتطوع إذا اتجهتْ إلى مجرد التماشي مع مقتضيات حالة الأمة ،

ويلزم أيضا أنْ تكون هذه الإرادة ناتجة عنِ الشخصية القانونية للقوات المسلحة لأنَّها لديها المقدرة القانونية على اكتساب الحقوق وتحمل الالتزامات منْ أجل تحقيق أهداف الجيش الكبرى ، ولأنَّنا لسنا مرتزقةٍ فلا عبرة بالإرادة التي تجيء معلقةً في مشيئة صاحبها كمن يقول سأقاتل عندما أريد أنا . ولكي تتجه الإرادة إلى إحداث الأثر قانوني يلزم أنْ تكون في المتطوع الذي هو صاحب توجيه الإرادة إلى القوات المسلحة ، فلا يكفي وصول التعبير أوِ النية إلى القوات المسلحة وأنْ تعلم به ، بل يلزم أنْ يكون هذا نتيجة للتوجيه الإرادي منَ المتطوع بتوجيه طلبٍ كتابيّ يبين ويؤكد فيه رغبته في الخدمة بالقوات المسلحة . فإذا لم تتجه نية المتطوع إلى إحداث هذه النتيجة بكتابة الطلب لم يكن له أيّ أثر ، غير أنَّ الطلب لا يكفي ليتم توجيه الإرادة بل يجب أنْ يصل التوجيه بموافقة القوات المسلحة عليه ، أيْ بعلم منْ وُجِّهَ إليه الطلب وبذلك ينتج التعبير عنْ إرادة المتطوع أثره بهذا العلم .

لما كانت الإرادة حقيقة كامنة في ضمير العسكري ونيته فإنَّه يتعين عليه التعبير عنها لتظهر للمجتمع العسكري حتى يعتد بها قانوناً إذا تطابقت مع إرادة القوات المسلحة . ويتمُّ ذلك بطريقتين الأُولى بالتعبير الصريح الذي يَقصد به العسكري الكشف عنْ إرادته بطريقة مباشرة ويكون التعبير بالفظ القسم بعد نهاية التدريب ، وبالكتابة قبل الإلتحاق بالتدريب تدل دلالةً واضحةً على إرادته . والثانية التعبير الضمني إذا اتخذ المتطوع مظهراً يدل بطريقة غير مباشرة عنْ نيته ، ويحدث هذا أثناء تطوع أفرادٌ غفيرةٌ منِ الشعب إذا انهارات الجبهات وأصبحت الهزيمة قاب قوسين أو أدنى ، فيقوم الأطفال و النساء والعجزة وكلُّ طوائف الشعب بحمل السلاح تلقائياً للدفاع عنِ الأمة بدون تدريب أو توقيع عقود خدمة ... الخ . ولا تنص القوانين العسكرية على اعتبار السكوت قبولاً . ولكن في حالاتٍ خاصةٍ يكون كذلك كأنْ يكون المتطوع لا يتوقع الرد بقبوله في القوات المسلحة ، ولكنه يتوقع الرد في حالة ما رُفضَ طلبه فقط ، أي أنَّ سكوت القوات المسلحة يقترن بظروفها ترجح أنَّه قبول الإيجاب .

ولكي يحدث الأثر القانوني للتعبير عنِ الإرادة فإنَّنا نحتاج إلى الوقت الذي تتمُّ فيه الإجراءات القانونية لتعيين المتطوع كعسكري في القوات المسلحة ؛ فإذا كان التعبير عبارةً عنْ إيجابٍ بقبول الطلب فقط فذلك يجب أنْ لا ينتج عنه أيْ أثرٍ قانونيّ إلاَّ إذا اتصل بعلم المتطوع الذي وجه إليه هذا الإيجاب بدخوله أحد معسكرات التدريب ، والأمر كذلك إذا كان التعبير عنْ الإرادة قبولاً إنَّما هذه الحالة يترتب عليه انعقاد العقد .

الفصل الر ابع : الإنتماء والولاء للمؤسسة العسكرية

أولاً الإنتماء للمؤسسة العسكرية

يقال بأنّ عالم النفس الأمريكي (ثورندايك) 31أغسطس 1874 - 9 أغسطس 1949؛ هو أول منِ استخدم مصطلح الانتماء كمفهوم مستقل بذاته ويرى" أن مفهوم الانتماء يبدأ بارتباطات تتشكل بسرعة بين المثير والاستجابة فيكون الانتماء وصفاً لشكل الارتباط بين الاثنين". أيْ جزءٌ ينتسب إلى جزءٍ ليكمله ، ولكنِّي أعتقد أنَّ الإنتماء للمؤسسة العسكرية هو أنْ يرتبط العسكري بالجيش ويتوحد به و هو على درايةٍ تامةٍ بأهدافه ، ويسعى جاهداً إلى تحقيقها ، وتتوافر لديه الإرادة القوية التي يستطيع أنْ يحقق بها الإتحاد منْ خلال التفاعل النفسي والإجتماعي مع غيره منَ العسكريين ؛ أريد أنْ أُشير إلى ارتباط العسكري بالجيش وتوحده به مع عدم أهمال الدوافع الشخصية للعسكري كإنسان . فهناك فرق بين أنْ ينتمي العسكري إلى الجيش بصورة شكلية كانتماء الأقليات والإثنيات عند التحاقها باللخدمة العسكرية ، والإنتماء الطبيعي ، أعتقد أنَّ الإنتماء للمؤسسة العسكرية بمفهومه الدقيق يتحدد منْ خلال طبيعة وأنماط الحضور والإستعداد النفسي للعسكري وصوره المختلفة . لأنَّ الإنتماء للمؤسسة العسكرية هو الوعي بالواقع العسكري المحيط ، وهو ذلك الوعي الذي يدفع العسكري بغض النظر عنْ رتبته أو منصبه إلى أخذ موقفٍ منْ تغيير هذا الواقع في اتجاه تقدم المجتمع العسكري ، أيْ أنَّه شعورٌ إيجابيٌّ في أقصى شدته يصل إلى درجة التوحد مع الجيش والتمسك به والذود عنه . إنَّ مفهوم الإنتماء للمؤسسةالعسكري بسياقاته العلمية الصحيحة لم يحظ بالاهتمام المطلوب منَ المفكرين العسكريين . ويتضح ذلك جلياً منْ عدم وجود دراسات عربية تناولت هذا المفهوم نظرياً و ميدانياً . إنَّ أهميةَ الإنتماء للمؤسسة العسكرية يأتي ببساطةٍ منَ الإهتمام بدور العسكري بالجيش . فبديهياً أنَّ أهمية العسكري لا يمكن أنْ تساوي أو توازي أهمية أيٍّ منْ عناصر أو معدات القتال ، في نفس الوقت فإنَّ العسكري كإنسانٍ له اتجاهاته و تفكيره وعواطفه ودوافعه التي توجه سلوكه . وبالتالي فإنَّ المجتمع العسكري يجد صعوبةً كبيرةً في السيطرة المستمرة على أيٍّ منْ مكونات البيئة النفسية للعسكريين . وفي ذات الوقت لا يمكن استخدام معايير نمطية تنصح بالتصرف الإداري تجاه جميع الأفراد العاملين كون لكلٍّ نمطَ تفكيرٍ خاصٍ بهِ ، ومنْ هنا يمكن القول أنَّ ضمان العسكري هو هامشٌ من الاختلاف يميزه عن الآخرين بضمان المؤسسة العسكرية ، وإنَّ نجاح المؤسسة العسكرية وتحقيقها لأهدافها مرتبطٌ بشكلٍ مباشرٍ بمدى إيمان العسكريين بتلك الأهداف وقناعتهم بها ، وسعيهم لتحقيقها ، وشعورهم بتطابقها مع أهدافهم .

مفهوم الإنتماء للمؤسسة العسكرية :

يمكن تعرف الإنتماء لمؤسسة العسكرية بأنَّه : اتجاهٌ فكريٌّ نحو المؤسسة العسكرية يربط العسكريين بها ، ورغبة ذلك العسكري الشديدة في أنْ يكون له دورٌ في المجتمع العسكري ، وأنَّه سيبذل كل طاقته وإخلاصه للمؤسسة العسكرية كنظام اجتماعي . أيْ أنَّه ظاهرةً تحدث نتيجة العلاقات التبادلية بين المؤسسة العسكرية وأفرادها ، ولا يترتب على ذلك أيّ إنفاق استثمار متبادل منْ استمرار هذه العلاقة

التعاقدية ، بشرط أنْ يحدث في هذه العلاقة التطابق بين أهداف العسكريين وأهداف المؤسسة العسكرية ، وأنْ يكون سلوك العسكري مقبولاً اجتماعياً مع السلوك التنظيمي الرسمي للمؤسسة العسكرية ، ولديه رغبةً قويةً في الاستمرار في العمل في المؤسسة العسكرية ، أيْ أنَّ مفهوم الإنتماء للمؤسسة العسكرية يشير إلى نوعية العلاقة بين الجيش والعسكريين ، وأنَّه يجب أنْ يشمل العناصر التالية :

1. الإرادة القوية في الإلتحاق بالمؤسسة العسكرية .
2. القناعة الكاملة بأهداف الجيش الكبرى .
3. الرغبة الأكيدة في بذل مجهودٍ كبير منْ أجل المؤسسة العسكرية .
4. رغبةٌ قويةٌ في الاستمرار في العمل بالمؤسسة العسكرية .

ورغم ذلك فإنَّ الإنتماء للمؤسسة العسكرية لا يعبر عنْ أيَّ استثمارٍ متبادلٍ بين العسكري والمؤسسة العسكرية باستمرار العلاقة التعاقدية ، بل يتوقع منَ العسكري أنْ يسلك سلوكاً يفوق السلوك الرسمي المتوقع منْه والمرغوب فيه من المؤسسة العسكرية ، ورغبة الفرد في التضحية بنفسه منْ أجل تحقيق أهداف الجيش الكبرى ، والإسهام في نجاح و استمرارية المؤسسة العسكرية .

والإنتماء إلى المؤسسة العسكرية يعد مطلباً ملحاً على العسكريين ، لتستأثر القوات المسلحة على جل اهتمامهم ، و عليه فالإنتماء إلى المؤسسة العسكرية أحد أهم المحاور الضرورية لعملية التنمية العسكرية . فعليها تقوم نظم الحياة العسكرية و يتحدد سلوك العسكريين والوحدات ، لذلك تحرص الجيوش المتقدمة على تعميق الشعور بالانتماء لدى عسكريها ، لأنَّه يمثل حجر الزاوية في حياة تلك الجيوش وقوتها وكفأتها القتالية واستعدادها القتالي ، بل ومن الدوافع الرئيسيه لتقدمها . إنَّ الإنتماء إلى المؤسسة العسكرية شعورٌ إيجابيٌّ في أقصى شدته يصل إلى درجة الإتحاد مع الجيش كمجتمع والتمسك به والذود عنه ؛ ويشترك الوعي العسكري وإدراك الفرد بعوامله وأهدافه وفلسفته في تُشكيل صورةٍ أفضل لمستقبله العسكري . وكلما كان الإنتماء إلى المؤسسة العسكرية موجهاً توجهاً سليماً لدى العسكريين ، كلما كان عاملاً أساسياً في حب الوطن والدفاع عنه من ناحيةٍ ، ويتأثر الإنتماء إلى المؤسسة العسكرية بعدة عوامل منها درجة تواصل العسكريين ببعضهم وتعاونهم في تنفيذ الواجبات منْ ناحيةٍ أُخرى ، ودور العوامل الشخصية والتخصص التعبوي على سلوك للعسكريين تجاه انتمائهم للمؤسسة العسكرية . و يجب أنْ تكون علاقة العوامل الشخصية والتخصص التعبوي بالإنتماء للمؤسسة العسكرية موضع اهتمام إدارة الوحدات وقت السلم ، حيث تمثل أحد المقومات الأساسية لنجاح عمليات التخطيط ، إنَّ إدارة الوحدات العسكرية وقت السلم ركزت على الحوافز المادية وأهملت العوامل الشخصية والإنسانية للعسكريين . فالعسكري إنسانٌ له دوافعٌ ، واحتياجاتٌ ، ومشاعرٌ ، وإنَّ المدخل لتحسين تنفيذ واجباته هو العمل على تعميق انتمائه للمؤسسة العسكرية من خلال عوامله الشخصية وتخصصه التعبوي . ومع برامج التنمية الشاملة داخل المعسكرات والثكنات وتنمية العسكريين والإرتقاء بأداء الوظيفي وتعبئته بما يكفل رفع معنوياتهم ، سينعكس ذلك على مستوى تنفيذهم لواجباتهم و كفاءتهم القتالية وبالتالي الجاهزية القتالية للجيش ككلٍّ . لأنَّ الإنتماء إلى المؤسسة العسكرية مصدر الثقة والقوة الدافعة الحقيقية في أيِّ جيشٍ .

ويمتد المفهوم ليشمل الحاجات مادية ومعنوية للعسكريين والتي لابد منْ إشباعها ووإلزام المؤسسة العسكرية بذلك كونها مصدراً لتحقيق هذا الإشباع ، ليتحقق الإنتماء المطلوب . ومنْ وجهة نظرٍ سياسيةٍ فإنَّ الإنتماء للمؤسسة العسكرية يعني : حاجة الأمة إلى إرتباط مجموعةٍ منَ الموطنين للدفاع عنها وتوحدهم معها منْ خلال المؤسسة العسكرية ليحظو بالقبول وليشعروا بكونهم أفرداً يستحوذن على مكانةٍ متميزةٍ في الوسط الشعبي ، وتتمثل أوجه الإنتماء في ارتباط العسكري بوطنه وارتباطه بالشعب ، وفي هذا الإنتماء مجموعةٌ منَ الثقافة الوطنية والقيم والمعايير التي تتميز الأمة عنْ غيرها منَ الأمم . وبهذا فإنَّ الإنتماء للمؤسسة العسكرية هو عبارةٌ عنْ حاجةٍ نفسيةٍ لدى العسكري وتحتاج إلى الإشباع عنْ طريق الارتباط والتوحد بالجيش والأمة ، وأنَّ غاية هذا الإنتماء المميز هو شعور العسكري بالقبول والتميز. بين أفراد الشعب . ومن ذلك يتبين لنا عددٌ منَ المؤشرات الهامة :

1. إنَّ الإنتماء إلى المؤسسة العسكرية يتميز بارتباطه بالجيش والأمة .
2. أنَّ الإنتماء إلى المؤسسة العسكرية شعور يوجد لدى كافة العسكريين بمختلف الرتب .
3. أنَّ الإنتماء إلى المؤسسة العسكرية منَ الفطرة العسكرية .
4. أنَّ الإنتماء إلى المؤسسة العسكرية لا يتنوع وليس له إلاَّ شكالاً واحداً يميزه .
5. أنَّ الإنتماء إلى المؤسسة العسكرية يؤدي إلى تمثل معايير المجتمع العسكري وسلوكه .
6. إنَّ الإنتماء إلى المؤسسة العسكرية هو شعورٌ العسكريين بأنَّهم جزءٌ منَ المؤسسة العسكرية بحيث يدفعه هذا الشعور إلى القيام بمتطلبات ذلك الانتماء .

الإنتماء التعبوي

إنَّ مقتضيات إدارة الوحدات العسكرية وقت السلم تتطلب لتطويرها وتعزيزها ، إلى توافر مبدأ الإنتماء التعبوي ، و القاضي بتكريس التخصص التعبوي في عقول العسكريين في مختلف التخصصات داخل الوحدة دون تمييز تخصص عنِ الآخر بُحجة الأولوية أوِ الأهمية ، على اختلاف رتبهم ومناصبهم أو مواقعهم القيادية داخل الوحدة ؛ ففكر الإنتماء التعبوي منْ شأنه تحقيق التواصل والفهم المشترك والمتبادل بين أفراد السلاح الواحد أو الصنف الواحد ، بالإضافة أركان الإدارة العسكرية بمستوياتها المختلفة (الإستراتيجية والعملياتية والتعبوية) والإدارة الأمنية الإستخبراتية ، كما أنه يعزز بناء جسور الثقة بين الأسلحة المختلفة في الجيش الواحد ؛ إنَّ التفاني في خدمة التخصص التعبوي يحقق قدراً أكبر منَ الكفاءة القتالية والجاهزية القتالية و يظهر ذلك علي الأداء الفعال للعسكريين أوقات السلم وخاصةً أثناء المناورات المشتركة ، فالإنتماء إلى المؤسسة العسكرية ينتج الولاء لها ، كما أنَّ الولاء إلى المؤسسة العسكرية يتأثر بالإنتماء ويبدو ذلك واضحاً جلياً في إرادة العسكريين وأهدافهم .

تشُكل الإنتماء التعبوي

إنَّ أولى القواعد التي يمكن أنْ تشكل الإنتماء التعبوي هي العقيدة العسكرية ، وأيديولوجيا العسكر ، والبيئية العسكرية داخل المعسكرات والثكنات وخارجها ، بحيث تضم البيت والمجتمع خارج الوحدة . وتعتبر العقيدة العسكرية عاملاً مهماً في رسم خطوط حياة العسكريين المستقبلية وتوليفاً مؤدياً إلى خلق ذاتٍ عسكريةٍ وأخلاقيةٍ سليمة ، وفطرة عسكرية قويمة والتزام عسكري عالي المستوى وقيادةٍ حكيمةٍ ، وتنفيذ الواجبات بأمانةٍ ، ورقابة على الذات والإبتعاد عنْ مهاوي ضلال الحياة المدنية بشتى صورها . غير أنَّ المهم في هذا الجانب ، هو تنمية الفطرة العسكرية في الأفراد وصياغة حياتهم وفقاً للعقيدة العسكرية ، من وجهة نظري هذا أمرٌ مهمٌ للغاية لتحقيق ما نصبو إليه في تشكيل الإنتماء التعبوي . وتشكل العقيدة العسكرية وترسيخها في نفوس العسكريين نتاج التدريب الجيد والمستمر والمكثف ، فالعقيدة الراسخة هي منْ أهم عوامل الإنتماء التعبوي ، البيئة العسكرية هي جملة الظروف المحيطة بالعسكريين في وحداتهم ، وتساهم البيئة العسكرية في تشكيل الأفراد وصياغة أفكارهم على مدى حياته حتى بعد نهاية خدمتهم العسكرية ، فالبيئة فهي الأساس في ترابط عمليات الموارد البشرية العسكرية المعقدة و متنوعة ، والمنغلقة عن نفسها في طبيعتها . وذلك لتغيير العسكريين وتطويرهم بشكلٍ مستمرٍ . وديناميكية تغير العسكر أيضاً في تغير مستمر نتيجة لتغير ظروف وأشكال المعركة ومعدات القتال ونظريات القتال دون أنْ يؤثر ذلك على استقرار الجيوش عبر تحقيق قاعدة إدارية عسكرية واجتماعية عسكرية وهي " الإستقرار التعبوي " و هذه القاعدة تعني تأمين الإدارة العسكرية ، و الذي ينعكس بدوره على أمن المجتمع العسكري . فالبيئة العسكرية هي الإطار الذي يمارس فيه العسكريين حياتهم ، كما تشمل البيئة العسكرية معدات القتال والتدريب والتصنيع الحربي . ولقد تطورت الأساليب الإدارية العسكرية وأصبحت أكثر تقنية و شمولية ، وتشجع الحوافز ، وتطبيق أساليب الرقابة العسكرية وخاصة الرقابة بالأهداف والإبتعاد عنْ وسائل الإحباط ، والتهميش ، وتولي الإدارة قادة غير مؤهلين لها . لأنَّ استخدام الأساليب الإدارية العسكرية الحديثة هو انعكاسٌ مباشرٌ على الأداء التعبوي للعسكريين ، ويكون له الدور الإيجابي في انتمائهم لأسلحتهم وصنوفهم .

الشعوربالإنتماء إلى المؤسسة العسكرية

إنَّ الشعور الشعور بالإنتماء إلى المؤسسة العسكرية يعتبر منَ الضروريات للعسكري كمقاتل لأنَّ هذا الإنتماء يعطيه الدافع الأخلاقي والقانوني للقتل ، فهو يساعده على التوافق النفسي والصحة النفسية وراحة الضمير ، كذلك يعتبر الشعور الشعور بالإنتماء إلى المؤسسة العسكرية ضرورياً لأنَّه يدعم بناء وصياغة المجتمع المجتمع العسكري ليكون مجتمعاً متطوراً و متماسكاً وبالتالي ذو كفأة قتاية عالية وجاهيزية قتالية مرتفعة ، وبدونه لا يمكن للعسكري أنْ يلتحق بميدان القتال ، أو يعتز بالجيش أو أنْ يفتخر به . كما أنَّ الشعور بالإنتماء إلى المؤسسة العسكرية يؤدي إلى القضاء على أسباب التوتر والفرقة بين أفراد المجتمع العسكري ويعزز الطبقية الإجتماعية العسكرية ، ويشيع العدالة بين أفراد المجتمع العسكري محققاً بذلك التماسك الإجتماعي للجيش الذي منْ خلاله يمكن للجيش أنْ يواجه مشكلات الأمة

الداخلية والخارجية . وبالمقابل فإنَّ ضعف الشعور بالإنتماء إلى المؤسسة العسكرية لدى الأفراد يتسبب في مشكلات اجتماعية عسكرية وسياسية ، ويظهر ذلك جلياً من خلال سلوك العسكريين وضعف ولائهم . فتشيع بين القادة والأفراد مظاهر الفردية والأثرة واهتمام القادة وشعورهم بأنَّ المسؤولية المقصورة على وحدته فحسب ، وتهاون الأفراد في تنفيذ واجباتهم وقلة الميل إلى التعاون مع زملائهم ، وتضعف المعنويات وروح الفريق وتخبو جذوة الحماس لتنفيذ الواجبات ، ونحو ذلك منَ المشكلات والقضايا التي تمس المجتمع العسكري والتي تشترك فيها مصالح الأمة ، كلُّ ذلك شاهدٌ على ضرورة جعل قضية الشعور بالإنتماء إلى المؤسسة العسكرية منْ أهم القضايا التي يجب أنْ تعتني بها القيادة العامة للقوات المسلحة . فتعميق الشعور بالإنتماء إلى المؤسسة العسكرية في نفوس العسكريين هو خير ضمانٍ للمساعدة على صقلهم صقلاً سليماً ليصبحوا جنوداً إيجابيين في المجتمع العسكري منتمين إليه وبالتالي إلى وطنهم . كما أنَّ تعميق الانتماء يعتبر مصدراً هاماً لراحة العسكري وأمنه ونجاحه ، وبدون ذلك فإنَّ العسكري يشعر بالتوتر والضيق وضعف العزيمة وضعف الدافع لتنفيذ الواجبات والضياع النفسي والمعنوي ، وضعف البذل والتضحية . ومنَ العوامل التي تؤدي إلى ضعف الشعور بالإنتماء إلى المؤسسة العسكرية :

1. التيارات الفكرية وضعف الإيديولجيا العسكرية : فالصراع الفكري والنفسي بين التيارات الفكرية المختلفة تفقد العسكري القدرة على الاختيار الصحيح وتتعطل لديه القدرة على التحديد التوجه الفكري الذي يمكن أن يكون أكثر ملاءمة له . فينتج عنْ ذلك اغتراب نفسي وفكري يتسبب في ضعف شعورهم بالإنتماء إلى المؤسسة العسكرية وأمتهم . فالتخبط بين التيارات الفكرية وعدم تحصين العسكريين منْ تأثيراتها السلبية يتسبب بشكل تلقائي في ضعف الشعور بالإنتماء إلى المؤسسة العسكرية .
2. الإحتلال الأجنبي للأمة : حيث ركز العدو جهوده في اتجاهين : الأول اتجاه التدميري : وهو تخريب منابع الثقافة الوطنية في النفوس ، ويكون ذلك بأنْ تقلل منْ أهمية محتويات هذه الثقافة سواء كان المحتوى دينياً أو فكرياً أو تاريخياً أو لغوياً وذلك كله بهدف تشكيكهم في جدوى هذه الثقافة مما يؤدي إلى إضعاف انتمائهم إليها . الثاني اتجاه الإحلالي : ويقصد به إحلال الثقافة العدو .
3. التقنية العسكرية الحديثة : أثرت التقنية الحديثة المعاصرة على العسكريين وعلى المجتمع العسكري في تعميق الشعور بالإنتماء إلى المؤسسة العسكرية ، فهي تُسهل وتيسر أصعب الأعمال القتالية ، وتجعل من الجندية وظيفةً سهلةً ؛ وهو الأمر الذي يكون له التأثير الأكبر في الشعور بالإنتماء إلى المؤسسة العسكرية .
4. شعور العسكريين بالاغتراب في الجيش .
5. قلة الحوافز المادية والمعنوية .
6. عدم تداول القيادة والسلطة العسكرية وتهميش القدرات والكفاءات العسكرية .
7. عدم شعور العسكريين بالاستقرار في تخصصاتهم التعبوية .
8. عوامل شخصية فكرية أو دينية ، فالشخصية العسكرية هي مجموعةٌ متكاملةٌ منَ الخصائص التي تميز العسكري عن بقية أفراد الشعب ، والعلاقة بين هذه الخصائص تساعد العسكري على

مواءمة نفسه مع زملائه والبيئة العسكرية منْ حوله ، وتمثل الشخصية العسكرية أهميةٌ كبيرةٌ عند دراسة السلوك التنظيمي للمجتمع العسكري ، حيث تؤثر شخصية العسكري بما تتميز به منِ الخصائص والسمات على سلوكه داخل المجتمع العسكري ، وتؤثر على طريقة تفاعله مع زملائه في الوحدة ، وتختلف الخصائص الشخصية باختلاف الأفراد أنفسهم ، وأعتقد أنَّ للشخصية العسكرية تأثير على الشعور بالإنتماء إلى المؤسسة العسكرية سلباً أو إيجاباً منْ خلال عدد سنوات الخبرة والمناصب التي تولَّها ، والتخصص التعبوي ، وعدد الوحدات التي عمل فيها العسكري ، ومستوى تأهيله العلمي والقيادي .

وللإنتماء إلى المؤسسة العسكرية جانبٌ تجريديٌّ ، فنحن كعسكريين محترفين ننحاز للمفاهيم أو التصور دائما كقاعدة ننتمي بها . فالوطن هو مفهوم وتصور مجرد ، والجندية كوظيفةٍ نراها كذلك وحتى أسرنا هي عبارةٍ مفهوم ، أيْ أنَّ الإنتماء إلى المجتمع العسكري غريزة غرست فينا بعد طول هذه الفترة ، حيث تهيئت لنا وسائل الإتصال والإندماج بالمحيطين بنا ، وبعض من علماء النفس يعتقدون أنَّ الإنتماء بمثابة مجموعةٍ هائلةٍ منَ الخبرات التي تصنع في الجهاز النفسي للمرء بواسطة ما يعرف بالفعل المنعكس الشرطي ، وشأن الإنتماء في أنظارهم كشأن اللغة والدين والعادات الاجتماعية ونحوها .

ومنَ العوامل المؤثرة على الشعور بالإنتماء إلى المؤسسة العسكرية عوامل التخصص التعبوي الذي يمارسه العسكري ، ويُعرف التخصص التعبوي بأنَّه مجموعةً منَ الواجبات العسكرية والمسئوليات القيادية التي تتطلب منَ العسكريين تنفيذها بالصورة الصحيحة . والتخصص تعبيرٌ عسكريٌّ مستعملٌ على نطاقٍ واسعٍ ، ويعني عملاً أو نشاطاً يتصف بالخصوصية العسكرية يتوجب على العسكري القيام به وتحمل مسؤولياته . ويضطلع المجتمع العسكري بمسؤوليةٍ كبيرةٍ عنْ طريق تفويضه إليه ، ويتميز التخصص التعبوي أوِ " الوظيفة العسكرية " بالمعالم الأساسية التي تميزه عنْ غيره منَ التخصصات العسكرية والتي تبرز مدى صعوبتها بين التخصصات العسكرية ، وتشمل تلك المعالم تحديد اسم التخصص وسلاحه وموقعه بالنسبة للصنف وبيان واجباته في السلم و الحرب ومسؤولياته ، وكذلك بيان الشروط الواجب توافرها في العسكري الذي سيشغله .

وللتخصص العسكري خصائصٌ كثيرةٌ كغيرها منَ الوظائف كتنوع المهارات ، والاستقلالية وأهمية التخصص والسلاح و الصنف ودوره في المعركة . وهي تؤثر في الحالة النفسية والروح المعنوية أثناء تأدية الواجب ، بحيث يشعر العسكري بأنَّ الخدمة العسكرية ذات معنى ذلك سيشعره بالمسئولية تجاه نتائج الواجب الذي ينفذه ويمكنه توقع نتائجه . فإذا كانت الروح المعنوية عاليةٌ والحالة النفسية مرتاحةٌ ، فإنَّ ذلك سيشعر العسكري بالرضى على خدمته العسكرية وعلى تخصصه التعبوي ، ذلك الرضا يعطي صفات أخرى للتخصص التعبوي منها : الشعور بالمسؤلية العسكرية فتمنحه نوعٌ من الأهمية والإستقلالية ، وتراكم الخبرة الوظيفية والتفاعل الإختياري أو الرسمي مع الزملاء أثناء تنفيذ الواجبات ، ورفع الدرجة العلمية منْ خلال الدورات التعليمية والتدريبية .

العوامل المرتبطة بالإنتماء للمؤسسة العسكرية والمؤثرة عليه

1. العسكري : الذي يمثل عاملاً مهماً منَ العوامل المؤثرة على الكفاءة القتالية ، وذلك منْ خلال ما يمتلكه منْ قدرات ومهارات ومعارف عسكرية واهتمامات ودوافع خاصة بتخصصه التعبوي .
2. التخصص التعبوي : وهو يؤثر على الكفاءة القتالية منْ خلال ما يتصف به منْ صعوبات وتحديات ومتطلبات وما يقدمه منْ فرص النصر في المعركة .
3. البيئة العسكرية : بمعنى أنَّ العسكري يخضع لعدة عوامل بيئية تحيط به داخل المعسكرات والثكنات ، ولها تأثيرٌ مباشرٌ على ما يقوم به منْ واجباتٍ وما يتوصل إليه من نتائج ، لذا فإنَّنا نستطيع قياس الكفاءة القتالية للعسكري وتحديد مستواها منْ خلال التعرف على مستوى نتائج تنفيذه لواجباته .

الرضا عنْ التخصص التعبوي وعلاقته بالإنتماء للمؤسسة العسكرية :

إنَّ الرضا عنْ التخصص التعبوي يخلق الإنتماء إلى المؤسسة العسكرية ، حيث يشعر العسكري أنَّه عضوٌ أساسيٌّ في تكوين القوات المسلحة ، ويؤدي ذلك إلى أنماطٍ منَ السلوك الإيجابي للعسكريين مثل التعاون في تنفيذ الواجبات ، وتقوية العلاقات الإجتماعية العسكرية ، والرغبة الشديدة في الحفاظ على الأسلحة والذخائر وغيرها منْ معدات القتال ، وتحمل المصاعب بدون شكوى . إذن فاللرضا تأثيرٌ مباشرٌ على الكفاءة القتالية والجاهزية القتالية ، لأنَّهما محكومتان بعناصرٍ مثل المتابعة ، والإشراف ، والأسلوب العسكري في تنفيذ الواجبات . وبالرغم منْ هذا فالرضا عنْ التخصص التعبوي له علاقةٌ بأنماطٍ غيرٍ مباشرةٍ للكفاءة القتالية مثل التعاون والحفاظ على مصلحة القوات المسلحة ، وتحسين العلاقات الإجتماعية العسكرية ، و أكثر منْ هذا فإنَّ الرضا عنْ التخصص التعبوي يؤدي إلى نتيجتين هامتين : الإلتزام بالتخصص التعبوي والإلتزام العسكري بعمومه والإنتماء إلى المؤسسة العسكرية ؛ أيْ أنَّ الرضا عنِ التخصص التعبوي له دوراٌ إيجابيٌّ في التأثير على الإنتماء للمؤسسة العسكرية ، فكلما رضيَ العسكري عنْ تخصصه ، كلما زاد انتمائه لسلاحه وصنفه وبالتالي هذا التخصص .

المعنى التعبوي للإنتماء :

التخصص هو تنفيذ الواجبات التي تمَّ التدريب عليها وتحقيق الهدف بالعسكري ، ويمكن أنْ ينظر منه إلى تكامل الشخصية العسكرية بالمعنى التعبوي على النحو التالي :

1. قيام كل عسكري بتنفيذ واجباته التي كُلِّفَ بها .
2. تكامل وتآزر الأنماط والسلوكيات العسكرية الحيوية في شخصية الفرد العسكرية .
3. قدرة العسكري على تعلم المهارات في استخدام معدات القتال ، واستخدام حواسه وحسه وإدراكه العسكري في معرفة هوية الأسلحة والذخائر أو علاقاتها المكانية أو ما ترمز له أو تشير إليه بالمفهوم العسكري .

4. قدرة العسكري على اكتساب المهارات الإجتماعية العسكرية التي تساعد على إحراز النجاح في الحياة .
5. توظيف الخبرات السابقة في المواقف الجديدة وتطويرها .
6. قدرة العسكري على الإبتكار والإختراع ، لأنَّ الاكتفاء بالخبرات السابقة لا يكفل تقدم وتطوير المجتمع العسكري .

تأثير بعض العوامل الشخصية والتخصصية على الإنتماء التعبوي

1. الرتبة والعمر والخبرات السابقة .
2. قوة الإرادة والعزيمة للخدمة العسكرية .
3. الحالة الإجتماعية والنفسية للعسكري .
4. الطبقة العسكرية التي تشير إلى المركز النسبي أو المنزلة التي يتمتع بها العسكري داخل وحدته ، كما تشير إلى السلطة والنفوذ والمكانة النسبية التي يتمتع بها هذا العسكري . وتستطيع الوحدة أنْ تؤثر جزئياً على درجة أو المكانة التي يحتلها العسكري داخلها منْ خلال التأثير في شكل المزايا والخدمات الخاصة التي تقدمها له .

إنَّ الإنتماء إلى المؤسسة العسكرية هو أحد الأهداف الإجتماعية التي يجب أن تسعى لها الجيوش الحديثة ، لما لها منْ آثارٍ إيجابيةٍ في العسكريين والمؤسسة العسكرية في الوقت نفسه ، حيث يساعد على استقرار المجتمع العسكري فضلاً عنْ تنمية الدوافع الإيجابية لدى العسكريين وزيادة رضاهم . إنَّ الإنتماء إلى المؤسسة العسكرية هو مؤشرٌ على مدى الإخلاص والولاء للجيش التي يبديها العسكري تجاه واجباته ، وانعكاس ذلك على تقبل العسكري أهداف الجيش الكبرى التي يعمل بها ، وتفانيه ورغبته القوية وجهده المتواصل لتحقيقها . وهكذا يكون سلوك العسكري يفوق السلوك المتوقع منه منْ جانب المؤسسة العسكرية ، حينما يكون لدى الفرد الرغبة في إعطاء وقته وجهده وحياته منْ أجل الإسهام في تقدم المجتمع العسكري واستمراره واستقراره ، والاستعداد لبذل مجهود أكبر والقيام بأعمالٍ تطوعيةٍ وتحمل مسؤولياتٍ إضافيةٍ .

ومفهوم الإنتماء إلى المؤسسة العسكرية مختلف تماماً عنْ مفهوم الرضا عنْ التخصص التعبوي ، مع الأخذ في عين الإعتبار إلى أنَّ العسكري قد يكون راضياً عنْ تخصصه التعبوي ، ولكنه يكره الجيش ، ويرغب في ممارسة العمل نفسه في مؤسسة مدنية ، والعكس صحيح .

إنَّ تحقيق حب المؤسسة العسكرية والإنتماء لها بين العسكرين يقلل منْ دوران الواجبات ، ومن مصروفات المادية ويرفع مستوى الكفاءة القتالية ، إنَّ تفوق الجيوش الحديثة يرجع إلى ارتفاع مستوى الإنتماء لها لدى عسكريها . هذا الأنتماء يجعل الجيش وحدةً بشريةً واحدةً في ساحات القتال ، فالعسكري يعطي الحقوق الفردية أولويةً ثانويةً في مقابل مصلحة المؤسسة العسكرية . فالإنتماء إلى المؤسسة

العسكرية يعد في غاية الأهمية لمعظم فهو يحقق التوازن داخل المجتمع العسكري ، ويرقى بمستوى الثقافة العسكرية للأفراد .

ثانياً الولاء للمؤسسة العسكرية

مفهوم الولاء للمؤسسة العسكرية :

لم يحض مفهوم الولاء للمؤسسة العسكرية باهتمام المفكرين العسكريين سواء في مجال علم النفس العسكري أو علم الاجتماع العسكريي من حيث مفهوم الولاء للمؤسسة العسكرية ومخرجاته ومقوماته والعوامل المؤثرة فيه . ولم يلق أيَّ اهتمام في مجال الإدارة العسكرية أو المدرسة السلوكية العسكرية ، رغم أهمية العلاقات الإنسانية في المؤسسة العسكرية ، إنَّ الولاء هو الشعور بالعاطفة والإرتباط القوي ، ويتضح هذا منْ خلال القرب والمساندة والإخلاص والرغبة التي يبديها هذا الفرد . إذن فالولاء شعور يتعلق بوجدان الفرد اتجاه جماعة ما ، أو فكرة ما تأييد لها ، وطاعة وإخلاصا وتضحية في سبيلها . إن مصطلح الولاء لغويا يشير إلى الإخلاص والوفاء والعهد والالتزام والارتباط والنصرة ، من ذلك يمكننا تعريف الولاء للمؤسسة العسكرية بأنَّه : شعور ينمو داخل العسكري بالإنتماء إلى المؤسسة العسكرية يبعث فيه بالمسؤلية اتجاهها منْ أجل تحقيق أهدافها بكلّ إخلاصٍ ومحبةٍ واندماجٍ كخاصيةٍ للسلوك العسكري . إذن فالولاء للمؤسسة العسكرية يعني مشاعر العسكري ، وتوجاهته التي ترتبط بقبول العسكري لأهداف المجتمع العسكري وقيمه ، واستعداده لبذل مجهوده من أجله ، ورغبته الشديدة في البقاء فيه .

المصطلحات المرتبطة بالولاء للمؤسسة العسكرية :

الإنتماء للمؤسسة العسكرية :

الإنتماء للمؤسسة العسكرية يعني الإنتساب إليها . وحاجة العسكري النفسية لإشباع حاجته العقدية العسكرية ، عن طريق الإرتباط والتوحد بالمؤسسة العسكرية ، وأنَّ هذا الإنتماء هو شعور العسكري بالقبول والتميز كجنديٍ ، وعليه فإنَّ الإنتماء للمؤسسة العسكرية هو شعور العسكري بأنَّه جزءٌ منَ المجتمع العسكري بالإنتماء بحيث يدفعه هذا الشعور إلى القيام بمتطلبات ذلك الإنتماء .

الوفاء للموسسة العسكرية :

يشير الوفاء للمؤسسة العسكرية إلى خصلة أخلاقية عسكرية رفيعة المستوى ، وفيها معنى الصدق والإحترام وحب الوطن والأمانة في القول ، ولأنَّ الوفاء خصلةٌ أخلاقيةٌ ساميةٌ جداً فإنَّها تحتاج لتكون سلوك إلى نفوسٍ نبيلةٍ ومثقفةٍ ثقافةٍ عسكريةٍ عاليةٍ جداً . والوفاء للمؤسسة العسكرية ملازمٌ لطريق العدالة الإجتماعية العسكرية ومحافظة عهود القادة والزملاء ، والصبر على ما يبذله العسكري منْ نفسه ويرهن به ذاته العسكرية ، وتنفيذ واجباته بما يضمنه وإنْ كان مجحفاً له .

الإخلاص للمؤسسة العسكرية

وهو طاعة القادة والآمرين وعلى رأسهم القيادة العامة للقوات المسلحة ، وعدم طاعة أيّ أوامرٍ منْ أيّ جهاتٍ أُخرى ، ويشير ذلك أنَّ الإخلاص يعني صفاء الأخلاق العسكرية ، ونقاوة القيم ووجوب الابتعاد عنِ الإختلاط بما هو غير عسكري .

منهج الإخلاص للجندية

أنْ يدرك العسكري أنَّ عمله في سبيل الله وهو ممَّا يؤجر عليه ويثاب إذا أدَّاه على وجهه الإتقان ، بدون أنْ يستشعر الأجر والثواب الماديُّ منْ جراء تعبه ونصبه في تنفيذ واجباته ، ويُعَدُّ الإخلاص للمؤسسة العسكرية منْ أعمال القلوب المندرجة في إرادة العسكريين ، وأعظمها قدراً وشأناً، لأنَّ أعمال القلوب عموماً هي التي توجه أعمال الحواس والإدراك . فالإخلاص للمؤسسة العسكرية أنْ ينفذ العسكري واجباته خالصةً لله وحده ، لا يريد بها تعظيماً منْ زملائه ، ولا توقيراً منْ وحدته ، ولا جلب نفعٍ ماديٍّ ، بل يريد دفع الضرر عنْ دينه وبالتالي عنْ أُمتِّه . فيجب علينا كعسكريين محترفين تصفية أعمالنا منْ كلِّ الشوائب ، وتنقيتها منْ ملاحظات القادة وعدم رضاهم ، والابتعاد عنِ الكسل والتواكل والتهرب منَ المسؤليات العسكرية ، والحرص على تطوير الذات العسكري باكتساب مهاراتٍ جديدةٍ منْ شأنها أنْ تطور التخصص العبوي ، والعسكري المخلص هو الذي لا يبالي بأقوال زملائه منْ أجل صلاح المؤسسة العسكرية ، والإخلاص أشدُّ شيءٍ على نفس العسكري لأنَّه ليس له فيه جزاءٌ . وأولُ الإخلاص للمؤسسة العسكرية استحضار رؤية المجتمع العسكري في شكل الواجب ، والخلاص عنْ طلب التعويض المادي عنْ تنفيذ الواجب ، والنزول عنِ الرضا بتنفيذه ، ثم الخجل منَ الواجب ذاته مع بذل المجهود أثناء تنفيذه بالصورة الصحيحة غير المنقوصة ، وذلك إيماناً بأنَّ ذلك يوجب رضا الله تعالى وحباً للوطن ورغبةً في تنميته ، لأنَّ الإخلاص في العمل يعد عبادةٌ ؛ ومنْ أهم الأمور التي تبني الأمة وترتفع بها ، وتحقق ازدهارها وتطورها ، ومُنتهاهُ بالخلاص منَ الواجب ، وذلك بتفيذه بالصورة التي تدرب عليها العسكري أيْ بنور العلم ، الذي يحكمنا في تنفيذ واجباتنا حتى لا نقع في الخطأِ . وينقص الإخلاص للمؤسسة العسكرية بالعصيان والتمرد والخيانة .

أنواع الولاء العسكري

1. **الولاء الشخصي للقائد :** وهو أسوء أنواع الولآأت ، لأنَّ الولاء للقائد يجب أنْ يكون ولآءً ضبطياً وليس فكرياً ، فلا يخرج عنْ حدود القوانين العسكرية .
2. **ولاء العسكري لنفسه :** وهو ولاء الفرد لنفسه وفكره وفلسفته في الحياة ، والثقافة التي ينتمي إليها بحيث لا تتعارض مع ثقافة مجتمعه العسكري ، وتوجهاته نحو أشياء معينة كتشجيعه لنادٍ معينٍ ، وهو محمودٌ مالم يتعارض مع العقيدة العسكرية للأمة .
3. **الولاء العسكري لدينه :** وهو ولاء العسكري للدين الذي يعتنقه ويؤمن به ، حيث يزداد هذا الولاء كلما طبق قواعده والتزم بمبادئه بشكل صحيح . ولهذا الولاء في كثير من الأحيان تأثيراتٍ سلبيةٍ في المعركة .

4. **الولاء العسكري لوطنه :** وهو ولاء العسكريين للوطن الذي ينتمون إليه ، ويزداد هذا الولاء كلما كان العسكري مخلصا وخدوماً لمؤسسته العسكرية ومجتمعه خارج الأسوار ، ومستعداً للتضحية من أجله .
5. **الولاء للجندية :** وهو الولاء للجندية كوظيفةٍ يشغلها المواطن ، وكلما التزم هذا المواطن بقيم وأخلاقيات الجندية ، وقام بمهامه وواجباته العسكرية بإخلاصٍ وإتقانٍ ، وساهم في تحقيق أهداف الجيش الكبرى ، ذل ذلك على ارتفاع ولائه للجندية كوضيفةٍ ارتضاها لنفسه .
6. **الولاء للمؤسسة العسكرية :** ويعني اقترانٌ إيجابيٌّ فعالٌ بين العسكري والمؤسسة العسكرية ، بحيث يبدي العسكري اهتمامه ، ورغبته في خدمتها وتحقيق أهدافها ، بغض النظر عما يتحصل عليه بالمقابل منها .

الالتزام العسكري

وهو إرتباط العسكري بمجموعة المبادئ والأهداف التي تسعى المؤسسة العسكرية لتحقيقها . وهو شعورٌ إيجابيٌّ في أقصى شدته يجعل العسكري يتحد مع المؤسسة العسكرية ويتمسك بها ، والالتزام بعقائدها العسكرية وأهدافها وقيمها وثقافتها يعني الإنتساب إليها .

مفهوم الولاء للمؤسسة العسكرية

الولاء في معناه يشمل كل المصطلحات السابقة . ويعرف الولاء للمؤسسة العسكرية تبعاً للزوايا التي ننظر منها ، فهو منْ وجهة نظر اجتماعية : إخلاص الفرد للمجتمع العسكري ، والتزامه بتحقيق أهدافه وبذل كل طاقته وأنشطته لإنجاحه ولو على حساب إهتمامته الشخصية ، والالتزام بمعايير السلوك العسكري ، واعتبار المشكلات الإجتماعية العسكرية مشكلاتٌ شخصيةٌ . أيْ أنَّ الولاء للمؤسسة العسكرية قيمةٌ نفسيةٌ للفرد تؤثر في سلوكه ، لتنفيذ واجباته بكفاءةٍ وإخلاصٍ . ومنْ وجهة نظر فلسفية فهو : الحب والمناصرة والتأييد للمؤسسة العسكرية منْ قبل العسكريين بمختلف الرتب ، منْ أجل تحقيق أهدافها وقيمها أيْ أنَّ الولاء للمؤسسة العسكرية هو مخرجات تفاعل العناصر التالية :

1. **التو افق :** توافق أهداف وقيم وسياسة المؤسسة العسكرية باعتبارها أهدافاً وقيماً للعسكريين .
2. **الإستيعاب :** الإنغماس النفسي في الأعمال العسكرية ، ودور الفرد في هذه الأعمال .
3. **الإخلاص والوفاء :** ويتمثل في العاطفة والارتباط القويين بالمؤسسة العسكرية ، وهو حالةٌ وجدانيةٌ للفرد ، تتمثل في التفاعل والانسجام مع المؤسسة العسكرية تظهر في سلوكه ليرقى بها ، والرغبة في البقاء فيها .

إذنْ فالولاء للمؤسسة العسكرية عبارةٌ عنْ مدى قوة اندماج العسكري مع الجيش ، فالعسكري الذي يشعر بالإنتماء للمؤسسة العسكرية يتمتع بحالةٍ منَ الإنسجام والرضا والتفاعل معها ومع قادته وزملائه ، من ذلك نستطيع تحديد بعض الصفات لهؤلاء العسكريين ولها اثرٌ واضحٌ في تحديد في مدى ولاءهم للمؤسسة العسكرية ، ومن هذه الصفات :

أ. إرادةٌ قويةٌ في الخدمة العسكرية .
ب. إيمانٌ بأهداف الجيش الكبرى وقيمه الإجتماعية .
ت. الإستعداد والرغبة القوية لبدل أقصى جهد لصالح المؤسسة العسكرية ونيابةً عنها .
ث. الرغبة الجادة في الإستمرار في الخدمة العسكرية .

والولاء للمؤسسة العسكرية يعتبر ردُّ الفعل العسكري تجاه خصائصها ، كما يعني أنْ يحس العسكري بارتباطه بأهداف وقيم المجتمع العسكري والدور الذي يقوم به لتحقيق هذه الأهداف ، والالتزام بالقيم العسكرية منْ أجل المجتمع العسكري وليس منْ أجل مصالحة الخاصة ، إذن فالولاء للمؤسسة العسكرية هو تفاعل العسكريين معها منْ خلال الأهداف والقيم والأدوار ، وتلاشي المصالح الخاصة . والدَّور هو التخصص بما يشمل منْ واجبات ومهام .

والولاء للمؤسسة العسكرية يشمل وجود مشاعرٍ قويةٍ لدى العسكري تجاه قبول أهداف وقيم المجتمع العسكري والإنتماء إليه والتعلق به وأنَّه جزءٌ لا يتجزأ منْه ، وأنَّ أهدافه الوطنية تتحقق منْ خلال تحقيق أهداف الجيش الكبرى ، ومنْ هنا يتولد لدى العسكري رغبةٌ قويةٌ في بذل مزيدٍ منَ الجهد لتحقيق استقرار المجتمع العسكري وتطوره . وتوفر الرغبة الجادة في الخدمة العسكري والإمتثال لها والإستمرار فيها وعدم تركها بسبب الأجور أو الوضع الوظيفي أو الحرية العسكرية المحدودة ، أو العلاقات الإجتماعية داخلها كالصداقة والمصاهرة والقبيلة وغيرها ، لذا فالولاء للمؤسسة العسكري حالةٌ شعوريةٌ تترجم بقبول أهدافها وقيمها والإندماج فيها والمشاركة بحماس لتحقيقها والسعي للاستمرار فيها . حتى يصل إلى درجة التطابق معها ، ويكون فيها راغباً لبذل المزيد من الجهد أكثر مما يتوقع منه . إنَّ البيئة العسكرية هي حوصلةٌ لجميع المتغيرات السابقة الذكر وغيرها ، مما يؤدي إلى التأثير على العسكريين ايجابياً أو سلبياً ، وتغير اتجاهاتهم وسلوكهم مع بعضهم البعض ، أو مع المجتمع العسكري ذاته .

المتغيرات التنظيمية المرتبطة بالولاء للمؤسسة العسكرية

فاعلية الجيش كمؤسسةٍ حكوميةٍ :

وهو قدرة القيادة العامة للقوات المسلحة على إستغلال البيئة العسكرية للحصول على الموارد المناسبة بشكلٍ مناسبٍ ، تمكن الجيش منْ تحقيق أهدافه المرسومة ، الأمر الذي ينتج عنه تعظيم الكفاءة القتالية والجاهزية القتالية والقيمة الشعبية والإجتماعية للجيش . إنَّ فاعلية الجيش تكمن في رضا الشعب على قادته ، مما يؤدي إلى أعلى درجات الكفاءة القتالية والجاهزية القتالية والتطور التنظيمي له ، والقدرة على إستثمار الموارد وتحقيق الأهداف المنشودة ، فالولاء للمؤسسة العسكرية شرط لتحقيق فاعلية الجيش .

توازن الأسلحة والصنوف والأفراد :

وهـو اتجـاهٌ تبـادليٌ يجعـل الأسـلحة والصـنوف والإدارات والهيئـات في علاقـاتٍ متبادلـةٍ ، فـالجيش كمؤسسـة حكوميـة يطلـب مـنْ أفـراده الإلتـزام بقيمـه وأهدافـه ، وتقـديم أعلى مسـتوى ممكـن مـنَ الكفـاءة القتاليـة والجاهزيـة القتاليـة وتقـديم الـولاء لـه وعـدم تركـه إلى تنظيمـات أخـرى . وبالمقابـل فـإنَّ العسـكري يطالـب المؤسسـة العسـكرية أنْ تُسـهم في إشـباع حاجاته المختلفة ، وأنْ تـوفر لـه المكانـة والإسـتقرار فـالتوازن أو العلاقـات التبادليـة هي المشـاعر الناتجـة أثنـاء تفاعـل الأسـلحة والصـنوف والإدارت والهيئـات مـع بعضـها الـبعض ، وتـوازن العسـكريين فيمـا بينهم ، وتـوازنهم مـع المؤسسـة العسـكرية ككلٍ ، ومـدى قـوة المؤسسـة العسكرية تتحدد منْ خلال الروح المعنوية العالية والحماس الكبير في تنفيذ الواجبات كمسارٍ ايجابيٍ ، أو صراعٍ تنظيميٍ وهو الإهتمام بسلاحٍ أو صنفٍ دون الآخرين ، وهو ضعفٌ وتدنٍ في مستوى الكفاءة القتالية كمسارٍ سلبيٍ ، ومنْ خلال نوع المسار يحدد مدى ولاء العسكريين للمؤسسة العسكرية .

الإنتماء للمؤسسة العسكرية :

وكما قلنا سابقاً هو شعور العسكري بمحبة المؤسسة العسكرية ، ويتحدد سلوكه تجاها بما ينسب إليه منْ درجة العاطفة التي يمتلكها نحوها . لذا يعتبر الإنتماء إلى المؤسسة العسكرية إنتسابه وارتباطه بها ، إلا أنَّ الولاء لها أعمُّ وأشمل منه ولذلك الإنتماء إلى المؤسسة العسكرية هو احد العوامل المسببة للولاء لها واللازمة لجودها .

الإلتزام العسكري :

وهو الرغبة التي يبدها العسكري للتفاعل الإجتماعي داخل المعسكرات والثكنات ، منْ أجل تزويد المؤسسة العسكرية بالحيوية والنشاط ومنحها الولاء ، ويمكن القول أنَّ الإلتزام العسكري هو الإيمان بأهداف المجتمع العسكري وقيمه ، والعمل بأقصى طاقة لتحقيق تلك الأهداف وتجسيد تلك القيم . ومنه يمكن القول إنَّ الالتزام العسكري هو الشعور الداخلي للفرد والذي يظهره أثناء تنفيذه لواجباته والتفاعل بالأسلوب الذي يمكنه منْ تحقيق أهداف المجتمع العسكري ، فهو بذلك يصب في نفس القالب الذي يصب فيه الولاء للمؤسسة العسكرية ، هذا يعني أنَّ الإلتزام العسكري هو جزءٌ منَ الولاء للمؤسسة العسكرية .

الصراع التنظيمي :

إنّ الصراع لاتنظيمي هو العملية التي تبدأ عندما يدرك العسكريون أنَّ المؤسسة العسكرية تعيق تحقيق أهدافها وتحيد عنْ واجباتها ، أيْ هو التعرض الذي ينشأ نتيجةً عنِ الإختلاف على الأهداف ، والأفكار العواطف بين العسكريين والمؤسسة العسكرية وعدم التوافق على السياسات ، مما يؤدي إلى إختلاف المساعي وبالتالي عدم التفاعل وإخلال بتوازن واستقرار المجتمع العسكري ، وبهذا تكون المؤسسة العسكرية أقل تماسكاً وأضعف كفاءةً والعلاقات الإجتماعية العسكرية أقل تركيزاً ، فالصراع التنظيمي يعتبر أحد مهدمات الولاء للمؤسسة العسكرية وأهم عوامل شيخوخة الجيوش .

الرضا عن الخدمة العسكرية :

هو عبارة عنِ الحالة التي يتكامل فيها العسكري مع دوره وتخصصه فيصبح عسكرياً يستغرقه دوره ويتفاعل معه ، منْ خلال طموحه ويتفاعل مع أهداف الوحدة والحياة الإجتماعية العسكرية ، وهذا التفاعل قد يكون إيجابياً بين العسكري ودوره فيؤدي إلى الإنسجام بينهما والتكامل لتحقيق أهداف الجيش ، وعندها يتحقق الرضا عنِ الخدمة العسكرية ، وقد يكون سلبياً وعندها يشعر العسكري بعدم الرضا عنِ الخدمة العسكرية ، وبالتالي فإنَّ الرضا الوظيفي هو منْ مسببات الولاء للمؤسسة العسكرية ومرتبطٌ به .

البيئة العسكرية :

هو نتاج التفاعل بين العديد من المتغيرات داخل المعسكرات والثكنات أو خارجها ، مما يجعل للمؤسسة العسكرية شخصيةٍ معنويةٍ ذات خصائصٍ وسماتٍ تميزها عنْ غيرها منَ المجتمعات ، وذات تأثير عميق على إدراك وتوجهات العسكريين وسلوكهم العسكري في السلم والحرب . إذن فالبيئة العسكرية هي حصلةٌ لجميع المتغيرات السابقة الذكر وغيرها ، مما يؤدي إلى تأثيرها على العسكريين إيجاباً أو سلباً ، وتغير توجهاتم وسلوكاهم مع بعضهم البعض ، أو مع المؤسسة العسكرية .

مقومات الولاء للمؤسسة العسكرية :

نستنتج مما تقدم منْ مفاهيم أنَّ هناك اتفاقاً واضحاً على مفهوم الولاء للمؤسسة العسكرية على الرغم منَ الاختلاف في التفسير ، ونستنتج أنَّ الولاء للمؤسسة العسكرية هو إيمانٌ بأهداف الجيش الكبرى وقيم المجتمع العسكري ، وتنفيذ الواجبات والمهام بأقصى طاقة ممكنة لتحقيق تلك الأهداف وتجسيد تلك القيم . ونستنتج أيضاً إنَّ الولاء المؤسسة العسكرية مقوماتٌ أساسيةٌ منْها :

1. إرادةٌ قويةٌ في الخدمة العسكرية والإيمان بأهداف الجيش وقيمه الإجتماعية .
2. بذل مستوىً عالٍ منَ الجهد لتحقيق أهداف الجيش الكبرى .
3. الإنغماس الشديد في المجتمع العسكري والحياة العسكرية والولاء للمؤسسة العسكرية .
4. الرغبة الشديدة في الخدمة العسكرية لفترةٍ طويلةٍ .
5. الرغبة الدائمة في تطوير القوات المسلحة والعمل على تقويم المجتمع العسكري تقويماً إيجابياً ، والمساهمة الفعالة في تغيره وتطويره .

خصائص الولاء للمؤسسة العسكرية :

يتميز الولاء للمؤسسة العسكرية بعددٍ منَ الخصائص تتمثل في :

1. إنَّ الولاء للمؤسسة العسكرية حصيلة تفاعل العديد منَ العوامل العسكرية والإنسانية والتنظيمية وظواهر اجتماعية عسكرية أخرى داخل المؤسسة العسكرية .

2. إنَّ الولاء للمؤسسة العسكرية ذو الثبات المطلق وأنَّ درجته لا تتغير بتغير الظواهر العسكرية الأخرى.
3. إنَّ الولاء للمؤسسة العسكرية حالةٌ ملموسةٌ يستدل عليها منْ الظواهر الإجتماعية العسكرية تتابع منْ خلال سلوك وتصرفات العسكريون في المؤسسة العسكرية والتي تجسد مدى ولائهم لها .
4. أنَّ الولاء للمؤسسة العسكرية ذو بعدٍ واحدٍ ، رغم تعدد أبعاد الولاء للمؤسسة العسكرية وأنَّ هناك سببين لذلك التعدد الأول : أنَّ المؤسسة العسكرية مكونة منْ عدت أسلحة ، وكلُّها لها أهدافٌ واحدٌ ، والثاني لا يوجد أيّ نوعٍ منْ تبادل المنافع الخاصة بين العسكريين وهذه الأسلحة أو فيما بين العسكريين أنفسهم . وبناءً على ذلك ، فإنَّ جميع العسكريين يعملون منْ أجل تحقيق أهداف الجيش الكبرى والمحافظة على قيم المجتمع العسكري وبالتالي فإنَّ ولاء العسكريين لهذه الأهداف والقيم لا يختلف.

أهمية الولاء للمؤسسة العسكرية :

يعد الولاء للمؤسسة العسكرية جزءاً منَ المفهوم الكلي للولاء للأمة ، ذلك لاق الولاء إهتماماً واضحاً منَ الباحثين والدارسين في علم الإجتماع ومجال الإدارة ، وتبرز أهمية الولاء للمؤسسة العسكرية في الأمم المتقدمة لما له منْ علاقةٍ إيجابيةٍ بفعالية الجيش كمؤسسة حكومية ، ودرجة الكفاءة القتالية والجاهزية القتالية ، وهو يعبر عنْ اتجاه العسكري نحو المؤسسة العسكرية واعتزازه بها ، وإستعداده للدفاع عنها وعن سمعتها بسبب الإيمان القوي بأهدافها وقيمها ، مما يدفعه إلى بذل جهود إضافية في تنفيذ واجباته والقيام بدوره على أحسن صورةٍ محاولاً أنْ يكون عنصراً منْ عناصر قوة بقاها ومنافستها للجيوش الأخرى.

وتبرز كذلك أهمية الولاء التنظيمي على مستوى الأفراد أو الوحدات نظراً لارتباط الولاء للمؤسسة العسكرية بعوامل عديدة ذات أثرٍ كبيرٍ على العسكريين أو المؤسسة العسكرية على حدٍ سواءٍ ؛ فالولاء للمؤسسة العسكرية مرتبطٌ بسلوك العسكري ونشاطاته كالترقية أو الحصول على مناصبٍ جديدةٍ أوِ التنقل بين الوحدات والتشكيلات المختلفة ، أوِ الغياب عنِ الدوام اليومي أوِ الهروب منَ الخدمة العسكرية بحدِّ ذاتها ، وهذا كله يؤثر على فعالية الأفراد وبالتالي كفائتهم القتالية ، كما أنَّه ذو علاقةٍ وثيقةٍ بالرضا على الخدمة العسكرية ، والاستقلالية الشخصية وتحمل المسؤولية العسكرية كإصدار القرارات وتنفيذ الواجبات ، وصراع الأدوار بينه وبين زملائه ، وهو مرتبط كذلك بالسمات الشخصية للعسكري كالعمر ومستوى الخبرة والرتبة ، أوِ الجنس (رجلٌ أوِ امْرأَةٌ) أو القبيلة أوِ الإثنية ، كذالك حاجة هذا الواجب أو ذاك للإنجاز مما يسهل إمكانية التنبؤ بهذه القضايا الهامة في مجال العمل . ولا نحتاج لدراسةٍ ميدانيةٍ لتثبتَ لنا أنَّ ارتفاع مستوى الولاء للمؤسسة العسكرية سيؤثر ايجابياً على الجيش برفع درجة الجاهزية القتالية ، أوِ التقليل منَ المصروفات والتكاليف بسبب غياب الأفراد أو تأخرهم أو تخلفهم عنْ تنفيذ واجباتهم أوِ اسْتقالتهم أو تقاعدهم ، كما أنَّ الولاء للمؤسسة العسكرية المرتفع يحافظ على مستوىً مرتفعٍ منَ الروح المعنوية ، لكلِّ العسكريين كون الجميع يعمل لتحقيق أهداف المجتمع العسكري والجيش

كالمؤسسة حكومية ، تعد هذه الأهداف بالنسبة لهم في غاية الأهمية ، بالإضافة إلى تسهيل مهمة المؤسسة العسكرية في اختيار مجندين جدد وتدريبهم ، والوصول بكلِّ العسكريين في كلِّ التخصصات التعبوية إلى مهاراتٍ عسكريةٍ وعلميةٍ عاليةٍ جداً ، بسبب رغبة العسكريين بالخدمة العسكرية ، لما تتمتع به منْ سمعةٍ طيبةٍ وأهدافٍ دينيةٍ ووطنيةٍ غير موجودةٍ في أيِّ مؤسسةٍ حكوميةٍ أخرى ، كما أنَّ العسكريين ذوي الولاء المرتفع للمؤسسة العسكرية يساهمون في النمو الاقتصادي لها ، ارتفاع معدلات الإنتاج القومي في بلدانهم ، إضافةً إلى ما يحصلون عليه منْ ميزاتٍ عسكريةٍ ووظيفيةٍ أكثر . ويمكن تلخيص أهمية الولاء للمؤسسة العسكرية في النقاط التالية :

1. يمثل الولاء للمؤسسة العسكرية عنصراً هاماً في ربط المجتمع العسكري بالأفراد ، لاسيما في أوقات النفير أوِ الأعمال القتالية الفعلية ، وتحقيق أعلى مستوى منْ انجاز أهداف الجيش الكبرى .
2. إنَّ ولاء العسكريين للمؤسسة العسكرية يعتبر عاملاً هاماً أكثر منَ الرضا الخدمة العسكرية في التنبؤ في استمرارهم بالخدمة .
3. إنَّ ولاء العسكريين للمؤسسة العسكرية يعتبر عاملاً هاماً في التنبؤ بمستوى الكفاءة القتالية والجاهزية القتالية.
4. إنَّ الولاء للمؤسسة العسكرية منْ أهم المعاضل التي لم تهتم بها الإدارة العسكرية .
5. إنَّ ولاء العسكريين للمؤسسة العسكرية يعتبر عاملاً هاماً في ضمان نجاح وتطور القوات المسلحة .

أبعاد الولاء للمؤسسة العسكرية:

تختلف صور ولاء العسكريين للمؤسسة العسكرية بإختلاف القوة الباعثة والمحركة له ، وعلى أيةِ حالٍ إذا تمَّتْ هندسة المجتمع العسكري حسب رؤية القيادة العامة للقوات المسلحة ، فإنَّ قوته الرئسية ستكون الدين والأيديولوجا العسكرية ، ومحرك الجيوش هو التاريخ . ومنْ وجهة نظري فإنَّه هناك بعداً واحداً للولاء للمؤسسة العسكرية وليس أبعاداً متعددةً كبقية المؤسسات العامة والخاصة ، ودراسة الولاء للمؤسسة العسكرية تكون مدخلين رئيسين ، الأول توجهات العسكريين ، والثاني نمط سلوك العسكريين داخل المعسكرات والثكنات وخارجها .

توجهات العسكريين :

ويقصد به تطابق أهداف الجيش كمؤسسةٍ حكوميةٍ وقيم مجتمعها العسكري مع أهداف العسكريين ، ورغبتهم في الخدمة العسكرية ، وهو مدخلٌ نفسيٌ يرى منْ خلاله العسكري الولاء للمؤسسة العسكرية على أنَّه اتجاهٌ يؤكد الإرتباط بينَ العسكري والمجتمع العسكري منْ حيث طبيعته ونوعيته .

نمط سلوك العسكريين :

ويقصد به متى يصبح العسكري مرتبطاً بالمؤسسة العسكرية ومجتمعها نتيجةً لسلوكه السابق ، فالجهد والوقت الذي قضاه العسكري في الخدمة العسكرية يجعله يتماسك بها . ووفقاً لهذا المدخل يتم إحساس العسكري بالولاء للمؤسسة العسكرية منْ خلال حب الوطن والرغبة في الدفاع عنه ، كاستثمار (غير المادي) في هذه الرحلة الدنياوية ؛ فالولاء هنا ينبع من المكاسب الأخراوية التي يرى العسكري أنَّ سيحققها نتيجة خدمته العسكرية . بالإضافة إلى ذلك فهناك عواملٌ أُخرى لها تأثيرٌ مباشرٌ على البعد الوحيد للولاء للمؤسسة العسكرية وهي :

الولاء العاطفي للمؤسسة العسكرية : ويتكون هذا البعد عند العسكري بمدى اتقانه لتخصصه التعبوي وأهية دوره في الصنف . ودرجة استقلالية هذا التخصص وأهمية وتنوع المهارات المطلوبة منه وقرب القادة أوِ الآمرين وتوجيهاتهم له ، كما يتأثر بدرجة إحساس العسكري بأنَّ البيئة العسكرية داخل الوحدة تسمح له بالمشاركة الفعالة في تنفيذ الواجبات ، أوِ اتخاذ القرارات ، سواءً فيما يتعلق منها بالواجب ، أو ما يتعلق به شخصياً كالقادة وهيئات الركن ، وكل هذا يجعل العسكري يفتخر بانتمائه للمؤسسة العسكرية ، وينفذ واجباته ونشاطاته الأُخرى بشكلٍ إيجابيّ ، أو عند حديثه لزملآئه الآخرين وتبني مشاكل الوحدة كما لو كانت مشاكله الخاصة والشعور بوجود جو أخوي يربطه زملائه وقادته والوحدة ككلّ .

الولاء الدائم للمؤسسة العسكرية : إنَّ درجة ولاء العسكري في هذه الحالة تقاس بالكفاءة القتالية ، والتي منَ الممكن أنْ يحققها العسكري لوِ استمر في الخدمة العسكرية ، مقابل ما سيفقده لو تركها ، حيث أنَّ تقييم العسكري لأهمية البقاء في الخدمة العسكرية يتأثر بمجموعةٍ منَ العوامل منها التقدم في السن ، وطول مدة الخدمة العسكرية والرتبة والمناصب المختلفة ، والتي تعتبر منَ المؤشرات الرئيسية لوجود رغبةٍ لدى العسكري في الإستمرار في الخدمة العسكرية ، حيث أنَّ الفرد استثمر جزءا لا بأس به من حياته في الجيش ، وأيّ تفريطٍ أو تساهلٍ منْ قبله سيعتبر بمثابة خسارةً له خاصةً إذا كان تخصصه التعبوي غير قابلة للنقل إلى عملٍ أخرٍ ، وبما أنَّ العسكري يعطي قيمة للعلاقات الشخصية مع زملاء الوحدة والتي بنيت عبر السنين ، ونظام التقاعد قد يختلف عنْ المؤسسات المدنية لأخرى ، والمهارات النادرة لا ترتبط إلاَّ بالخدمة العسكرية دون المهن الأخرى ، فالعسكريين الذين تقدمت بهم السن قد يفضلون البقاء في الخدمة العسكرية نظراً لتضاؤل فرص العمل بالنسبة لهم في مؤسساتٍ أخرى .

الولاء الأخلاقي للمؤسسة العسكرية : ويعني إحساس العسكري بالإتزام نحو البقاء في الخدمة العسكرية وذلك مقابل الدعم الجيد الذي يقدمه الجيش للعسكريين والسماح للقادة وهيئات الركن وكبار الضباط بالمشاركة في الحياة السياسية والتفاؤل الإيجابي للقوات المسلحة واتخاذ الرقرارت الإستراتيجية والمساهمة في وضع الأهداف ورسم السياسات العامة للقوات المسلحة ، مما يجعل هؤلاء الأفراد يمتنعون عنْ ترك الخدمة العسكرية لكونها التزماً أخلاقياً في تمكين المؤسسة العسكرية في تحقيق هذه الأهداف ، وتنفيذ تلك

السياسات التي شاركوا في وضعها ، و كذلك لإلتزامهم بالأخلاق العسكرية التي تحتم عليهم الإستمرار في الخدمة العسكرية .

العوامل المساعدة في تكوين الولاء للمؤسسة العسكرية :

إنَّ منْ أهم أسباب وعناصر النجاح لأيِّ جيشٍ هو شعور أبنائه بالولاء له ، لأنَّ هذا الولاء منْ أسمى وأرقى الولآت فهو مرتبطٌ بحياة الأمة ودوامها مباشرةً ، وهو الدافع الذي يحت العسكري لبذل أقصى ما يملك منْ جهودٍ وإمكانياتٍ علميةٍ ونفسيةٍ وجسديةٍ ، متجاهلاً مصالحه الشخصية التي تتعارض مع الحياة العسكرية في بعضِ الأحيان ، ومنْ بين هذه العوامل مايلي :

المدخلات:

مكانة الفرد في المجتمع العسكري :

وأقصد بالمكانة تلك المرتبة الاجتماعية العسكرية للفرد مقارنةً بزملائه الآخرين في المجتمع العسكري ، وخاصةً الأفراد منْ دفعةٍ واحدةٍ أو دفعاتٍ متقاربةٍ ، وقد تكون المكانة مكانة منصبٌ أو نفوذٌ اجتماعيٌّ عسكريٌّ يضفيها المجتمع العسكري أوِ الوحدة على عسكريٍّ ما تعبيراً عنْ شعورهم نحوه فتكون مكانةٌ غيرُ رسميةٍ ، ويرتبط العسكريون بعضهم ببعض في المجتمع العسكري ويسعى كلُّ واحدٍ منْهم ببذل قصارى جهوده للمحافظة على مكانته وتنميتها ، وذلك لأنَّ فقدان المكانة (أو ما يعرف بقلق المكانة في علم الإجتماع) يعتبر حدثا سيئً بالنسبة لأيِّ عسكريٍّ منهم ، وسبباً أساسياً لعدم قبوله منْ قبل أفراد المجتمع العسكري أوِ الوحدة التي يخدم فيها بشكلٍ مناسبٍ مما يولد لديه القلق والإضطراب ومن ثَمَّ الإضطرار إلى ترك الخدمة العسكرية أو على الأقل سيحاول الإنتقال إلى وحدةٍ أخرى ، وللمكانة الاجتماعية في المؤسسة العسكرية أسبابٌ عديدة منها : الرتبة والمنصب الذي يحصل العسكري عليه في الهيكل التنظيمي للجيش ، وأنماط التخصص التعبوي ومهاراته والبيئة العسكرية ، ومرتبات العسكريين وتقاعدهم والأقدمية والأهلية في التعيينات وإسناد وتولي المناصب ، بالإضافة إلى الأسباب التي يحصل العسكري عليها منْ خارج المؤسسة العسكري كالتعليم .

قيام المؤسسة العسكرية بمساعدة الفرد على إشباع حاجاته :

حين يلتحق الفرد بالمؤسسة العسكرية سيسعى بدايةً لتحقيق حاجاته ورغباته المتعددة ، سواء السيكولوجية منها أو البيولوجية ، فإذا قامت المؤسسةالعسكرية بإشباع حاجته يكون لذلك الأثر الطيب في نمو الولاء للمؤسسة العسكرية لدى الفرد ، وعلى العكس من ذلك إذا تجاهلت المؤسسة العسكرية هذا العنصر الفعال سيميل الفرد للبحث عنْ المشكلات الإجتماعية عاجلاً أو آجلاً .

نظام الحو افز:

للحوافز دورٌ فاعلٌ في تعزيز العلاقات بين المؤسسة العسكرية والأفراد ، فهي التي تحفز القوى الدافعة بغية تحقيق أهداف الجيش ، وهذه الحوافز لا تكون مادية في أغلب الأحيان ، بل معنويةً فرديةً أو

جماعيةً ، ويزيد تأثيرها في إثارة الدافعية للأفراد وتعزيز حماسهم وثقتهم بالجيش وولائهم له ، كما يتوقف تأثيرها على نجاعة الأساليب المتبعة في تنفيذها والتي تراعي أهداف الجيش وأهداف العسكريين فيه لتحقيق الولاء للمؤسسة العسكرية والشعور بالمسؤولية والشعور بالرضا على الخدمة العسكرية وتحقيق الذات العسكرية .

بناء الثقة بين المؤسسة العسكرية والعسكريين (الثقة التنظيمية) :

تعني الثقة توافق العسكريين وانسجام سلوكهم بما يحقق أهداف المؤسسة العسكرية ، فالثقة التنظيمية العسكرية هي توقع العسكريين بتحقيق وعود المؤسسة العسكرية المكتوبة أو الشفوية ، أيْ أنَّ الثقة تتحقق منْ الإدراك المشترك للعسكرية أنَّهم يرغبون قي تحقيق علاقات اجيماعية عسكرية ذات فاعليةٍ عاليةٍ ، وأنَّ العسكريين في الجيش الواحد لا يقاتلون أنفسهم ، لهذا فالجيوش القوية تجتهد في تقديم الخدمات المختلفة لأفرادها . لأنَّها تعتمد على العنصر البشري في تحقيق الجاهزية القتالية ، وتعتمد إلى رفع درجة الثقة فيما بين العسكريين والمؤسسة العسكرية ، ولذلك فانَّ لعامل الثقة أهمية بالغة في تماسك الجيش وفي تنمية الولاء له ، وزيادة مستوى الإبداع والابتكار ، وعلى قادة الوحدات تقع مسؤولية توفير البيئة العسكرية الآمنة المستمرة لمنتسيبيها ، بتنفيذ سياساتٍ قياديةٍ وإداريةٍ واضحةٍ تحقق العدل ، وتطبق القوانين العسكرية دون تميز ؛ وتحرص على تنفيذ الواجبات والقيام بأدوارها بمصداقيةٍ ، والتزام الأمانة والاستقامة والقدوة الحسنة ، والتمسك بالأخلاق العسكرية وقيم ومباديء المجتمع العسكري وثقافته ، وتقدير الجهود المبذولة منْ كلِّ العسكريين بغض النظر عنْ الرتب والمناصب ، وتوفير الدعم المادي والمعنوي للعسكرين المتميزين والوثوق في قدرات هيئات الركن وإمكانياتهم.

التطبيع الإجتماعي العسكري :

أعني بالتطبيع الإجتماعي العسكري : هو تلك الأعمال والنشاطات التي يكتسب فيها العسكري القيم والتوجهات والمعاير وأنماط السلوك العسكري التي تتوافق مع مصالح المجتمع العسكري وأهدافه ، وللتطبيع الإجتماعي العسكري دورٌ مهمٌ في تحقيق الكفاءة القتالية وفاعليتها ورفع مستوى الجاهزية القتالية للجيش ، وسرعة التطبيع تؤثر في تطوير دور العسكري والنهوض به ، كما تؤثر في إخلاصه وولائه وتمسكه بالمؤسسة العسكرية . وبما أنَّ التطبيع الإجتماعي العسكري هو إكساب الفرد قيم وسلوك المجتمع العسكري منْ أجل تحقيق أهداف المؤسسة العسكرية ، فهو بذلك يحقق بعداً منْ أبعاد الولاء للمؤسسة العسكرية ، وهو بذل أقصى جهدٍ منْ أجل إنجاح وتحقيق أهداف المؤسسة العسكرية وقيمها والتوجه نحو الإنجاز والإبداع .

وضوح الأهداف :

إنَّ وضوح أهداف الجيش يساعد على زيادة الولاء له عند العسكريين ، فكلما كانت الأهداف واضحةً ومحددةً كلما كانت عملية إدراك وفهم الافراد للولاء للمؤسسة العسكرية والجيش كمؤسسة حكومية أكبر ، ويتطابق ذلك على النهج والفلسفة وكفاءة القيادة العامة للقوات المسلحة وقادة الأسلحة والصنوف وبقية

القيادات وهيئات الركن ، فكلما كان الهيكل التنظيم واضحاً والعمليات التنظيمية المصاحبة له ووظائف الإدارة العسكرية على كافة المستويات واضحةً كلما أدى ذلك إلى زيادة الولاء للمؤسسة العسكرية والإخلاص والإنتماء لها . وخير مثالٍ على وضوح الأهداف هو الحرب الليبية في تشاد ، فلم تكنْ ظاهرةً تلك الأهداف للشعب أو العسكريين في الميدان وأعتقد أن الكثير منَ القادة كذلك . في حين أنَّها كانت منْ ضروريات الأمن القومي الليبي وقف التوغل الفرنسي في الجنوب الليبي الذي يستخدم قبائل التبو الغافلة ، حتى كان الجنود والقادة يقاتلون بدون هدف ويشعرون بأنَّهم في أتون محرقةٍ منْ أجل القذافي .

الرضا عنِ الخدمة العسكرية :

إنَّ الرضا عنِ الخدمة العسكرية يمكن تحديده بمعرفة الشعور بتنفيذ الواجبات والاعتبار للجيش وتحمل المسؤولية العسكرية في القيادة وأعبائها وتنفيذ الواجبات والمهام في السلم والحرب ، وإمكان التقدم في التخصص التعبوي ، أما عدم الرضا عنِ الخدمة العسكرية فيمكن تحديده منْ خلال شعور العسكري نحو البيئة العسكرية المتمثلة بأسلوب قيادة الوحدة ، وإدارتها أو بسياسة المؤسسة العسكرية ، وظروف العمل المادية ودرجة الإستقرار والأمن في الخدمة العسكرية المركز الإجتماعي في الوحدة ، والمرتبات والأجور ، وأسلوب القيادة والسيطرة ، وبهذا فالرضا عنِ الخدمة العسكرية هو المشاعر التي يبديها الفرد نحو دوره في الوحدة أوِ التشكيل ، ينشأ منْ إدراك العسكري للفرق بين ما تقدمه له الخدمة العسكرية ، وما يجب عليها أنْ يقدمه للمؤسسة العسكرية منْ خلال مزاولته لتخصصه التعبوي والقيام بدوره على أحسن وجه ، فكلما قل الفرق بينهما ازدادت درجة الرضا عنِ الخدمة العسكرية .

المخرجات:

ينجم عنْ ولاء العسكريين للمؤسسة العسكرية عدة مخرجات تكون في معظمها سلوكاً ايجابياً يعود عليهم وعلى الجيش بالفوائد الكبيرة ، ومن ابرز هذه المخرجات وأكثرها تأثيراً في حياة العسكرية ما يلي :

شعور العسكريين بروحٍ معنويةٍ عاليةٍ :

منْ تعاريفات الروح المعنوية أنَّها : ذلك الاستعداد الوجداني الذي يظهره العسكريون يشاطرون فيه أقرانهم بحماس ألوان نشاطهم وواجباتهم ، بحيث يصبحون أقل قابليةً للميل إلى المؤثرات الخارجية . وإنّي لأعتقدُ أنَّ للولاء للمؤسسة العسكرية دورٌ هامٌ في رفع الروح المعنوية للعسكرين ، فيجعلهم يحبون الجندية كوظيفةٍ ومهنةٍ والمؤسسة العسكرية كمجتمعٍ ينتمون إليه ، ويدفعهم للعمل بتعاونٍ وحماسٍ كبيرٍ لتحقيق أهداف الجيش الكبرى ، فالروح المعنوية تحقق بشكلٍ ايجابيّ عندما يشعر كل عسكري بأنَّه يحقق أهدافه الشخصية والإجتماعية في الوقت الذي يساهم فيه في تحقيق أهداف المجتمع العسكري . أيْ أنَّ الروح المعنوية منَ النتائج الإيجابية التي تنبثق عنِ الولاء للمؤسسة العسكرية ، حيث تنتج عنْ ثقة العسكريين بعضهم ببعض ، وسوف يزاولون تخصصاتهم وينفذون واجباتهم بجدٍ واجتهادٍ لتحقيق أهدافهم وأهداف المجتمع العسكري .

الحد منَ التهرب منَ الخدمة العسكرية

وهي إحدى النتائج الهامة للولاء للمؤسسة العسكرية ، حيث تجتهد الجيوش الحديثة والقوية إلى تشجيع المواطنين بالإلتحاق بالخدمة الوطنية وتشجعهم على ذلك بكل السبل والمغريات وتسعى للإحتفاظ بعسكريها وخاصةً أولئك الذين يتمتعون بدرجة عالية منَ الولاء لها ولاسيما أولئك المهرة وذوي الإختصاصات التعبوية النادرة ، ولا تقف عادةً تلك الجيوش عنْد هذا الحد ، بل تقوم بكل جهدٍ ممكنٍ لتحفيز هؤلاء العسكريين بأنواع الحوافز المادية والمعنوية لضمان إستمرار خدمتهم العسكرية وولائهم لها ، إضافة إلى رغبة ونية الفرد والإحساس بالأمان والانتماء إلى المؤسسة العسكرية ، فالأجور وجاذبية الجندية كوظيفةٍ ومزاياها والتخصص التعبوي وخصائصه ،كلها عواملٌ تدفع العسكريين للبقاء في المؤسسة العسكرية .

الإبداع والتفاني في تنفيذ الواجبات :

إنَّ العسكريين الذين يتصفون بدرجة عالية منَ الولاء للمؤسسة العسكرية يمتازون بمستوىً تنفيذيٍّ متميزٍ ، وأنَّ العسكري ذو الولاء العالي للمؤسسة العسكرية يكون أكثر حماساً للعمل ، وأكثر إلتزاما بأهداف الجيش الكبرى ويسعى تلقائياً للتفاني والإبداع في تنفيذ واجباته تصل إلى التضحية بالنفس خاصةً أثناء الأعمال القتالية الفعلية .

ثالثاً الرضا عنِ الخدمة العسكرية

ظهر مفهوم الرضا عنِ الوظيفة منذ ظهور علم النفس الصناعي كفرعٍ مستقلٍ عنْ علم النفس العام ، وتنبع أهمية الرضا عنْ الخدمة العسكرية منْ كونها تتناول مشاعر العسكري إزاء مؤثرات التخصص الذي يزاوله ودوره في الوحدة والواجبات التي ينفذها ، والبيئة العسكرية المحيطة به المادية والنفسية ، ويمكن أنْ نعتبر أنَّ الرضا عنِ الخدمة العسكري كمتغيرٍ مستقلٍ يؤثر في الواجبات والمهام ، أو كمتغيرٍ تابعٍ يتأثر بعواملٍ عديدةٍ كالأجر ونمط القيادة والإشراف والموقع الجغرافي للوحدة أوِ التشكيل .

ولمي حظى موضوع الولاء للمؤسسة العسكرية باهتمام الباحثين العسكريين في مجال السلوك العسكري لما له منْ أثرٍ وعلاقةٍ ارتباطيةٍ بالعديد منَ الظواهر السلوكية العسكرية ، ولم تعمل الجيوش باستمرار على تقصي سلوك عسكريها خاصةً في ظل تزايد

ضغوط الواجبات العسكرية وتطور تقنيات ونظريات القتال ، ولم تعمل على استرضاء العسكريين حتى تصل إلى حالةٍ منْ ولاءٍ للمؤسسة العسكرية يكون له ثقلٌ واضحٌ في الازمات إذا استثنينا منْ ذلك الرضا الديني و الأيديولوجي ،من وجهة نظري أنَّها لم ترَ بأنَّه لابدَّ لها من تحقيق الرضا عنِ الخدمة العسكرية وخلق الولاء للمؤسسة العسكرية ، مما يحفز هؤلاء العسكريون إلى الرفع من الكفاءة القتالية والحد منْ معوقات الاداء الفعال ، و بالتالي زيادة مستوى الكفاءة القتالية ، تحسين الجاهزية القتالية ، فالعلاقة بين العسكري والمؤسسة العسكرية ليست بالعلاقة تبادلية بمعنى الكلمة ، إلاَّ أن العسكريون لهم أهدافهم

الخاصة يسعون لحقيقها بالخدمة العسكرية ، أيْ لكلِّ طرفٍ توقعاتٍ منَ الطرف الأخر ، حيث يبدل العسكريون الجهد ويحققون أهداف المؤسسة العسكرية ، ويتوقعون المقابل المادي و المعنوي.

مفهوم الرضا عنِ الخدمة العسكرية وكيفية تحقيقه

تعريف الرضا عن الخدمة العسكرية :

يعتبر مفهوم الرضا عنِ الخدمة العسكرية منْ أكثر مفاهيم علم النفس العسكري غموضاً وتعقيدًا ذلك لأنَّه منْ وجهة نظري حالةٌ انفعاليةٌ يصعب قياسها أو دراستها بموضوعيةٍ . فهو عمليةٌ ترتبط بالمشاعر النفسية للعسكري بغض النظر عن رتبته تجاه الجندية كمهنةٍ ، ولا نستطيع أنْ نطلق عبارة الرضا إلاَّ على مجموعة المشاعر الإيجابية ، التي يشعر بها العسكري أثناء إشباعه لحاجاته المختلفة ، المادية والمعنوية ، قد تصل إلى رضاه عنِ الأسلحة والذخائر والعتاد ، خاصةً وقت الحرب . أيْ أنَّه تقبل العسكري لحياته العسكرية وواجباته في جميع ظروفها وشروطها ونواحيها ، وأن هذا الرضا يعكس شعور العسكرين تجاه ما يقومون به منْ واجباتٍ وأعمالٍ ، وأنَّ حالة الرضا عنِ الجندية هذه تؤدي إلى رفع الكفاءة القتالية والجاهزية للقتالية وتنفيذ الواجبات المصحوب بالتوتر الايجابي ، أما عدم الرضاعنِ الخدمة العسكرية يؤدي إلى التوتر السلبي وضعف الحافز لتنفيذ الواجبات وتدني مستوى الكفاء القتالية ، فهو بالتالي موقفٌ أو مواقفٌ يتبنَّاها العسكري نحو الخدمة العسكرية ، هذا الموقف ناتجٌ عنْ عددٍ منَ العوامل المحيطة بالخدمة العسكرية كالراتب ، والترقية ، والتخصص ونمط القيادة ، وأهمها منْ وجهة نظري وما لمسته أنا شخصياً هو عدم وضوح أهداف المؤسسة العسكرية أو خروجها عنْ مسارها نتيجة مؤثراتٍ خارجيةٍ . وغيرها منْ عوامل البيئة العسكرية داخل المعسكرات والثكنات .

إذن للرضا عنِ الخدمة العسكرية مفهومٌ واحدٌ ، لأنَّ اتجاهات العسكري نحو عواملٍ مهمةٍ منْ دوره ، وبالتالي فليس منَ الضروري أنْ تكون جميع هذه الاتجاهات إيجابية فقد يكون العسكري مستمتعاً بأداءِ دوره وتخصصه ولكنه يشكو منْ سوء معاملة القادة.

ومنْ خلال التعريفات السابقة يمكننا القول بأنَّ الرضا عنِ الخدمة العسكرية : هو ذلك الاتجاه الايجابي للعسكري نحو دوره في المجتمع العسكري ، الذي يتوقف على مشاعره تجاه العوامل المرتبطة به وبدوره ، هذه المشاعر ناتجةٌ عنْ درجة الإشباع الذي يتحقق للعسكري منْ هذا الدور ، علماً بأنَّ هذه المشاعر تتأثر بالصفات الشخصية للعسكريين ، ومستوى طموحاتهم في الحياة العسكرية . مثلاً كنا نلاحظ على بعض الطيارين تعلقهم بوظيفة الطيران فقط ، وكلُّ طموحهم في مزاولتها ، بحيث لم يكن لهم دورٌ كاملٌ في وحداتهم ، ولم يسعوا لتطوير ذاهم العسكرية ليرقى مستوى طموحهم للقيادة أو حتى التأثير على الأخرين ، وينظر إلى الرضا عنِ الخدمة العسكرية (الرضا عنش الجندية كوظيفة ومهنة) منْخلال أسلوبين هما :

الأسلوب العسكري الكامل : ويهتم بالرضا الكلي عنِ الخدمة العسكرية ، بمعنىً أخرٍ شعورٍ عامٍ يعمل كمؤشرٍ لاتجاه العسكري نحو تخصصه التعبوي ، ويتقاطع مع كلِّ جوانب الرضا المختلفة كالوحدة والبيئة العسكرية ، أيْ أنَّ العسكري يعبر بقوله" أو بفعله بصفةٍ إجماليةٍ عنْ حب المؤسسة العسكرية بالرغم منْ وجود بعض الجوانب التي تقف حائلاً لتحقيق بعض التحسينات .

الأسلوب التعبوي متعدد الجوانب : وهو ينظر إلى الرضا عنِ الخدمة العسكرية على أنَّه مكونٌ منْ مشاعرٍ ، واتجاهاتٍ مرتبطةٍ بمجموعةٍ منْ عناصر دوره بالكامل ، والرضا عنِ الخدمة العسكرية هنا يكون بدرجاتٍ متفاوتةٍ عنِ الأوجه المختلفة للدور الذي يقوم به العسكري ، ومن أمثلة هذه الجوانب: التخصص التعبوي ، الأجر، الترقيات، أسلوب إدارة وقيادة الوحدات والشكيلات ، علاقات مع الزملاء ، سياسة المؤسسة العسكرية كمؤسسة حكومية .

كيفية تحقيق الرضا عنِ الخدمة العسكرية :

حين ننظر للرضا عنِ الخدمة العسكرية كنتيجةٍ للكشف عنِ الكيفية التي يتحقق بها و العوامل مسئولة عنْ حدوثه ، سنجد أنَّ تلك العوامل تنتظم في نسقٍ منَ التفاعلات المختلفة تتم على النحو التالي :

1. الحاجات الضرورية : لكلِّ عسكريٍّ حاجاتٌ يسعي إلي إشباعها ، وتعد الخدمة العسكرية بالنسبة له المصادر الأساسي المتاح أمامه .
2. الدوافع الداخلية : تولد الحاجات قدرًا منَ الدافعية ، تحث العسكري على التوجه نحو المصادر الذي يرغبه لإشباع تلك الحاجات .
3. تنفيذ الواجبات : تتحول الدوافع الداخلية إلي حماس العسكري في تنفيذ واجباته ، اعتقادًا منْه أنَّ القيام بواجباته بالصورة الصحيحة وسيلةٌ لإشباع حاجاته .
4. إشباع الحاجات : يؤدي الحماس إلي إشباع حاجات العسكري .
5. الرضا عنِ الخدمة العسكرية : إنَّ بلوغ العسكري مرحلة الإشباع منْ خلال الحماس و الكفاءة في تنفيذ الواجبات ، يجعله راضيًا عنْ دوره وتخصصه باعتبارهما الوظيفة التي تُشبع حاجاته .

قياس الرضا عنِ الخدمة العسكرية :

المقاييس حسب المنظور العسكري :

تعتمد المقاييس االعسكرية في قياسها للرضا عنِ الخدمة العسكرية على حساب العديد من معدلات نواتج الكفاءة القتالية للأفراد ، منْ أهمها معدل انجاز الواجبات ، معدل الغياب ، ومعدل الإستقالات الإختيارية

أ. **معدل انجاز الواجبات :** في الحالة التي يكون فيها معدل انجاز الواجبات مرتفع وأقصد بذلك أسناد نفس الواجب لأكثر منْ فرد أو أكثر منْ مجموعة لإنجازه ، فإنَّ هذا يعتبر مؤشراً عنْ عدم الرضا عنِ الخدمة العسكرية ، والعكس صحيح في حالة انخفاض هذا المعدل ؛ وهناك عواملٌ تلعب دوراً هاماً في العلاقة بين معدل انجاز الواجبات والرضا عنِ الخدمة العسكرية ، أهمها : حالة الأمة (سلم أم حرب) ، فرص العمل المتعددة خارج المؤسسة العسكرية ، حالة الاقتصاد للأمة ...الخ.

ب. **الغياب :** يعتبر انباط العسكري في دوامه اليومي، ومعدل غيابه مؤشراً يمكن استخدامه للتعرف على درجة

الرضا عنِ الخدمة العسكرية ، فلاشك أنَّ العسكري الراضي عنِ الجندية كوظيفةٍ يكون أكثر ارتباطا بها وأكثر حرصا عليها

بالحضور إلى وحدته والخروج منْها في الأوقات المحددة لذلك ، عنْ عسكريٍّ أخرٍ يشعر بالاستياء منَ الخدمة العسكرية ، ولا يعني هذا أنَّ الغياب هو عدم الرضا عنْ خدمته العسكرية ، فقد يكون الغياب مبرراً

ولأسبابٍ مشروعةٍ ، ولكن عنِ الغياب الذي لا يرجع إلى الظروف الطارئة ، لذلك فان احتفاظ المؤسسة بسجلات
الحضور والغياب بالنسبة لكل فرد يتيح لها تتبع معدلات الحضور والغياب واكتشاف أي ظاهرات اختلال تستدعي
التدخل.

ج. ترك الخدمة العسكرية

يمكن استخدام استقالة العسكريين كمؤشر على درجة الرضا عنِ الخدمة العسكرية ، فلا شك أنَّ بقاء العسكري في خدمته يعتبر مؤشرا هاماً لارتباطه بالمؤسسة العسكرية وولائه لها ؛ إلاَّ أنَّنا يمكن أنْ نستخدم طريقة المقاييس الذاتية وهي التي تعتمد على جمع المعلومات منَ العسكريين باستخدام وسائل محددة مثل تصميم استمارة الإستقصاء (الاستبيان) ، تتضمن قائمة أسئلةً خاصةً بالرضا عنِ الخدمة العسكرية توجه إلى العسكريين منْ أجل معرفة درجة رضاهم عنِ الخدمة العسكرية ، أو باستخدام طريقة المقابلات الشخصية التي يجريها الباحثون العسكريون مع الأفراد ، ولكلّ طريقةٍ مزاياها وعيوبها وظروف استخدامها . وطريقة الاستبيان منْ أشهر الطرق وأكثرها انتشاراً ، وتتضمن مجموعةً منَ الأسئلة المرتبة حول موضوعٍ أو مشكلةٍ معينةٍ ، يتم وضعها في استمارة ترسل لأشخاص معينين بالبريد ، أو يجري تسليمها باليد تمهيداً للحصول على أجوبةٍ للأسئلة الواردة فيها ، بغية الإحاطة الجهات المعينة بنتائج الإستبيان والحلول المقترحة . وطريق المقابلة وهي اجتماع المحلل مع العسكري وجهً لوجهٍ ، منْ أجل الحصول على معلومات لا يمكن الحصول عليها بالإستبيان ، وتعطى للمحلل فرصة سؤالٍ وجوابٍ مباشرةٍ ، ويمكن أن تكون المقابلة ناجحة إذا أديرت جيداً ، لأنَّ العسكريين لا يحبون إعطاء أيّ إجاباتٍ باعتبارها معلوماتٍ سريةٍ وذلك بإقناع العسكري برغبة المؤسسةالعسكرية في الوقوف على أراء ومشاعر العسكريين . ومنْ هنا يمكن القول أنَّ على المؤسسة العسكرية الإعتماد على المقاييس الموضوعية أو الذاتية ، لمعالجة نتائج عدم الرضا عنِ الخدمة العسكرية وتدعيم النقاط التي تحقق رضا العسكريين .

طرق قياس الرضا عنِ الخدمة العسكرية :

إنَّ قياس الرضا عنِ الخدمة العسكرية يهم كلا منَ القيادة العامة للقوات المسلحة وعلماء النفس العسكريين والقادة الآمرين المباشرين ، لأنَّه منْ وجهتْ نظري فالقرارات الإدارية يجب أنْ تفحص وتدرس حسب مدى تأثيرها على الرضا الوظيفي، وعليهفيجب أنْ يكون تطوير قياس معدل الرضا عنِ الخدمة العسكرية جوهراً لأيّ بحوثٍ للعلوم السلوكية العسكرية ، أمَّا القادة والآمرين فهم يجب أنْ يهتموا بقياس الرضا عنِ الخدمة العسكرية لأنَّه مؤشرٌ للكفاءةالقتالية للفرد والكفاءة التنظيمية للوحدة بحد ذاتها ، ويجب على القيادة العامة للقوات المسلحة أنْ تقوم بمسوحاتٍ دوريةٍ لقياس الروح المعنوية ، والكفاءة التنظمية الإدارية للوحدات وتطويرها ؛ ذلك لأن الرضا يوجد داخل عقل العسكري ولا يمكن قياسه مباشرةً ، وأكثر الطرق استعمالاً لقياس الرضا الوظيفي هي الملاحظة ، والمقابلة، وقائمة الاستقصاء ، ونظرا لأن طريقتي المقابلة والملاحظة تستغرقان وقتاً طويلاً ، فإن الاستبيانات هي أكثر الطرق استعمالاً لتقييم الرضا الوظيفي ، وحسب رأي علماء الإجتماع فإنَّ بعض الاستبيانات لا يعتمد عليها ، فإنَّنا يمكنْ أنْ نطورها

ونعتني بها ونعطيها شكلاً وهدفاً عسكرياً بتصميمها بحيث يمكن الإعتماد عليها كمقياس ملائم للرضا الجزئي والكلي عنِ الخدمة العسكرية .

عوامل الرضا الوظيفي

أ. عوامل شخصية متعلقة بالعسكريين أنفسهم

1.حاجات الفرد:

وهي ما نعبر عنه بالشعور والرغبة في الحصول على شيءٍ معينٍ ، وحاجيات الفرد والأسرة كثيرةٌ ومختلفةٌ ، منها ما يلبى ويشبع ، ومنها ما لم يتم إشباعها منْ قبل المؤسسة العسكرية ، وهذه الأخيرة هي التي تؤثر في العسكري فيسعى جاهدٍ وراء إشباعها بنفسه بالإضافة إلى دوره اليومي الذي يقوم به في الوحدة الذي قد يستغرق اليوم كله أحياناً ، ذلك يترك لديه إلحاحاً يدفعه نحوها، فإذا ما تم إشباعها أصبح لديه رضاً تجاهها ممَّا يشجعه على أنْ يتطلع إلى حاجةٍ أُخرى .

2.فرص الترقية:

الترقية فرصة مناسبة لتنمية قدرات العسكريين لأنَّها اعتراف إداري للجهد المبذول ، والحصول عليها يحقق درجةً عاليةً منَ الرضا عنِ الخدمة العسكرية ، أمَّا إذا أُستغلتِ الترقية بطريقةٍ عشوائيةٍ كما حدث في الجيش الليبي بعد نكبة 2011 ، فسيكون لها أثر سلبي كبير جداً على القدرات والكفأت التي تُهمل بسبب هذه العشوائية .

3. **دور العسكري داخل الوحدة**

دور العسكري داخل الوحدة هو الواجبات اليومية التي يكلف بها بالإضافة إلى تخصصه التعبوي الذي يزاوله ، ويعتبر دور العسكري منَ العوامل الهامة في تحديد الرضا عنِ الخدمة العسكرية ، حيث يعتقد عددٌ منْ علماء الإجتماع بأنَّ (محتوى العمل) هو المحدد الوحيد للسعادة في العمل دون بقية العناصر ، ومنْ أهم متغيرات دور العسكري في الوحدة التي لها علاقة بالرضا عنِ الخدمة العسكرية :

1. درجة تنوع مهام والواجبات التي تكسر الروتين اليومي وخاصةً أوقات السلم وتقلل منَ الملل
2. درجة السيطرة الذاتية المتاحة للعسكري أيْ درجة حريته في اختيار طرق وسرعة أداء الواجبات
3. يجب توفر فرص للعسكري لاستخدام قدراته النفسية والجسدية في تنفيذ واجباته ، فكلما أدرك بأنَّه يوظف قدراته كلما ارتفع رضاه عنِ خدمته العسكرية . و نجد هذا التوجه منْ خلال الواجبات التي تمتاز بالتكرار ، مما يؤدي للروتين و الملل ، ومنْ ناحيةٍ أخرى كلما كانت الجندية هي مركز حياة العسكري ، كلما كانت درجة رضاه عنْها أكثر منْ درجة رضا الموظف المدني الذي لديه تعدد مصادر الدخل ، مما يجعل عنده العمل غير مهم لديه .

3.الأجور والرو اتب

يعتبر الأجر عنصرا من عناصر تحقيق الرضا الوظيفي عموماً والعسكري خصوصاً لأن العسكري يقوم بواجباته الكثيرة والمتنوعة بودون علاوت تميزه عنْ غيره منْ المواطنين فعندما يذهب الجندي إلى ميدان المعركة فهو لا يتقضى أجراً مادياً على ذهابه مقابل الجهد الإضافي الذي سيبذله إلاَّ مرتبه الشهري ، الذي يعتبر منْ أهم الحقوق الذي على أساسه يقبل المجند الجديد أوِ المتطوع ممارسة الجندية كوظيفة في

المؤسسة العسكرية ، ولقد أجريت الكثير من الدراسات حول علاقة الأجر بالرضا ونذكر منها دراسات ميلر وطومسون و كندال وسميث . ويرى البعض مثل هرزبرغ بأنَّ الأجر لا يؤدي إلى رضا بل يمنع مشاعر الاستياء لدى الفرد ، أي هو وسيلة لإشباع الحاجيات الفيزيولوجية فقط ، بمعنى أنَّه غير مهم أهمية العناصر الأخرى ، وهذا خطأٌ ، لأنَّ الأجور في حقيقة الأمر لها نتائج أخرى كالشعور بالأمان ، ورمز للمكانة الاجتماعية التي يحتلها العسكري منْ خلال أجره ، لأنَّه ينظر إليه الفرد كرمز للتضحية والفداء منْ أجل الوطن ، وكدليل على النجاح والتفوق . وتقدير وعرفان المؤسسة العسكرية بأهميته ونظرة المجتمع إليه .إنَّ الأجور تحقق جوانب مادية ومعنوية عديدة ، كل عسكري ينظر إليها منَ الوجهة التي يراها مهمةً بالنسبة إليه، وليس بالضرورة إشباع الحاجيات الفيزيولوجية فقط كما يراها البعض .

ب.عوامل تتعلق بالبيئة العسكرية :

1. ساعات الدوام وأوقات الراحة

إن تأثير ساعات الدوام اليومي تنعكس على أداء العسكريين منْ خلال درجة الإجهاد العضلي والنفسي ، والتي تتعدى الحد المعقول كوننا عسكريين محترفين ، فلا نضمن كفاية العسكري التي ربما تنقص حالما يشعر بالإجهاد ، ورغم ذلك فلنْ ترى انعكاسها على حالته المعنوية . إنَّ منْ ضروريات الخدمة العسكرية عملٌ تجهد فيه الأعصاب بدون تحديد فترات الراحة

رغم كثرة معدات القتال وتنوعها ودرجة تطورها . إنَّ عامل البيئة العسكرية يخلق فرقاً واحداً فقط وهو قرب الإدارة العسكرية من صنَّاع القرار يجعل أفرادها يتمتعون برفاهيةٍ وميزاتٍ لا يستحقونها في كثيرٍ منَ الأحيان . وعليه يمكن قول بأنَّ رضا عنْ الخدمة العسكرية لا يتحقق بزياداة ساعات الراحة ، لأنَّ العسكري وهب نفسه للوطن في كلِّ وقتٍ ؛ ستجده يحمل بندقيته مستعداً للدفاع عنْه .

2. البيئة العسكرية داخل المعسكرات والثكنات

إنَّ الإهتمام بالظروف الخاصة لتنفيذ الواجبات وقت السلم لها تأثيرها على الرضا عنِ الخدمة العسكرية ، إنَّ تجارب وبحوث علماء الإجتماع تؤكد أنَّ المحيط الفيزيقي له تأثيرٌ مباشرٌ على العامل ، ولأنَّ العسكري إنسانٌ درجة تحمل لكل العوامل الفيزيقية المحيطة به ، ودرجة تحمل العسكري لهذه العوامل تؤثر على درجة تقبله لبيئته وبالتالي على رضاه عنِ الخدمة العسكرية .

ج.عواملٌ مرتبطةٌ بالقيادة :

1. نمط الإشراف ومتابعة تنفيذ الواجبات

يعتبر نمط الإشراف ومتابعة تنفيذ الواجبات وخاصةً وقت السلم منَ العناصر المؤثرة في الرضا عنِ الخدمة العسكرية ، فوجود علاقةٍ وطيدةٍ بين نمط الإشراف (أسلوب القائد وشخصيته وسلوكهة) ورضا الوحدة لأنَّ نمط تواصل القائد اليومي مع جنوده وضباطه للعمال له تأثيرٌ على رضاهم ، فرضا مُنتسيبي الوحدة أوِ التشكيل يتأثر كثيراً بنمط القيادة علماً بأنَّ هناك أنماطاً عديدة منَ القيادة العسكرية رغم أنَّها تصنف كقيادةٍ ديكتاتورية لما لا تشمله منْ خصائصٍ فعالةٍ كحرية الرأي ، تفويض السلطة

إنَّ القائد المهتم بقضايا ومشاكل وانشغالات جنوده وضباطه ، يكسب ولائهم للمؤسسة العسكرية ، ويحقق درجة عالية منْ رضاهم عنِ الخدمة العسكرية ، وحبهم له وللوحدة ، في حين أنَّ القائد الذي لا

ينظر إلى جنوده وضباطه إلا منْ ناحيةٍ أنَّهم كعبيدٍ أحياناً أو كآلاتٍ فإنَّه يكون سبباً للاستياء والتذمر منَ الخدمة العسكرية والجندية كوظيفةٍ .

الباب الرابع

تطور المجتمع العسكري

الفصل الأول : التغيرات الإجتماعية العسكرية

مفهوم التغيرات الإجتماعية العسكرية

كل جيشٍ عرضةٌ للتغيير سلباً أو إيجاباً أو التطوير بفضل ما تضيفه الأجيال الجديدة منْ أفكارٍ وابتكاراتٍ وبفضل ما تفرضه الساحة الدولية منْ أسلحةٍ وخبرات ٍومصطلحات ٍفنيةٍ وعلميةٍ ولفظيةٍ وغيرها أو بسبب الهزائم المتكررة للأمة أوِ الإنتفاضات الشعبية الثورية التي تُهدَّم كل شيءٍ يقول " إلفن توفلر في كتابه حضارة الموجة الثالثة : منَ السهل نسبياً تمييزُ نمط التطور المستقبلي في أيّ مجتمعٍ ما يتعرض لموجةٍ منْ موجات التحول " ؛ أمَّا القيم العسكرية كما أسلفتُ فهي بطيئة التغيير ولا يمكن ملاحظتها إلاَّ بعد فترة ٍزمنيةٍ معينةٍ ، وتختلف سرعة هذا التغيير منْ جيشٍ إلى آخرٍ . والمجتمع العسكري كغيره منَ المجتمعات الإنسانية في تَغَيُّرٍ دائمٍ ، ذلك لأنَّ التغير سِمة الحياة الإجتماعية الإنسانية ، ويشمل هذا التغير المعارف والعلوم المختلفة ، والعادات والتقاليد العسكرية وأنماط السلوك التي تصحبها ؛ إنَّ التغير الإجتماعي العسكري هو تلك التحولات السلبية أوِ الإيجابية التي تحدث في المجتمع العسكري وتنظيماته (الأسلحة والصنوف) ، أو في هيكله ووظائفه العسكرية المختلفة .

إنَّ معدل هذا التغير يختلف منْ جيشٍ إلى آخرٍ منْ حيث حجمه أو كميته أو إتجاهاته وهو سوف يساير تغير الأمة فإنْ كان التغير سريعٌ فهو ديناميكيٌّأيْ أنَّ هذا التغير له حركةٌ و اتجاهٌ واضحين ومُسبباتٌ . وأقصدُ أنَّه ليس مجرداً بدون أخذ المُسببات بعينِ الإعتبار ، وإنْ كان التغير بطيئاً فهو استاتيكيٌّ أيْ سكنٌ وجامدٌ أيْ أنَّه غير قابلٍ للحركة ، وإنْ كان هذا التغير سريعٌ جداً ومتكيفٌ جداً مع محيطه فهو نسبيٌّ ؛ ولاشكَّ أنَّ تغير أيَّ جيشٍ سوف يعكس آثاره الواضحة على مجتمعه العسكري وبالتالي على الأمة ، كيفما كانت معدلات تغيره لأنَّ هذه الآثار سوف تشمل كل نشاطات الحياة العسكرية داخل الثكنات و المعسكرات ، وما تحتويه منْ علاقاتٍ عسكريةٍ بين الأفراد أوِ الوحدات منْ الناحية التنظيمية أوِ التخصصية . مثالاً على ذلك تدني المستوى التعليمي للعسكريين بمختلف رتبهم سوف يكون واضحاً للعيان كذلك آثاره ستنعكس على الكفاءة القتالية للأفراد والواحدات ويظهر أوضحاً أيضاً على مستوى الثقافة العسكرية للأفراد . كذلك تطور التسليح سوف يكون واضحاً بدايةً منَ الروح المعنوية ونهايةً بالكفاءة القتالية .

إنَّ التغير الإجتماعي العسكري سوف يخلق تضارباً فكرياً بين جيلين من العسكر ، وسيخلق هذا التضارب توتراتٍ اجتماعيةٍ عسكريةٍ خطيرةٍ وصراعاتٍ مريرةٍ بينَ الجيلين ، وجهاتٍ تقدميةٍ غريبةٍ تتجاوز طبقات المجتمع العسكري ، وسيخلق هذا التضارب الفكري صراعاً يطول حتى المفردات والمصطلحات العسكرية ؛ إنَّ اللاترابط المجتمعي العسكري في هذه الحالة سوف يسبب تفكك العسكرين أنفسهم بمختلف رتبهم ومناصبهم ويجعلهم بدون أيّ هدفٍ لا يستطيعون حل المشاكل المجتمعية بالطرق القديمة أوِ

المستحدثة ، إنَّ هذا التوتر سيمزق المجتمع العسكري تماماً ، وخير مثالٍ على ذلك حالة المجتمع العسكري للجيش العربي الليبي في غرب البلاد تحت رعاية المليشيات المسلحة بعد 2011 ، وحالة التغير المتوازن التي مرَّ بها في شرق البلاد بقيادة المشير حفتر .

وأثناء التقدم نحو نظامٍ عسكريٍّ جديدٍ فإنَّ التحول الإجتماعي العسكري سيكون متسارع جداً ولنْ يستواعب الكثير منَ العسكر معناهُ ، والسبب في ذلك أنَّ الكثير جداً منَ الوظائف العسكرية في الميدان أو في المكاتب ستتغير أو تختفي تماماً بالمفهوم الذي نعرفه اليوم ، ومع ذلك سوف تتحطم هذه القيود بمجرد ظهور النظام العسكري الجديد والجيوش العصرية التي ستواكب تطور البشرية .

التغيرالإجتماعي العسكري وتطورالثقافة العسكرية

لا يعتبر التغير الإجتماعي العسكري تغيرٌ ثقافيٌ محضٌ ، رغم أنَّ الحركة الدافعة لهذا التغير هي تطور الثقافة العسكرية بل أعتقد أنَّ التطور الثقافي الكامل الذي يحدث داخل أيّ مجتمعٍ عسكريٍّ سيُحدث سلسلةً منَ التغيرات الإجتماعية العسكرية تكون مترابطةٌ بحيث كلُّ تغيرٍ إجتماعيٍّ سيُهيء لتغيرٍ إجتماعيٍّ آخرٍ ؛ بمعنىً آخرٍ أنَّ التغير الإجتماعي العسكري هو جزءٌ منَ التطور الثقافي لأيّ جيشٍ ، وسوف يشمل هذا التغير وجهين أساسيين للجيش : الأول تغيرٌ في بناء المجتمع العسكري ، والثاني تغيرٌ في النظم العسكرية (علومٌ عسكريةٌ وطبيعيةٌ ، تَقنيةٌ حديثةٌ متطورةٌ قوانينٌ عسكريةٌ تواكب هذه الحداثة .... إلخ ...) .

والتغير الإجتماعي العسكري له أهميةٌ كبيرةٌ لسببين ، الأول هو تقييم هذا المجتمع المثالي بالتقرب إليه وبحثه عنْ كثبٍ وليس بالتأمل أوِ بالفلسفة والخيال ، والثاني تكون الإجابة عنِ التساؤل لماذا حدث هذاالتغيير ؟ لأنَّ تغير المجتمع العسكري لا يسير وفق رغبة أفراده مهما بلغة قوة هذا الجيش ولكنه يوافق تطور الأمة خارج الأسوار . هذا التغير منْ وجهة نظري ليس ظاهرةً طبيعيةً تدرس في المعامل لها قوانينٌ ثابتةٌ . وإنّي لأعتقدُ أنَّ أهم المحاور التي تدفع إلى تغير الأمة وبالتالي تغير المجتمع العسكري هي التطور السياسي والصناعي . ويستطيع الدارس أنْ يضع الجيش العربي الليبي تحت مجهر الدراسة ويلاحظ فترات نهوضه وبداية انحداره حتى شيخوخته التي كانت منْ إنجازات نكبة فبراير ، وكيف كانت السياسة والصناعة هما محوريْ قوته وضعفه . فقد كان تغيرا فورياً لم يعتمدْ على البنية التحتية للأمة بلِ اعتمد على الموارد الإقتصادية (النفط) فقط . منْ جهةٍ أُخرى فقد اعتمد القذافي على المعنويات فقط وأهمل الجانب الأخلاقي الإنساني في تغير الجيش العربي الليبي ؛ لا أريد أنْ أخوض في هذا الموضوع لأنَّه يحتاج إلى دراسةٍ واسعةٍ وشاملةٍ فهو موضوعٌ جيدٌ يغطي هذه النقطة بالكامل ، ولكني أقول : أنَّ الجيش العربي الليبي قد مرَّ بمراحل تطورٍ بدايةً منْ جيشٍ صغيرٍ وبسيطٍ في بنأه وأسلحته ومهامه ، تأسس في 9 أغسطس 1942 أُنشيءَ السلاح الجوي في 1962 ((لاحظ البساطة وبطءَ النمو)) ثمَّ بعد سنة 1969، وفي غضون سنواتٍ قليلةٍ أصبح جيشٌ مركبٌ يتسم بتعدد الصنوف وتطورها وكثرت أسلحتها حتى كان يعد منْ أقوى جيوش المنطقة العربية . وفي نهاية الثمانينات منْ القرن الماضي بداء ينهار شيءً فشيءً حتى وصل الحال إلى ما نحن عليه

اليوم بفضل نكبة فبراير . وبانهيار الجيش العربي الليبي كقوةٍ عسكريةٍإ نهار المجتمع العسكري بداخله بطريقة عجيبة . إذنْ نستطيع أنْ نشمُل ملامح التغير في المجتمع العسكري في النقاط التالية :

1- أنَّ تغير المجتمع العسكري ظاهرةٌ موجودةٌ منذ نشأتِ الجيوش ويحدث هذا التغير في كلِ الأمم وفي كلِ الأوقات بوضوحٍ واستمرارٍ ، ولا نستطيع إقافه بأَيَّة حالٍ منَ الأحوال لأنَّه انعاكسٌ لتغير وتطور الأمة أوِ انحدارها وتلاشيها .
2- كل ناحيةٍ منْ هذا التغير سوف يَطولُ بقية النواحي ، مثالاً على ذلك إذا تطور تسليح صنفٍ منَ الصنوف وجب تطوير بقية الصنوف ، فإذا تطورت الأسلحة والصنوف تبعها بالضرورة تطور العسكريين ، والعكس صحيح أيْ أنَّ كل نواحي الحياة العسكرية داخل الثكنات والمعسكرات في السلم والحرب سوف تتغير .
3- لا يمكننا عزل تغير أيَّ جيشٍ منَ الجيوش عنْ بقية الأمم المجاورة أو أنْ نعزله في فترةٍ زمنيةٍ محددةٍ ، بسبب تقدم وتطور وسائل الإتصال أولاً ، وثانياً أنَّ هذا التغير يحدث متواليً فلا يمكن إقافه في المكان أوِ في الزمان . فلا يمكن أنْ يكون التغير تلقائيً بل يحدث على شكل تغييراتٍ مقصودةٍ وبخطى مدروسةٍ ويمكننا التحكم في توجيهه وبالتالي بنأه بالشكل الذي نراه مناسباً . هذا لا يلغي قولي : أنَّ تغير المجتمع العسكري لا يسير وفق رغبة أفراده مهما بلغة قوة هذا الجيش ولكنه يوافق تغير الأمة خارج الأسوار . فإذا حدث التطور خارج المعسكرات استطعنا بالتالي إحداث تغييرٍ جذريٍ بداخلها .
4- نتائج هذه التغيرات تكون سريعةً سلبيةً كانتْ أو إيجابيةً وسوف تنتقل إلى كل الأسلحة والصنوف ، ومنْ الصعب جداً ردّ ُتغيرٍ بعينه ؛ وقد لاحظنا ذلك بعد أنهيار الجيش العربي الليبي في 20 أغسطس 2011 .
5- لا يمكن أبداً حل المشكلات الناتجة عنْ هذه التغييرات مهما تبذل من جهودٍ ، إنَّ حلها الوحيد منْ وجهة نظري إنشاء تغييرٍ حقيقيٍ وكبيرٍ جداً يقصد به التطوير ، كما فعل المشير حفتر . حيث كانت فكرته هي إعادة بناء الجيش العربي الليبي بضخ دماءٍ جديدةٍ وعدم الإعتماد كلياً على الجيل القديم الذي ضربه الفساد .
6- سوف تكون للتقنية الحديثة وتطور الأسلحة السريع تأثيرٌ مباشرٌ على أيّ تغيرٍ يحدث داخل المجتمعات العسكرية . هذه التغيرات سوف تحدث نتائجاً تراكميةً كثيرةً في مستقبل المجتمع العسكري ، أهمها أنَّ هذا المجتمع سوف يستغنى عنْ كثيرٍ من أفراده .
7- التغير السلبي أوِ الإيجابي يبداء دائماً على مستوى الأفراد العسكريين منْ ضباطٍ وضباط صفٍ وجنودٍ قبل أنْ يلمس تأثيره الوحدات الصغرى ثمَّ التشكيلات الكبرى .

كما أسلفتُ فإنَّ التغير الإجتماعي العسكري هو تلك التحولات السلبية أوِ الإيجابية التي تحدث في المجتمع العسكري وتنظيماته (الأسلحة والصنوف) أو في هيكله ووظائفه العسكرية المختلفة . وهذا التغير هو نتيجة تغير الأمة ، ومنْ وجهة نظري فإنَّ التغير لا يكون في اتجاه التطور فقط بل ربَّما كان التغير مجموعةٌ منَ التحولات السلبية التي تمنع تطور المجتمتع العسكري وقد يحدث هذا التغير التنظيم الإجتماعي للمجتمع العسكري أو في القيم العسكرية كأنْ يُنادى على الضباط بـ أستاذ مثلاً أو دكتور ، أو في

الهيكل التنظيمي كاستحداث أسرابٍ للإسعاف الطائر ضمن هيكلية القوات الجوية وتحويل أسراب وأفواج النقل الجوي إلى ما يشبه الشركات المدنية فتتحول القوات الجوية منْ سلاحٍ وُجِدَ ليقتل ويدمر إلى مجموعاتٍ منْ ملائكة الرحمة واللصوص ؛ ويكون معدل التغير في المجتمع العسكري متناغماً مع معدله في الأمة سرعةً وبطئً وفي نفس الإتجاه سلبيٌّ أو إيجابيٌّ ، وكلما كانت ثقافة الأمة أكثر عمقاً (سلباً أو إيجاباً) كلما كانت درجة هذا التغير أكبر تكيفاً . وسوف تكون آثاره على المجتمع العسكري واضحةً وتمتد لتشمل كل أنشطة الحياة الإجتماعية داخل المعسكرات والثكنات وما تحتويه منْ علاقاتٍ إنسانيةٍ وروابط بنائيةٍ ووظيفيةٍ ، ذلك لأن الظواهر الإجتماعية العسكرية والنظام العسكري مترابطان ومتداخلان ومتكملان في البناء والمناصب والواجبات فإذا أصاب التغير أحد هذه العناصر استجابت بقية العناصر لهذا التغير بدرجاتٍ متفاوتةٍ .

تغير الثقافة العسكرية والتغير الإجتماعي العسكري

إنَّ التغير الإجتماعي العسكري هو في واقع الأمر إنعكاسٌ لتغير الثقافة العسكرية وهي السابقة دائماً فإذا انحطتِ الثقافة العسكرية تغير المجتمع العسكري سلباً والعكس صحيحٌ ، والثقافة بصورةٍ عامةٍ هي دافع تغير الأمة فإذا جَدَّتْ على الأمة سمةٌ ثقافيةٌ جديدةٌ أو أكثر نتيجة ذلك ستحدث سلسلةٌ منَ التغيرات الإجتماعية لأنَّ التغير في المجتمع العسكري يحدث في الواجبات والمهام كعنصرٍ واحدٍ والهيكل التنظيمي كعنصرٍ ثانٍ أمَّا التغير الثقافي العسكري فهو أشمل لأنَّه يشمل المؤسسة العسكرية كنظامٍ وسوف تحدث التغيرات في العلوم التطبيقية والعسكرية والتسليح والضبط والربط والإستراتيجية العسكرية والعقيدة العسكرية والمذهب العسكري بالإضافة إلى الواجبات والمهام والهيكل التنظيمي .

دور الثقافة العسكرية في التغيير الاجتماعي العسكري والتنمية

إنَّ طبيعة الأسئلة والتحديات التي يثيرها هذا الموضوع يستدعي التعامل معها كجزءٍ منْ عمليةٍ بمعنى ضرورة مقاربتها في سياق التفاعل حول واقع حال الثقافة العسكرية ؛ وسأتحدث في ثلاثة مفاهيمٍ : الثقافة العسكرية ، والتغيير الاجتماعي العسكري ، والتنمية العسكرية ، ويشكل كلاً منها مجالاً مفتوحاً للتفاعل بمستوياته المختلفة ، فالثقافة العسكرية تتشكل وتتحرك في سياقاتها التاريخية والسياسية وكذلك عملية التنمية العسكرية ، لتعود كلها وتتفاعل فيما بينها ضمن أنساقٍ في منتهى التنوع والتشابك ، حيث تتحدد أدوارها وأهدافها بناءً على طبيعة الخيارات السياسية و العسكرية التي تتحكم بها وتوجهها .

ربَّما تحدَّثُ عنِ المهام والأدوار التي يجب على الثقافة العسكرية والقيادة العامة للجش القيام بها ، و إنَّي أفترضُ مسبقاً بأنَّ الثقافة العسكرية والقيادة العامة للقوات المسلحة في وضعٍ يمكنهما منْ ممارسة دورهما في التغيير الاجتماعي العسكري والتنمية العسكرية بفاعليةٍ وقوةٍ، رغم كون الثقافة لا تنشط خارج الزمان والمكان وبالتالي هي دائماً داخل دائرة الأزمات ، الأمر الذي يعني امتلاكها لشروط الفاعلية والتأثير ، ولكن السؤال المهم الذي يتبادر إلى الذهن : ماذا لو كانت الثقافة العسكرية والقيادة العامةللجيش بحد ذاتهما هما منْ يحتاجان لإعادة بناءٍ وإعادة تحريرٍ من سطوة السياسة .

سوف ندفع بالنقاش إلى مستوى الأسئلة الصعبة الأمر الذي يجعل منْ ذلك عملية تندرج في سياق مقاربة الأزمات التي يواجهها المجتمع العسكري على كل المستويات بما في ذلك واقع حال الثقافة العسكرية الذي يشكل موضوعاً وجزءً منَ الأزمات العسكرية ، في ضوء ذلك نستطيع تحيدد إمكانيات وآفاق الثقافة العسكرية والقيادة العامة للقوات المسلحة ، أيْ مدى قدرتهما على لعب دورهما أولاً في وعي واقع أزمة الثقافة العسكرية ذاتها بأبعادها وتجلياتها المختلفة . وثانياً ما هي الحلول المقترحة ؟ إذنْ تحديد دور الثقافة العسكرية أو القيادة العامة للقوات المسلحة في التغيير والتنمية العسكريتين ليس مجرد عمليةٍ ميكانيكيةٍ مباشرةٍ ، فأيّ ثقافةٍ نقصد وأيّ عملية تغييرٍ اجتماعيّ عسكريّ وأيْ تنميةٍ عسكريةٍ ، هنا أجد نفسي أمام خيارات انطلاقٍ متباينةٍ ومتناقضةٍ .

إنَّ أقصى ما أطمح إليه هو المساهمة في إثارة الإهتمام ومحاولة تأصيل النقاش والمقاربات والعودة بها إلى جذورها على صعيد تفاعل حقول مثلث الثقافة العسكرية ، والتغيير الاجتماعي والتنمية العسكرية في محاولة وضع أسئلته وتحدياته وما يترتب على ذلك منْ خياراتٍ ونتائجٍ ، إذا ما أردنا كعسكريين محترفين غير سطحيين أنْ نوضح وضعية المؤسسة العسكرية وليس وضعية العسكريين أنفسهم الذين يكتفون بوعيٍّ أو بدونه بلعب دورٍ افتراضيّ مفروضٍ بقوة إنتمائهم لهذه المؤسسة الخاضعة لعلاقات القوة ، بكل ما يترتب على ذلك منْ تباينٍ في الأفكار والدوافع والأولويات والأهداف التي يتناقض بعضها مع الحد الأدنى لوجودنا كعسكريين لنا أهدافنا وأولوياتنا وطموحاتنا ، منْ هنا سيتركز النقاش على الثقافة العسكرية لأنّي أعتقد أنَّ الأسئلة ستسحب نفسها على مفاهيم التغير الإجتماعي والتنمية العسكرية .

اتجاهات البناء الإجتماعي العسكري التحتي

وبسبب أهمية دور الثقافة العسكرية كانت يجب أنْ تكون عنواناً وحقلاً للتدخل والعمل بهدف الهيمنة والسيطرة على وعي المجتمع العسكري بما ينسجم وأهداف الجيش . حسب علمي لم يظهرْ علم الأنثروبولوجيا كعلمٍ عسكريّ يهدف إلى دراسة ثقافة وعادات وتقاليد ومعتقدات وأنماط تفكير الجيوش والجماعات المسلحة لصياغة أفضل الوسائل للتأثير فيها وإعادة صياغة وعيها ، ولهذا كانت تتم استمالة النخب العسكرية أوِ السياسية كعملاءٍ وخونةٍ لاستخدامهم وإعادة بناء وعيها وفق الأهداف الاستعمارية .

غير أنَّ ما تقدم منْ تعريفٍ عامٍ لمفهوم الثقافة العسكرية ، في ظل إستخدام العملاء والخونة له كوسيلةٍ لتكريس الهيمنة العسكرية والسياسية على المؤسسة العسكرية ، واستخدامها منْ قبل السلطة لتعزيز وتكريس سيطرتها الطبقية والفكرية ، يثير إشكاليةٍ جديدةٍ ترتبط بمفهوم "الهيمنة الثقافية للنخب العسكرية " على المستويين العسكري والشعبي . فعلى المستوى العسكري، يعتبر الموروث الثقافي العسكري المتراكم عبر الأجيال هو محصلة تجربة المجتمع العسكري لأيْ جيشٍ سلباً وإيجاباً بما استقرتْ عليه حركة علاقات القوة في تلك السلطة السياسية وهي الحركة التي تعكس تناقض أو صراع أو تقاطع مصالح المكونات الإجتماعية المتباينة المكونة للسلطة السياسية ، والتي تتجلى في هيمنتها الثقافية على المؤسسة العسكرية وما يترتب على تلك الهيمنة منْ استخدام للثقافة العسكرية لتبرير أهداف وسياسات وأولويات

الجيش . أمَّا على المستوى الشعبي فإنَّ مفهوم الهيمنة الثقافية يرتبط بمصالح السلطة المهيمنة سياسياً وما يستدعيه ذلك منْ توظيفٍ للثقافة والمثقفين بهدف تكريس السيطرة السياسية . وفي كلا المستويين فإنَّ الثقافة العسكرية داخل دائرة الصراع ، بهذا المعنى ربما يجب علينا تعديل مفهوم الثقافة العسكرية ، هنا أعود وأسأل أيّ ثقافةٍ في كل مرحلةٍ ؟ وما هو دور الثقافة والقيادة العامة للقوات المسلحة ؟ وهل يتحدد دورهما في الدفاع عنْ واقع المجتمع العسكري ، أم الدفع للتغيره وتعزيز ثقافةٍ بديلةٍ ؟ أعتقدُ أنَّ أيّ فكرٍ سياسيّ يسود الأمة سوف يكون له تأثيرٌ مباشرٌ على الفكر العسكري ، وبالتالي الثقافة العسكرية ؛ ومنْ هنا سوف تصبح الثقافة العسكرية ضبابية بسبب الهيمنة السياسية رغم كونها تراكماتٍ تاريخيةٍ ، فهل يجوز لنا أنْ نوجه أصابع الإتهام إلى الغرب الذي يحاول تجاوز الحداثة بكسر بناه الإجتماعية والثقافية ، بينما نحن مازلنا نحاول بناء مجتمعاتنا ونعزز ثقافتنا ؟ ماذا سنكسر إذن ؟ التبعية السياسية أم التبعية العسكرية ؟ .

التبعية العسكرية وما يلازمها من هزائمٍ وخياناتٍ وغسل مساحاتٍ واسعةٍ منْ وعينا العسكري والوطني ، هو ما قاد إلى المأزق التاريخي لفكرنا العسكري حيث اكتسح الدال في هذا الفكر وسواه للمدلول ٍاجتماعيّ عسكريّ وثقافيّ عسكريّ في محاولةٍ لتعظيم النظم القمعية والبوليسية الأمر الذي أفضى إلى توطيد علاقة التجانس البنيوي بين الجيش والشعب ؛ هنا نلاحظ سطوة السياسي على العسكري لدرجة تحويله منْ فاعلٍ حيويّ في البناء والدفاع والأمن وتعزيز الإبداع إلى مطيةٍ لتبرير وتمرير الخيارات السياسية الإنهزامية .

إنّي أعتقدُ أنَّ أجمل التحاليل العسكرية تلك التي تتصف بالبعد السياسي . نحن نعيش في وطن الأزمات فكثرة التعامل مع مصطلح الأمن تحول العسكري إلى رقيبٍ على مجتمعه ، والرقيب هنا لا يقتصر على البعد الأمني بل يتخطاه إلى مستوى النفور منَ السياسي متجلياً في ثقافتنا العسكرية حيث جردتها السياسة منْ قيمها التي تشمل أيضا تعاسات السياسة .

هذا الواقع هو الذي أحدث عملية تخلفٍ عجيبةٍ في فكرنا العسكري الإستراتيجي وهي تتجلى في ميدان الثقافة العسكرية على شكل مراوغةٍ وهروبٍ نحو الماضي واستعارته باعتباره منْ ضرورات وجماليات التاريخ العسكري ، وبالتالي الثقافة العسكرية ، ومجراة للنظم البوليسية الإستبدادية ، وكل ذلك إلى قهرٍ ثقافيّ مما يفقد أيَّ نشاطٍ عسكريّ الشرط الأولي للقوة كقيمةٍ مطلقةٍ وتعسفيةٍ . هذا المأزق الثقافي الشامل عسكرياً وسياسياً يعكس المعضلات البنيوية التي نواجهها كمجتمعاتٍ عربيةٍ ، وهو ما يفتح النقاش على الفكر الإستراتيجي العربي والمصالح الوطنية أوِ القومية العليا . إذنْ نستطيع تفسير المعادلة التي تحكم العلاقة بين مجتمعات الجذب المركزي (المجتمعات المتطورة) و مجتمعات الطرد المركزي (مجتمعات العالم الثالث) على صعيد العقول والكفاءات الثقافية والعلمية وغيرها .

يمكن القول أنَّ الثقافة العسكرية هي فاعلٌ عابرٌ للفكر العسكري والقيم الإجتماعية العسكرية والاقتصادي ة، بهذا المعنى هي حقلٌ مفتوحٌ لفعل وتأثير وتدخلات القوى العسكرية والسياسية ومراكز

القوى بناءً على موقعها ودورها في حركة التناقضات السياسية بكل مستوياتها . إذنْ نحن أمام حقلٍ في منتهى الخطورة والحساسية ذلك لأنَّه في ضوء دوافعٍ وأهدافٍ وموازين القوى التي تحكم حركة تلك القوى الإجتماعية والسياسية ستتحدد اتجاهات وخيارات الجيش .

إنَّ الفكر العسكري بكل خصوصياته هو جزءٌ عضويٌّ منَ الفكرالعربي ، وبالتالي فهو يعكس ما يعانيه هذا الفكر الأشمل منْ مأزقٍ وتشويهٍ وما يتعرض له هذا الواقع منْ تضييع للثقافة والفكر العسكري ؛ بطريقةٍ أو بأُخرى رُسِّختْ الأساس لثقافاتٍ قُطريةٍ كبديلٍ عن "الثقافة القومية" في هذا الإطار تتحرك الثقافة العسكرية وتتفاعل مع الفكر العسكري عبر الآليات التي تحكم صراع وتناقض الثقافة السائدة والثقافة البديلة ، والثقافة العسكرية بهذا المعنى بناءً فوقياً معزولاً إنَّها تبقى بالرغم منْ عدم قدرتها على التحرك المستقل نسبياً مرتبطةٌ بمرجعياتها الموضوعية وهي المجتمع العسكري الذي تقوم عليه وتتفاعل مع تحدياته الراهنة والبعيدة .

إذنْ تتحرك الثقافة العسكرية والفكر العسكري في اتجاه البُنى الإجتماعية العسكرية وعلاقاتها المختلفة . عند هذا المستوى تتقدم السلطة بكل جبروتها لتمارس تأثيرها كما الفكر السياسي وما يرتبط به منْ قوىً طبقيةٍ فيحاول كل منهما فرض هيمنته وخياراته وأولوياته بصورةٍ موضوعيةٍ واعيةٍ أو عشوائيةٍ على المؤسسة العسكرية . ومنْ هنا فإنَّ لكل فكرٍ عسكريٍّ حوامله السياسية التي يجب أنْ تكون منسجمةٌ قدر المستطاع مع أهداف وطموحات الطبقة التي يمثلها ، هنا بالضبط تبدأ أزمات الجيش حيث تختفي الخطوط الحمراء وتنفجر التناقضات وتتأسس أرض الصراعات السياسية / العسكرية ، حيث تعجز النخب السياسية عن رؤية المساحة المشتركة التي تحافظ على وحدة النسيج السلطة (السياسة و العسكر) ، الذي أُعرّفه في الخطاب الإستراتيجي بمفهوم الإستقرار العسكري ، ويخطئ منْ يعتقد أنَّه مجرد نداءً عسكرياً أو أخلاقياً ، بل يجب أنْ يشكل التعبير السياسي والثقافي العسكري بصورةٍ تعكس حل التناقض بين السياسة والعسكر دون أنْ يغتصب أحدهما الآخر . وأيّ محاولةٍ لوضع هذه الإشكالية وراء ظهورنا بصورةٍ (أمنيةٍ) سيدفع بالسلطة إلى التفكك ومنْ ثمَّ الصراع الذي سيدفع أثمانه الباهظة في النهاية الجيش والشعب على حدٍ سواءٍ . وسيتم إقصاء مكوناتٍ اجتماعيةٍ أو قوميةٍ هي في واقع الحال مكونٌ طبيعيٌّ في الواقع الاجتماعي .

إنَّ فشل النخب السياسية والعسكرية في التعامل مع هذه المعادلة سيؤدي إلى حالة القصور السياسي وبالتالي ستحاول هذه عبثاً إيجاد الحلول لها في مستنقع الخيانة ، وهو ما يجعل منَ الواقع الأمة واقعاً هشاً أمام التدخلات الخارجية . أقول ذلك وضيق أُفق الثقافة العسكرية يهيمن على عقل قادتنا العسكريين ، بحيث أصبح دور الثقافة العسكرية محصوراً في تحليل الهرطقات السياسية أو تبرير تمزيق الوحدة الوطنية ؛ إنَّ ذلك يعكس بؤساً معرفيًّ هائلاً .إذنْ يجب بعث الثقافة العسكرية وتحديد دورها ووظيفتها ، ومنْ أجل ذلك يجب أولاً إعادة بناء هذا الدور وتأصيله وهذا يشترط توفر إطارٍ عسكريٍّ اجتماعيٍّ وإستراتيجيٍّ يعكس إرادة القيادة العامة للقوات المسلحة ويستجيب للتحديات التي تواجهها الأمة

ويحمل آمال وطموحات الشعب ، وثانياً ضرورة إعادة تأسيس الرؤية السياسية للأمة ، هنا تتجلى قيمة الثقافة العسكرية كجزءٍ منْ ثقافة الأمة ، وكمعادل حمايةٍ وبناءٍ هائلِ الدور والدلالة في قوة الجيش .

ولهذا فإنَّ أيّ مقاربةٍ لدور الثقافة العسكرية مع مفاهيم التغيير الإجتماعي العسكري والتنمية العسكرية يجب أنْ تجري بالإستناد على أسئلة الواقع العسكري والسياسي ، ونعود مرةً أُخرى للسؤال عنْ دور أيّ ثقافةٍ عسكريةٍ نتحدث ، وأيّ بناءٍ وتغييرٍ اجتماعيّ عسكريّ نقصد ، إنَّه سؤالٌ واقعيٌّ بامتيازٍ ، لأنَّه يعيد التذكير ببديهيات الواقع العسكري المنهار تماماً ، ومنْ أبرز بديهيات ذلك الواقع تشابك المهام بعد ثورة البغال والحمير في 2011 كمهام البناء الديمقراطي والإجتماعي وإعادة بناء الجيش .

التقدم والتطور والتنميةالعسكرية وتأثيرهم على تغير المجتمع العسكري

تقدم المجتمع العسكري هو تغيره الإيجابي إلى الأمام تلقائياً إيْ بدون خططٍ واضحةٍ تشمل التدريب والتسليح والقوام من الأفراد والمعدات وقد يكون سريعاً يسبب في إرهاق الجيش كوحدةٍ واحدةٍ تؤدي إلى شيخوخته المبكرة . أيْ أنَّ التقدم نجاحٌ يهدف إلى الرقي بالمجتمع العسكري ، ويحدث تقدم المجتمع العسكري بسيطرة القيادة العامة للقوات المسلحة مرتبطٌ بالزمان والمكان ، كتقدم بعض الوحدات عنِ الأُخرى تقنياً ، أمَّا التطور فهو تغير المجتمع العسكري إلى الأمام أيضاً ولكنه محكومٌ بخططٍ عسكريةٍ معقدةٍ محددة الزمان تشمل كل الأسلحة والصنوف وتكون بطيئةٌ دائماً ولكن نتائجها على الأرض واضحةٌ للعدو قبل الصديق والحليف ، وإنَّ للتطور عواملٌ مهمةٌ تساعد على ظهوره في المجتمع العسكري أهمها :

1- القيادة الرشيدة السياسية والعسكرية .
2- اقتناع الأمة بأهمية الجيش القوي .
3- مدى تطور الأمة العلمي .
4- الحالة الإقتصادية للأمة .

علاقة التغيرالإجتماعي بالتنشئة العسكرية

إنَّ أيّ أمةٍ تعيش حالة تغيراتٍ اجتماعيةٍ دائمةٍ في مختلف المجالات والميادين ، وبالتالي فإنَّ المجتمع العسكري هو جزءٌ منْ هذه التغيرات التي سوف تشير كما أسلفتُ إلى تحول في الثقافة العسكرية والمؤسسة العسكرية عبر الزمن ، أيْ أنَّ هذا التغيير لا يحدثُ فجأةً بل على مراحلٍ متعددةٍ ، وباعتبار أنَّ الثقافة العسكرية هي الأساس الذي ترتكز عليه التنشئة العسكرية سأتحدثُ عنْ تأثير التغير الإجتماعي العسكري على التنشئة العسكرية لسببين الأول يجب أنْ تكون عملية التنشئة العسكرية والتدريب العسكري عموماً عملياتٌ مرنةٌ خاليةٌ منْ أيّ تعقيداتٍ مع المحافظة على جديتها وقسوتها وخشونتها . والثاني القدرة على مواجهة التحديات العسكرية المتسارعة على الساحة الدولية . فهي ليست مطلبٌ تعليميٌّ فحسب بل إنَّها ضرورةٌ علميةٌ يفرضها الواقع العسكري والسياسي للأمة . وتتطلبها عملية التنمية الوطنية في إطارها الشامل الذي يسعى إلى تطوير الأمة وإنتاج جيشٍ عصريّ قويّ يفرض نفسه بقوته وكفأته وإمكانته على نحوٍ يفرض

الإستقرار السياسي للأمة . هذا يتطلب المزيد منَ الوعي العسكري / السياسي للقيادات العسكرية ونضجاً في قدراتهم السياسية بالإضافة إلى العسكرية ، أعتقدُ أنَّ ذلك لا يتم إلاَّ بتطوير نمط الثقافة العسكرية السائد داخل المعسكرات والثكنات الذي يسير جنباً إلى جنبٍ مع تطور ثقافة المجتمع خارج الأسوار خاصةً الوعي السياسي للمجتمع الذي يتواءم مع معطيات العصر ومتطلبات التنمية الوطنية ، أقصدُ تنشئة القيادات العسكرية سياسياً منْ أجل إشراكهم في حركات التغيير والتنمية المنشودة وذلك منْ خلال الكليات والمدارس العسكرية في ضوء فكرٍ عسكريٍ يتوافق مع متطلبات الإرادة السياسية والإستراتيجية للأمة ويوفر الحد الأعلى منَ الثقافة والقيم العسكرية والوطنية منْ أجل إنجاح الجهود الرامية لرفع الكفاءة القتالية للأفراد وبالتالي للوحدات ورفع مستوى جاهيزية الجيش بما تنطوي عليه من توجهاتٍ وأفكارٍ عسكريةٍ يسهل تقبلها . وقد يحدث التغيير في الثقافة العسكرية نتيجة عملية تعبئةٍ عسكريةٍ مجتمعيةٍ مفآجأةٍ كأعمال النفير مثلاً أو تغيراتٍ تؤدي إلى تقلص أو تقويض بعض أنماط التنشئة الأولية مثل منْ هو العدو أو حلفاءٌ جددٌ وتعريض أفراد المجتمع العسكري لأنماطٍ جديدةٍ منَ التنشئة العسكرية كأسلحةٍ جديدةٍ أو أهدافٍ كبرى جديدةٍ أو تغيراتٍ جذريةٍ في الإستراتيجية العسكرية وما يتبعها منْ تغيراتٍ تشمل العقيدة العسكرية أوِ المذهب العسكري ، وفي هذا السياق يعتبر الإهتمام ببرامج التدريب المتواصلة والإسراع بتطوير نظم التعليم العسكري ومناهجه وتقنياته وربطها بهذه التغيرات مدخلاً مناسباً لفعاليات التنشئة العسكرية وتطوير الوعي العسكري / السياسي للعسكريين والقادة وهيئات الركن ؛ فعنْ طريق تعديل نظم التدريب السابقة يمكن للقيادة العامة للجيش أنْ تحطم ما أُسميه بالهيمنة القديمة على التدريب العسكري بصفةٍ عامةٍ ، والسعي إلى خلق وإحياء أوضاعٍ عسكريةٍ لازمةٍ لنمط حياةٍ عسكريةٍ جديدةٍ . ويتضح تأثير التغيرات الإجتماعية العسكرية على التنشئة العسكرية فيما لو جرت أعمالٌ قتاليةٌ ثم تطورت إلى حربٍ بحيث تظهر لنا مشاكلٌ جديدةٌ وتحدياتٌ كبيرةٌ تحتاج إلى أنواعٍ جديدةٍ منَ التنشئة والتدريب .

إنَّني أسعى منْ خلال هذا النقاش أيضاً إلى معرفة تأثير القيادة العامة للقوات المسلحة والقيادة السياسية للأمة على تغيرات المجتمع العسكري ، ووضع تصورٍ لماهيته وآلياته ومسارته والوسائل التي يمكن أنْ تحد منْ مخاطر أو سلبيات التغيير . واستخدام هذه التغيرات الإيجابية لتحقيق الأهداف الوطنية وتوجيه عملية التنشئة العسكرية . إنَّ التنشئة العسكرية الصحيحة التي يجب أنْ تسير على خطين متوازيين في نفس الوقت ، الأول يتضمن العلوم التخصصية للعسكري والثاني العلوم العسكرية التي ستميزه عن أيَّ شخصٍ مدنيٍ له نفس التخصص مثالٌ على ذلك تمييز طيار النقل العسكري على نظيره المدني أو الطبيب العسكري على نظيره المدني ، ومراقبة ومتابعة عملية التنشئة العسكرية وتحديث المناهج وتطوير وسائل الإيضاح وغيرها من المتطلبات ، كل هذا سيسمح لنا بمواكبة التغيير منْ جهةٍ ونجاح عملية التنمية العسكرية بتحديثها منْ جهةٍ أُخرى . وذلك في الفكر العسكري وسلوك العسكريين ، وخاصةً ما يمُسُ الهوية الوطنية والولاء للجيش .

إنَّ التغيير الإجتماعي العسكري والتنشئة العسكرية منَ المواضيع الهامة للبلدان العربية حيث أنَّها مرّتْ بفترة استعمارٍ أثرتْ في ثقافة المجتمعات العربية ككلٍ ، حيث أنَّ الدول الإستعمارية قد حمَلتْ إلى هذه

المجتمعات نظمها وقوانينها وثقافتها ، وأحياناً بعض عادتها وتقاليدها ومنْ خلال هذه الصراع المجتمعي وبعد استقلال هذه الدول تأثرتْ بدرجاتٍ متفاوتةٍ بتلك النظم وفي جميع المستويات ومنها بطبيعة الحال العسكري ، وقد تأثرت بذلك التنشئة العسكرية والدليل على ذلك فإنَّنا لانجد إستراتيجية عسكرية عربية موحدة ، أو عقيدة عسكرية موحدة كما أنَّ طرق التنشئة وأساليبها تختلف من دولةٍ إلى أُخرى حسب الدولة المستعمرة . هذه السلبيات أثرتْ بطريقةٍ مباشرةٍ على التنشئة العسكرية خاصةً أنَّ منْ أهم أهدافها بناء الدولة العربية القومية والتكامل السياسي مع وجود إحساسٍ مشتركٍ بين الشعوب العربية بالتضامن والهوية العربية العرقية لصالح هذ الفكر العسكري المفقود .

وتعتبر التنشئة العسكرية والتدريب العسكري المخططين أهم الوسائل للنهوض بالجيش ، فعمليات التطور الإجتماعي للأمة يتطلب تنميةً مشتركةً ومتوازيةً ومستقرةً بين كل مكونات الأمة والمؤسسة العسكرية جزءٌ منها والتي تتطلب بدورها تنشئة الأجيال الجديدة منَ العسكريين بشكلٍ صحيحٍ يساعدها على التعايش الإيجابي مع الشعب خارج الأسوار ، ومع واقع الأمة السياسي والإقتصادي ؛ حيث أنَّ واقع الأمة في تغيرٍ مستمرٍ يتطلب إحداث تغيُّراتٍ جوهريةٍ في المجتمع العسكري تطبق بشكلٍ تدريجيٍ ومنظمٍ في كل المفاهيم والأيديولوجيات التقليدية التي تحكمتْ في المشاعر الوطنية والعقليات العسكرية المتخلفة لفترةٍ طويلةٍ منَ الزمن .

أخيراً نستطيع القول أنَّ التنشئة العسكرية ترتبط أولاً بطبيعة النظام السياسي والثقافة الشعبية السائدة ، وثانياً ارتباطها بدرجة وطبيعة التغير الإجتماعي العسكري ، وهي عملية تعليمية تدريبة للعسكريين الجدد تهدف إلى نقل الثقافة العسكرية للمجتمع العسكري عبر الأجيال وتطوير هذه الثقافة العسكرية ، والإسهام بقدرٍ كبيرٍ في عمليات التغيير الإجتماعي العسكري وتعتبر في نفس الوقت آليةٌ منْ آليات التنمية العسكرية بتأثيرها المباشر في الطبقات العسكرية المختلفة والنسق الأيديولوجي الذي يعكس الأهداف الكبرى للجيش وتطلعات الأمة .

أنواع التغيرالإجتماعي العسكري

1- تغيرٌ تلقائيٌ : وهو ذلك التغير المجتمعي الذي يسير دون تدخل أيّ قوىً خارجيةٍ تؤثر في سرعته واتجاه .
2- تغيرٌ تراجعيٌ : وهو التغير السلبي المذموم الذي تكون نتائجه تخلف وتدهور حالة المجتمع العسكري خاصةً بعد الثورات الشعبية التي تتصف بالفوضى والخراب ، أوِ الهزيمة حيث تصاب الأمة بالفشل والتمزق وأحياناً التفكك والإنقسام .
3- التغير التقدمي : وهو التغير المتوازن في الإتجاه الأفضل ويهدف إلى تحقيق أهداف القيادة العامة للقوات المسلحة ، قائماً على دراساتٍ علميةٍ موضوعيةٍ .

4- التغير الجذري : وهو غير محمود العواقب حيث يتمُّ عنْ طريق ثورةٍ شاملةٍ تسقط كل القيم القديمة ومحاولة بناء مجتمعٍ عسكريٍّ جديدٍ ، ويتميز هذا النوع بأنَّ التغير يتم بالقوة والعنف وسرعة الإنجاز كما حدث للجيش العراقي بعد حرب الخليج الثانية .

5- التغير الجزئي : وهو الذي يصيب جزءً منَ المجتمع العسكري في أحد الصنوف أوِ الأسلحة دون البقية ، وممكن أنْ يكون سلبياً أو إيجابياً .

عوامل التغيرالإجتماعي العسكري

1- المجتمع المدني خارج المعسكرات ومدى تغير الأمة .
2- حجم الجيش .
3- المستوى التعليمي للطبقات الدنيا منَ المجتمع العسكري .
4- عواملٌ أيديولوجيةٌ .
5- الثقافة العسكرية .
6- الوضع الإقتصادي للعسكريين منْ خلال وضع الأمة الإقتصادي ، وأثره في الإنتاج والتوزيع والإستهلاك ونصيب العسكر منْ ذلك .
7- حالة الأمة السياسية .
8- نتائج الثورات الشعبية الإجتماعية ونتائج الحروب .
9- قادة الأمة السياسيين والعسكريين .
10- تطور الأمة التكنولوجي .

معوقات التغيرالإجتماعي العسكري

1- عدم وجود أيّ نوعٍ منَ الإبتكار في العمل العسكري وقت السلم : والذي هو سعي العسكريين أنفسهم منْ خلال المؤسسة العسكرية للتطور عبر توليد أفكارٍ استراتيجيةٍ جديدةٍ ومبتكرةٍ وتطبيقها ، واستحداث خدماتٍ جديدةٍ ترتقي بجودة الحياة العسكرية وقت السلم ووقت الحرب . فالإبتكار ليس هو الإختراع أوِ الإبداع ، بل هو القدرة على أخذ فكرةٍ معينةٍ وتطبيقها على أرض الواقع وتحقيق نتائج .
2- العائق الذهني وإعراض العسكريين وعدم تقبلهم فكرة تغير المجتمع العسكري .
3- الجهل والأمية في الطبقات الدنيا منَ المجتمع العسكري .
4- تعامل القيادة العامة للقوات المسلحة مع التحديات الحديثة بنفس الأفكار والآليات القديمة .
5- الفساد الإداري .
6- الإعتماد على الأجيال القديمة وضباط الشرف أو ضباطٍ غير مؤهلين للقيادة أصلاً فقط لأنَّهم يحملون بضعة نجومٍ فوق أكتافهم ، وعدم السماح للقادة الأكاديميين الجدد بالبروز وتولي المناصب الحساسة .

علم الاجتماع الدينامي

إنَّ الموضوع العام لعلم الإجتماع الدينامي هو : دراسة التغيرات والتبدلات الإجتماعية والحركات الإجتماعية وصيرورة تحول المجتمعات . ولا ريب أنَّ دراسة التغيرات الإجتماعية العسكرية يجب أنْ تندرج في أصول الفكر العسكري عموماً بحيث تتخذ منَ الدينامية الإجتماعية برمتها موضوعاً للتفكير والبحث الإجتماعي العسكري . هذا التفكير يجد صداه التاريخي لدى سان سيمون وأوجست كونت اللذان تحدثا عنْ الكلية الاجتماعية ومراحل التطور الإجتماعي والإنساني عبر قانون الحالات الثلاث .

أعتقدُ أنَّ تطور التفكير في الدينامية الإجتماعية العسكرية لا يتناغم مع أعمال ألكسي دي توكفيل الذي تصدى للتغيرات الإجتماعية وحلل المسألة في ضوء مبدأ تكافؤ الفرص حيث أنَّ الحياة العسكرية أساساً لا تضمن تكافؤ الفرص في كلِّ الأحوال ، ولا مع أعمال كارل ماركس أحد كبار هذا التيار الذي سعى إلى بيان أنَّ تعميق التناقضات في المجتمع الليبيرالي سيؤدي إلى انهيار نمط الانتاج الرأسمالي ليحل محله نمط الإنتاج الاشتراكي ومجتمع العدالة الاجتماعية ، إنَّ تطور المجتمع العسكري آخذٌ في الاتجاه نحو أشكال أكثر تعقيداً وتباعداً يوماً بعد يوم . لسببين الأول التطور التقني السريع في التسليح ، والثاني أنَّ الجيوش الحديثة أصبحتْ لا تعتمد على أنصاف المتعلمين . إذنْ فالتراث الأساسي والتطوري للجيوش يؤكد وجود نظرية واحدة تفسر التغيرات الاجتماعية . وفي الحقيقة ثمة عددٌ هائلٌ منِ التساؤلات تبعتها إجاباتٌ متعارضةٌ تتمحور حول :

1. الخيارات السياسية التي تعمل على تعميق التغيرات من خلال استراتيجية الأمة وأهدافها .
2. الفوضى التي تعقب الحروب الأهلية والهزائم العسكرية تحدثُ تغيراتٍ جذريةٍ .
3. الإستراتيجية العسكرية والعقيدة العسكرية للأمة التي تحوم دائما حول مقولة التطور الجيش .

لذا فالسؤال هو : هل يمكن إزاء حدوث تغيراتٌ جذريةٌ الركون إلى النظريات القديمة في تفسير التغيرات وانتقالها منْ حالةٍ إلى حالةٍ . أوِ الاعتماد على النظرية الماركسية في التحول في حين أنَّ التغير وقع بفعل الأداة السياسية ؟ لا شكَّ أنَّ استعمال المنهج الدينامي يعني تجاوز الكثير منَ النظريات ، هذه الفكرة تنزع إلى التوسع والشمولية باتجاه صياغة إشكالية أوسع وأشمل تتناول إجمالي الطرح الدينامي : كيف نحلل الديناميات الاجتماعية العسكرية ؟ و كيف ندرس التحولات الاجتماعية العسكرية ؟ .

فقد لاحظتُ بحقٍ تغيراتٍ غير مسبوقةٍ في المجتمع العسكري أدتْ إلى ظهور مشاكل كبرى بعد أنّ كان مجتمعاً مبرمجاً، ومنظماً لا ينفكُ عنِ التغير والتطور ، مجتمعٌ توجهه وتحدد اختياراته واستراتيجياته إرادته التي تمثل منظومة عمل تقع في مستوى التأريخ والصلات الطبقية . والسؤالُ يطرحُ سؤلاً آخراً و هو : ما هو حجم التغيرات ومقدارها وفعاليتها في هذا المجتمع وليس شيءً آخراً ؟ ، المهم أنْ نلاحظ أنَّ المؤسسة العسكرية ومجتمعها ليست سوى منظومة عمل مستمرة لا تقبل إلاَّ بالتعبير " لا يفسر العسكري بغير العسكري " . هذه المقولة تجعلنا أكثر تشدداً وإصراراً أكثر منْ أيِّ وقتٍ مضى وقبل كل شيء على وجوب القطع مع :

1. كل تفسير جادت به الفلسفات القديمة : ينبغي استعمال كل سوسيولوجيا للقيم لأنَّ المجتمع العسكري هو منظومة صلاتٍ اجتماعيةٍ ومبادرات عسكريةٍ ومطالبات وصنوف مختلفةٌ تستند إلى الرموز والتصورات الغيبية والقوى المطلقة وأيديولوجيا متماسكة جداً وترتبط بفئاتٍ اجتماعيةٍ تتمتع بالسلطة .
2. إنَّ علم الإجتماع العسكري ليس ذو بعدٍ واحدٍ يفسر الظواهر الاجتماعية بعامل مهيمن ، وأنَّ التفسير الطبقي لا يعني الصراع الإجتماعي والتغير والعامل الحاسم في التطور ، وأنَّ الصراع الطبقي فَقَدَ سمته في المجتمع العسكري فهو ليس كالمجتمعات الأخرى خلف الأسوار فهو قوةٌ محركةٌ للتاريخ وليس صراعاً تناظرياً أو تنافسياً .
3. النظرية الوضعية التي تجهد في النظر إلى المجتمع العسكري متأكدةٌ منْ خضوعه للقوانين العسكرية الموجودة ولا ينبغي البحث عنها واكتشافها ويجب العمل بها للتخلص منَ العبث بالعسكر .
4. النظرة الحقوقية التي ترى المجتمع العسكري فقط منْ خلال القوانين والعادات والأعراف العسكرية والحقوق والواجبات في السلم والحرب ومن خلال السلطة السياسية وقدرتها على التدخل في المجتمع العسكري وإخضاعه وتكييفه لإستراتيجية الأمة وأهدافها .

مكونات النظرية

يتحدد المجتمع العسكري عندي في مستوى الجاهيزية القتالية والصلات الطبقية وشدة بنأه ووضوح أهدافه ، بهذه الضمانات الإجتماعية القيمية والتاريخية يظل المجتمع العسكري مهما كان ضعيفاً ذو حقلين تاريخي وجغرافي ، تحت هيمنة السلطة السياسية بدون صراع طبقي تقليدي . من وجهة نظري هكذا نحدد اختيارات المجتمع وسيره وكفأته القتالية وإعادة بنأه ، إذ أن للمجتمع العسكري دائماً نشاطاته وواجباته في السلم والحرب وعلاقاته البينية التي تظل بمنأىً عنْ تدخل السلطة والقوى السياسية المهيمنة هكذا هو التناقض مع السلطة السياسة ، وهنا بالذات يكمن سر بقاء وقوة المجتمع العسكري .

يجب علينا أنْ ندرك كيف يرتكز مجتمع العسكري على مجموعةٍ منَ الأهداف وتديره وتنظمه سلطةٌ عسكريةٌ ، وكيف يكون واحداً دائماً ، تلك الأهداف هي التي تحكم سيره بفضل الإستراتيجية والعقيدة العسكرية والنموذج الثقافي العسكري . وإنَّ هذا التقارب منَ الذات العسكرية ليس يعيد تقسيم المجتمع إلى طبقتين من منظور القيادة أيْ جزءٌ منْ المجتمع العسكري يتمثل فيالقادة وهيئات الركن ، فئةٌ خاصةٌ تماثل بين نفسها وأكثر ما في المجتمع من عمومية وبين السلطة السياسية . أما الذين لا ينتمون إلى الطبقة القادة وهيئات الركن والذين يشكلون الجيش في عمومه من جنودٍ وضباط صفٍ وضباطٍ فيمتثلون لهذه السيطرة والعامل التاريخي نفسه ، ولا يسعون لاستعادة الرقابة على مفهوم التملك الخاص أو قلب سيطرة القادة وهيئات الركن . إذن لا وجود لصراع الطبقات في المجتمع العسكري رغم عجلة التاريخ العسكري التي تدون الأحداث والمواقف والحروب . إنَّ العلاقات الإجتماعية العسكرية هي الواقع الذي يمكن أنْ نلمسه بالدرس والتحليل . وأنّ الصلات الطبقية لا تشكل الموضوع الراهن لعلم الاجتماع العسكري . بل

الموضوع الرئيسي لعلم الإجتماع العسكري هو دراسة الظواهر الإجتماعية من وجهة نظر قيم المؤسسة العسكرية ، بدون إهمال حركة التاريخ العسكري ، أيْ بعلاقاتٍ بدون صراع الطبقات مثل بقية المجتمعات ، هذه الظواهر هي " الحركات الاجتماعية العسكرية " .

مفهوم الدينامية العسكرية :

تعرف الدينامية العسكرية على أنها مجموعة منَ الأوآمر أو التوجيهات أو التعليمات من القيادة المختصة واستجابات العسكريين التي تحدث داخل المعسكرات والثكنات في المواقف المختلفة التي تمر بها . و بالتالي فإنٍالعسكري الذي يصدر سلوكاً معيناً داخل وحدته ، فإنه سيقابل بالعديد منِ الإستجابات منَ القائد وباقي الأفراد . وبذلك يحصل تفاعل اجتماعي " عسكري" ونفسي أشبه ما يكون بتفاعل كيماوي .

إنَّ مقدار القوى المؤثرة في العلاقات على شكل تفاعلاتٍ تؤدي إلى تغيرٍ يُحدثُ تأثيراً في قدرة الوحدة على تنفيذ واجباتها في السلم والحرب يعكس مدى تماسكها وقدرة القائد على القيادة والسيطرة . ويمتد هذا التغيير إلى واجبات الأفراد وسماتهم الشخصية ومهاراتهم التعبوية وكفأتهم القتالية ، إلى غير ذلك خلال عمليات التفاعل الإجتماعي العسكري . أيْ أنَّ الوحدة العسكرية مهما كان حجمها كلٌّ ديناميٌّ وأيّ تغييرٍ في حالة جزءٍ منْ هذا الكل يؤدي إلى تغيير حالة الأجزاء الأخرى يظهر هذا واضحاً أثناء الأعمال القتالية أو المناورات . وليس جوهر التشكيلات القتالية في تشابه الوحدات المكونة له أو عدم تشابهها بل في اعتماد بعضهم على البعض الآخر في تنفيذ الواجبات ، وأنَّ درجةِ الإعتماد المتبادل بين الوحدات في التشكيل القتالي أو الصنف يتراوح بين التفكك والوحدة القتالية المتماسكة وبينهما مشكلاتٍ كثيرةٍ .

دينامية الجماعات:

إنَّ دينامية الجماعات هو ذلك البحث الذي تعلق بالجماعات الضيقة أو المحدودة ، ولهذا يمكن انْ نستغله في دراسة المجتمع العسكري كونه منغلقاً على نفسه كالجماعات الدينية أو جماعة الأقليات عموماً . ويعتبر " كرت ليفين" مؤسس دينامية الجماعات . بدءَ ببحثه في جماعة اليهود التي كان ينتمي إليها . ويمكن القول أن ضرورة البحث في دينامية الجماعات المحدودة عمل على تطوير دينامية الجماعات.

تعريف دينامية الجيش :

دينامية الجيش تختص بدراسة المبادئ والقوى المختلفة المتحكمة فيه وكذلك السيرورة التي يعرفها الجيش بفضل مختلف التفاعلات العسكرية . هذه التفاعلات تؤدي إلى تقدم الجيش ونموه ، وظروفٍ خاصةٍ قد تأخذ شكل صراعٍ وتنافسٍ شديدٍ يؤدي إلى انحداره وتفككه . وقد تتشابه طبيعة التفاعل في كل الجيوش وينتج عنه تقبل بين الأفراد ، صداقاتٍ ومودةٍ وغيرها أو رفضٍ ، واستنكارٍ . فأسلوب التقبل والرفض له تأثيرٌ قويٌ على الأفراد أنفسهم ويتأثر حدث الدينامية في الجيش بعدة عوامل أهمها :

1. الشخصية العسكرية : ذلك أنَّ الجيش يزدهر وينمو عندما يتوفر لديه عسكريون إيجابيون مأهلون للأعمال القتالية ذوو آراء شخصية بناءة ومقترحات سليمة واعون بأنفسهم ، ولهم القدرة على تنفيذ الواجبات والمهام المختلفة في السلم والحرب . بينما يتفكك الجيش إذا كثر فيه الأفراد المعارضون لأهدافه والسلبيون .
2. مستوى ثقافة الأفراد العسكرية وظروف حياتهم الإجتماعية والإقتصادية خارج الأسوار .
3. ظروف الحياة العسكرية داخل المعسكرات ، والقدرة على تحمل المسؤولية ، وروح الفريق ، الإتكالية وعدم الثقة بالنفس .
4. الكفاءة القتالية والخبرات السابقة والمؤهلات التخصصية التعبوية .
5. القدرة على القيادة والتنافس عليها .

الفصل الثاني : التنمية البشرية العسكرية

يجب أنْ يُشكّل العسكري محور أيّ تعريفاتٍ مقدمةٍ بشأن التنمية البشرية العسكرية ، حيث تتضمن هذه التنمية على تحسين مستوى الرعاية الصحية والتعليم والرفاه الإجتماعي العسكري الذي هو نمط حياة العسكريين داخل معسكراتهم وثكناتهم وخارجها مع أُسرهم وقت السلم . أيْ أنَّ التنمية العسكرية هي التنمية التي تلبي احتياجات حاضر العسكريين من دون إغفال تلبية إحتياجات أيّ دفعاتٍ قادمةٍ . وهي جزءٌ من التنمية المستدامة للمجتمع ككلٍ . وينبغي أنْ يكون كل العسكريين محور الإهتمام ، فيتمُّ نسج التنمية حول العسكريين وليس كيف تشارك المؤسسة العسكرية في تنمية المجتمع ، بحيث سيكون المجتمع العسكري أكثر مثاليةً ممَّا نصبوا إليه فسوف تختفي منْ مجتمعنا العسكري كافة ظواهر الفقر، واللامساواة ، والأنانيات ، ونهب الطبيعة ، وانحرافات التقدّم العلمي ، كي تتمكن الأجيال الحاضرة والقادمة منْ الإستفادة منْ موارد الطبيعة . وهي التي سوف تضبط السياسات الإقتصادية للمؤسسة العسكرية ومنْ جهةٍ أخرى تمثل التنمية العسكرية فرصةً جديدةً لنوعيّة رفع الكفاءة القتالية وكيفيّة توزيع الواجبات ، وليست مجرّد عمليّة توسعٍ اقتصاديٍّ ورفاه العسكريين وقت السلم فقط ، وهي لا تمنع منْ ازدياد الفوارق بين مداخيل العسكريين ، ويجب على التنمية العسكرية أنْ تفرض نفسها كمفهومٍ عمليٍّ لحل المشاكل المتعدّدة التي تواجه المجتمع العسكري بطبقاته المختلفة . كما أنَّها تسمح بتقييم المخاطر الإجتماعية العسكرية ونشر الوعي العسكري وتوجيه المناورات وقت السلم على المستويات المحلّية والإقليميّة والدولية ؛ وسوف نجد ترابطاً قويً بين أمن الأفراد والتنمية العسكرية بعد القضاء على الفقر بين الطبقات الدنيا للمجتمع العسكري ، إنَّ التنمية العسكرية مرتبطةٌ أرتباطاً وثيقاً بتنمية المجتمع كافةً وذلك بتعزيز الديمقراطيّة ، و مكافحة المجاعات والأزمات والصراعات ، و التأكيد على فعالية المرأة ، وتطوير المجتمع ، وتشجيع الثقافة والدفاع عنْ حقوق الإنسان . وأيضاً منْ خلال تحسين سبل الحصول على الخدمات الاجتماعية للعسكريين والأغذية والرعاية الصحيّة الإنسانية والتعليم ، وتعزيز المساواة بين الجنسين ، وتمكين المرأة في المناصب القيادية المختلفة ، وتوجيه دفة الحرب ، وتوسيع قدرة الحصول على تكنولوجيا المعلومات والإتصال .

أعتقد أنَّه منْ بين أبعاد التنمية العسكرية الإجتماعية والإقتصادية يبرز بعداً لقياس مستوى الكفاءة القتالية للأفراد والوحدات ومدى جاهيزية القوات ألاَ وهو البعد الإجتماعي العسكري منْ خلال التركيز على تغير نوعية التدريب ، وعبر ضمان زيادة الطاقات منْ دفعةٍ إلى أُخرى ، والأهم تحقيق حاجات العسكريين الأوليّة . منْ أجل ذلك كله يجب على القيادة العامة للقوات المسلحة أنْ تركز الجهود الرامية إلى بناء نمط حياةٍ عسكريةٍ مثاليةٍ تتطلب التكامل بين ثلاثة مجالاتٍ رئيسةٍ :

1- الرفع من المستوى الإقتصادي للأفراد والعدالة : يجب على القيادة العامة الجيش إعداد خططاً متكاملةً لتهيئة النمو المسؤول الطويل للأفراد .

2- على الجيش ليس الدفاع فقط بل حفظ الموارد الطبيعية والبيئية الوطنية منْ أجل الأجيال القادمة ، والمشاركة بجديةٍ في إيجاد حلولٍ إقتصاديةٍ قابلةٍ للاستمرار للحد منْ استهلاك الموارد ، والمحافظة على البيئة وإيقاف التلوث. فلا يفرّط في مصادر الثروات الطبيعية للأمة التي ترتكز عليها هذه التنمية ، أو يخرّبها ، إنَّ أيّ تنميةٍ يجب أنْ تعمل على تجديد الموارد والثروات وإعادة التصنيع بشكل يضمن بيئةٍ نظيفةٍ وصالحةٍ لحياة الأجيال الحاضرة والقادمة .

3- التنمية الإجتماعية العسكرية : حيث أنَّ كل العسكريين وأسرهم بحاجةٍ إلى العمل والغذاء والتعليم والطاقة والرعاية الصحية والماء ، واكتفاء هؤلاء الأفراد منْ هذه الإحتياجات ، وعلى القيادة العامة للقوات المسلحة احترام التنوع الثقافي والإجتماعي للعسكريين ، وتمكين جميع العسكريين منْ أداء واجباتهم حسب رتبهم وأقديمياتهم وتخصصاتهم ، وأحقية الضباط في القيادة ، ومرعاة الإرتباط الوثيق بين التنمية الإقتصادية والإجتماعية داخل المعسكرات .

وإذا كانت التنمية العسكرية قيمةٌ إيجابيةٌ تحسّن مستويات معيشة للعسكريين وترفع مستوى الكفاءة القتالية للأفراد فهل سيكون لها آثارٌ سلبيةٌ على الأمة ؟ ذلك لأنَّ التنمية البشرية مطلبٌ عالميٌّ مرتبطٌ بكل الدول وهو جزءٌ من العولمة أيْ أنْ يصبح العالم قريةً صغيرةً ؛ فتصيبنا الآثار السلبية للعولمة كالإضرابات وتضييع الوظائف وهدم التقاليد الثقافية والدينية .

يتحدثون عنْ درو المؤسسة العسكرية في تنمية المجتمع ولا يتحدثون عنْ تنمية المؤسسة ذاتها ، أو أنَّهم يتحدثون عنِ التدريب والتسليح وألعاب الحرب وغيرها ولا يقدمون تعريفاً واحداً للتنمية العسكرية التي هي جزءٌ منَ التنمية البشرية للأمة . إنَّ التنمية البشرية في المجتمع العسكري هي عملية تطوير وتوسيع القدرات التعليمية والخبرات للعسكريين منْ أجل أنْ يصل المجتمع العسكري بمجهود أفراده بمختلف رتبهم إلى مستوى أرفع منَ الكفاءة القتالية والجاهزية والرفاهية ، منْ خلال التدريب الراقي والمتطور للقوات وتوزيع الجيد للتخصصات بدون تمييز بين الأسلحة والصنوف واستغلال القدرات البشرية والتوسع في ذلك . بشرط توفر أسباب الحياة المثالية والرفاهية داخل المعسكرات ،كالتأمين الصحي والتعليم الجيد للجنود وأنْ يتمتعوا بمستوى عالٍ جداً منَ المعيشة .

إذنْ فهي عملية تنميةٍ وتطوير إمكانياتٍ ومقدرات العسكريين منْ أجل توسيع الخيارات المتاحة أمامهم باعتبارهم الأداة الفعالة لأيّ تنميةٍ داخل المجتمع العسكري ؛ أقصدُ الأهتمام بالعسكري بغض النظر عنْ رتبته كإنسانٍ أولاً وليس كآلةٍ للقتال أقول : أعطِ للعسكري أكثر مِمَّا يحتاج يعطيك أكثر مِمَّا عنده . ولم يفرض مصطلح التنمية البشرية العسكرية نفسه في المجتمع العسكري ، رغم أنَّه فُرض على الخطاب السياسي والإقتصادي .

أُسس التنمية البشرية العسكرية

1- **الأسس الفكرية** : إنَّ الأساس الفكري لمفهوم التنمية البشرية العسكرية هو الإنطلاق منَ التأثير المتبادل بين التسليح والروح المعنوية للأفراد ، لأنَّ العسكري كإنسانٍ هو العامل الحاسم في تطور المجتمع العسكري .
2- **العدالة الإجتماعية العسكرية :** أيْ أنَّ العدل يجب أنْ يكون بين كل العسكرين بغض النظر عنِ الرتبة أوِ الجنس ، ونبذ القبلية والجهوية ، أوِ الإهتمام بسلاحٍ معينٍ وإهمال بقية الأسلحة والصنوف . بمعنى أنَّنا جميعاً كعسكريين لدينا كل الحق في التعليم والرعاية الصحية ، ويجب التركيز على تكافؤ الفرص بين العسكريين ، و هذا لا يتطلب إعادة هيكلة العلاقات بين أفراد المجتمع العسكري .
3- **الإستدامة:** ويعني ذلك أنَّ كل العسكريين يجب عليهم ولديهم الحق في ممارسة واجباتهم التي تدربوا عليها بدون تهميش والحق في الحصول على نصيبٍ أكبرٍ منَ الحاجات الأساسية والدورات التدريبية والمناصب العسكرية ، ممَّا يتطلب تنميةٍ شاملةٍ لجميع سياسات الجيش الإقتصادية والإجتماعية والإستراتيجية .
4- **الجاهيزية :** ويقصد بهذا المفهوم نمو معدل الكفاءة القتالية للأفراد وتحسين العملية التدريبية ، والمشاركة الكاملة للعسكريين في عملية تنمية المجتمع العسكري . ويعني هذا أيضا أنَّ المؤسسة العسكرية ستحتاج إلى برامجٍ إجتماعيةٍ أكثر كفاءةٍ لأفرادها ، ويدعو هذا المفهوم إلى ضرورة تعزيز العلاقة الإيجابية بين التنمية البشرية للعسكريين ومستوى الكفاءة القتالية .
5- **التعاون:** ويشمل مشاركة العسكريين في الوحدات والتشكيلات الكبرى والإنتماء إليها كوسيلةٍ للحياة الكريمة ومصدراً للمعنى الإجتماعي الدافيء .
6- **الأمن:** ويقدم فرص التطور للعسكريين بحريةٍ وأمانٍ مع تأمين عدم اختفاء هذه الفرص فجأةً في المستقبل .

شروط التنمية البشرية العسكرية

1- إداريةٌ وتعني الرفع من مستوى المهارات الإدارية ، وتطوير أساليب الإدارة العسكرية ، واعتماد أسلوب التخطيط .
2- استخدام التقنية وتوطينها .
3- استغلال كل الموارد البشرية العسكرية .
4- عدم الإخلال بالمفاهيم العسكرية .
5- مرونة البناء الإجتماعي العسكري .
6- تهيئة المناخ النفسي العام والتشجيع على التنمية داخل المعسكرات .

مجالات التنمية البشرية العسكرية

1- تنمية الذات : تنمية الذات أو تطوير الشخصية العسكرية ، أيْ أنْ تكون العلاقة بين مفهوم التنمية البشرية العسكرية وتنمية الذات العسكرية في علاقة تحديدٍ وتكاملٍ ، فمفهوم التنمية البشرية يجب أنْ يرسم حدود مفهوم تنمية الذات العسكرية ، ليحد الكل الجزء فيكمله ويغنيه ولا يلغيه ، فهي ليست علاقة تطابقٍ ؛ وتهدف تنمية الشخصية العسكرية إلى تنمية مهارات الحياة العملية في التخصص العسكري جنباً إلى جنبٍ مع المهارت التي تصقل الشخصية العسكرية كمهارات القيادة والتواصل وتقدير الموقف والتفاوض وغيرها .

2- تنمية المعسكرات : أول خطوة لرفع الروح المعنوية للقوات لأنَّ المعسكرات هي وطن هؤلاء الأفراد بكل رتبهم ومناصبهم وتخصصاتهم فكلما كان الوطن جميلاً كان مغرياً للبقاء فيه ، فيجب على القيادة العامة للقوات المسلحة وضع خطط عملٍ للتطور المتوازن في كل المعسكرات وعدم الإهتمام بسلاحٍ أو صنفٍ على حساب البقية فإنَّ ذلك محبطٌ للهمم ومُثَبِطٌ للحماس ومُضعِفٌ للروح المعنوية ، منْ أجل تحسين نوعية الحياة لجميع العسكريين وتتضمن استراتيجية تنمية المعسكرات رؤيةً سياسيةً عسكريةً ، وخطة عملٍ تهدف إلى تحسين المجتمع العسكري وإدارته وقت السلم ؛ والقيادة العامة للقوات المسلحة هي التي تحدد الأسلوب الذي يتم اختياره وبالتالي سوف تتوقع النتائج بناءً على ذلك . والغرض منْ تنمية المعسكرات هو الوصول إلى رؤيةٍ مشتركةٍ للوحدات داخلها (عادةً ما يحوي المعسكر الواحد عدة وحداتٍ وتشكيلاتٍ داخل أسواره) ، وأولوياتها وتطوير البُنى التحتية بها ، ووسائل الترفيه المختلفة والتعاون مع المجتمع المدني المحيط ، وتيسير عمليات التنمية الإقتصادية العسكرية . وبهذا فإنَّا سنعمل بطريقةٍ أكثر فاعليةٍ مع المجتمع المدني لتحسين مساهماتنا في التنميةالوطنية . وتعمل استراتيجية تنمية المعسكرات على مساعدة العسكريين و القوات المسلحة لتستفيد منْ حزمة إمكانياتها وما تملك منْ مواردٍ وربط كل هذه الأهداف بالخيارات المتاحة لتطوير كفأتها القتالية وتطويرها ، وبالتالي قدرات الجيش القتالية .

3- تطوير التسليح : ويعتبر الوثبة التي ستحقق بثراء فكرة تنويع مصادر السلاح التي يجب أنْ تترجم على أرض الواقع برؤيةٍ خلاقةٍ تجعل القوات المسلحة تتقدم بخطوات ٍحثيثةٍ وثابتة ٍنحو تعزيز وتطوير قدراتها .

قواعد بناء خطة التسليح

تلعب الخبرة العسكرية والعلمية فى مختلف الأسلحة والصنوف دوراً رئيسياً فى اختيار الأسلحة التى تتناسب مع الاحتياجات الفعلية والضرورية بناءً على مقوماتٍ تتمثل فى عدةٍ مستوياتٍ :

المستوى الأول : جغرافية الدولة وعدد السكان .

المستوى الثانى : التهديدات التى تتعرض لها الأمة ، والأخطار المحيطة والتوقعات المستقبلية بخصوصها .

المستوى الثالث : الأمن القومى خارج الحدود الدولة قبل داخلها .

المستوى الرابع : التطور التكنولوجى السريع .

المستوى الخامس : وضع الأمة الإقتصادي .

المستوى السادس : الإرادة السياسية .

تقنيات تنمية الذات العسكرية

إنَّ الفكرة التي الأساسيه لهذه التقنيات هي أنْ التغيير إلى الأحسن يبدأ منْ داخلنا نحن كعسكريين ، فالنصر أو الهزيمة يتوقفان أساساً على العسكري كإنسانٍ أولاً أمَّا بقية العوامل فهي في المقام الثاني . ومفهوم تنمية الذات العسكرية هو فنٌ أكثر منه علمٌ ، يستند إلى الخبرة الذاتية ، والموضوعية التي هي الأخذ بدور الظروف والبيئة كعاملٍ معوقٍ أو مساعدٍ في حركة التطور الإجتماعي العسكري .

توطين تنمية الذات العسكرية

أقصد بالتوطين أنْ تكون تنمية الذات جزءً منْ تفكير واهتمام العسكريين وتمكينها منهم ، ولكنها تعتمد أساساً على قبولها في الثقافة العسكرية وتسربها إلى دماء العسكر قبولاً مطلقاً . هذا التوطين يعتمد على عاملين :

1- توافق أو تناقض مفاهيم وأساليب تنمية الذات العسكرية مع ثقافة المجتمع خارج المعسكرات .
2- مدى نجاح أساليب تنميه الذات في المجتمع المدني عموماً .

دور التنمية البشرية العسكرية في بناء النظام العسكري

إنَّ التنمية العسكرية تهدف إلى تغييرٍ شاملٍ لجميع مكونات المجتمع العسكري المادية والثقافية ، أيْ إنَّ التنمية العسكرية هي عمليةٌ مدروسةٌ ومخططةٌ تهدف إلى إيجاد تحولاتٍ كبيرةٍ في المجتمع العسكري وكذلك في الإطار السياسي الممثل له وهي وزارة الدفاع التي تهدف إلى نقل المجتمع العسكري منْ حالة التخلف إلى حالة التقدم في جميع مجالات الحياة العسكرية وتحقيق الرفاه للعسكريين ، وتطوير العسكريين ، ونقلهم منْ حالة التخلف إلى حالة المساهمة في البناء الشامل للمجتمع العسكري ، ومنْ ثمَّ تطور المؤسسة العسكرية ، ولايمكن تحقيق هذا المطلب إلاَّ بالشروط التالية :

1- الوحدة الوطنية للأمة .

2- نبذ القبلية والجهوية والشعوبية .

3- الإستقرار السياسي .

4- يجب أنْ تكون التنمية العسكرية شاملةٌ في توجهاتها ، أيْ أنَّها لا ترتكز على جانبٍ واحدٍ" ثقافيٌّ أو ماديٌّ ،، أو سلاحٌ واحدٌ .

5- يجب أنْ تكون التنمية العسكرية متوازنةٌ في توجهاتها وعدم الإفراط بين المركز والمحيط .

6- إنَّ عملية التنمية العسكرية يجب أنْ تكون جزءٌ من عملية تنميةٍ وطنيةٍ شاملةٍ .

تعتبر التنمية العسكرية منْ المفاهيم الحديثة ، وبعداً أساسياً منْ أبعاد التنمية الوطنية الشاملة ، منْ أجل تنمية قدرات العسكريين على معرفة العدو بوضوحٍ أولاً والتعرف على المشاكل الإجتماعية التي تواجههم داخل الأسوار وخارجها ، وقدراتهم على تعبئة كل الإمكانيات المتاحة لمواجهة هذه المشكلات بشكلٍ عمليّ وواقعيّ، وتنظيم الحياة العسكرية ومتابعة أداء المهام والواجبات في السلم والحرب ، وتطوير النظم العسكرية والمحافظة على شدتها وقسوتها وصرامتها لتصبح أكثر جديةٍ والرفع منْ مستوى الكفاءة القتالية للأفراد والوحدات والمحافظة على أعلى مستوى للجاهيزية القتالية للجيش والتشكيلات الكبرى ، و المحافظة على كرامة العسكري وتحقيق أحتياجاته ، وامتثال العسكريين لقيم المجتمع العسكري وتحقيق المساواة بين أفرادهِ .

بالإضافة إلى ذلك فإنَّ التنمية العسكرية هي عمليةٌ تتضمن بناء المؤسسة العسكرية وتوسيع قاعدة المشاركة القيادية بإقحام القيادات الصغرى في المناصب وعدم تهميشهم وترشيد تولي المناصب كسلطة يجب تداولها ، منْ أجل تحقيق ما أُسمّيهِ بـ" الإستقرار العسكري " . و أقصدُ منْ ذلك أنَّ التنمية العسكرية تهدف بصورةٍ رئيسيةٍ إلى بناء النظام العسكري وإجراء عمليات التحديث عليهِ فيصبح نظاماً عصرياً متطوراً ، و التنمية العسكرية تعني في أحد أبعادها أيضاً مزيداً منَ المشاركة في الحياة الإجتماعية خارج الأسوار . لذلك منَ الضروري أنْ تتركز الجهود على الإرتقاء بعملية التنمية العسكرية ومقوماتها الأساسية وهي :

1- التمايز : في الواجبات وهو ما يقتضي تعدد الهياكل التظيمية الفرعية ووضوحها بحيث يكون لكل سلاحٍ وصنفٍ أدواره وواجباته . والتميز يكون في وجود آليات لتنظيم عمل وزارة الدفاع والقيادة العامة للقوات المسلحة حيث إنَّهما أقدم إطار للعمل العسكري / السياسي ، لهذا فإنَّ النظام العسكري يتصف بالأتي :

ا- بالتخصص الوظيفي وتوزيع الواجبات بين مختلف الأسلحة والصنوف ، والهيئات والإدارات .

ب- التنوع كبير في التخصصات والمناصب التي تحقق إنجاز الأعمال في السلم والحرب .

2- المساواة : أيْ يجب أنْ تسود في المجتمع العسكري الأحكام والقواعد القانونية العسكرية ، وتطبيق هذه القواعد على جميع العسكريين دون استثناء بغض النظر على انتماءاتهم العرقية والمذهبية أو الإقليمية أو رتبهم أو مناصبهم التي يجب أنْ تولى على أساس الكفاءة والجدارة والتأهيل ، وليس على اعتبارات ضيقة كالعلاقات الشخصية والقرابة والجاه والقبيلة وغيرها .

3- القدرة : تنمية قدرات النظام العسكري على مواجهة المشاكل داخل المجتمع العسكري أو تلك التي تعصف بالأمة مثل الإنقسامات والتوترات والثورات ، وكذلك تنمية قدرات النظام العسكري التنظيمية وكذلك الإبداع والتكيف في مواجهة التغيرات المستمرة التي يمر بها الجيش عموماً ، وقدرة النظام العسكري على تنظيم سلوك أفراده ، واتخاذ القرارات الإلزامية التي تتعلق بتعبئة وتجميع الموارد البشرية والمادية .

مقومات التنمية العسكرية

إنَّ عملية التنمية العسكرية بوجهٍ عام تخلق الظروف والشروط الملائمة لتطور القوات المسلحة ، فالتنمية العسكرية تهدف في النهاية إلى بناء النظام العسكري ، وإجراء عمليات التحديث عليه ليصبح نظاماً عصرياً ومتطوراً فالتنمية العسكرية بذلك تفترض التخلص منَ القيادات العسكرية التقليدية بخصائصها التي لم تعد تناسب البناء الجديد ، وهذه الحالة تتطلب وجود عملية مواجهةٍ مستمرةٍ مع الأفكار الراسخة التي ما تزال تؤثر سلباً في اتجاهات العسكريين والمجتمع العسكري . ومنْ ذلك اجراء دعاية نفسية واتخاذ اجراءاتٍ على أرض الواقع لجعل العسكر يؤمنون بأنَّ القيادة العامة للقوات المسلحة هي آلية من آليات تحقيق أهدافهم ومصالحهم وطموحاتهم ؛ وهنا يجب أنْ يتسع المجال للتغيير نحو الأفضل واستمرارية تطوير النظام العسكري ، بحيث يكون لدى العسكريين القابلية للموافقة على الأشكال الجديدة المقترحة للمؤسسة العسكرية .

مقومات التنمية العسكرية :

1. المشاركة السياسية للقيادة العليا للجيش .
2. التنمية العسكرية جزءٌ منْ تنمية المجتمع ككلٍ .
3. وضوح الهياكل التظيمية .
4. المناصب العسكرية سلطة يجب تداولها.
5. حماية واحترام حقوق العسكري كإنسانٍ .

الفصل الثالث

التخطيط لتطوير المجتمع العسكري

لا ننقصد هنا التخطيط للأعمال القتالية كما يتبادر للذهن في الوهلة الأولى ، ولكنَّني أقصدُ : كيفية النهوض بالمجتمع العسكري وتطويره والدفع بهولاء العسكريين كونهم بشرٌ إلى الأمام ؛ إنَّ التنمية البشرية جزءٌ هامٌ منْ هذا التطور بالإضافة إلى عواملٍ كثيرةٍ سأحاول طرحها في هذا الفصل . إنَّ التخطيط ضروريٌ لرفع مستوى حياة العسكريين وبالتالي رفع مستوى الكفاءة القتالية لهم ، ومنْ أجل تحقيق معدلٍ سريعٍ منَ التنمية العسكرية سيكون مرهونٌ بطبيعة الحال بالتخطيط الإجتماعي العسكري ، و أقصدُ بهذا التخطيط هو حياة العسكريين وقت السلم وخارج المعركة . منْ وجهة نظري التخطيط الجيد لحياة عسكرية جيدة وقت السلم مخرجٌ أساسيٌ لتحقيق أهداف الحرب .

التخطيط مرتبطٌ بفلسفة القيادة العامة للقوات المسلحة

لو تأمَّلنا الجيوش القوية للأمم المتقدمة لوجدنا أنَّ التخطيط المستمر لشئون عسكريها يتمشى دائماً مع مقتضيات الحياة العسكية وفلسفة قيادة الجيش التي أملتها الظروف السياسية والإقتصادية والإجتماعية لتلك الأمة . سابقاً استمدت الحياة العسكرية لأغلبية الجيوش محتواها منَ الفكر الديني لمجتمعاتها ، أو منَ الأنظمة الإقطاعية السائدة أو منْ تقسيمات الأمة بين أشرفٍ وعبيدٍ فنجد الجيش يتكون في غالبيته العظمى منَ العبيد والأسرى والباحثين عنِ الحرية أو حتى جنسيةٍ جديدةٍ ، وكان ترتيب العلاقات بين العسكريين والطبقات العسكرية تعتمد على عواملٍ وراثيةٍ أو قبليةٍ أو مهنيةٍ . وكانت الجيوش تسير في خطٍ موازٍ لمجتمعاتها وهو الحفاظ على تلك الأوضاع الطبقية داخلها وتحديد العلاقات بين الطبقات العسكرية تحديداً دقيقاً حتى تلتزم كل طبقةٍ مكانها في البناء الإجتماعي لتلك الجيوش . هذه الفلسفة الإجتماعية السائدة خارج أسوار المعسكرات في تلك الأثناء فرضت على قادة الجيوش تنظيم المرافق الإجتماعية والثقافية العسكرية تنظيماً يحول دون ذوبان الفوارق بين الطبقات المختلفة بين الأشراف والعبيد مثلاً ، وجعلت كل طبقةٍ تعيش داخل نطاقها المحدد لها .

إنَّ التجارب البشرية أتبتث أنَّ تنظيم شؤون حياة أيّ مجتمعٍ يستند إلى فلسفةٍ خاصةٍ لها أهدافٌ وهي تختلف باختلاف المكان والزمان ، إنَّ هذه الفلسفة تدفع بالنشاط العسكري في اتجاه تحقيق أهداف الأمة ، ولهذا نرى أنَّ منْ واجبات وزارة الدفاع وهو الاسم السياسي لقيادة الجيش تحويل استراتيجيات الأمة المختلفة إلى استراتيجياتٍ عسكريةٍ تحقق أهداف الأمة السياسية والأقتصادية والإجتماعية ، ومن أجل بلوغ ذلك المستوى يجب ايجاد تنظيمات تقوم بتطبيق ما ارتضته تلك الفلسفة الإجتماعية بحيث تصبح واقعاً تعيشه الأمة .

مفهموم التخطيط الإجتماعي العسكري

لو حاولنا تعريف التخطيط الإجتماعي العسكري لوجدناه يختلف باختلاف الفكر العسكري و أيديولوجيات الأمة ، وهو انعكاساً لحياة الشعب خارج الأسوار ومرتبطٌ به بشكلٍ أو بآخرٍ ، إنَّ التخطيط الإجتماعي العسكري لا يعني حرية العسكريين في التخطيط لحياتهم وإنْ بذل هؤلاء العسكريون قُصرى جهدهم لتحقيق أهداف المجتمع العسكري ، والتخطيط الجيد سوف تكون نتائجه إثارة القوى الكامنة في نفوس العسكريين فتجعل منهم قوةً عظيمةً تستطيع تحقيق أهداف المعركة ، ويجب أنْ يتميز التخطيط الإجتماعي العسكري بالإستمرارية في نطاق الموارد المتاحة للوصول إلى وضعٍ أفضلٍ مما عليه الحال الآن . إذنْ يمكننا وضع تعريف مبسط للتخطيط الإجتماعي العسكري بأنَّه أحد أهم أدوات تطوير المجتمع العسكري وتوجيهه نحو أهدافه . منْ وجهة نظري أنَّ أهم هدف نسعى إليه وقت السلم هو رفع الكفاءة القتالية للأفراد والوحدات ورفع مستوى جاهيزية القوات المسلحة غير ذلك فهو عبثٌ ومضيعةٌ للوقت ، كذلك فإنَّ التخطيط الإجتماعي العسكري يجب أنْ يشمل توقع ما يجب أنْ يكون عليه صورة المجتمع العسكري المستقبلية وتطوير القرارات التي سوف توجه النشاط العسكري داخل المعسكرات لتحقيق النتائج المطلوبة لفترةٍ معينةٍ ، وهو أسلوبٌ عسكريٌّ يهدف إلى تحقيق التنمية العسكرية خلال فترةٍ محددةٍ وذلك بتعبئة أمكانيات المجتمع العسكري البشرية والإقتصادية لتحقيق أهداف القيادة العامة للقوات المسلحة وفلسفتها معتمداً على مركزية القيادة العامة للقوات المسلحة في التخطيط ولامركزية الوحدات في التنفيذ .

خصائص التخطيط الإجتماعي العسكري

1- مقومات التخطيط الإجتماعي العسكري

1- التنسيق بين الأهداف المرجو تحقيقها وآليات وسياسات التنفيذ .
2- مركزية إعداد الخطط ولامركزية تنفيذها .
3- استشراق المستقبل والتنبؤ الجيد لما سيكون عليه الحال لاحقاً .

2- احياجات التخطيط الإجتماعي العسكري

1- توفر المعلومات وقاعدة البيانات .
2- المشاركة الإجابية من الوحدات الصغرى وقادتها .
3- استقرار المجتمع العسكري .

إنَّ التخطيط الإجتماعي العسكري عمليةٌ معقدةٌ تحتاج إلى تنظيمٍ موجهٍ لتحقيق أهدافٍ غايتها الساسية نقل المجتمع العسكري إلى وضعٍ اقتصاديٍّ واجتماعيٍّ أفضلٍ خلال فترةٍ زمنيةٍ محددةٍ . خلال فترة التحول هذه سوف نواجه صعوباتٍ كثيرةٍ منها :

1- صعوبة إحداث أيِّ تغيرٍ في المجتمع العسكري وضبط نبضه وحركته ، دون أنْ يؤدي ذلك إلى آثارٍ جانبيةٍ

2- صعوبة التنبؤ بالمستقبل والتغير السريع والدائم للمواقف السياسية الدولية والتي تلقي بضلالها على الأمم والشعوب بحيث تضطر إلى تغيير استراتيجياتها أو توزيع قواتها أو إعلان النفير أو غيرها منَ الأعمال القتالية التي ستؤثر على خطط تنمية المجتمع العسكري .

3- صعوبة التوافق بين متطلبات التخطيط للمجتمع العسكري وعناصر هذا التخطيط .

أهمية التخطيط للمجتمع العسكري

1- حصر مشاكل العسكريين والمعسكرات وقت السلم ، والعمل بجدية على حلَّها .

2- العدالة الإجتماعية بين الأسلحة والصنوف وعدم الإهتمام بسلاحٍ واحدٍ على حساب الأسلحة الكبرى ، فكثيراً ما نرى رئيس الأركان العامة للجيش يهتم بسلاحه أو صنفه فقط بدايةً من توزيع المناصب وينتهي بالمعسكرات ويتعمد إهمال مبداء تكافيء الفرص .

3- منْ أجل ايجاد جيشٍ قويٍّ ومُتماسكٍ يجب أنْ تكون التنمية العسكرية مُتكاملةٌ في جميع جوانبها والتنسيق بين كل مستويات القيادة .

4- تقويم ومُتابعة برامج التنمية العسكرية وتصحيح مسارتها منْ أجل التعرف على مدى تحقيق أهدافها .

أنواع التخطيط الإجتماعي العسكري

توجد أنواعٌ كثيرةٌ من التخطيط الإجتماعي العسكري تبعاً للبعد المستخدم كالبعد الجغرافي أوِ البعد الزمني وغيرها كالمركزية أوِ اللامركزية . وسنتناول بالدراسة أنواع التخطيط بناءً على هذه الأبعاد .

1- **البعد الزمني :** وتكون الخطط فيه خططٌ قصيرة الأجل وهي تعتني بالوحدات الصغرى والمعسكرات لوضع حلول للمشاكل ذات الأولوية الحادة والتي تقتضي تدخل سريعٌ ، أو متوسطة الأجل وتحتوي على تفاصيلٍ أكثرٍ وتعتني بالوحدات الكبرى والصنوف ، أو طويلة الأجل وهي تكون على هيئة تنبؤاتٍ تخص الجيش بكل أسلحته وصنوفه ، وتحتاج إلى ميزانيات كبيرة ، ومن هذه الخطط تتفرع الخطط متوسطة الأجل وقصيرة الأجل .

2- **البعد الجغرافي :** وتكون خطط شاملة للجيش في كل ربوع الوطن ، أو خطط جزئية تهتم بمنطقةٍ عسكريةٍ أو أكثر في نفس الوقت لضروراتٍ تراها القيادة العامة للقوات المسلحة أولويات .

3- **البعد النوعي :** وهي خططٌ تهتم بسلاحٍ معينٍ أو صنفٍ بذاته : وعادةً ما تكون إجبارية حيث ترى القيادة العامة للقوات المسلحة مواطن ضعفٍ هنا أو هناك تستلزم الإهتمام بها .

4- **البعد المركزي :** ويكون فيه التخطيط مركزي أو لامركزي معتمداً على نوعية الأوامر الصادرة منَ القيادة العامة للقوات المسلحة بحيث تعطي مجالاً أوسعاً لقادة التشكيلات الكبرى والوحدات الصغرى في تطوير وحداتهم بناءً على خطط القيادة العامة للقوات المسلحة فتترك حرية اتخاذ القررات لتلك القيادات على ضوء ظروفها المختلفة .

1- **الو اقيعية :** وهي عدم لجوء القيادة العامة للقوات المسلحة إلى الخطط الطموحة التي تفوق الإمكانيات أو القدرات ، بل يجب مسبقاً الإتفاق على الأهداف والإجراءات للوصول لتلك الأهداف . أيْ تقدير الموقف من حيث الواقع والمقبول والممكن ، و ليس مجرد أُمنيات لا تتحقق .

2- **الشمولية :** يجب أنْ تشمل أيّ خطة تطوير للمجتمع العسكري كل الأسلحة والصنوف والمناطق العسكرية الجغرافية بدون استثناءاتٍ ؛ كما فعل القذافي في تفضيله الكتائب الأمنية وبقايا الحرس الجمهوري وقوات الردع على بقية الأسلحة . وذلك لأنَّ القوات المسلحة بأسلحتها وصنوفها متداخلة ومترابطة ويؤثر كلاً منها في الأخر تاثيراً مباشراً وبالتالي فإنَّ إحداث أيّ تغييرٍ في سلاحٍ أو صنفٍ يستلزم تغيراً مماثلاً في بقية الأسلحة والصنوف وبنفس القدر وفي نفس الإتجاه ، وذلك منْ أجل تجنب النمو غير المتوازن للجتمع العسكري ، ومما لاشكَّ فيه أنَّ النمو المتوازن للقوات المسلحة سوف يساعد على تحقيق تكافؤ الفرص بين العسكريين أو بين الوحدات ويحقق العدالة الإجتماعية العسكرية .

3- **الإستمرارية :** وتعتمد على متابعة تنفيذ الخطط المطروحة والإعداد لخططٍ جديدةٍ بحيث تستجيب للظروف المتغيرة بلا توقف .

4- **التوازن بين التسليح وإمكانيات الأفراد :** من أجل رفع الكفاءة القتالية للأفراد والوحدات يجب أنْ تتضمن خطة تطوير التسليح مشروعاتٌ للتنمية العسكرية فلا نهمل الجانب الإنساني في خِضَّم البرامج التدريبية على الأسلحة الجديدة ، وهذا موضوع يطول فيه النقاش خاصةً ما يجب أنْ تتضمنه برامج التنمية العسكرية أو الأولوية بين التنمية والتسليح ، أعتقدُ أنَّ الإهتمام بالتسليح فقط سيؤثر عاجلاً أو أجلاً على مستوى رفاهية العسكريين ودرجة اشباع حاجتهم .

5- **التو افق بين مكونات الخطط وآليات تنفيذها :** مثالٌ على ذلك فإنَّك لا تستطيع إنشاء إتحادٌ رياضيٌّ عسكريٌّ بدون خبراء رياضيين محترفين ، أو أنَّ تُنشيء إدارة المصائف العسكرية والقوات المسلحة بكل امكانيتها وأسلحتها تخوض معركةً تحددُ مصير الأمة .

6- **تقدير الموقف السياسي الداخلي والخارجي**

7- **تقدير الموقف الإقتصادي وميز انية الجيش**

8- **المرونة :** يجب أنْ تكون عنصر الخطط قابلة للتغيير في أيّ وقتٍ بناءً على ما قد يحدث من مفاجئاتٍ يصعب التنبؤ بها ، و أنْ تكون هذه الخطط قابلةٌ للتنفيذ في فترةٍ زمنيةٍ محددةٍ بعنايةٍ .

9- **التو افق بين خطط تطوير المجتمع العسكري وبين خطط تطوير المجتمع ككلٍ .**

الباب الخامس
الوعي العسكري

مفهوم الوعي العسكري وتعريفه

الوعي العسكري هو عبارةٌ عنْ جملة المفاهيم والأفكار العسكرية والثقافة العسكرية التي توجه حركة العسكري ومتوالياتها المتعددة . لهذا نجد أنَّ الوعي العسكري يختلف منْ جيشٍ إلى آخرٍ ، باختلاف المفاهيم المهيمنة على مسار المجتمع العسكري ، وطبيعة فهم العسكري إلى تلك المفاهيم والحوافز التي تخلقها المفاهيم العسكرية في حياة العسكريين ، وربَّما يعتقد الكثير منَ العسكريين أنَّ الوعي العسكري هو مجرد نصوصٍ لفظيةٍ أو شعاراتٍ يلوكها اللسان أوِ امتلاك القدرة على توصيف واقع المجتمع العسكري أو الموقف بجملةٍ منَ الكلمات والألفاظ البراقة ، في حين أنَّ وجهة النظر هذه ومتوالياتها النفسية والإجتماعية والثقافية ، أضاعتِ الكثير منَ الفرص التي كان بإمكان المجتمع العسكري أنْ يغتنمها ويترجمها إلى حقائقٍ اجتماعيةٍ وثقافيةٍ تطور منْ واقعه وتنهي الكثير منْ أزماته . ومنْ جراء هذا الفهم المغلوط للوعي العسكري تحولت فرص النمو إلى مهاوٍ تزيد منْ تعقيد المشكلة وتضيف لها أبعاداً أخرى . وتظهر أعراض هذا الفهم المغلوط في المؤشرات والمسارات التي تسير على هداها المجتمع العسكري . أهمها أساليب التنشئة العسكرية ومستوى الثقافة العسكرية ؛ وبهذا نستطيع أنْ نحدد مفهوم الوعي الاجتماعي بالعناصر التالية :

1. مجموع المفاهيم والقيم المتداولة في الحياة العسكرية ونظام الطبقات العسكرية .
2. تفسير العسكريين وفق ظروفهم ومستوياتهم المختلفة ، إلى تلك المفاهيم والقيم العسكرية .
3. تجربة العسكريين اليومية في الالتزام بهذه المفاهيم ، ونظام علاقاتهم السائد في المعسكرات ، وبينهم وبين المجتمع خارج الأسوار .

ومن وجهة نظري ، فإنَّ الوعي العسكري ليس مفهوماً ناجزاً ومكتملاً ، وإنَّما هو دائم التغير سلباً أو إيجاباً بسبب تغيرات المجتمع العسكري المختلفة ، لذلك فإنَّ بقاء الوعي العسكري ثابتاً والمجتمع العسكري متغيراً هو الذي سيؤسس لفهمٍ مغلوطٍ ومشوهٍ لمعنى الوعي العسكري ، منَ هنا فإنَّ شرط الوعي العسكري الفعَّال هو وجود فكرٌ عسكريٌّ يوجه ويدعم هذا الوعي ، ويؤسس لحالاتٍ تغيرٍ تهدف إلى رقيّ وتقدم المجتمع العسكري وبالتالي الجيش ، ويجب علينا كعسكريين محترفين أنْ نستوعب هذه الأفكار العسكرية " التنويرية " ونوفر لها الأطر الطبيعية ، لكيْ تأخذ مسارها في التفاعل مع واقع المجتمع العسكري وتنضج المفاهيم والقيم العسكرية وتتبلور المسارات وتعم الحيوية والنشاط في المؤسسة العسكرية كلها .

إذنْ يقصد بالوعي العسكري أنْ يكون العسكري دائماً واعٍ بنفسه مدركاً لأحاسيسه ورغباته وخبراته العسكرية وذاته العسكرية ، واعٍ بالأفكار والصور الذهنية التي تمر في عقله بوصفها حالةً عقليةً منَ اليقظة ، ويستجيب لمؤثرات البيئة العسكرية منْ حوله استجابةً صحيحةً . ويجب أنْ يبدأ العسكري منذ تنشئتهِ بإدراك ذاته العسكرية ، وفهم ما يدور حوله داخل المعسكر وخارجه سلماً أو حرباً ، حيث يرتبط

الوعي العسكري بالخدمة العسكرية والمجتمع العسكري الذي يجب أنْ يتطور على أساس تقسيم الخدمة والعسكري نفسه ليدخل في علاقاتٍ إجتماعيةٍ عسكريةٍ تتولد منَ الحياة العسكرية ، والقيم والقواعد الأخلاقية التي يفتخر بها المجتمع العسكري ، كما يؤدي النشاط الذي تقوم به وحدته إلى قيام علاقاتٍ اجتماعيةٍ عسكريةٍ ، تحكمها و تنظمها علاقاتٌ قانونيةٌ في السلم والحرب ، ومثل هذه العلاقات الإجتماعية العسكرية يجب أنْ تتميز بكونها علاقاتٍ واعيةٍ دائماً ، وبقدر ما يكون العسكري على وعيٍّ بعلاقاته ونشاطاته المختلفة خارج المعسكر ، وبقدر ما يكون على وعيٍّ بالعلاقات الإجتماعية العسكرية ستتشكل في أدائه أفكارٌ معينةٌ ويصبح منْ خلالها على وعيٍّ بحياته ووجوده وكينونته ، كما ستظهر له أفكارٌ قانونيةٌ وسياسية عسكريةٌ وأخلاقيةٌ ودينية،فلسفيةٌ وعلميةٌ يُقِيم العسكري على أساسها العلاقات الإجتماعية العسكرية أُسمِّيها : " أيديولوجيا العسكر" .

أيْ أنَّ الوعي العسكري هو الأفكار العسكرية المختلفة منْ ضمنها الإستراتيجية بالضرورة إذا كان ظابطاً ، ولهذا نرى كثيراً منَ العسكريين السطحيين الذين لا يشعرون بما يدور حولهم ؛ ويجب أنْ نقرأَ في هذا المفهوم ليس فقط علم الأفكار ، بل نسقٍ عامٍ منَ التفكير والإتجاهات والعواطف تجاه الجيش كمؤسسةٍ حكوميةٍ والمجتمع العسكري كوطنٍ ، إنَّ الإيديولوجيا العسكرية هي الوعي بالموقف العسكري الراهن والمُستقبلي ولا يدركها إلاَّ هؤلاءِ العسكريين العقلانيين الذين لديهم إدراكٌ عقلانيٌّ للعلاقة بين واجباتهم وطرق تنفيذها وعلاقاتهم داخل المعسكرات وخارجها ، وهذا يعني أنَّ بعض طبقات المجتمع العسكري لا يمكن أنْ تدرك وضعها الحقيقي ولنْ يكون لديها وجهة نظرٍ أو سلسلةٍ منَ الأفكار تطبقها باعتبارها نافعةٌ ، وهذا يعني أنَّ لديها وعياً زائفاً .

إنَّ الوعي كصفةٍ إنسانيةٍ توجد لدى كل البشر إلاَّ أنَّ الإختلافات بين العسكريين تظهر في مضمون هذا الوعي ، وما يرتبط به منْ واجباتٍ ، ومواقفٍ عسكريةٍ وأحداثٍ أو موضوعاتٍ أو قضايا إجتماعيةٍ أو سيساسيةٍ أوِ اقتصاديةٍ ، وتعتمد التنمية العسكرية في جانبٍ منها على هذا العنصر إذْ ينبغي توافر عنصر الوعي العسكري على كل مستويات القيادة ، وصغار الضباط بشرط أنْ تلعب دوراً هاماً في تبصير الجنود بالواقع المجتمعي المتخلف وكيفية إحداث التنمية العسكرية ، وذلك منْ خلال استخدامها لمصادر القوة التي يمكن بواسطتها تشكيل وعيٍّ عسكريٍّ تشكيلاً حقيقياً وغير مزيفاً و كما أسلفتُ إنَّها: " فلسفة التنوير الإجباري".

ويعتبر مفهوم الوعي العسكري منَ المفاهيم المرادفة لمفهوم الثقافة العسكرية إلاَّ إنَّه أشمل منَ الثقافة العسكرية ، أيْ أنَّ الثقافة العسكرية جزءٌ منَ الوعي العسكري ، ولا يتطلب وجود الوعي وجود معارفٍ تمثل الثقافة بل أنَّه كلما ارتفع الوعي لدى العسكري زادتْ رغبته في التعرف على كل ما هو جديدٌ ومفيدٌ كالثقافة العسكرية والعامة ، أوِ المطالبة بالحقوق للمرأة ودورها في المجتمع العسكري على سبيلِ المثال ، ويوضح ذلك أنَّ الثقافة والتغير الثقافي يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالوعي العسكري .

ويعتبر الوعي العسكري منَ الموضوعات ذاتِ الأهمية القصوى في حياة العسكريين والمجتمعات العسكرية في مختلف الجيوش على حدٍ سواءٍ ؛ فالوعي العسكري هو نتيجةٌ للتفاعل بين أنفسنا كعسكريين وعالمنا العسكري المادي المحيط بنا في المعسكرات والثكنات ، وهو يلعب دوراً هاماً في التطور المجتمع العسكري ، سواءَ كان هذا الدور إيجابياً أو سلبياً ، فالأفكار التى توجد لدى العسكريين قد تساعد على تطور المجتمع العسكري أو قد تكون عائقاً أمام هذا التطور. ويمكن أنْ نستخدم مصطلح الوعي العسكري بطرقٍ عديدةٍ : لوصف عسكريٍّ بكونه متيقظاً وحساساً ، أو لوصف عسكريٍّ آخرٍ بكونه يدرك شيءً ما لا ندركه ، أو للإشارة إلى خاصيةٍ منْ حالات الذهن كالتفكير . ويشتق مفهوم الوعي في اللغة العربية منْ الفعل وعى ، يقول : قاموس محيط المحيط ، وعى الشيء والحديث يعيه وعياً : حفظه وتدبره وقبِله وجمعه وحواه ، وأوعى الشيء والكلام : حفظه وجمعه ، ووعى الغلام : ناهز الإدراك . فالوعيُ يعنى لغةً الإحاطة بالشيء وحفظه واستيعابه والتعامل معه أو تدبره . أيْ حالة إدراك الشيء وتعقله .

ويشير الوعي العسكري إلى إدراك العسكري لذاته ولما يحيط به في المعسكرات إدراكاً مباشراً ، وهو أساسُ كل معرفةٍ عسكريةٍ . كما يشير الوعي العسكري على قدرة الفرد على الفهم وسلامة إدراكه ، ويقصد بهذا الإدراك إدراك العسكري لنفسه وللبيئة العسكرية المحيطة به . ولعل هذا يعني فهم العسكري لذاته ولوحدته وسلاحه وزملائه عند تفاعله معهم سعياً لإشباع حاجاته النفسية والعسكرية ، وأدآء واجباته وهو مدركٌ للعلاقات بينه وبين زملائه والبيئة العسكرية والموقف في ميدان المعركة في حالته المختلفة .

إنَّ قدرة العسكري على إدراك ذاته بوصفها موضوعاً يتعلق بالماضى والحاضر والمستقبل ، مدركاً لبيئته العسكرية المحيطة به ويرتبط بمفاهيمٍ أساسيةٍ مثل : الخبرة العسكرية والتفكير الواعي . وبالتالي فإنَّه منَ الضروري أنْ يرافق إدراك العسكري وجود وعيه . ولكِّننا نرى في بعض الأحيان عسكريين لهم واعيٌّ غير مكتملٍ وإنَّما يملكون شكلاً محدوداً منَ الوعي العسكري يناسب مرحلة تطوره العسكري ، وذلك لأنهَّ لنْ يكون قادراً على الربط بين الواجبات والمواقف والأحداث الماضية والمستقبلية التى تؤثر في حياته المهنية . وأحياناً يتوقف هذا الوعي في مرحلةٍ معينةٍ منْ تطوره ويبقى رهينةً لأفكارٍ متخلفةٍ أو عدم قدرة العسكري على تنمية وعيه ، فتجده ذو رتبةٍ عاليةٍ ولكنَّه لا يدرك شيءً ممَّا يدور حولَه أفنى حياته العسكرية ولم يحملْ أيَّ فكرٍ ، وهذه هي السطحية العسكرية التي تسبب في تأخر المجتمع العسكري خاصةً إذا كان صاحبها في منصبٍ مهمٍ وحساسٍ أو كان مُتنفذٍ في محيطه العسكري .

ويمكن أنْ يكون الوعي العسكري كامناً لأغراضٍ لفظيةٍ أو طقوسٍ عسكريةٍ أو للسيطرة السلوكية العسكرية كالأحاسيس والمشاعر نحو زملاء والأصدقاء والولاء للجيش وحب الوطن والضبط والربط العسكري ، فعندما ننظر أو نتأمل مع عمل المعلومات في عقولنا أو نتذكر شيئاً فإنَّ كل ذلك يعمل في إطار تمكين عملية الوعي العسكري ، أو ظاهرياً يتعامل مع الخبرة العسكرية ذاتها أو التسليح والإستراتيجية العسكرية بما تشمله منْ أفكارٍ عسكريةٍ وسياسيةٍ وفنون القتال ونظرياته . ويمكن تصنيف جوانب الوعي العسكري وظواهره فى ثلاثِ فئاتٍ أساسيةٍ هي :

1- الوعي الوظيفي التعبوي: وهو وعيٌ عمديٌ ، يستلزم وجود علاقةٍ عقليةٍ بتخصصٍ عسكريّ والسلاح والصنف ، ويشمل ظواهر مثل التفكير ، وأنْ يصبح على وعيٍّ بوجود عسكريين آخرين يشاركونه هذا التخصص ، وتنفيذ لواجباتٍ معينةٍ بصورة فرديةٍ أو جماعيةٍ في السلم أو في الحرب ، ومعرفة العلوم التطبيقية الخاصة بهذا التخصص ، إنَّ الوعي العسكري هنا يقف على الإهتمام بالعتاد والأسلحة والتَميُّز عنِ الأقرانِ فيها . وهو موجهٌ نحو هذا الهدف توجيهاً ملموساً .

2- الوعي الحسّي: وهو أنْ يملك العسكري خبراتٍ حسّيَّةً وإدراكيةً ، لها دلالاتٌ كأنْ يشعر بالعواطف كروح الفريق ويستمتع بالصور العقلية أيْ أنَّه وعيٌ تجريبيٌ ملموسٌ .

3- الوعي الضبطي : وهو قدرة العسكري على فهم نفسه وشخصيته العسكرية والتحكم فيها . وفهمه لقادته وزملائه فهماً سليماً ، فإنَّ الوعي يعطي دوراً فى السيطرة على السلوك والضبط والربط العسكري . فالإنسان يتحدث عنْ فعل الأشياء بوعيٍّ أو بدونهِ كسلوكٍ تلقائيٍّ آليٍّ مقابل السلوك الذى يتحكم فيه الوعى .

ويبداء الوعي العسكري بالضهور مع بداية التنشئة العسكرية ، تلك التنشئة التي تتحدد بدايةً بظروف الطبيعة العسكرية وإمكاناتها حيث يبداء العسكري المستجد في إنتاج حياته المادية والعقلية الجديدة ، والإنتباه إلى الظواهر العسكرية التى يتم تجربتها واستيعابها . ويرتبط وعي الفرد بالحياة العسكرية منْ خلال حواسه باعتبارها وسيلة بناء التوجهات والإرادات . وبالتالي فإنَّ ممارسة الإنتباه والتفكير والضبط تسمح بدرجةٍ منَ السيطرة الواعية على ذاته منْ خلال أدآء واجباته باعتبارها أفعالٌ عقليةٌ مشتركةٌ ، وإشباع حاجته . أيْ إنَّها القدرة على الوعي التى تسمح للعسكريّ تدريجياً بالتأقلم مع واقع الحياة العسكرية وفهمه المنطقي لها والتكيف معها باعتبارها وسيلةٌ لتحقيق أهدافه . ومنْ خلال وعيه يستطيع العسكري تصور الطرق الطبيعية لأدآء واجباته وتصرفاته والتواصل مع قادته وزملائه وفهم أنماط كلامهم وتصرفاتهم الإعتيادية . ووعي العسكري هو الذى يحدد وجوده ويميزه عنْ أقرانه ويبعد عنْه شبح السطحية ، فلا يتحدد وعيه بوجوده الإجتماعي كالأقدمية أوِ المنصب . إنَّ الوعي العسكري نتيجةٌ للتفاعل بين أنفسنا وعالمنا العسكري المحيط بنا ، والذى منْ خلاله نستطيع ممارسة شخصيتنا العسكرية أو سلطتنا ويتم تأكيد واقعها .

إذنْ فالوعي العسكري هو مجموع الأفكار والعقائد العسكرية والمشاعر الإنسانية والإجتماعية العسكرية والعادات و القيم العسكرية التى تعكس واقع المجتمع العسكري . وبما أنَّ هذا المجتمع يتصف بالتعقيد والتنوع ، فإنَّ الوعي العسكري يتصف بالتعقيد والتنوع أيضاً . ومع تغير المجتمع العسكري سلباً أو إيجاباً فإنَّ الوعي العسكري يتغير أيضاً رغم أنَّ الوعي العسكري يكون مستقلاً نسبياً ، أيْ أنَّنا ربَّما نجد بعض القادة والعسكريين الواعين جداً في مجتمعٍ عسكريّ متخلفٍ جداً ، فالوعي العسكري قد يتخلف عنْ تطور المجتمع العسكري أو قد يسبقه ، وتتضح هذه الإستقلالية فى استمرارية التطور المجتمع العسكري . فالوعي ليس فى علاقةٍ سلبيةٍ مع المجتمع العسكري ولكنَّه يؤثر تأثيراً إيجابياً عليه . إذنْ تستطيع القيادة

العامة للقوات المسلحة إنتاج مجتمعٍ عسكريٍّ عصريٍّ إذا أعادت إنتاج الأفراد أنفسهم في شكل عقيدةٍ عسكريةٍ ومذهبٍ وقيمٍ عسكريةٍ كما ترغب ، لأنَّ الوعي العسكري كما قلتُ هو أنْ نُحيط بواقعنا العسكري منْ جميع جوانبه بدرجاتٍ متفاوتةٍ منَ الوضوح والتعقيد .

كذلك فإنَّ الوعي العسكري يتضمن وعي العسكري بإمكانياته وقدراته القتالية والعقلية . والوعي بأهداف الجيش الكبرى وواجبات وحدته في السلم والحرب . وإدراكه لنفسه كإنسانٍ خلق ليقاتل في المجتمع العسكري الذى يعيش فيه . وإدراكه لنفسه كعضوٍ في جماعةٍ عسكريةٍ مقاتلةٍ ترتبط بمواثيق معينةٍ يفرضها القانون العسكري الصارم والقيم العسكرية . وإدراك العسكري للعلاقات التى تربط بين الظواهر العسكرية والمواقف التى يمر بها ، والقيم والمعايير العسكرية التى تحدد استجاباته المختلفة في هذه المواقف .

مستويات و أبعاد الوعي العسكري

1- المستوى الأول الوعي بالواجبات اليومية المباشرة : وهو تعبير العسكري عنْ خبرة الحياة العسكرية اليومية المباشرة والواجبات والنشطات اليومية في السلم ، أيْ أنَّه ارتباطٌ بالدوام اليومي وما يكتسب منْه منْ خبرةٍ استعداداً للمعركة ، ولذلك فهو تفصيليٌّ وتجزيئيٌّ ، ولا يتسم بالعفوية أوِ التلقائية لأنَّه جزءٌ منَ العملية التدريبية التي منْ شأنها رفع الكفاءة القتالية للأفراد ، ويرتبط بالخصائص النفسية ومدى إستعداد العسكري لذلك ، حتى يعكس وجوده الإجتماعي العسكري بخصائصه ومكوناته ، ونظراً لأنَّ هذا الوجود الإجتماعى العسكري طويلُ الأمد ، والخصائص النفسية المتعينة بناءً عليه متصلةٌ بمراحل خدمة الفرد التي مضتْ ، فإنَّ خصائص أنماط وجوده السابق خصائص نفسية مرتبطةٌ بهما ، تنعكس هي الأخرى منْ خلال الخبرات اليومية والمباشرة لهذا العسكري .
2- المستوى الثانى الوعي بالعقيدة العسكرية والمذهب العسكري : الذي سوف يعكس الطبقة العسكرية التي ينتمي إليها العسكري ، ويأتى إدراكاً وتصوراً لتلك الطبقة وما تحويه منْ علاقاتٍ وواجباتٍ في السلم والحرب ، وما توجد فيها منْ تناقضاتٍ ، وأيضاً تصوراً للعلاقة سواءً كانت علاقاتٌ قياديةٌ أو تنفيذيةٌ تتعلق بتنفيذ الواجبات والمهام و كيفية تنفيذها بالصورة الصحيحة ، والتفاعل الإجتماعي والنظام العسكري ..إلخ ..ويحاول منْ منظورِ الفترة الزمنية التي أمضاها في الخدمة فهم جوهر الواقع الإجتماعى العسكري وظواهره وقوانينه التى تحكم سيرورته واستقراره .
3- المستوى الثالث الوعي التعبوي : وهو التمكن والإبداع في التخصص العسكري ، وتوظيفه لخدمة مصالح الجيش و عقيدته العسكرية ، وهو أيضاً نتاجٌ لتراكمات الماضي ، والإتصال العلمي مع جيوشٍ أُخرى صديقةٌ أو حليفةٌ .

وأمَّا الأبعاد فهي وعيٌ فرديٌّ : يعبر عنْ عسكريّ له ظروفه النوعية الخاصة ، ويعكس وجوده كفردٍ ينتمي إلى المؤسسة العسكرية . و وعيٌ طبقيٌّ : ويعني الوعي على مستوى طبقةٍ محددةٍ منَ المجتمع العسكري ، وهو إدراك وتصور كامل أفراد الطبقة بمختلف رتبهم ومناصب وتعدد وظائفهم في التخصص الواحد للمجتمع العسكري وواجباتهم وأهدافهم وطبيعة الحياة العسكرية . و وعيٌ مجتمعي : يعكس ويضهر الوجود الإجتماعى العسكري بكل إيجابياته وواجباته وأهداف الجيش الكبرى ككلٍ ، وبتباياناته وتناقضاته ، ويشير إلى إدراك وتصور قضايا المجتمع العسكري الأساسية . وهذه المستويات والأبعاد لا توجد منعزلةٌ عنْ بعضها ، أو عنْ تاريخ هذا المجتمع العسكري أو ذاك ، لأنهَّا متفاعلةٌ جدلياً .

إنَّ الوعي الفردي والوعي المجتمعي يتبادلان التأثير والتمييز بينهما ويكشفان أمرين : الأول أنَّ الأبعاد الفردية معرفيةٌ تعتمد على فترة الخدمة وكذلك العقيدة العسكرية ، وتؤثر فى الوعي المجتمعي بالإضافة إلى تأثره بتفاعل الأفراد في المجتمع العسكري . والثانى درجة انعكاس الوعي وشكله ومحتواه . فالوعي الفردي انعكاسٌ للعسكري نفسه ، أمَّا الوعي المجتمعي أكثرُ تعميماً وتجريداً ، فهو يعكس القيم وقواعد العلاقات العسكرية بين الطبقات والأفراد . فالوعي المجتمعي هو الذى يعكس خبرة الجيش وبالتالي كفأته القتالية وجاهزيته ويكسبهما شكلاً ومحتوىً عسكرياً قتالياً ، و يعمقهما وينشرهما ، وبالتالي تندمج القدرات والإدركات الفردية وتتكامل فى تصورات الجيش ككلٍّ ، مما يكسبه قوةً و هيبةً ، ووزناً بين الدول ويحقق مصالح الأمة وتصوراتها وأهدافها الإستراتيجية .

ولا يمكن فصل الوعي المجتمعي عنِ الوعي الفردي ، ذلك لأنَّنا إذا فكرنا في أنفسنا كعسكريين محترفين سنفكر منْ خلال الحالة المجتمعية نوعاً ما ، وإذا فكرنا بالجيش سنفكر في أنفسنا كأفرادٍ ينتمون إليه بالضرورة . فالأمران يسيران معاً جنباً إلى جنبٍ ، إنَّ معظم وعينا لحالات عقلنا الواعي ستصبح بالتالي وعياً اجتماعياً عسكرياً ، لأنَّ إحساسنا بعلاقتنا كزملاءٍ أو قادةٍ ومرؤسينَ جزءٌ منَ العلاقات الإجتماعية العسكرية ، فالأنا العسكرية والمجتمع العسكري توأمان ، ونحن نعيش أحدهما فى نفس اللحظة التى نعيش فيها الآخر.

والنظرة إلى المجتمع العسكري والتأمل في مشاكله أو أهدافه أو واجبات الجيش عامةً أوِ الوحدة خاصةً هي أحد جوانب الوعي العسكري وهي تشمل العقيدة العسكرية والإفتراضات والمواقف والقيم العسكرية والأفكار التي تشكل نموذجاً شاملاً لواقع هذا المجتمع المعقد المنغلق على نفسه ، وهي تشمل أيضاً تاريخ الجيش وحروبه السابقة وانتصارته وهزائمه على حدٍ سواءٍ وتحاليلها وتفسيراتها وحاضره ومستقبله . وكذلك فإنَّ نظرة الشعب إلى الجيش وتأثيرها في أهدافه أوِ التفاعل معه ، ستؤثر تأثيراً عميقاً على سياسة الجيش ونظرته المستقبلية ، وتشكل تصورات القيادة العامة للقوات المسلحة ودوافعها وقيمها الواعية وغير الواعية على حدٍ سواءٍ . كما تشكل سلوك العسكريين بمختلف رتبهم ومناصبهم وعلاقاتهم وتفاعلاتهم الفردية والإجتماعية ، في السلم والحرب . أيْ أنَّ الوعي العسكري منْ هذا المفهوم هو الإدراك الواعي لكوننا جزءاً منَ المجتمع العسكري أيْ وعي العسكري بكونه جزءاً منْ كلٍ أكبرٍ وهو الجيش . بمعنىً آخرٍ كيف سيؤثر هذا العسكري في محيطه وكيف سيتأثر هو منْ هذا المحيط .

إنَّ تنمية الوعي العسكري عمليةٌ تنطوي على زيادة الوعيب أهداف الجيش وعقيدته ومذهبه وتاريخه ومجتمعه المعقد ، والقدرة على التفكير وتقدير المواقف المختلفة أثناء الأعمال القتالية أو أثناء الدوام اليومي المباشر ، وما وراء ظروف الحياة اليومية المباشرة في المعسكرات و الثكنات .

وترتبط تنمية الوعي العسكري بسلسلةٍ منَ التحولات فى النظرة إلى المجتمع العسكريو يعزز الوعي العسكري ويحفز تحولاتٍ أخرى فى النظرة إلى المجتمع العسكري . ويمكن تحديد عدة عواملٍ لتنمية الوعي العسكري منها :

1. يتشكل الوعي العسكري بدون معرفةٍ بالعوامل الإجتماعية العسكرية والثقافة العسكرية والعقيدة العسكرية .
2. يكتسب العسكريون الوعي العسكري بخبراتهم الطويلة ومدة خدمتهم بالقوات المسلحة عبر التفكير والتأمل .
3. إرتباط الأفراد بالمجتمع العسكري ارتباطاً وثيقاً والمساهمة في تطويره منْ خلال بعض الإجراءات المتخذة منْ قبلِ القيادة العامة للقوات المسلحة .
4. يعتقد العسكريون اعتقاداً راسخاً أنَّهم جزءٌ منَ المجتمع العسكري ، وتنفيذ الواجبات والمهام مع الآخرين و المشاركة في إنشاء أو تشكيل البيئة الإجتماعية العسكرية المنشودة .
5. يظهر العسكريون شعوراً بالترابط الضروري وروح الفريق التي يتميزون بها في مجال الخبرات العسكرية المختلفة و مشاركتها وبروز هذا الشعور في الطبقات الإجتماعية العسكرية ، الأمر الذي يحفز على التطور الإجتماعي العسكري .

وأخيراً نستطيع أنْ نحدد الوعي إجرائياً بدراسة معارف العسكريين وخبراتهم واتجاهاتهم وقيمهم العسكرية وممارساتهم وضبطهم وربطهم العسكري وثقافتهم العسكرية في المواقف المختلفة ذات الصلة بحاضرهم أو مستقبلهم . أيْ دراسة ذلك النمط منْ إدراك الواقع الإجتماعي العسكري بجوانبه المختلفة ، أو التصور الفكري والصورة الذهنية التي يحملها العسكري لهذه الجوانب .

تشكيل وتنمية الوعي العسكري

إنَّ شيوع حالات التخلف والفوضى في أيّ جيشٍ ، ترجع إلى غياب القيادات الجادة التي تستطيع أنْ تستوعب الأفكار التنويرية الجديدة ، أو بسبب ردود الفعل السلبية التي تُؤْثِر السكون والتبلد وتكلس الحياة الإجتماعية العسكرية . لهذا فإنَّه منَ الضروري توفر القيادات المناسبة التي تستوعب الأفكار الجديدة ، و المقترحات الهادفة إلى التطوير وإعادة صياغة وتشكيل الوعي العسكري بما ينسجم ومتطلبات المرحلة وضرورات التقدم العسكري .لهذا منَ الضروري أنْ تتعامل القيادة العامة للقوات المسلحة برؤيةٍ منفتحةٍ بعيدةً عنْ لغة الرفض والتخوين ، لأنَّ تطور الفكر العسكري يشكل شرطاً ضرورياً لتحقيق تطور الجيش . فلا وعيٌ عسكريٌّ ، إلاَّ بفكرٍعسكريٍّ تنويريٍّ ، ولا فكرٌ عسكريٌّ إلا بوجود قيادتٍ تستوعبه . وهكذا يصبح الفكر العسكري شرطاً منْ شروط الوعي العسكري ، بمعنى أنَّ وعي العسكري بذاته وبالآخرين

وبواجباته ، لا ينجز إلاَّ على قواعد الأخلاق و القوانين والقيم العسكرية ، تعاقب المخالف ، وتجعله على طاولة التقويم . و إجبار كل العسكريين بمختلف الرتب والمناصب وإرغامهم على نمطٍ اجتماعيٍّ عسكريٍّ موحدٍ . وبالتالي فإنَّ الإصرار على إيجاد مسافةٍ تفصل الوعي العسكري السائد ، عنِ الفكر العسكري ، يؤدي إلى عجز المجتمع العسكري تجاه مشاكله وبالتالي تحديات الأمة المصيرية .

إنَّ وعي العسكري لذاته العسكرية انعكاسٌ مباشرٌ لوجوده كفردٍ منْ أفراد القوات المسلحة ، في حين أنَّ الوعي المجتمعي يتحوي على درجاتٍ أكثر تعميماً وتجريداً ويجب تمييز الوعي المجتمعي بأنَّه يعكس الروابط والعلاقات بين العسكريين وطبقات المجتمع العسكري فالوعي المجتمعي هو الذي يعمم خبرة الوعي العسكري ويكسبها شكلاً ومحتوىً عسكرياً كما أسلفنا ، وينشرهما بين أفراد والطبقات المجتمع العسكري وبين أفراد الشعب ، وبالتالي تندمج إدراكات العسكريين الفردية وتتكامل في تصورات المجتمع العسكري ، ما يكسبها طابعاً موضوعياً عسكرياً ، ميزانه مصالح الأمة وتصوراتها وأهدافها . و يشكل الوعي العسكري السمة الأساسية التي يتفرد بها العسكريون عنْ بقية أفراد الشعب . ويرجع ذلك إلى أنَّ العسكري الواعي يجب أنَّ يتفاعل مع محيطه خارج المعسكرات كتفاعله داخلها ، وإلى النشاط الإجتماعي العسكري المتفرد بمفاهيمه وقيمه . كما أنَّه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسلطة والمجتمع السياسي ، الذي له تأثيرٌ هائلٌ سواءً في نشوء الوعي العسكري أو في تطوره ، وصولاً إلى التفكير الإستراتيجي المجرد .

ومنْ خلال التنشئة والتدريب وتنفيذ الواجبات والمهام والتجربة العسكرية والمناورات والدورات في الدول الصديقة والحليفة ، ومنْ خلال العلاقات الإجتماعية والثقافية العسكرية ستتطور مدارك العسكريين الذاتية ، وسيتمايزون بدرجات نضجهم العقلي والمعرفي ، ينفذون واجباتهم بصورةٍ صحيحةٍ على الطبيعة العسكرية بهدف إخضاع قواها لاحتياجاتهم العسكرية ، ومِنْ ثمَّ على مَنْ هم أدنى رتبةً ، لتعزيز كفأتهم القتالية ومنافسةً في زملائهم . أعتقدُ أنَّ الوعي العسكري هو نتاج للتطور الجيوش و مجتمعاتها ، ونستذكر هنا قول لينين : « إنَّ وعي الإنسان لا يعكس العالم الموضوعي فحسب ، وإنمَّا يخلقه أيضاً » . فالوعي حالةٌ عقليةٌ يكون فيها العقل في حالة إدراكٍ ، وتواصلٍ مع محيطه الخارجي ، عنْ طريق منافذ الوعي وهي حواس الإنسان الخمس . فمثلاً عندما نقول: « إستلام المهمة أوِ الواجب » ، فإنَّنا نقصد منْ ذلك معرفة وإدراك هذا الواجب منْ جوانبه المختلفة ، و تنفيذه تبعاً لهذه المعرفة ومتطلباتها .

ومنْ أجل تطوير الوعي العسكري أو إعادة بنائه لا بد منْ تغيير الواقع المجتمع العسكري المنتج لهذا الوعي . إذْ لا يمكنْ أنْ ننجح في بناء وعيٍّ مجردٍ بعيدٍ عنْ ظروفِ العسكريين المعيشية والثقافية ، وإلا أصبح ذلك نوعاً منْ تزييف الوعي وتشكيل صور غير حقيقية في أذهانهم ، أيْ أنَّ الوعي العسكري يجب أنْ يرتبط بالسلوك العسكري والخبرة العسكرية واللغة ودلالاتها .

وتشكيل الوعي العسكري وإقامته يجب أنْ يكونَ على أُسسٍ عسكريةٍ منطقيةٍ تترسخ في الأذهان ، ويخضع إلى تخطيطٍ متكاملٍ ، بحيث يتم تطوير وترسيخ الوعي العسكري في مختلف مراحل التنشئة العسكرية والتدريب والحياة اليومية في المعسكرات ، وليس على شكل دوراتٍ منفصلةٍ عنْ بعضها وعنْ واقع

المجتمع العسكري ، وإنَّ أيّ عمليةٍ تدريبيةٍ لا تواجه الفكر الطائفي والمذهبي والتكفيري والظلامي والشعوبي ، منْ خلال نشر المعرفة العلمية بكل مناحي الحياة العسكرية ، وإشاعة العقلانية العسكرية ، والفكر العسكري ، ومفاهيم المواطنة وحرية التعبير ونشر ثقافة التسامح وحق الإختلاف بالآراء والأفكار ، لنْ يكتب لها النجاح ، ولنْ تتمكن منْ تكوين وعيٍّ عسكريٍّ فعَّالٍ ومؤثر في مسيرة التنمية العسكرية لأيّ جيشٍ .

إنَّ تشكيل الوعي العسكري والهوية الوطنية بمختلف رموزها لا تحدث مرةً واحدةً ، وإنَّما تتطور مع الأحداث و المنعطفات التي تمرُّ بها الأمة . وترتبط هذه التطورات بوحدة الأُمة ووحدة الفكر العسكري وتؤثر بدورها على تطور المجتمع العسكري ، خصوصاً إذا ارتبط بمشاكل تعدد الثقافات الشعبية والدينية ، مثلما ستتأثر الإستراتيجية العسكرية والمعارف الفلسفية . وأعتقدُ أنَّ هذا التطور الفكري سينتج عاجلاً أو آجلاً " الأنثروبولوجيا العسكرية ". وبالرغم منِ التشابه بين النزعة التنويرية العسكرية وبين النزعة التنويرية الثقافية والفكرية التي تظهر عند مفكرين في الأهداف والغايات إلاَّ أنَّ النزعة العسكرية تكون أشد وطأَةً ، وعلينا التفريق بين التيارين الفكريين . فيتمثل التيار الاول بالنزعة الردكالية العسكرية ، والثاني بالنزعة الإنسانية المتمركزة على الذات أو الفكر أو عقيدةً دينية . ولا يتخذ التيار الأول منَ النصوص الدينية المقدسة مرجعيةً له . أما الثاني فيتجسد لدى الفلاسفة أو رجال الدين ، وسيتخذون أعلاماً مشهورةً مرجعيةً لهم . أيْ أنَّ الفكر العسكري أحداث قطيعةً مع الأديان وحقق استقلاليةًكاملةً ، في حين لم تستطعْ النزعة الإنسانية تحقيق استقلاليتها كاملة منْ المرجعية الدينية .

دور إدارة التوجيه المعنوي في تشكيل وتنمية الوعي العسكري

إنَّ لِنشاط إدارة التوجيه المعنوي ذات الوعي المتميز في أيّ جيشٍ أهميةٌ قصوى في خلق الوعي العسكري فتُبدد الجمود وتُنهي الرتابة وتبث الحيوية والحياة في أرجاء المجتمع المجتمع العسكري ، وترفع منْ مستوى الكفاءة القتالية برفعها للروح المعنوية ، وتساهم في بلورة وإنضاج القيادات الجديدة ، لِتأخذ على عاتقها دور التجديد والتطوير للجيش ، وتعتبر إدارة التوجيه المعنوي أهم الوسائل المؤثرة في تكوين ثقافة المجتمع العسكري ، وفي تسريع انتشار المفاهيم العسكرية والثقافيَّة الحديثة (مثل حقوق الإنسان ، والتحديث ، وتحرُّر المرأة) وتبلور رأي العسكريين ، وانعكاسات ذلك على حركة التغيُّر الاجتماعيّ العسكري .

وتعتبر إدارة التوجيه المعنوي في أيّ جيشٍ ركيزةً مهمةً في نسقه الإجتماعي (هيكله التنظيمي) ، حيث تؤدي في الوقت ذاته العديد منَ الوظائف التي حددت الفعل منْ أجله . ولم يهتم بهذه الركيزة وبآثارها على المجتمع العسكري ، رغم قدرتها على توصيل الرسائل إلى كل العسكريين في اللحظة نفسها ، وعلى تنمية اتجاهاتٍ وأنماطٍ منَ السلوك غير موجودةٍ أصلاً ، والمقدرة على نقل المعارف العسكرية والثقافية العامة .

إنَّ " المتغير " الذي يدخل حياة المجتمع العسكري ، ويحدث خللاً في منظومة قيمه ، وتحكم كذلك رؤية قيادته للمواقف ليس ناتجٌ عنِ التطور المادي للجيش ، بل تعرض منظومة قيميه هذه لسيلٍ لا ينقطع منَ المفاهيم والتصورات المضادة والقيم المتناقضة لقيمه ، ولثقافات ٍمضادةٍ عبر مصادر معلومات متعددة ، في مقدمتها (وسائل الإعلام) المختلفة .

علاقة إدارة التوجيه المعنوي بالوعي العسكري :

إنَّ قدرة إدارة التوجيه المعنوي على مخاطبة كل الجيش والتكوين المجتمعي العسكري ، وامتلاكها الإمكانية على التأثير الذي يأخذ صورةً مباشرةً ويقوم بتشكيل الوعي العسكري بصورةٍ مباشرةٍ ، وبوتيرةٍ متسارعةٍ ملحوظةٍ . باستخدامها وسائل الإتصال الجماهيرية (منشوراتٍ عسكرية ، نشطاتٍ رياضية وثقافية ، مهرجانات ومعارضٍ عسكرية ، صحافةٍ وسينما وغيرها) ستكون عنصراً مؤثراً في حياة المجتمع العسكري باعتباره الناشر ، والمروّج الأساسي لهذه الأفكار والثقافة ، وستسهم بفاعليةٍ في عملية تشكيل الوعي العسكري للأفراد والضباط إلى جانب الطبقات العسكرية المختلفة ؛ وستكون أحد منتجي الثقافة عنْ طريق التفاعل والتأثير المتبادل مع بقية أفراد الشعب ، بالإضافة إلى ذلك فهي إدارةٌ اجتماعية هامة في المجتمع العسكري تحمل مضامين اقتصاديةٍ ، وسياسيةٍ ، وأيديولوجيةٍ ، ودينيةٍ ، وإنْ لم تكن لها القدرة على ترسيخ ثقافة المجتمع العسكري وهويته ، فإنَّها تؤدي إلى تزييف الوعي وإفساد العقول . ومنْ واجباتها أيضاً إنتاج البُنى الثقافية للتكوين المجتمعي العسكري منْ خلال الدور المعرفي المناط بها ومساعدات العسكريين في نشر أفكارهم وإنتاجاتهم العسكرية والأدبية والمعرفية المختلفة . فهي وسيلةٌ منْ وسائل الإعلام في التنشئة العسكرية والسياسية ، وقوةٌ يحسب لها ألف حسابٍ لما تملكه منْ تأثيرٍ على توجهات العسكريين ومواقفهم إزاء قضايا الأمة المختلفة ، والتأثير على أذواقهم وكل نمط حياتهم .

كما أنَّها تعتبر عاملاً مؤثراً في تنمية الوعي العسكري ، ذلك لأنَّ لديها منَ الإمكانات ما يسمح لها في تكوين القيم التي تستهدفها القيادة العامة للقوات المسلحة ، والمساهمة في إمداد المجتمع العسكري بالثقافة العسكرية وفق متطلباتها . ولا يقف تأثيرها عند حد الثقافة العسكرية وإنَّما تستطيع أنْ تلعب دوراً هاماً في عملية التنشئة السياسية للقيادات بإقامتها للملتقيات والندوات الخاصة حسب الرؤية السياسية للسلطة ، وهي أيضاً مصدراً رئيسياً في إمداد المجتمع بالمعلومات والمعارف والأفكار العسكرية و التاريخ العسكري ، و سيكون لها آثاراً مباشرةً على عملية التنشئة الاجتماعية العامة .

ولمَّا كان هناك ارتباطاً إيجابياً بين و اجبات إدارة التوجيه المعنوي والوعي العسكري ، نظرا لأنَّ النخبة العسكرية ستسهم في تسخير الوسائل ، فإنَّ فاعلية إدارة التوجيه المعنوي ستزداد كلما كانت الأيديولوجيا العسكرية التي تروج لها محددةٌ ، فإنَّ وضوح الأهداف يعني إمكانية التخطيط الناجح لها ، ووجود مجموعة القيم العسكرية بعينها تؤكد عليها دون سواها . ويستطيع النظام السياسي أنْ يستعين بإدارة التوجيه المعنوي في القوات المسلحة لنشر الوعي الإجتماعي والقيم والإتجاهات التي يختارها بين فئات الشعب وتقديم الدفاع الكافي عنْ هذه القيم وتلك الاتجاهات .

ولكيْ تستطيع إدارة التوجيه المعنوي (كمؤسسةٍ إعلاميةٍ عسكريةٍ) القيام بمهامها التوعوية العسكرية التي وجدتْ منْ أجلها عليها أنْ تعمل على :

1- تقديم برامج هادفةٍ تحقق احتياجات المجتمع العسكري منْ خلال دراسات تقييمٍ مسبقةٍ .

2- وضع آلياتٍ واستراتيجياتٍ لمواجهة المادة الإعلامية المعادية ، والتي تستهدف قيم ومفاهيم الأمة ، والعمل على تحقيق الإشباع السياسي والثقافي والمعرفي للعسكريين .

3- تعميق وعي المجتمع العسكري بمضامين الغزو الثقافي والفكري المعادي ، والعمل على إبراز القيم التنموية منْ خلال التنسيق المتكامل بين الأجهزة الشعبية المختلفة .

4- العمل على تطوير برامج واقعية تكون قادرةٌ على استقطاب الشعب ، وتناول أهم القضايا التي تمس واقع الأمة .

5- التعاون مع مؤسسات المجتمع المدني في الإسهام في التخطيط والتنفيذ والتقويم للبرامج الإعلامية التوعوية الهادفة عسكرياً .

6- التركيز على المفاهيم العسكرية وحب الوطن وتنفيذ الواجبات .

7- تعزيز وسائلها بآلياتٍ وكوادرٍ خبيرةٍ بوضع المجتمع العسكري خصوصاً والأمة عموماً منْ أجل النهوض الفكري والتنموي بالمجتمع العسكري .

8- مراقبة البرامج الإعلامية المحلية التي قد تسهم في تفشي القيم والمظاهر السلبية لدى العسكريين ، أو تلك التي تشكك في الجيش وأهدافه النبيلة ، واستبدالها بنشر قيمٍ إيجابيةٍ وتعزيز ثقافة الجيش واحترامه واحترام الرأي الآخر والإستفادة من الدروس المستفادة في الجيوش الأخرى التي مرتْ بنفس الأزمات .

السطحية العسكرية

وهي حالةٌ منْ إنفصال العسكري عنِ البيئة العسكرية التي يعيش فيها ؛ ولها صورٌ متعددةٌ أهمها :

1. إنعدام الشخصية العسكرية : وهي شعور العسكري ويقينه بعدم القدرة على التأثير في الأحداث والمواقف الجارية داخل وحدته أو بين زملائه وأقرانه ، فيشعر بعدم قيمته في المجتمع العسكري الكبير ويؤدي ذلك إلى انعدام الثقة بالنفس والتسليم بالأمر الواقع والسلبية واللامبالة وإهمال الواجبات أو عدم تنفيذها .
2. غياب الوعي العسكري : وتعنى عدم قدرة العسكري على التمييز بين المواقف العسكرية أو الأحداث الجارية على الصعيد السياسي أوِ الإجتماعي والشعبي ، فيشعر بالغموض وعدم الفهم .
3. العزلة المدنية : وسببها الرئيسي عمل بعض العسكريين في مؤسساتٍ مدنيةٍ لفترةٍ طويلةٍ ، فيشعر العسكري بأنَّ ثقافته وأفكاره وقيمه تختلف عن ْزملائه العسكريين فيشعر بالوحدة والإنعزال الفكري .
4. الغربة الذاتية : وهي عدم الرضا العسكري عنْ نفسه وعنْ خدمته العسكرية وشعوره أنَّه بلا هدفٍ .

الآثار السلبية للسطحية العسكرية

1. الإحجام عنْ المشاركة في الحياة الإجتماعية العسكرية داخل المعسكرات أو خارجها .

2. تسطيح الأزمات حتى تتناغم مع أفكاره .
3. زيادة المعارضة للفكر العسكري والتدمر الدائم منْ القيم والمفاهيم العسكرية ، والضرب بها عرض الحائط .
4. اللامبالة وعدم تنفيذ الواجبات بالصورة الصحية .
5. الخيانة

حماية المجتمع العسكري منَ السطحية

1. تنمية الوعي لدى العسكريين بقيمة الحياة العسكرية وأهدافها النبيلة .
2. تنمية الوعى لدي العسكريين بأهداف المجتمع العسكري وظروفه القاسية وحياته الخشنة .
3. تنمية الوعى لدي العسكريين بأهمية المشاركة في الحياة الإجتماعية العسكرية .
4. تنمية الفهم للمعايير الإجتماعية العسكرية .
5. تنمية الوعى لدى العسكريين بطرق النجاح السليمة في المجتمع العسكري وتطوير الذات والترقي في طبقاته وحب الوطن .
6. مساعدة العسكريين على تقبل ذات العسكرية والإستمتاع بالحياة العسكرية رغم قسوتها .

تطور المجتمع العسكري ودوره في إنتاج الوعي العسكري

يشكل تطور المجتمع العسكري بأبعاده الثقافية والإيكولوجية والإستراتيجية علامةٌ فارقةٌ في حياة الأمة ، ويعد عمليةٌ ملازمةٌ لتقدم الأمة وما يصاحبه منْ تشربٍ وانتشارٍ للأنشطة الثقافية والإقتصادية والتجارية والصناعية . وقد تعددت تصوراته وبرزت مظاهره ، ومنْ هذا المنطلق سنتناول من المنظور النظري مفاهيم تطور المجتمع العسكري ذات العلاقة بالوعي العسكري .

تطور المجتمع العسكري منَ المنظور النظري:

دراسة تطور المجتمع العسكري تستلزم معرفة مفاهيمه المتنوعة ، وبيان أهميتها وتأثيرها في الوعي العسكري الذى يؤدي إلى انتشار ظاهرة الحراك الفكري العسكري . وعلى الرغم منْ أنَّ تطور المجتمع العسكري زادت سرعته الآن لارتباطه بالتقنية ، إلاَّ أنَّه ظاهرةٌ عسكريةٌ قديمةٌ قِدَمِ الجيوش . وله مردوداتٌ وانعكاساتٌ متداخلةٌ ومؤثرةٌ في بعضها البعض سواءً على مستوى العسكري أو الطبقات العسكرية العليا التي تعتبر منْ أهم الأماكن التي تظهر فيها تأثيرات تطور المجتمع العسكري ، بل إنَّ مظاهر تطور المجتمع العسكري عامةً تظهر ديمومتها نتيجة توفر آليات الوعي العسكري .

لا يقوم المجتمع العسكري على الروابط الإجتماعية النفعية ، ولا يحرص العسكريين على تبادل المصالح المادية ، أوِ التخلي وعدم التمسك بظواهر المجتمع العسكري التقليدية ، واحلال محلها ظواهر غريبةً عنه . ولفهم طبيعة المجتمع العسكري لأيّ جيشٍ يجب أنْ نقف على واقعه . ولتطور المجتمع العسكري عملية تركيز نخبوية معرفية تقوم على تعدد نقاطها في الأسلحة والصنوف منْ ناحيةٍ ، وزيادة

حجمها منْ ناحيةٍ أُخرى ، فهي على رأي لنسون Linson عمليةٌ ونتيجةٌ في آنٍ واحدٍ ، ومنْ خلال التغير الثقافي العسكري الذى يتضمن تغيراً في القيم والإتجاهات والمواقف والسلوك نحو التوافق والانسياق مع الأنماط العسكرية السائدة .

الوعي العسكري الزائف

قال كارل ماركس عنِ الوعي الزائف : إنَّ الدين أفيون الشعوب ، وكان يقصد أنَّ الطبقة التي تملك وسائل الإنتاج و رأس المال والسلطة استغلوا الدين لبث الأفكار القدرية والاستسلامية بين أفراد الشعب لتزييف وعي الطبقة الدنيا منَ المجتمع لتبقى تخدم مصالحهم غير واعيةٍ بما يحصل لها مما يجعلها غير متحركةٍ لتغيير الوضع القائم .

إنَّ الوعيَ العسكري عمليةٌ مركبةٌ للغاية وهو التلقي الطبيعي منِ المحيط العسكري واكتساب المهارات والخبرات و غيرها ، والوعي بقضايا المجتمع العسكري وحقوقه كمضمونٍ اخلاقي للوجود العسكري . إنّ َالوجود العسكري يعتمد على فهم الواجبات وتنفيذها في بيئةٍ عسكريةٍ مع أفرادٍ يسعون جميعاً إلى نفس الهدف . هذا التعريف البسيط هو باعتقادي هو تعريفٌ فلسفيٌّ للوجود العسكري ، ويتركز على هذا المعنى المادي المرتبط بالسلاح ومبدءاستخدام القوة والذي يبحث دائماً على مبادئ الحرب الأخلاقية .

إنَّ النظرة العميقة للوجود العسكري هي نظرةٌ ايجابيةٌ بمعنىكلاسيكيٍّ أنَّ العسكري إنسانٌ خيرٌ بطبيعته وليس شريراً وذلك عكس ما تشيعه بعض الفلسفات الدينية المتطرفة أنّ َالعسكري إنسانٌ فاسدٌ بالطبيعة ولا مبرر لوجوده وإنْ ينفلت هذا الإنسان الشرير بترسانته المخيفة فلا يعود ممكناً له العيش في إطار الجماعة لأنَّه وحشيٌّ وبدائيٌّ ويرفض فكرة القانون والنظام والحق . ما أَوَدُّ التركيز عليه هنا أنَّ النشاطات العسكرية المختلفة تتدرج منْ سياسات القيادة العامة للقوات المسلحة إلى فلسفة قادة الأسلحة التشكيلات الكبرى ورؤيتهم العملياتية في تنفيذ الواجبات والتي تنحى منحىً حسياً لصالح النظرية العسكرية التي تؤكد تدمير العدو بلا رحمةٍ أو شفقةٍ أيْ عدم أصالة الخير في الروح الإنسانية العسكرية . وبذلك يتصنع بوعي العسكري في ميدان المعركة الذي يتشكل منْ مجموع الظواهر العسكرية نوعٌ منَ الزيف حول معنى هذا الوجود ومضامينه بينما هو يقوم بتنفيذ واجباته الوطنية . في هذه الأثناء ستتنامى في ذاته نوازع الحس الديني والإيماني إنَّ الحياة العسكرية تزداد أصالةً باكتساب الحس الديني وهذا أمر يؤكده التاريخ العسكري والحروب البشرية كما أيدته النبوءات والكتب السماوية . لنْ تكون الحرب أخلاقيةً مالم تتغلف بغلافٍ دينيٍّ أيدولوجيٍّ . وتبدو فكرة الحرب الأخلاقية كالمعتقدات الزائفة ، في مجتمعاتٍ يجتاحها العنف الديني ، والتعصب بكل أنواعه ، وتسطع هنا حقيقة بسيطة وهي أنَّ «بناء» أيَّة أفكارٍ عسكريةٍ جديدة أو نظرياتٍ عسكريةٍ لا يمكن أنْ تتم دون «هدمٍ » في القيم السابقة . منْ دون أنْ يقوم العسكر بهزيمة الوعي الزائف والسائد والذي ينتج قيماكالتعصب الديني في مجتمعاتنا العربية ، إنَّ التعصب للأفكارِ والايديولوجيات يعني أنْ نجعل الواقع يتطابق مع تلك الأفكار ، والمطلوب هو هزيمة هذا النمط منَ التفكير

، لينشأ تفكيرٌ عقلانٌي عسكريٌّ يأخذ في حسبانه وقائع وأهداف الأمة ، ومنْ غير هذه العملية سوف تنشأ أجيالٌ تتمسك بذات النمط القديم منَ الأفكار ويصعب معها تغيير .

وبناءً على هذا الطرح سنخوض في ظاهرة الوعي الزائف لدى العسكريين ، وتقصي الأسباب النفسية التي تحول دون رفع هذا الوعي لديهم ، فتلك العوامل غالباً ما يتم تجاهلها منْ طرف القادة وهيئات الركن متناسين أهميتها . لذا سنحاول الإجابة على السؤال ما المقصود بالوعي الزائف ؟ منْ جوانبٍ مختلفةٍ ؛ إنَّ مفهوم الوعي العسكري الزائف هو مفهومٌ اجتماعيٌّ عسكريٌّ ، لذا فإنَّ فهمنا وتحليلنا له لا يمكن فهمه بمعزلٍ عنْ سياق الحياة العسكرية وأثرها في هذا المفهوم .

وعليه ، فإنَّ رؤيتي الفلسفية هي ماديةٌ بالأساس ، أيْ أنَّني أعتبر بأنَّ الوعي والفكر العسكريان هما نتاجٌ وانعكاسٌ للواقع المادي العسكري (تسليحٍ وتدريب ، مناوراتٍ ، حروبٍ) والواقع الإقتصادي للأمة ، وهذا الإنعكاس يعني فهمنا التام وإدراكنا للواقع الإجتماعي العسكري ، وهو عمليةٌ ربمَّا تكون متناقضةً لأنَّ الوعي الإجتماعي العسكري يحتوي على مضامينٍ موضوعيةٍ كثيرةٍ ، لكنه بالرغم منْ ذلك لا يكون مفهوماً ومُدركاً بصورةٍ صحيحةٍ منْ طرفِ الكثير منَ العسكريين ، ولكن يبقى وجودنا الإجتماعي كعسكريين هو المحدد ، حيث تدخل في إطار هذه علاقات الواجبات والمهام المادية والمعنوية وكل العسكريين ، فمجموع هذه العلاقات هي البناء الجامع للمجتمع العسكري سقفها القيادة العامة للقوات المسلحة . وعليه فإنَّي أعتقدُ بأنَّ الموقع الطبقي لأيّ عسكري سيحدد وعيه ، كما أنَّ هذا البناء سيؤثر بدوره في أركانه وأساسته ، زدْ على ذلك الإستقلالية التامة لتطور هذا المجتمع المنغلق على نفسه ، تلك الإستقلالية راجعةً لعدة أسباب ٍمنها : التوارث العسكري للأفكار والإستراتيجية العسكرية ، تواري هذه الأفكار العسكرية والنظريات والإستراتيجيات عنِ الوجود أقصدُ عنْ أنظار عامة الشعب ، وفي إمكانية ظهورها في بعض الحالات ، وأخيراً التأثير النشيط للقيادة العامة للجيش على المجتمع العسكري . وحتى لا نطيل النقاش يمكننا تعريف الوعي العسكري الزائف بأنَّه : " عدم وعيُ فردٍ أو جماعةٍ ما بموقعهم في الطبقة العسكرية ، وعدم وعيهم بالطبقة التي ينتمون إليها وبمصالحها " ؛ ويكون الوعي العسكري وعياً زائفاً ، ذلك عندما تكون أفكار العسكري نفسه ووجهات نظره ومفاهيمه غير متطابقةٍ مع الواقع العسكري منْ حوله ، أو غير واقعيةٍ ، وقد يكون وعياً زائفاً جزئيا ً، وذلك عندما تكون الأفكار والمفاهيم مقتصرةً على جانبٍ واحدٍ غير شاملةٍ لكل النواحي والجوانب والمستويات المترابطة للموقف العسكري الراهن ، والتي تؤثر وتتأثر في بعضها في أثناء عملية تطور الموقف . ولكنْ وبما أنَّ المجتمع العسكري مجتمعٌ طبقيٌّ بامتيازٌ لكنْ لا تسود فيه إيديولوجيا الطبقة السائدة كأيّ مجتمعٍ آخرٍ ، فإنَّ الوعي العسكري الزائف أحياناً لا يصل إلى درجة الوعي بمصالح الأمة والمهام التاريخية للجيش ، وهو الشيء الذي ينطبق على بعض الضباط ، ولكنْ وبسبب موقعهم في الهيكل التنظيمي فهم يمتلكون وعياً منْ نوعٍ آخرٍ أُسميه بـ " الحسّ العسكري " ، وهو وعيٌ ليس بذاتهم العسكرية ولكن بكونهم عسكريين يرتدون البدل العسكرية فقط لا غير ، غير أنَّ المجتمع العسكري بكل جوانبه لا يحول دون رفع ذاك الوعي ، لذا كان منَ الضروري رفع هذا الحس العسكري إلى مستوى الوعي الزائف أولاً ، إذنْ فعلى العسكريين غير الواعين بذاتهم و "مهامهم و مصالح الأمة " يجب أنْ ينقل إليهم

الوعي العسكري منْ مستوىً آخرٍ ، إنَّ المهام المطروحة هي معرفة كيفية رفع الوعي العسكري الزائف لهؤلاء المتخلفين ، في تصوري لكيفية رفع هذا الوعي ، وهو بإعادة الاعتبار للجانب النفسي لهؤلاء العسكريين .

لذا فإنَّ من البداية يجب علينا التمييز بين الوعي العسكري الزائف للقادة والحس العسكري الذي يجب رفعه ، من وجهة نظري فإنَّ الطبقة غير الواعية بإرادتها العفوية بدون قيادةٍ رشيدةٍ غير قادرةٍ على تحقيق أيَّ وعيٍّ ، لأنَّ القيادة العامة للقوات المسلحة وحدها قادرةٌ على تحقيق تغييرٍ حتى بالقوة ، إنَّ الشرط الذاتي لهذا التغير الإجتماعي العسكري هو التوافق بين الحالة النفسية للعسكرين واستعدادهم للتغيير وبين الوعي الأسمى والأرفع للقيادة العامة للجيش ، فالقيادة قد تم تحديد مهمتها سلفاً ، لأنَّها تعبر عنْ مصالح المجتمع العسكري ككلٍّ ، إلا أنَّه كثيرٌ منَ القيادات تركز على ميدان المعركة في سبيل توعية العسكريين ، وهو جانبٌ مهم ، إلا أنَّه في اعتقادي غيرُ كافٍ لأنَّه لا يجيب على كل أسئلة العسكريين وهو ما يخالف العقيدة العسكرية التي وضعتْ لتجاوب على كل الأسئلة ، فالجانب الآخر الذي أهمله القادة الميدانيين هو الحياة النفسية العسكرية والجنسية على نحوٍ خاصٍ حيث أنَّنا كعربٍ نستحي أنْ نخوض في هذه المواضيع ، غير أنَّها تلعب دوراً مهماً في الحياة الإنسانية عامةً وتساهم منْ وجهة نظري في تطوير الوعي العسكري أو إعاقته ، لذا كان منَ الضروري الإحاطة بكل جوانب الحياة اليومية للعسكريين كبشرٍ ، يقول رايش : يجب أنْ نرجع إلى الحياة اليومية المتواضعة ، المبتذلة ، الساذجة و البسيطة للجماهير الواسعة ، بكل تنوعها الجغرافي والإجتماعي . هذه هي الطريقة الوحيدة الممكنة التي تتيح ربط السيرورة السوسيولوجية الموضوعية بوعي البشر الذاتي ، وتسمح بتجاوز تناقضهما والهوة التي تفصل بينهما . لذا فإنَّ أقرب العسكريين للوعي أولئك المتمردون الذي يحملون الفكر الإستراتيجي وكل ما يناقض النظام المتخلف .

الباب السادس

النظام العسكري

ماذا نعني بالنظام العسكري ؟

نقصد بالنظام العسكري هو توزيع السلطة والمناصب داخل المجتمع العسكري والقوانين التي تنظم هذا التوزيع . أمَّا السلطة العسكرية هي قدرة القائد أو هيئة الركن على ممارسة مجموعةٍ منَ الأعمال العسكرية كاتخاذ القرارت أو إصدار توجيهاتٍ وتعليماتٍ ، أو آوامرٍ ، رغم أنَّ هذه المفردات ربَّما لا تحمل كل المضامين التي ينطوي عليها مفهوم السلطة العسكرية وأبعادها المختلفة ، إلا أنَّها تعتبر مدخل لدراسة هذا النظام ، أيضاً فهناك كثير منَ المصطلحات العسكرية تشكل عناصراً أساسيةً للنظام العسكري كمفهوم المنصب والنفوذ . والنظام العسكري هو عبارةٌ عنْ مجموعةٍ منْ الممارسات والسلوكيات العسكرية المقنّنة والتي تؤدي دوراً هاماً في تنظيم عمل المجتمع العسكري بشكلٍ قانونيّ ، وبالتالي تحقيق مصالح الشعب ، وتعتبر المؤسسة الصانعة للقرار العسكري (القيادة العامة للقوات المسلحة) هي المسؤولة عنْ تطبيق هذا النظام العسكري منْ خلال السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية العسكرية . إنَّ وظائف النظام العسكري تؤدي دوراً هاماً في رسم أبعاد المجتمع العسكري منْ حيث الأهداف و الواجبات في السلم والحرب . كما تؤدي دوراً بارزاً في دمج طبقات المجتمع العسكري وتكييفها مع بعضها البعض سعياً لتحقيق أهداف الجيش . ويضفي النظام العسكري المشروعية على حياة الأفراد العسكرية بتطبيق أحكام وقواعد القوانين العسكرية ، و يضمن العدل والمساواة بين طبقاته .

مفهوم النظام العسكري

إنَّ المفهوم الضيق للنظم العسكرية داخل المعسكرات هو كيفية ممارسة السلطة من قبل القائد أوِ الآمر ، وهناك ترادفٌ بين النظام العسكري للدولة (كنظام الحكم) هو الشكل التي تتحدد فيه التفرقة بين الحاكم العسكري ، والمجتمع المحكوم ، أي أنَّه المضمون الذي يشتمل على ممارسة السلطة العسكرية في الدولة وكذلك الطريقة التي يتم منْ خلالها الوصول للسلطة . وهو المفهوم الواسع للنظم العسكرية السياسية فهو أشمل و يعني دراسة نظام الحكم منْ خلال القواعد الوضعية ومنْ خلال ما يسود هذه الدول منْ مبادئٍ فلسفيةٍ وسياسيةٍ واجتماعيةٍ واقتصاديةٍ .

وعندما نريد أنْ نبحث عنِ النظام العسكري داخل المعسكرات والثكنات يجب علينا عدم إهمال الفلسفات الإجتماعية العسكرية وتأثيرها على القيادة العامة للقوات المسلحة ؛ منْ هذا المنطلق يمكننا توسيع تعريف النظام العسكري بأنه : " مجموعة منَ الأعمال العسكرية والواجبات التي تتعلق بالتوزيع السلطوي للقيم العسكرية وإعداد وتنفيذ القرارات " ، أيْ شكلٌ مستمرٌ منَ العلاقات العسكرية تتضمن عناصر القوة والسلطة بين القادة والأفراد ، هذا النظام منْ وجهة نظري يكون شرعياً دائماً لأنَّ العسكر يشعرون بأنَّه يستحق الولاء والطاعة . وهناك ثلاثة أنواعٍ من الشرعية للنظام العسكري : الأولى بأنَّها

تقليديةٌ قائمةٌ على العادات وتعني طاعة الأقدام واجبةٌ في كل الظروف ، والثانية السلطة الكاريزمية للقائد القائمة على قوة شخصيته ، والثالثة سلطة القائد القانونية المستندة إلى القوانين العسكرية . والنظام العسكري جزءٌ منَ النظام السياسي وهو امتدادٌ له والوجه الأخر الذي لا نراه إلاَّ إذا كان النظام الحكم يشكل خطراً على وحدة الشعب والدولة منْ خلال ممارسات الظلم والقمع والتمييز العنصري والطائفية والخيانة والتحالف مع أعداء الوطن .

والنظام العسكري في جوهره يغلِّب ظاهرة القوة في توزيعها على المناصب ، أمَّا النفوذ فيعتمد على شخصية القائد و مفهوم المنصب نفسه وما يصاحبه من قوةٍ منْ أجل تنظيم واحتواء النشاطات العسكرية للوحدات . وللنظام العسكري مجموعة عناصرٍ مهمتها الإبقاء على المجتمع العسكري ككائنٍ حيٍّ قائم بذاته ، تديره سلطةٌ عسكريةٌ سياسيةٌ . وكما قلتُ سابقاً فإنَّ المجتمع العسكري عبارةً عنْ مجموعةِ الأنماط المتداخلة والمتشابكة والمتعلقة بعمليات صنع القرارات العسكرية والتي تترجم أهداف المؤسسة العسكرية منْ خلال القيادة العامة للقوات المسلحة التي أضفيتْ صفة الشرعية بالقوة السياسية فحولتها إلى سلطاتٍ مقبولةٍ في المؤسسات السياسية . إذنْ فالنظام العسكري هو أحدُ أنظمة المجتمع الأخرى كالنظام الإقتصادي والنظام القانوني والنظام الثقافي والعناصر التي يتألف منها النظام السياسي للدولة وبذلك أصبحت الإستراتيجية العسكرية جزءٌ منْ قواعد السلطة السياسية بالإضافة إلى القواعد السياسية ، والعلاقات السياسية ، والوعي السياسي ويؤثر كلٌّ من هذه العناصر في الآخر ويعتمد عليه ، كما يمكن أنْ تعد منْ عناصر النظام السياسي وتتفاعل والإدارة السياسية تفاعلاً وثيقاً .

وأيضاً فإنَّ مدلول مصطلح السلطة العسكرية سيكون مختلفاً في اللغة القانونية ، فقد كان لها معانٍ متعددةٍ : فهي تستخدم أحياناً بمعنى القائد العسكري الفرد رجل الدولة واشتراكه في الشؤون العامة . وتطلق على صفة وزارة الدفاع وحقوقها و واجباتها أوِ الحياة السياسية للأمة . وكثيرا ما تفهم بمعنى الإجراءات التي تتخذها القيادة العليا للجيش ، أو دستور الدولة ونظام الحكم فيها . ورغم ذلك فإنَّ هنالك إتفاقٌ على أنَّ السلطة العسكرية تتعلق بالعسكر والقوات المسلحة شكلاً وموضوعاً : تنظيمها وأشكال واجباتها في السلم والحرب ، وأعملها القتالية ومجالات نشاطتها السياسية . وبهذا يكون النظام العسكري على أساس الجانب الشكلي ، بمثابة نظامٍ سياسيٍّ وما يتضمنه منْ تنظيم الحكم فيه . غير أنَّ نشاط السلطة العسكرية قد تطور في العصور الحديثة ، حتى أصبح هذا الجانب الموضوعي معياراً أساسياً في أيِّ نشاطٍ سياسيٍ بعد أنْ كان مدلوله التقليدي يقصد به شكل الجيش ، لأنَّه يعني ممارسة السلطة مشاركةً مع جماعةٍ سياسيةٍ معينةٍ . إذنْ فهي محصلة المواقف والمبادئ العسكرية التي تفرض اتخاذ سلوكٍ عسكريٍّ في اتخاذ القرارات الملزمة بالمجتمع كلياً .

إنَّ عناصر القوى المختلفة التي تسيطر على المجتمع العسكري ليستْ منْ طبيعةٍ واحدةٍ بل منْ طبائعٍ مختلفةٍ فهي قانونيةٌ وأمنيةٌ واجتماعيةٌ عسكريةٌ ، وهي ترتبط ببعضها البعض ارتباطاً وثيقاً يكون منها طبقاتٍ متناسقةً متفقة، وإنْ كانتْ النصوص القانونية العسكرية لا تفرض هذا الإرتباط فإنَّ العرف والتقاليد العسكرية كفيلةٌ بتحقيقه . فإذنْ هو عبارةٌ عنْ مجموعةٍ منَ العناصر العسكرية " أسلحةً

وصنوفاً " مهمتها الإبقاء على المجتمع العسكري ككيانٍ حيّ قائمٍ بذاته تديره سلطةٌ عسكريةٌ سياسيةٌ . وأنَّ العناصر الأساسية التي يتألف منها النظام العسكري هي : كامل قوام الجيش منْ أفرادٍ عسكريين ومدنيين ، والأسلحة والصنوف ، والمعسكرات والثكنات القواعد والمقرات العسكرية ، والعلاقات الإجتماعية العسكرية ، والوعي والثقافة العسكرية . ويؤثر كل منْ هذه العناصر في الأُخرى وتعتمد عليها . كما تعد منْ عناصر النظام العسكري ، العلاقات العامة مع بقية الأنظمة ، و المناصب العسكرية ، والواجبات والمهام التي تتفاعل مع القيادة العامة للقوات المسلحة تفاعلاً وثيقاً . كما تهتم السلطة العسكرية بصياغة استرايجية الأمة وصياغة الأهداف العامة للمجتمع العسكري ، والعمل على تنفيذها . وتدعم قرارات النظام السياسي بالشرعية العسكرية القسرية ، ويمكن فرض الخضوع لها بالقوة . ومنْ أجل القيام بواجباتها في السلم والحرب ، فإنَّ لدى النظام العسكري أركاناتٍ ورئاساتٍ وإداراتٍ وهيئاتٍ تقوم بواجباتٍ محددةٍ والتي بدورها تمكِّن النظام العسكري منْ صياغة سياساته وتحقيق أهدافه .

ولا شك أنَّ ثمة جوانب سياسيةً في سلوك المؤسسة العسكرية وتفسير ذلك أنَّ السياسة تؤثر بدرجاتٍ متفاوتةٍ ، في كل جوانب المجتمع . والمجتمع العسكري جزءٌ منْ هذا المجتمع الكبير (الأمة) ، ولكن عناصر النظام العسكري تقتصر على تلك العناصر القيادية التي تتفاعل والسلطة السياسية تفاعلاً قوياً والتي يؤلف هذا التفاعل سِمةٌ مميزةٌ منْ سماتها . ومنْ ذلك نستنتج أنَّ النظام العسكري يتميز ببعض الخصائص السياسية فلا ينفرد النظام العسكري بخصائصٍ كيْ تميّزه عنْ غيره منَ الأنظمة ولكنه يشارك النظام السياسي في خصائصه باعتبار كل واحدٍ منهما " سلطةٌ " ومنْ هذه الخصائص :

1- إنَّ النظام العسكري يتمتع بفوقيةٍ ومؤدى هذا أنَّه يمتلك سلطةً نافذةً في الدولة ، وبذلك تُلزم قراراته المجتمع برمته ، كما تلزم أنظمته الأخرى . وبالضرورة يكون العسكريون ملزمون بتطبيق قوانينه واتباع أنظمته وقراراته .

2- إنَّ النظام العسكري يتمتع باستقلالٍ ذاتيّ كبيرٍ ، إذ تحكم العلاقات الواقعة في ضمنه قواعدٌ خاصةٌ ، عسكريةٌ وسياسيةٌ .

3- إنَّ تأثير النظام العسكري على الأمة أكثر فاعليةٍ منْ تأثير أيَّ نظامٍ آخرٍ بعمقٍ وبصرامةٍ أكثر وخاصةً أثناء النفير أوِ الأعمال القتالية الفعلية . ومصدر هذا التأثير نفوذ القيادة العامة للقوات المسلحة ومنْ ثم القدرة على تنظيم طاقات المجتمع المدني أيضاً .

4- إنَّ النظام العسكري يتفاعل مع مؤسسات المجتمع الأُخرى ، بالرغم منْ ممارسته السلطة الخفية ، ولا تعني هذه السلطة بذاتها انفصال الجيش عنِ البيئة الأمنية الدفاعية التي يتحرك فيها ، ذلك أنَّها البناء الذي يقوم عليها .

5- هو المحرك الأساسي في أيَّةِ بيئةٍ يتواجد فيها وله تأثيرٌ نفسيٌّ قويٌّ على أفراد الشعب .

6- يفرض سيطرته على العلاقات التي تربط بين الطبقات العسكرية وبين الأفراد ، منْ خلال مجموعةٍ منْ القواعد والقوانين الحاكمة لذلك .

واجبات النظام العسكري :

استناداً إلى أحكام النظام العسكري وخصائصه الدفاعية والأمنية ، فإنَّ النظام العسكري يؤدي الواجبات الأتية :

1- على النظام العسكري متمثلاً في القيادة العامة للقوات المسلحة أوِ " المجلس الأعلى لقيادة الجيش " وهي وزارة الدفاع بالمفهوم السياسي تحويل استراتيجيات وخطط نواب الشعب في كافة القطاعات بدون استثناءٍ - تحويلها - إلى استراتيجياتٍ عسكريةٍ .
2- تحديد أهداف المجتمع العسكري والقوات المسلحة في السلم والحرب التي تتركز حول الدفاع والأمن .
3- تعبئة طاقات المجتمع العسكري وضمان مشاركة ابنائه في تحقيق النصر .
4- توثيق التعاون بين العناصر التي يتألف منها المجتمع العسكري ، وتوحيدها ، لتعزيز عناصر قوة الجيش ومنْ ثم ضمان مصالح الأمة وتحقيق أهدافها .
5- المطابقة بين الحياة العسكرية ، كما هي ممارسةٌ ، مع القواعد القانونية العسكرية ، وإضفاء المشروعية على أيِّ عمليةٍ سياسيةٍ يقوم بها الجيش ومنْ ثم النظام السياسي نفسه .
6- تحقيق العدالة والمساواة بين العسكريين والطبقات العسكرية والأسلحة والصنوف .
7- دمج الأفكار والمفاهيم التي يتألف منها المجتمع العسكري وتوحيدها .
8- إضفاء الشرعية على الحياة السياسية للقيادة العليا والقيادة العامة للقوات المسلحة .

تصنيف النظم العسكرية

ربمَّا تُصنف النظم العسكرية على أنَّها شكلٌ منَ الأشكال النظرية لبناء المجتمع العسكري حيث منْ خلال هذا البناء يمكننا مشاهدة وتصنيف الظواهر الإجتماعية العسكرية ، كذلك طبيعة العلاقات العسكرية ومدى علاقتها وارتباطها بالنظام السياسي للدولة ، وغير ذلك منْ مجالات الدراسة . أيْ أنَّنا ننطلق منْ محور الإنسان العسكري ومجتمعه نفهمه منْ زوايا مختلفة ووجهات نظرٍ متباينةٍ مرتبطين بفكرة تغير المجتمع العسكري كأيِّ مجتمعٍ آخرٍ في الأمة ، ومنْ وجهة نظري فإنَّ تصنيف المجتمع العسكري يرتبط ارتابطاً وثيقاً مع تصنيف النظام السياسي للدولة إنْ كان ديموقراطياً أوِ استبدادياً ، ملكياً أو جمهورياً ، وهي تنطوي على تصنيفٍ فكريٍّ في الأساس يعكس الصراع الفكري السياسي السائد بين أواسط الشعب . ولكنَّنا كعسكريين مثقفين ولسنا سطحيين يمكننا التمييز بين ما هو علميٌّ وبين ما هو فكريٌّ أيدولوجيٌّ ، وفي الواقع

فإنَّ هذه التصنيفات لا تهمنا كثيراً بل يجب علينا أنْ نركز على دراسة أشكال المجتمع العسكري وأشكال النظام السياسي وبذلك ستكون النتائج مختلفةً .

إنَّ تصنيف النظام العسكري يجب أنْ يكون على ضوء التطور والنمو داخل المجتمع العسكري ومتشبعاً به ، كنظامٍ شموليّ ومركزيّ وأضيف بأنَّه طبقي وضبطيٌّ وقمعيٌّ ، ومع هذا كله فهو يخلق الظروف المواتية لتحقيق أهداف الأمة وحماية مصالحها ، تنطوي فكرتي على ارتباطٍ وثيقٍ بين السلطة الساسية والنظام العسكري الذي يعتمد على تطور مجتمعه الأمر الذي سيخلق اعتماداً متبادلاً بين النظامين ، لكنها ستؤدي منْ جهةٍ أُخرى إلى تهديد النظام السياسي إذا ترتب على ذلك التباين تعميقاً في وجهات النظر .

مستويات النظام العسكري

1- صنع القرار: يعتبر هذا المستوى من مستويات النظام العسكري وسيلة لاتخاذ القرارات في جميع المواقف ، فقد يتمثل صنع القرار بخطابٍ سياسيّ ، أو تعديلٍ دستوريّ ، ويتولى بنفسه مسؤولية تنفيذ القرارات الصادرة عنه ، ودراسته مليّاً والتنبؤ بما سيلحقه منْ تبعاتٍ ، وما سيترتّب عليه .

2- تنفيذ القرار : منْ خلال التشكيلات الكبرى للجيش " الرئاسات والمناطق الجغرافية والجيوش " ؛ والذي يعتمد أساساً على ثلاث مراحلٍ :

أ- الإجراءات التي تتخذها هذه التشكيلات لتسهيل تنفيذ القرارات .
ب- الموازنات التي تحتاجها .

جـ السيطرة وتقييم تنفيذ الواجبات ، والغرض منه تصحيح الأخطاء إنْ وُجدتْ .

إنَّ النظام العسكري هو ترتيب حياة العسكريين بكل قيّمها على نحوٍ عسكريٍ محددٍ ، لتحقيق أهداف الجيش . وتتركز افتراضاته كأيّ نظامٍ في النظرية العامة للنظم على :

1. إنَّ النظام العسكري عبارةٌ عنْ مجموعةٍ منَ الأسلحة والصنوف المترابطة .
2. إنَّ تلك الأسلحة والصنوف كأجزآءٍ للنظام العسكري تتفاعل فيما بينها .
3. إنَّ كل سلاحٍ منْ أسلحة النظام العسكري يمكن أنْ يتصف بدرجةٍ معينةٍ منَ الإستقلال عنِ الأخرى المرتبطة به خاصةً وقت السلم .

وعلى أساس تلك الافتراضات ، فالنظام العسكري عبارةٌ عنْ وسطٍ مترابطٍ نتيجة مدخلٍ نحو مخرجٍ . أمَّا السلطة العسكرية فهي تتضمن استخدام قوة القوانين العسكرية والأعراف والتقاليد العسكرية منْ جانب القادة والآميرين وهيئات الركن ليتمكنوا منْ قيادة القوات المسلحة والسيطرة عليها في السلم والحرب ، تحقيقاً للمصلحة العامة للأمة .

إنَّ علاقة السلطة العسكرية كأيّ سلطةٍ مبنيةٌ على الطاعة الناتجة عن تطابق الإرادة بين القائد أوِ الآمر والجنود ، في هذه العلاقة نجد منطق الهيبة أوِ الوجاهة بقدر ما يحقق المرؤوس قيمةً عسكريةً يراها القائد ، والمنصب هو مصدر الهيبة والوجاهة في المؤسسة العسكرية يتأثر بها العسكريين بغض النظر عن رتبهم ، يتأثرون بها ويعتبرون أنَّ القادة يتمتعون بها عنِ استحقاقٍ . وللقائد حسادٌ ومعجبينَ ، والخطر هنا أنَّ الرتب الأدنى تميل إلى طاعة الآوامر في كل المواقف وليس في ما يخص تفوق القائد فقط الذي أوصله إلى السلطة ، فهذه الرتب تعترف له بالتفوق وتمنحه الهيبة والوجاهة ولاتعتبر نفسها فاقدةً لإرادتها بل أنَّها متطابقةٌ مع إرادة القائد دائماً . إنَّ النظام العسكري يتسع لواجهاتٍ عديدةٍ دائماً شرط أنْ لا تتناقض مع إرادة القائد ، ويتسع لسلطاتٍ عديدةٍ شرط أنْ لا تتناقض مع سلطة القائد .

إنْ سلطة القائد يجب أنْ تكون مبنيةً على الإدارة العسكرية الكفؤة وقت السلم ، بذلك سنجد إجماعاً بين القائد وأفراد الوحدة بطبيعةٍ مختلفةٍ ، فهؤلاء الأفراد يمنحون إرادتهم للقائد على قناعةٍ عقلانيةٍ وإعجابٍ بشخصه . أعتقد أنَّ السلطة العسكرية تعتمدُ أساساً على ثلاثة عواملٍ هي : قوة القانون العسكري الذي يمنح السلطة للقائد ، والطاعة المتمثلة في الضبط والربط العسكري ، وقناعة أفراد الوحدة بالقائد وشخصيته . وهناك عوامل إضافية أُخرى لها أدوارٌ ثانويةٌ كشخصية القائد ، وأسلوبه في إدارة الوحدة في السلم وقيادته في الحرب ، ومستوى تعليم القائد وتفوقه في تخصصه فمثلاً لا يستطيع مساعد طيار أنْ يقود سرب طائرات النقل مهما كانت رتبته ، باعتباره غير متفوق في تخصصه . إذن تحت هذه العوامل فإنَّنا نتوقع تجاوب أفراد الوحدة عن قناعةٍ تامةٍ مع كل قرارات قائد الوحدة في السلم والحرب ، وذلك للأسباب التالية :

1- الضبط والربط العسكري والخوف منَ العقوبات .

2- الإعجاب بأسلوب القيادة وبالقائد وهيئة الركن .

3- الإمتثالُ لكلِّ الآوامر لأنَّه منَ المنطق العسكري طاعة الآوامر بدون تفسير الأسباب .

إنَّ السلطة العسكرية المبنية على الإدارة الكفؤة ستخضع لشرطين واضحين ، الأول أنَّ مهام الوحدة محددةٌ دائماً ، وأنَّ القائد لا يتمتع بأيّ بتفوق سلطوي أو قيادي خارج هذه المهام ، وأنَّ الوحدة محكومةٌ في مهامها وليست حاكمةً في ملاحقةِ مهامٍ أُخرى خارج تخصصها . ثانياً أنَّ المهام والوجبات محصورةٌ في الوقت دائماً ومعنيةٌ بِه ، وبالتالي فليس لأفراد الوحدة أيّ إرادةٍ وبالتالي يزول منح الإرادة منَ الأفراد لإرادة القائد . ونلاحظ أنَّه في الوحدات الصغرى تكون الأهداف دائماً واضحةً و طرق تنفيذها واضحةٌ أيضاً . فكلما كبرت الوحدة تعقدتِ المهام وصعب تنفيذها ، كهدف رفع الكفاءة القتالية وقت السلم ، هذا الهدف دائم وليس محدود وطرق تحقيقه متعددةٌ وتتطلب اختصصات ونشاطات واجتهادات ونظريات ، هنا سيظهر ويبرز دور كفأة القائد العلمية وتفوقه في تخصصه التي على أساس نجاحها أو فشلها سيُمنح الثقة لإدارة وقيادة الوحدة وتحديد الوقت هنا يصبح ضرورياً جداً بناءً على إرادة القيادة في في المستوى الأعلى .

إنَّ ميزة السلطة العسكرية هي القدرة المطلقة على تطبيق القوانين العسكرية الصارمة ، وذلك باستعمال التهديد أو باستعمال العنف المادي أو المعنوي ، ودائماً ما يعطي هذا التهديد النتائج المرجوة ، لأنَّه منَ السهل استعمال العنف ضد كل العسكريين ، ومن جهةٍ أُخرى فالتهديد باستعمال العنف يفعل فعله ويجعل كل العسكريين يرضخون للحياة القاسية والخشنة داخل المعسكرات أو في الميدان ، وبما أنَّ القائد يسعى للقضاء على إرادة مرؤوسيه الحرة ، يلزمه ويكفيه أنْ يحصل على ذلك بالتهديد ، وهذا التهديد غالباً يكون غير ضاهرٍ ، إنَّما يحمكُمه المنصب ، فتكون القدرة قد فعلت فعلها دون أنْ تستعمل ؛ لذلك فإنَّ هذه القدرة لها هدفٌ مزدوجٌ ، فهي منْ جهةٍ تقوم وتدعم الضبط والربط العسكري ، ومنْ جهةٍ أُخرى تظهر كقدوةٍ أو مثلٍ لكل العسكريين . وعلى كلّ حالٍ فإنَّ كل المجتمعات العسكرية تتعامل بنفس الطرقة منَ الشدة والعنف ، وقدرة تحمل العسكريين ضغط الحياة العسكرية لا تختلف كثيراً منْ عسكري إلى آخرٍ أو منْ جيشٍ إلى جيشٍ آخرٍ ؛ إنَّ حساسية العسكري تجاه قدرة السلطة العسكرية وإمكانية تحمله لها تخفُّ مع تطور نضوجه ونموه ومستوى حياته داخل المؤسسة العسكرية وأنَّ قدرة الضباط دائما ما تكون أقوى منْها لدى الجنود ، الذين غالباً ما يلجؤن إلى استعمال الحيلة والخداع ، وهذا يتطلب نسبةً منَ الذكاء والمجهود الفكري .

والشكل الثاني للسلطة العسكرية هو الطاعة العمياء المتمثلة في الضبط والربط العسكري والإلتزام العسكري والولاء للمؤسسة العسكرية إنَّ هذه العوامل تعطي للقائد صورةً معنويةً كنوعٍ من الهيبة والحضور قد تسبق الوصول إلى السلطة وتساعد على تحقيقه ، وقد تأتي بعد وصول القائد إلى منصبه . والشكل الثالث مبني على كفأة القائد العسكرية والعلمية التخصصية ، وأقصدُ منْ ذلك أنَّ على القائد أنْ يُقنعَ جنوده وضباطه بأنَّه أكفأ منْهم . والكفاءة (القتالية والعلمية) من حيث الجوهر لا تساوي المنصب الذي يمنح السلطة العسكرية ، إذ لا نجد قيادة ناجحة بلا كفأة ، بحيث يجب أنْ نعتمد تحديداً حصرياً للكلمتين ؛ أمَّا إذا قلنا أنَّ كفأة القائد القتالية والعلمية بأنَّها واقعُ ونفوذ وعلاقةٌ قويةٌ بين القائد وجنوده الذين ينفذون واجباتهم على نحوٍ ما يعتمد على وجود قائدٍ لهم . فالقيادة العسكرية هي ممارسة عمل الأعلى رتبةً على إرادة العسكريين أقل رتبةٍ من أجل تحقيق هدفٍ معينٍ . من هنا يجب أنْ تتوفر فكرةٌ منطِقيةٌ متطابقةٌ تماماً بين فكر القائد وكفأته العسكرية (الكفاءة القتالية والتفوق التعبوي) ؛ والتفوق التعبوي هو التفوق في مجال التخصص العلمي العسكري . فكثيراً ما نرى قادةً فاشلين رغم تحصلهم على دوراتٍ قياديةٍ كثيرةٍ بسبب فشلهم في تخصصاتهم التعبوية .

نستطيع أنْ نرى أنَّ الآراء لا تتفق على التحديدات الواسعة للفكر العسكري الذي هو نوعٌ منَ السلطة ، فنشاطات قادة التشكيلات الكبرى تختلف عنها في الوحدات الصغرى التي بدورها تختلف عنِ الأصغر منها . فالقيادة العسكرية عندهم نوعٌ منَ السلطة التي تمارس داخل الوحدات العسكرية ، وكل وحدةٍ مهما كانت صغيرةً تواجه مشاكلاً قياديةً ولكن دون أنْ نجعل منْها مجموعةُ قيادةٍ مستقلةٍ لأنَّ هذه الوحدات العسكرية الصُغرى ترتبط فيما بينها ضمن مجتمع أكبر وأشمل ، أمَّا على مستوى الوحدات الكبرى يمكن التحدث عن السلطة العسكرية كنوعٍ أشملٍ منَ القيادة العسكرية . السلطة العسكرية هدفٌ

تدور حوله الصرعات الإجتماعية العسكرية ، وهي صرعاتٌ شرعيةٌ صحيَّةٌ للمجتمع العسكري ، وذلك منْ خلال شبكةٍ معقدةٍ منَ التسلسلات العسكرية .

السلطة العسكرية وباقي أشكال السلطة

إنَّ علوماً كثيرةً غير العلوم العسكرية تُظهرُ أشكالاً منَ السلطة في مجتمعاتها كالعلوم السياسية ، أو سلطة رجال الدين ، وسلطة الوالدين ، وسلطة أرباب العمل ؛ وليس لأيّ منْ هذه السلطات علاقةٌ بالسلطة العسكرية باستثناء السلطة السياسية طبعاً ، وأخيراً " سلطة التفوق التعبوي " : وهي سلطة الأفراد المتفوقين في تخصصاتهم التعبوية . حيث سنجد لهم نفوذاً على القادة وعلى زملائهم نتيجة تفوقهم في تخصصاتهم بغض النظر عنْ رتبهم ، إنَّ سلطة التفوق التعبوي تأتي منَ التنشئة والدراسة العسكرية ، بمعنى الحصول على المعرفة التخصصية التعبوية ، وفي نفس الوقت تكوين وتطوير وتنمية الشخصية العسكرية ، إنَّ سلطة التفوق التعبوي مكانها دائماً خلف القيادة فلا يستطيع القائد الإستغناء عنْ هؤلاء المتفوقين مهما كانت رتبهم لقدرتهم على التاثير في قراراته وتعديد خياراته ، وخاصةً إذا كان مستوى القيادة ضعيفاً مُتدنياً . لذلك ينبغي توظيف دراساتٍ خاصةٍ لهذا النوع منْ القيادات للتعمق في فهم دور القيادة . وفيما يتعلق بالتشابك والتداخل بين السلطة السياسية والعسكر فلا يجب أنْ نعتقد بأنَّ العسكر وحدهم يحاولون ضم السلطة إلى سلطتهم بل العكس هو السائد والمشروع في نظرنا أيضاً كعسكريين ، ولكن لرجال الدين أيضاً دورٌ غير أخلاقي في إعتدائهم على السلطة السياسية ومحاولة ضمها إلى كهنوتهم ، والسبب في الحالتين يعود لخوف السلطة السياسية منَ الشعب ، كلنا يعرف التأثير النفسي للخطاب الديني ، وأنَّ الفكر العسكري لا يكتفي بأنْ يرشد السلطة السياسية بل يريد في أغلب الأحيان أنْ يحل محلَّها . أمَّا تشابكها مع سلطة وهيمنة الإقتصاد فقد استفاض ماركس في تصوير السلطة السياسية كوناها نتاج للسلطة الإقتصادية الإقطاعية وتوسَّع في توصيف العلاقات بينهما .

إنَّ التفوق التعبوي نوعٌ من السلطة كما أسلفتُ فهو يعطي ما يُسمَّى بسلطة المعرفة ، فالتطور الذي تشهده الجيوش الحديثة جعل التفوق التعبوي سلطةً ، تأتي منَ الدراسة التنشئة العسكرية الأُولى والتفوق العلمي والتطبيقي التخصصي ، وفي نفس الوقت تكوين الشخصية العسكرية من جميع نواحيها ، وتعني الدراسة تطوير المهام والواجبات في السلم والحرب والوظائف والتخصصات العسكرية في كل الأسلحة والصنوف ، فبالإضافة إلى القائد المُلهم لا نستطيع أنْ نُهمِّشِ دور المعلم في كلِّ مراحل التنشئة والتدريب العسكريين ، فالمعلم هو الذي يملك المعرفة والتنشئة ؛ من هنا نستنتج أن التفوق التعبوي قبل القيادة . وتكمن أهمية التفوق التعبوي في التعمق في فهم واجبات الوحدة ودورها في المعركة ، وفي امكانية تعدد الخيارات التعبوية في السلم والحرب وتسهيل اتخاذ القرار ، فلم يعدْ بإمكان طالب القيادة الوصول إلى منصبه وإهمال سلطة التفوق التعبوي .

السلطة السياسية والنظام العسكري

إنَّ العلاقة بين السلطة السياسية والنظام العسكري هي في الواقع علاقة صراعٍ دائمٍ ناتجٍ عنْ اختلاف وجهات النظر حتى و إنْ كانت مصلحة الوطن قد أُخذتْ بالإعتبار ، فهي صراعٌ خفيٌ على القوة في ارتباطهم بمصالحٍ منْ نوعٍ ما " شخصيةٍ أو حتى وطنيةٍ " ، ولهذا المعنى تكون هذه العلاقة منطويةٌ على مجموعةٍ منَ القواعد والممارسات غير الرسمية لكنها تشكل الإطار العام الذي تجري فيه المواجهات الخفية بين السلطة السياسية والنظام العسكري . إذنْ يحق لنا أنْ نتسآءلَ عنِ الأسباب التي أدتْ إلى ظهور هذه المواجهة ودفعتها إلى التطور .

من وجهة نظري هناك إجباتان عن هذا السؤال ، الأولى : تعاظم التشابك والتداخل في الوظائف السياسية ، فقد تعاظمتْ السلطة في الحجم وتعقدتْ في البناء وكانتْ الحاجة دائماً إلى العسكر لحماية السلطة وسد الفراغ الأمني . أمَّا الثانية فإنَّها تتمثل في أنَّ السلطة أداةٌ للسيطرة والتسلط ونتج عنْ ذلك ظهور طبقاتٌ في المجتمع مسيطرةٌ وأخرى مقهورةٌ فيكون العسكر عصا السلطة أوعصا الشعب . ربَّما تكون وجهَيْ النظر متناقضتان ولكنّي أعتقد أنَّهما ضرورة بقاء الدولة ، منْ هنا وجب علينا لإنهاء هذا الجدل معرفة أُسس النظام العسكري ووظائفه ، مرتبطين بنوع النظام السياسي الحاكم الذي هو السلطة ، ديمقراطياً أو لا لأنه يمثل شكلاً منْ أشكال التحدي الفكري للسلطة الحاكمة ، إنَّ السلطة هي حكمٌ ورفاهيةٌ اجتماعيةٌ بالإضافة إلى الوظائف التقليدية ، أمّا العسكر فهو العصا المسلطة على الطرفين . يقول جورج أورويلك " إنَّنا ندرك أنَّه ما منْ أحدٍ يمسك بزمام السلطة وهو ينوي التخلي عنها ، وإنَّ السلطة ليستْ وسيلةٌ بل غايةً ، فالمرء لا يقيم حكماً أستبدادياً لحماية الثورة ، وإنمَّا يشعل الثورة لإقامة حكمٍ استبداديٍ ".

ربَّما يكون هناك وجهاً آخر لمناقشة هذا الموضوع لأنَّ السلطة تعتبر نفسها الصفوة التي يجب أنْ تحكم بينما هم في الواقع مجموعةٌ منَ الحمير كما يراهمُ العسكر ، على رأيّ ِجورج برنارد شو : إنَّ الديمقراطية لا تصلح لمجتمعٍ جاهلٍ لأنَّ أغلبيةً منَ الحمير ستحدد مصيرك ؛ نتيجة الإختلافات الطبيعية المورثة بين البشر كأفرادٍ والجماعات الإنسانية كمجتماعاتٍ ، أمَّا العسكر فإنَّهم يرون أنفسهم مجتمعٌ منظمٌ ومستقرٌ في مواجهة الغوغاء غير العقلانيين وغير المؤهلين إلاَّ للتبعية الأجنبية والإنقياد للمعسكرات الأقوى تدعي الشرعية وتؤسس نفسها كسلطةٍ أخلاقيةٍ . إنَّ استقلالية المجتمع العسكري الجزئية تسمح له بالتطور والنمو بعيداً عنِ الأعين هذه النقطة تميز النظام العسكري وإنْ اختلفنا حول الدور الذي يجب أنْ يقوم به غير الدفاع والأمن وإنِ ادعى الحياد ، فهو في تصوري القوة التي تنبع منْ أهداف الشعب وهو الجدار الصلب الذي يحميه منْ جور وعسف السلطة .

وبعد نجاح الفوضى لابدَّ منْ إتخاذ إجراءاتٍ تمنع ظهور أيّ نظامٍ قمعيٍ جديدٍ تولده حالة الثورة والتطلع إلى نظام حكمٍ مثاليٍ لأنَّ العسكر يرون فى سقوط النظام القمعى فرصة ليصبحوا هم السلطة

الجديدة ، وقد تختلف دوافع هؤلاء العسكر ولكنْ ربَّما تكون النتائج متشابهةٌ بحيث يصبح النظام العسكري ديكتاتوراً جديداً أشدُ بطشاً وتحكماً منَ السابق .

وإذا كان الصراع العسكري ينبع منْ طبيعة الفهم لمفردات حياة الأمم على مرِّ الدهور وإنَّ هذا الفهم هو ما يمليه الفكر العسكري والعقيدة العسكرية لهذ الأمة أو تلك ، فإنَّه يمكننا أنْ نفهم موجات العنف العالمي اليوم على ضوء هذه الحقيقة إذا ما فهمنا تلك الإستراتيجيات العسكرية وهو ما يفسر بالتحديد الأعمال القتالية والإبادة والإستهانة بكرامة الإنسان أو غيرها منَ الممارسات.

إنَّ إعادة بناء أيّ أُمةٍ وإرجاعها لسياقها الحضاري يتوجب أولاً إعادة صياغة فكرها العسكري ثم العزف على أوتار التاريخ وما يترتب عليهما منْ خطابٍ سياسيّ لتتغير به طبيعة وأنماط التفكير الشعبي وتعامل الأفراد مع بعضهم . إنَّنا كعسكريين نكرس السياسة بأفكارنا المتطرفة أو ما نعبر عنه في استراتيجياتنا العسكرية / السياسية على أرض الواقع . فبينما نزعمُ احترام حقوق الإنسان والمعاهدات الدولية ، تجدنا نمارس أقصى درجات القمع الفكري والنفسي على الإنسان المواطن ، وبينما نتباكى على قطرة دماء وطنية نتسابق على سفك وإراقة دماء العدو بشرعيتنا ؛ عسكريون أو سياسيون أودينيون . ويتباكى المدنيون منْ حكم العسكر ، ثم يطالبون بعودة العسكر إلى السيطرة على البلاد نكايةً في خصومهم . في حين أنَّ كرامة الأمة ستدق السماء بحذاء عسكري وستمشي على وقع طبول العسكر . فعزة الأمة ونهضتها لنْ تسطع إلاَّ من فوهة البندقية . وفخرها لنْ يرتوي إلاَّ بدماء جنودها ، العسكر فقط منْ يرسم للأمة معاني الكرامة والفخر والعزة . وفي ظل العسكر سيسطع فجر أيَّ أمةٍ منْ حبر القلم وعرق العمل وصفحات الكتاب وسيبقى فخرها جنودها الأوفياء الشرفاء وأحلامهم . إنَّ الحكم العسكري هو الحل الجذري لإحداث تغيراتٍ جذريةٍ في اللادول للخروج منَ الأزمات السياسية والأمنية ، فهو يستعمل المؤسسة العسكرية المنضبطة لإدارة شئون الدولة ويستعمل قوته العسكرية لفرض قراراته الأحادية . الحاكم العسكري يتخذ قراراته منفرداً أو منْ خلال مجلسٍ عسكريٍ ، بعكس السلطة المدنية التي تستوجب توافق الأطراف السياسية والسلطة التشريعية والسلطة التنفيذية وغيرها . هذا يُعطي الحاكم العسكري سلطةً مطلقةً تتجاوز الإختلافات السياسية والمصالح الجهوية والحزبية التي تعرقل إتخاذ القرارات الحازمة والقوية في الأنظمة المدنية.

ونجاح الحكم العسكري يعتمد على مؤسسةٍ عسكريةٍ قوية ٍومنضبطةٍ قادرةٍ على فرض إرادتها بدون الرجوع إلى المرجعيات الدينية أو أصحاب المصالح القبلية أو السياسية أو الجهوية أو الخاصة . ولنْ يضطر الحاكم العسكري لترضية بعض الأطراف لتعزيز مركزه فإنَّ ذلك سيفقده فعاليته . ولنْ يضطر للإستعانة بمجموعات ٍمسلحةٍ منْ خارج المؤسسة العسكرية لأنَّه سيفقد السيطرة على السلطة ، وفي نفس الوقت لايضمن طاعة هذه المجموعات .

إنَّ الجيش هو الضامن الوحيد لبقاء أيّ دولةٍ على حافة الإنهيار وليست السلطة ، وهو خط الدفاع الأخير عنْ وجودها وذلك لعدة أسبابٍ منها :

1- عدم وجود دستورٍ قويّ وتقاليدٍ سياسيةٍ يتم بموجبها تداول السلطة سلمياً .
2- هشاشة السلطة لكونها في الغالب كيانٌ مصطنعٌ .
3- ضعف ثقافة دولة المؤسسات وحكم القانون .
4- أسبابٌ ثقافيةٌ وتاريخيةٌ .
5- ضعف الولاء للدولة وسيادة الولاء للروابط القبيلة والجهوية ، أو للأيدولوجيات العالمية العابرة للأوطان

من هنا فإنَّ للجيش ثلاثة رؤىً مختلفةً :

1- أنْ يكون الجيش محايداً .
2- أنْ يمنع الجيش السلطة منْ قمع الشعب .
3- أنْ ينقلب الجيش على السلطة .

يقول بيتر رايت وهو محاضر بالأكاديمية الملكية في مقالٍ له بعنوان : المعارضة السياسية والمؤسسة العسكرية في دول العالم الثالث ، العصا والسهم والدرع والسيف ، في مجلة شؤون دولية ، عدد 102، صيف 2006 ، وقام بترجمته : جورج سماحة ، مجلة آفاق عدد 37، ربيع 2007 " المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية " يقول : إنَّ استخدام الجيوش في السياسة أمرٌ مغرٍ جداً للقوي الساعية إلى التغيير ، لما يؤمِّله بعض القوي في هذا الخيار منَ اختصار الطريق أو "حرق المراحل" كما يقول الفرنسيون . لكنه محاطٌ بمزالقٍ ومخاطرٍ لابدَّ أنْ تعيها القوى السياسية ، ومنْ هذه المزالق :

1- أنَّ الجيش سلاحٌ ذو حدين فقد تستطيع القوى السياسية الساعية إلى الإصلاح ركوبه إلى تحقيق أهدافها ، لكنَّ قادة الجيش قد يركبون القوى السياسية ويتخذونها رافعةً إلى مطامحهم الأنانية في السلطة والثروة . وتاريخ دول العالم الثالث في القرن العشرين ملئٌ بأمثلةٍ منْ ركوب العسكريين متن الحركات الأيديولوجية وتفريغ حماسها في الصعود إلى السلطة لبناء سلطةٍ استبداديةٍ مثل التي ثاروا عليها أو أسوأ منها . ولا حل لهذا المأزق إلاَّ بتحكم القوى السياسية في عناصرها العسكرية وتجريدهم منْ قوتهم القهرية حالما يُوصِلونها إلى غايتها السياسية .
2- أنَّ القوى السياسية التي تستخدم الجيش لابتزاز السلطة الحاكمة أوِ الانقلاب عليها قد تستمر في هذه الوسائل وتصبح جزءً منْ ثقافتها السياسية وهذا أمرٌ خطيرٌ ، لأنَّه يجرد قوى التغيير منْ مغزاها الأخلاقي والإنساني ويجعلها شبيهةٌ بالسلطة المستبدة التي جاءت لتحرير الشعب منها . فاستخدام الجيش أمرٌ استثنائيٌّ تمليه ظروفٌ استثنائيةٌ ولا ينبغي القبول باستمرار هذا النوع منَ الوسائل الإستثنائية وتحويلها إلى قاعدةٍ في الظروف الإعتيادية .
3- إذا فشل استخدام الجيش وانكشف أمام الحكام المستبدين ثمنه الإنساني والسياسي مؤلمٌ . ومنْ هذا الثمن احتمال السجن والتعذيب لمن يباشرون هذه المصل للقوي السياسية

المعارضة التي سلكت هذه السبل الخطرة ، ولا تزال بعض القوي السياسية في بعض دول العالم الثالث عاجزةٌ عنِ التعافي والقيام منْ كبوتها بعد موجاتِ قمعٍ منْ هذا القبيل تعرضتْ لها منذ عقودٍ . فلابدَّ للقوى السياسية التي تقرر استخدام الجيوش أنْ تضع في ميزانها السياسي الثمن الذي يمكن أنْ تدفعه والثمرات التي ترجوها . مع التأكد منْ القدرة على النهوض منْ كبوتها في حالة الإنكشاف والقمع .

توازن السلطتين :

إنَّ مفهوم توازن السلطة العسكرية يحدد بعنصرين الأول : ماديٌّ متمثلاً في قوة الجيش العسكرية ، والثاني : إدراك القيادة العسكرية لأهمية هذه القوة العسكرية باعتبارها الوسيلة المثلى للدفاع عنِ الأمة وللحفاظ على الأمن ، وإدراك السلطة السياسية بأهمية استمرار القوة العسكرية ، وإذا ما توافر عنصرٌ دون الأخر انهار هذا التوازن . إنَّ القوة العسكرية أوجدتْ نظاماً اجتماعياً مميزاً له تقنياته الخاصة ومؤسساته وإعلامه مرتبطٌ مع البعض بالقوة وأيّ فوضى سياسيةٍ أو هزيمةٍ عسكريةٍ أو حربٍ أهليةٍ ستمزق بعضاً منْ هذا النسيج وتصيب الوحدة التحتية للمجتمع العسكري بضررٍ بالغٍ وتوترٍ اقتصاديّ وصراعٍ اجتماعيّ وقلقٍ نفسيّ لأفراده ، وتعتمد السلطة على قدراتها الذاتية لتحقيق التوازن مع السلطة العسكرية ، بدون إيّ أحلافٍ ذلك أنَّ العسكر لا يؤمنون بالعمل الحزبي كأداةٍ لتحقيق أيّ هدفٍ ، إنَّما بالإعتماد على الذات العسكريةكمبدءِ حاكمٍ في سلوك السلطة العسكرية . يقول هارولد لازويل : إنَّ بناء علاقات السلطة يهدف للحفاظ على الوضع القائم وأيَّة محاولةٍ لتغييره تثير رد فعلٍ مقاومٍ باتجاه إعادة تنصيبه . ولأنَّ السلطة نفسها ،كما همُ العسكر ، لها أبعادٌ متعددةٌ ، فإنَّ التحليل الإستراتيجي يفرض علينا اللجوء إلى مستوياتٍ مختلفةٍ منَ التحليل ذات أشكالٍ مُتعددةٍ حول نفس إشكالية الهيمنة العسكرية . والذي يستخدم بشكلٍ كبيرٍ شخصية القادة العسكريين ، ومدى ولاء الجيش لهم ، والمجتمع بشكلٍ أشملٍ وأكبر الأزمات التي تمرُّ بها الأمة . فهذه الأشكال المتعددة للتحليل تسمح بإكمال الإطار الناقص للحالة السياسية والإقتصادية ، والتي عليها نستند أحياناً بشكلٍ مفرطٍ في العديد منَ التحليلات ، حيث تقدَّم بلا وجه حقٍ وخاصةً في الأمن والدفاع ، نحن نواجه إشكالية الهيمنة العسكرية الضخمة ، والتاريخ المعاصر يذكرنا بأنَّ الجيش أيضاً هو سلاحٌ سياسيٌّ .

إنَّ السلطة السياسية في القلب منَ الديمقراطية ، بما تمنحه للشعب منْ قوةٍ وثقةٍ بالنفس وتقدير لقيمة المواطنة ، أمَّا السلطة العسكرية في القلب بما تمنحه للشعب منْ قدرةٍ على لجم الإرهاب ، وتكون عوناً لأجهزة الأمن والدفاع عنِ الوطن . هذه المشكلة تُعرف في الأدبيات السياسية بـ"معضلة الأمن"غير أنَّ إدراكنا ووعينا لهذه المعضلة هما اللذان تغيرا بتسارعٍ كبيرٍ بعد الإنتشار الواسع للتطرف والإرهاب . هذا يعني في المحصلة أنَّ السلطة العسكرية ، وصانع القرار السياسي في أيّ دولةٍ ، يجدان نفسيهما مجبرين على الإستجابة للمفاضلة السابقة وخياراتها الصعبة والمكلفة .

الباب السابع

الظواهر والمشكلات الإجتماعية العسكرية

الظاهرة الإجتماعية العسكرية :

هي سلوك العسكريين الثابت الذي يفرض الإلتزام العسكري على جميع العسكريين بغض النظر عنْ رتبهم ومناصبهم ، فهي سلوكٌ يعمُّ المجتمع العسكري بأسرهِ ، ويختلف هذا السلوك عنْ تصرفات العسكريين الفردية . وحسب "دوركايم" فالظاهرة الإجتماعية في علم الإجتماع لا يمكنها أنْ تكونَ هكذا إلاَّ إذا استجابتْ للمعايير الأربعة التالية :

1. **معيارِ العمومية**: يعني أنَّ الظاهرة تعرف بعض التردد داخل فئة معينة ، في مكانٍ وزمانٍ محددين . وينبغي أنْ تكون الإجراءات المتخذة في هذا الشأن ثابتة على المستوى الجماعي وعلى المدى القصير . ولكن بصفةٍ عامةٍ ، تبقى هذه الإجراءات في تباينٍ تامٍ حسب طبيعة المجتمعات والعصور.

2. **الخارجانية l'Extériorité**: يعني أنَّ الظاهرة تبقى خارجةً عنِ الأفراد ؛ لا تتموقع في الوسط الفردي بل في الوسط الجماعي وكذلك الإجتماعي ، وهذا يدل على أنَّ الظاهرة الإجتماعية لم تولدْ مع الفرد وتموت معه ؛ لكنها تتجاوزه . وهنا الفرد لا يدرك بشكل طبيعي الوقائع الإجتماعية التي يجدها أمامه ، خارج الأفكار النمطية المنقولة بسرعة .

3. **سلطتها القهرية Pouvoir coercitif**:الظاهرة تفرض نفسها على الأفراد ، وليست نتيجة لاختيار فردي بقدرِ ما هي إلاَّ ثمرةٌ مركبةٌ منْ عواملٍ مختلفةٍ اجتماعيةٍ ، اقتصاديةٍ ، تاريخيةٍ ، جغرافيةٍ ، سياسيةٍ . هذا التركيب يفرض إكراهاتٍ على الفرد : مثلاً أنَّه يرُاد من الفرد أنْ يقوم بتصرفٍ معينٍ في وضعيةٍ معينةٍ وأنْ يحترم القواعد المتفق عليها . ومع ذلك سنلاحظ بأنَّ إذا تمَّ كبت هذه الظاهرة الإجتماعية ، سوف لنْ يشعرِ الفرد بهذه الإلتزامات كأنها شاقةٌ .

4. **المعيار التاريخي** :كي تصبح الظاهرة ظاهرةٌ اجتماعيةٌ ، لا بد أنْ يكون لها تاريخٌ في فترةٍ منَ الزمن ، فمثل على ذلك كانت الأزرار على أكمام البدل العسكرية توضع كي لا يمسح العسكري أنفه بأكمامه ، فأصبحتِ الآنَ ظاهرةً اجتماعيةً عسكريةً بحيث الكل يرتديها . فالظاهرة الاجتماعية لدىدوركايم في مجتمعٍ ما هي إلاَّ شيءٌ متكررٌ إنْ لم نقلْ منتظمٌ ومنتشرٌ كي يُنْعتُ بالجماعي ، بمعنى أنَّها فوق كلَّ وعيٍّ فرديٍّ وقاهرةٌ له .

دراسة الظواهر الاجتماعية:

إنَّ منْ أوائل الذين درسوا الظواهر والمشكلات الإجتماعية هو ابن خلدون ، محاولاً كشف القوانين التي تخضع لها الظواهر الإجتماعية ، سواءً في نشأتها أو في تطورها . إلاَّ أنَّي لمْ أعثر على أيَّة دراسة تهتم بالظواهر الإجتماعية العسكرية ، أعتقد أنَّه يجب أنْ توضع دراساتٍ شاملةٍ لهذا الموضوع والإهتمام بهذه الظواهر ووصفها وبيان ما هي عليه ، واستخلاص قوانين تفسر العوامل والأسباب التي تقود الظواهر الإجتماعية العسكرية . وتبيان ما يجب أنْ تكون عليه حسب مبادئٍ مثاليةٍ عسكريةٍ ترنو إلى الكمال .

إنَّ الظواهر الإجتماعية العسكرية كغيرها منَ الظواهر الإنسانية تنشأ منَ التفاعل بين نشاط العسكريين والوحدات العسكرية وتكون لغوية أو تشريعية أو أخلاقية أو دينية أو اقتصادية أو سياسية حسب تنوع الظواهر الإجتماعية العسكرية بطبيعتها الإنسانية ، ومنْ خلال دراسة هذه الظواهر الإجتماعية نصل إلى القوانين التي تتحكم بحركة المجتمع العسكري وهيكله التنظيمي .

أهمية الظواهر والمشكلات الإجتماعية العسكرية :

الظواهر السلبية هي أخطر أعداء المجتمع العسكري ومظهرٌ منْ مظاهر تدميره الذاتي لنفسه دونَ وعيٍّ أو إدراكٍ منْ أفراده . وحينما يشيع هذا الخلل في المجتمع العسكري يتحول الأمر إلى ظاهرة أولاً فإنْ لم تتصدَّ لها القيادة العامة للقوات المسلحة تفاقمت هذه الظاهرة وتحولتْ إلى مشكلةٍ مجتمعيةٍ عسكريةٍ يصعُب حلُّها وتعاضمتْ كلفتها الجهدية والمالية .

ولذا تُولي القيادات وهيئات الركن في الجيوش الواعية أهميةً قصوى لمحاربة الظواهر الإجتماعية العسكرية ودراستها و تحليلها ووضع الخطط اللازمة لمقاومتها إنْ كانت سلبيةً أو وضع الخطط للاستفادة منها إنْ كانت ايجابيةً . وما جعل جميع الجيوش في العصر الحديث تتقدم إلا أنَّها أخذت بخبرات الأجيال السابقة وإتباع المنهج العلمي في البحث والإستفادة منه في الحياة العسكرية .

تكون الظاهرة الإجتماعية العسكرية :

تبدأ الظواهر الإجتماعية في أيّ جيشٍ بعسكريٍّ أو مجموعةٍ قليلةٍ منَ العسكريين تعارضتْ أهدافهم الشخصية مع أهداف الجيش الكبرى ، ولرغبتهم القوية ودافعيتهم لتحقيق أهدافهم الشخصية العارضة لإشباع رغباتهم الملحة خالفوا السلوك العسكري لأول مرةٍ لتحقيق أهدافهم وإشباع رغباتهم ؛ ولكن في خوفٍ وقلقٍ تامين منْ أنْ تكتشف مخالفتهم ويتعرضوا للعقوابات المنصوص عليها في القوانين العسكرية ، أو لا يتمكنوا منْ إشباع رغبتهم لأنَّهم قد يخالفون البعض وهم يعلمون أنَّهم سيكتشف أمرهم ، وتعتبر هذه حالة انحرافٍ فرديٍّ متوقعٍ في أيّ جيشٍ .

والعسكري المنحرف سلوكياً في وحدته إذ تُرك فإنَّ لهُ أثراً مدمراً على مجتمعه العسكري ، ولذلك فالمنحرف إنْ لم يعدل سلوكه بوعيٍّ منه فإنَّه سيؤثر في سلوك العسكريين المحيطين به بدون وعيٍّ منهم حتى تتساوى الصفات السلوكية معه فلا يشعر بالغربة بينهم ، وحتى يمكنه ممارسة انحرافه السلوكي بحريةٍ و

بمساعدةٍ منهم . وأياكانتِ الأسباب يبدأ العسكري المنحرف ينقل ويثير الدافعية للمخالفة بين العسكريين المحيطين به سواءً بتحفيز حب الإستطلاع والإكتشاف أو بدافع التقليد والمحاكاة أو بدافع الحاجة الفعلية إلاَّ أنَّ محاولة الإنحراف تبدأ ويبدأ منْ جديد اكتساب نفس الخبرة وبنفس القوة لتطور الخبرة الإنحرافية ويكون الناتج بعد فترةٍ زمنيةٍ تقصر أو تطول تبعاً لطبيعة المخالفة هو زيادة عدد المنحرفين .

إنَّ معدل تزايد عدد حالات الإنحراف يتوقف على نوع المخالفة وطبيعتها وارتباطها بالواجبات التعبوية أو بحاجات العسكري الأُسرية الأساسية والغرائزية وحجم منفعتها وقوة آثارها في إشباع الحاجة وتأثيرها السلبي على دور الوحدة ضمن الصنف . وبمرور الوقت سيتضاعف عدد العسكريين المنحرفين وتتطور الخبرة السلوكية الإنحرافية ويزيد معدل الإنتشار وسرعته داخل الوحدة أوِ المعسكر ككلٍّ إلى أنْ يصبح لدينا عينةً أو فئةً صغيرةً منحرفةً توصف بهذا النوع منِ المخالفة السلوكية . و هنا يختلف الوضع تماما بالنسبة للوحدة أوِ الصنف أوِ السلاح وقيادته خاصةً لأنَّ هذه الفئة غير متوقعةِ الوجود حديثة المولد و معلنةً بمعنى لا يمكن إنكارها كحالاتٍ فرديةٍ مؤثرةٍ على المجتمع العسكري ويمكن عقابها ، وتورط الرقابة الأمنية كالشرطة العسكرية أساساً في هذه المخالفة وتحملها جانباً منَ المسئولية .

وفي ظل هذه الظروف والملابسات إذا لم تردعِ المخالفة بتطبيق القوانين العسكرسة الصارمة لردع المخالفين ووضع نظام رقابي خاصٍ معدٍ لهذه المخالفة للقضاء عليها في فترةٍ قصيرةٍ والدفع بالإدارات الأمنية العسكرية وإعادتها إلى حالتها الأولى منَ القوة والسيطرة تحولت الفئة المنحرفة إلى طور الظهور والعلانية واستمدتْ قوةً اجتماعيةً متخاذلةً بالموافقة والرضا على المخالفة وتحول مفهوم المخالفة السلوكية في نظر العسكريين إلى مفهوم الغاية تبرر الوسيلة . وزاد تأثير العسكريون المنحرفون على باقي أفراد الوحدة . وزال الخوف والقلق المقيد للمخالفة وتحول المرض السلوكي والإنحراف الإجتماعي إلى ظاهرةٍ اجتماعيةٍ تعمُّ المجتمع العسكري نُسمّيها ظاهرةٌ اجتماعيةٌ عسكريةٌ .

وكلما زاد عدد مرات تكرار الظاهرة أو عدد المشتركين فيها كلما ضعفت القدرة على السيطرة عليها أو علاجها . و أدَّى ذلك إلى تدمير أكبر عددٍ ممكنٍ منَ العسكريين ، وتوقيع أكبر خسارةٍ ممكنةٍ للمؤسسة العسكرية ، ووفقاً للفترة الزمنية التي تتمتع فيها الظاهرة بغياب الرقابة الأمنية والقانون العسكري ، وضعف القدرة على السيطرة عليها أو إهمال الظاهرة منَ القيادة العامة للقوات المسلحة على أنهَّا ليست خطيرة على الجيش وكينونته .

ومنْ هذا المنطلق يمكن احتساب الظواهر الإجتماعية العسكرية من أخطر أعداء الجيش غير الظاهرة وهي أخطر و أهم منْ أيّ ظواهر اقتصادية في زمن المجاعات على الأمة عموماً ، ومن أكبر مظاهر الجهل والتخلف أنْ تهتم قيادات الجيش بالشؤون الإقتصادية والسياسية ويهملون الشؤون الداخلية والسلوكية للمؤسسة العسكرية وخاصة الظواهر الإجتماعية السلبية مهما بلغت كلفة السيطرة عليها والقضاء عليها .

ومنَ المسمى يتضح ارتباط الظاهرة بالمؤثرات الإجتماعية المثيرة لدافع الإنحراف السلوكي ، وهو نتاجُ خللٍ تطبيقيّ في المنهج الإجتماعي ، وعلاجه لا يتمُّ إلاَّ منْ خلال تطوير المنهج الإجتماعي العسكري ككلّ ، ووضع الخطط المناسبة لعلاج الظواهر العسكرية . ولعله منْ أخطر هذه الظواهر إذا تحولتْ إلى مشكلاتٍ

مثل : إنحراف العسكريين والإنحلال العسكري و تفكك المجتمع العسكري والحروب ، وأقلُّها وطأةً ظاهرة البطالة العسكرية .

كيف نتعرف على الظواهر و المشكلات العسكرية :

يتمُّ التعرف على الظواهر العسكرية عنْ طريق دراسةٍ شاملةٍ لجميع المؤثرات والدوافع الفردية والإجتماعية المرتبطة بالظاهرة وكذلك جميع الخبرات المكتسبة والوسائل والنظم المخططة لضبط والسيطرة على السلوك المرتبط بها . ويجب أنْ ننظر للظاهرة منْ منظور ارتباطها بالمجتمع العسكري عامةً ، فالظاهرة مرتبطةً ارتباطاً وثيقاً بعنصرٍ منْ عناصر الواجبات التعبوية وهو الدور الإجتماعي العسكري الذي تسعي جميع الوحدات العسكرية لتأهيل أفرادها عليه وقت السلم ولممارسته بنجاحٍ وقت الحرب منْ تحقيق أهداف الجيش وآمال الأمة ، وعندما يفشل هذا الدور كحالةٍ فرديةٍ يعتبر انحرافاً عنْ توقع القيادة وأهدافها ، وعندما تتعدد الحالات تصبح مرضاً سلوكياً ، وعندما تتعدد وتتكرر تعتبر ظاهرةً اجتماعيةً .

كيف يتم العلاج

إنَّ السلوك العسكري هو حركةٌ تعبيريةٌ تصدر منَ العسكريين كاستجابةٍ لمثيرٍ ما ، وتتحكم فيها مجموعةٌ منَ الخبراتِ المكتسبةِ ، أو هو ردُّ فعلٍ لفعلٍ معينٍ وفقاً لخبرات الفرد المرتبطة بالفعل تدرب عليها عند التحاقه بالمؤسسة العسكرية ، كما أنَّ رد الفعل السلوكي أو الإستجابة السلوكية تتفق مع قوة الخبرة المرتبطة بالموقف والمحركة للدافعية والرتبة والمنصب .

أهداف دراسة المشكلات الإجتماعية العسكرية :

1- الإدراك الفعلي لظاهرة ما ، وفق الأسلوب العسكري لمعرفة صحتها ، والوقوف على أبعاد المشكلة .

2- رصد الآراء الإجتماعية منَ الجنود والضباط والقادة والحلول الممكنة .

3- فهم المشكلات الإجتماعية العسكرية لعلاجها ومحاربتها .

جوانبٌ يجب مراعاتها أثناء التصدي للمشكلات الإجتماعية العسكرية :

1- الإمكانيات المتوفرة .

2- ترابط المشكلات فيما بينها ترابطاً عضوياً .

3- وضع حلولٍ جذريةٍ للمشكلات الإجتماعية العسكرية وبشموليةٍ منْ أجل تغيير الحياة العسكرية فالحلول المؤقتة والملفَّقة لا تجدي نفعاً .

4- المشكلات في المجتمع العسكري تعكس النظام القيمي للمؤسسة العسكرية ، ودراستها مدخلٌ للعلاج .

إتجاهات تفسير المشكلات العسكرية :

1- التفسير التاريخي : ويعتمد على التاريخ ومراحل وتطور الجيش .

2- التفسير النفسي : بحكم أنْ المجتمع العسكري يتكون من أفرادٍ ولهم نفسياتهم .

3- التفسير الإجتماعي العسكري : ترابط بين الأسلحة والصنوف ، والتغيير في أحدها يؤثر في الآخر .

الدوائر المؤثرة في أيّ ظاهرةٍ اجتماعيةٍ عسكريةٍ :

- الوحدة
- التنشئة العسكرية

- الحالة الإقتصادية للعسكري
- البيئة داخل المعسكرات
- درجة الرفاهية داخل المعسكر
- القادة وهيئات الركن
- الزملاء والأصدقاء وخاصةً أصدقاء الدفعة الواحدة الذين لهم تأثيراً مباشراً على بعضٍ منقطع النظير ، فهي رابطةٌ أكبر و أشدُّ منْ رابطة الأخوة هذه الرابطة لا يؤثر فيها الدين أو القبيلة أو الجنسية .

تعريف المشكلة الإجتماعية العسكرية و أنواعها

إنَّ المشكلات الإجتماعية العسكرية موضوعٌ معقدٌ وذلك بسبب غموض المجتمع العسكري وعدم انفتاحه على بقية أفراد الشعب وصعوبة إجراء الدرسات عليه . وكذلك عدم وجود تعريف للمشكلة الإجتماعية العسكرية لأنَّ أيّ تعريفٍ لنْ يقف عند حدَّ التعريف بل سيتجاوزه ليشمل أنواع المشكلات الإجتماعية العسكرية وأسبابها وطرق معالجتها . والمشكلات الإجتماعية العسكرية منَ الموضوعات التي ترتبط بالعسكر وبأدوارهم الإجتماعية داخل المؤسسة العسكرية ومدى اندماجهم في الحياة العسكرية وتوافقهم مع قيم ومعايير المجتمع العسكري والواجبات المسندة إليهم في السلم والحرب . ويمكننا وضع عدة تعريفات للمشكلة الإجتماعية العسكرية وسأقترح إثنينٍ منها :

1. المشكلة الإجتماعية العسكرية هي : سوء تصرف العسكريين الذي نرغبُ في إزالته أو إصلاحه ، وذلك بالوسيلة المناسبة التي تقرّها القيادة العامة للقوات المسلحة .
2. المشكلة الإجتماعية العسكرية هي : أنماطٌ سلوكيةٌ غيرُ عسكريةٍ مرفوضةٍ وغير مرغوبٍ فيها منَ المجتمع العسكري ، وأنَّ القيادة العامة للقوات المسلحة تعترف بضرورة وصغ الخطط الإصلاحية اللازمة في مجابهة هذه المشكلات والحدِّ منْ مفعولها .

إذنْ فالمشكلة الإجتماعية العسكرية هي انحرافٌ عنِ القاعدة الإجتماعية العسكرية التي يفتخر بها العسكريون ؛ أيْ إنَّها تتعلق بالقيم التي يقدسها المجتمع العسكري ، فلا يمكننا التعرف على المشكلة دون التقيد بتلك القيم العسكرية فهي صراع بين القيم العسكرية العريقة والمقدسة في المجتمع العسكري ، تلك القيم والموروثات التي تمارسُ السيطرة على ضمائر العسكريين و توجه سلوكهم ، وبين القيم المستحدثة منْ مجتمعاتٍ غريبةٍ عنِ المجتمع العسكري (كأنْ يقلد أفراد سلاح الجو شركات الطيران المدني في قيمهم وعلاقاتهم وأهدافهم) ؛ هذه القيم الجديدة ستشقُّ لها طريقاً جديداً في المجتمع العسكري وسيصعب التغلب عليها إذا لم تعالجْ مبكراً . ولا تختلف المشكلة الإجتماعية داخل المجتمع العسكري الواحد ، وهذا يعني أنَّ المشكلات العسكرية تكاد تكون نفسها في كلِّ الجيوش . وتنقسم المشكلات الإجتماعية العسكرية إلى :

أ. مشكلات الجيش : وهي مشكلاتٌ تعمُّ المجتمع العسكري تقريباً ، وهي نوعان خطيرةٌ وأهمها : انحراف العسكريين والإنحلال العسكري وتفكك المجتمع العسكري والبطالة العسكرية ، والثانية الأقلّ خطورةً و لكنها تمس الروح المعنوية للعسكريين مباشرةً ، وتؤثر في مستوى

الكفاءة القتالية كتدني المرتبات أو عدم وجود مستشفياتٍ عسكريةٍ أو تأمينٍ صحيٍّ للعسكريين .

ب. مشكلات الأسلحة والصنوف : وهي التي لا تصيب إلاَّ سلاحاً أو صنفاً معيناً منَ المجتمع العسكري . كتدني الكفاءة القتالية لبعض الوحدات ، أو النقص في الذخائر وقطع الغيار ، أو معدات ووسائل التدريب .

ت. مشكلات الأفراد الشخصية : كالإدمان على المخدرات ، المشجرات مع المدنيين أوِ احتساء الكحول .

ث. مشكلات إصلاحية : تعتقد القيادة العامة للقوات المسلحة على أنَّ ظروفاً غير مرغوبٍ فيها أخذت تهدد القيم الإجتماعية العسكرية ، وتضع خطةً أو منهجاً معيناً لإصلاح تلك الظروف ، لأن جوهر المشكلات العسكرية هو القضاء على الأسباب التي أسهمت في ظهورها ليتم التغلب عليها . حيث أنَّ المشكلات الإجتماعية العسكرية تنتج عن ظروف صنعها العسكريون بأنفسهم أفرادٌ أو قيادتٌ .

ج. المشكلات التخلُّفية : وهي تلك المشكلات التي لا تتفق القيادة العامة للقوات المسلحة على كونها مشكلة ، ولا على أسبابها بسب تخلف هذه القيادة الفكري والثقافي فلا تجمع رأياً حولها ، بسبب التسيب والإهمال الذي يكتف القيم الإجتماعية العسكرية المتعارفة بينهم . كارتداء الجنود لقيافة الضباط

والملاحظ أنَّه ليستْ جميع المشكلات ذات مصدرٍ اجتماعيٍّ لأنَّ هناك بعض المشكلات التي تنجم عنْ عواملٍ أُخرى مثل الحروب ، الثورات والفوضى التي تعقبها أو عوامل طبيعية مثل الأعاصير والفيضانات والزلازل . إلاَّ أنَّ الأضرار التي تخلقها المشكلات الطبيعية تُنمِّي العلاقات الإجتماعية العسكرية وتُعزز روح الفريق لدى الأفراد والوحدات ، وذلك عندما يبدأ الجيش بتقديم المساعدات للمتضررين ففي هذه الحالة تأخذ المشكلات الطبيعة طابعاً اجتماعياً مختلفاً .

العوامل التي تحدد موقفاً معيناً بأنَّه يمثل مشكلةً اجتماعيةً عسكريةً

1. الصفوة في المجتمع العسكري .
2. القيادة العامة للقوات المسلحة التي لها صلحيةٌ خاصةٌ في تحديد سلوكٍ معينٍ ، أو موقفٍ معينٍ على أنَّه مشكلةٌ اجتماعيةٌ عسكريةٌ .
3. تفسير السلاح أوِ الصنف للمشكلة الإجتماعية على أنَّها نتاجٌ لمجموعةٍ منَ السمات الشخصية للعسكريين ، أكثر منْ كونه نتاجاً للبناء الإجتماعي العسكري للسلاح أوِ الصنف .
4. تحديد نطاق المشكلة الإجتماعية العسكرية منْ خلال الجيش ، دونَ إدراك أو تحليل لهذه المشكلة منْ خلال المجتمع المدني خارج الأسوار .
5. يتم تحديد المشاكل الإجتماعية العسكرية بعد شعور العسكريين بها وليس قبل حدوثها

مو اقف العسكريين منَ المشكلات الإجتماعية العسكرية :

عندما يدرك العسكريون وجود مشكلةٍ اجتماعيةٍ داخل معسكراتهم وثكناتهم سيتخذون مواقفاً متباينةً ومتنوعةً تجاهها وتتباين مواقف العسكريين على حسب درجة الوعي العسكري ودرجة الإلتزام العسكري والقرب أو البعد عنِ المشكلة ومنْ هذه المواقف :

1. اللامبالاة .
2. الإنغماس فيها والإستسلام لها .
3. الشك والتهكم .
4. العقوبات العسكرية .
5. الحماس العسكري المفرط .
6. الموقف البراغماتي للعسكريين : إنّ َالمذهب العملي أو العَمَلانِيَّة العسكرية هو أنْ نعتبر أنَّ تنفيذ الواجبات بالصورة الصحيحة في السلم و الحرب هو المعيار الوحيد لنجاح العمل رابطاً بين التطبيقو النظرية ، حيث أنَّ النظرية العسكرية يتم استخراجها عبر تنفيذ الواجبات . أيْ أنَّ البراغماتية العسكرية تقوم على أنَّ نتيجة العمل هي التي تحدد كفأة العسكري وقدرته على تنفيذ واجباته وصحة اعتقاده بالحياة الإجتماعية العسكرية . فالقيم العسكرية والواجبات العسكرية لا تتحددان إلاَّ في علاقتهما بالممارسة العملية . فهي فلسفةٌ تهتم أساساً بالنتائج وتجسدها الكفاءة القتالية على مستوى الممارسة العملية التخصصية للأفراد . والحياة العسكرية مزيجٌ منَ البراغماتية التي تؤمن بالوجود المادي وحده ، والمثالية التي تؤمن بالوجود الروحي وحده ، ولكلِّ عسكريٍّ الحق في تنفيذ واجباته الخاصة .

ويجب أنْ تستهدف التنشئة العسكرية نزعةً براغماتيةً في تعليم الأفراد كيفية التفكير منْ أجل التكيف مع المجتمع العسكري دائم التغير . ويجب أنْ تغرس في نفوس العسكريين المستجدين تلك الخبرات التى تساعدهم على الإندماج في الحياة العسكرية الجديدة وهذا يتطلب الإهتمام بالنواحي التالية :

1. اللياقة البدنية والنفسية للخدمة العسكرية .
2. المهارات التخصصية الوظيفية .
3. الإهتمام بالهويات الفردية .
4. غرس وتنمية روح الفريق لدى الأفراد .
5. القدرة على التعامل بكفاءة مع المشكلات الإجتماعية العسكرية .

إنَّ منْ مزايا البراغماتية العسكرية نظرتها الواقعية للمجتمع العسكري لأنَّها فلسفةٌ منْ أجل العمل القتالي وليست أفكاراً أكاديميةً مثل الإستراتيجية والنظريات العسكرية ، لكن إذا أخذنا نتيجة هذا العمل القتالي بمعنىً خاصٍ بفردٍ أو وحدةٍ عسكريةٍ ، بدون أهملنا للعقل فإنَّ البراغماتية انعكاسٌ لفلسفةٍ تقوم بتمجيد الجندي وتغليب واجباته .

أبعاد المشكلة الإجتماعية

الأبعاد هي المراحل التاريخية التي مرُّ بها مفهوم المشكلات الإجتماعية وتمثل رؤية علماء الاجتماع لها . بدأ علم الاجتماع الأمريكي في دراسة المشكلات الاجتماعية مع بداية التصنيع السريع والتحضر في المجتمع الأمريكي . حيث ظهر مفهوم يجمع في إطاره مفهوم المشكلات الإجتماعية ، أطلق عليه مصطلح العلة الاجتماعية Social Pathology ثم تبعه مفهوم الوهن التنظيمي "التفكك الإجتماعي" Social Disorganization ثم السلوك المنحرفDeviant behavior .

الباثولوجية الإجتماعية العسكرية PathologySocial

وهي صورةٌ لانحراف العسكريين وانحلالهم ، وهي تستند إلى تشبيه المجتمع العسكري بالجسم البشري كقول رسولنا الكريم ﷺ : " إذا اشتكى منه عضوٌ تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمّى " . والعلة الإجتماعية العسكرية تَعني الخروج عما هو مألوفٌ في الوضع السوي والسائد في التنظيم الإجتماعي العسكري . والانحراف عنِ المعايير والقواعد التي يحددها المجتمع العسكري لأنماط السلوك الموروثة والمرغوبة ، إنَّ الهدف منْ دراسة السلوك المنحرف لتحديد المشكلة الإجتماعية العسكرية وإيجاد وسائل وحلول لمواجهة هذه المشكلات . ولعلَّهُ منْ أخطر هذه المشكلات هي" تفكك المجتمع العسكري" الذي يحدث عندما يتعرض المجتمع العسكري لتغيرٍ اجتماعيٍّ تراجعيٍّ سريعٍ وحادٍ فيؤدي إلى انهيار النظام القيمي في المجتمع . كما حدث للجيش العربي الليبي بعد نكبة فبراير 2017 . ومصدر هذا التفكك العسكريين أنفسهم لأنَّهم فشلوا في التمثل لمعايير وقيم مجتمعهم ، وكانوا غير قادرين على التكيف مع الحياة العسكرية المنحلة الجديدة . في هذه الحالة يجب على القيادة العامة للقوات المسلحة تعزيز النظام الإجتماعي العسكري والمحافظة عليه ، والإهتمام بالخصوصية الثقافية للجيش وإعادة تعليم وتأهيل العسكريين وتنظيم برامج تعليمية وندوات لإعادة غرس القيم والعادات المرتبطة بطبيعة الحياة الإجتماعية للمجتمع العسكري الجديد .

أنماط المشكلات العسكرية

الأول : تفكك المجتمع العسكري وهو الوهن الذي يصيب هيكله التنظيمي .

الثاني : الإنحلال العسكري .

الثالث : انحراف سلوك العسكريين .

الرابع : البطالة العسكرية .

الخامس : الحروب .

السادس : النفير .

هذا التقسيم لا يعني أنَّ كلَّ نمطٍ يركز على ظواهر متباينة ، وإنمَّا يتناولان جوانب مختلفةٍ منْ نفس الظاهرة .

تصنيف المشكلات الاجتماعية:

إنَّ المشكلات الإجتماعية المتكررة التي تواجه أي مجتمع عسكري تقسم إلى ثلاث مجموعات أساسية ، تتعلق كلٌ منَّها بنمطٍ مختلفٍ منْ أنماط التكيف مع الحياة الاجتماعية العسكرية والتي يتحتم على كل قيادةٍ عامة لأيّ جيشٍ مواجهتها والعمل على حلها وهي مشكلات الوحدات الأساسية للتنظيم الإجتماعي العسكري . وتتمثل هذه التصنيفات في التالي:

1- المجموعة الأولى منَ المشكلات بسبب التجنيد ، وهي المشكلات الناجمة عنْ عدم التكيف مع البيئة العسكرية .
2- المجموعة الثانية منَ المشكلات بسبب ضعف التنشئة العسكرية وسؤ التدريب والتي تتعلق بعدم الإنسجام مع القيم والعادات والأعراف العسكرية وضعف الكفاءة القتالية .
3- المجموعة الثالثة منَ المشكلات بسبب سوء القيادة كإشباع الإحتياجات الإنسانية للعسكريين أو بسبب القبلية أو الولاء للتيَّارات السياسية المختلفة .
4- المجموعة الرابعة "مشكلاتٌ تنظيميةٌ ": ترتبط بالهيكل التنظيمي السيء وعدم وضوح أهدافه وواجبات أفراده
5- المجموعة الخامسة "مشكلات مجتمعية ": وترتبط بسوء العلاقات العسكرية بين الأفراد والوحدات و الطبقات وعدم اهتمام القيادات بمشكلات الأفراد والوحدات وتركها للظروف ، وهي أخر مراحل تفكك المجتمع العسكري .

خصائص المشكلات الإجتماعية العسكرية :

أ. يستطيع أيّ ملاحظٍ إدراكها والإحساس بها ، وكلما زاد إدراك العسكر للمشكلة كلما زادتْ وضوحاً .
ب. تتوقف المشكلة الإجتماعية العسكرية عند حدِّ الرفض الذهني منَ الجنود وصغار الضباط ، فلا تشكل أيَّ نوعٍ منَ التحفيز لتحريك السلوك المضاد أوِ اتخاذ المواقف لمواجهتها وإزالة آثارها السلبية . لأنَّهم يعتبرون ذلك منْ واجبات القيادات العامة للجيش .
ت. تمتاز المشكلة الإجتماعية العسكرية بالثبات على وتيرةٍ واحدةٍ منْ حيث قدرتها على التأثير ، ثمَّ تطورها إلى مشاكلٍ متعددةٍ .
ث. لا تمتاز المشكلة الإجتماعية العسكرية بخاصية النسبية ، وذلك لأنَّ المجتمعات العسكرية متشابهةٌ جداً في تحديد مفهوم المشكلة .
ج. تخضع المشكلة الإجتماعية العسكرية في حجمها وتنوعها وتأثيرها للظروف التي يخضع لها المجتمع العسكري ، فكلما ضعفتِ القيادة في المجتمع العسكري زاد تعقيده بنائياً ، وأدَّى ذلك إلى زيادةٍ في المشكلات الإجتماعية العسكرية وتنوعاً في أسبابها ومصادرها وزيادةً في أشكالها وأنواعها . وكلما كان نظام الحكم شمولياً زاد تأثيره سلباً على المجتمع العسكري بسبب ظهور الإستقراطية العسكرية داخل الجيش .

ح. تظهر المشكلات الإجتماعية العسكرية في منشأٍ يعكس الإضطراب في القيادة العامة للقوات المسلحة والقادة أنفسهم ، وتكون نتيجةٍ لتمزق نسيج العلاقات العسكرية بين الأفراد داخل المعسكرات وخارجها ، وإنتاج سلسلة تصدعات ٍتسبب في انهيار المؤسسة العسكرية بالكامل .

خ. إذا كان الجيش قوياً فإنَّ المشكلات الإجتماعية العسكرية ليستْ حتمية فهي ليستْ دائمة أو مستمرة مع استمرارية الحياة العسكرية ، ولذلك فهي تظهر في الجيوش الضعيفة بعد اضطرابات أو هزائم تُصيب الأمة .

د. تظهر المشكلات الإجتماعية العسكرية بسبب التغيرات الحاصلة للجيش .

أسباب المشكلات الإجتماعية العسكرية

إنَّ أسباب المشكلات في المجتمع العسكري ومسبباتها تتنوع وتتعدد ، ومن أهمِّ المسببات الرئيسية للمشكلات الإجتماعية العسكرية هو التفاوت في سرعة التغير الإجتماعي والثقافي للمؤسسة العسكرية ، الناتج عنْ سرعة التفاوت في أحد جوانب الثقافة عنِ الجانب الآخر .

وعلى أيَّةِ حالٍ فإنَّه على الرغم منْ تعدد مسببات المشكلات الإجتماعية العسكرية فإنَّه يمكننا ملاحظة الكثير منَ الأمور مثل الوضع الإجتماعي للجيش إذا كان متطوراً أو متخلفاً والمستوى الثقافي للعسكرين بمختلف رتبهم ومناصبهم . إلى جانب العوامل الذاتية " للأفراد كالقدرة على القيادة والكفاءة لها " و" البيئة السياسية للأمة " و أخلاق الشعب وحبه للمؤسسة العسكرية وقناعته بأهميتها ، والبيئة الإجتماعية الحاضنة بما فيها من ظروف الثقافية والإقتصادية باعتبارها تقف وراء هذه المشكلة أو تلك ومتحكمةٌ في خط سيرها وتهديد الأمة منَ الأمم المجاورة أو الإرهاب العابر للحدود . كما أنَّ هناك عواملٌ غير طبيعية تحدث منْ خلال الفعل الإجتماعي وتكون مصدراً لتفريخ المشكلات الإجتماعية العسكرية .

أمَّا الظروف السياسية المسببة لمشكلات المؤسسة العسكرية يمكن أنْ تتركز أساساً في اتجاه نظام الحكم السائد في عدالته أو عدمها ، وفي ديمقراطيته أو دكتاتوريته ، في اهتمامه بالجيش أو تهميشه له .كما يتمثل في مدى سيطرتها على القيادة العامة للقوات المسلحة وتسييرها منْ عدمه ، هذا المناخ قد يعصف بكل جهود التنمية ويقف في طريق تطور وتقدم الأمة . أمَّا أوضاع المجتمع العسكري الثقافية التي تسهم في خلق المشكلات فيمكن تمثيلها في كثيرٍ منَ الاتجاهات أهمها :

1) اختلاف التنشئة العسكرية .
2) اختلاف المستويات التعليمية للقيادات وعدم أهلية الضباط للقيادة .
3) التضارب والتصارع الثقافي بين جيلين في المؤسسة العسكرية : وتؤدي إليه العديد من الأمور التي منها :

أ. اختلاف الموجهات والمعطيات الثقافية .

ب. الجمود والتزمت الثقافي أو الانفتاح الثقافي اللا محدود .

ت. التفاوت في سرعة التغير (أو التغيير) الاجتماعي والثقافي .

4) مستوى الضبط و الربط العسكري .
5) عدم وضوح أهداف الجيش الكبرى للقيادات والأفراد وعدم وضوح المعايير العسكرية .

6) النزعات الإنفصالية .

ويعتبر التغير الإجتماعي العسكري السريع منْ أهم العوامل المسببة لحدوث المشكلات في المجتمع العسكري ، وكلما زادت سرعة واستمرار عملية التغير ، زادت احتمالات ظهور المشكلات داخل المجتمع العسكري . وقد يكون التغير إيجابياً بحيث يعمل على حل المشكلات الإجتماعية العسكرية . أو سلبياً يؤدي إلى حدوث المشكلات الإجتماعية وتراكمها . ومن عوامل التغير الإجتماعي العسكرية :

1. الأيديولوجية العسكرية : وهي أفكارٌ هادفةٌ لها فاعليةٌ إيجابيةٌ في البيئة العسكرية ، وفي العلاقات الإجتماعية العسكرية ، والقيم العسكرية ، والعمليات الإجتماعية العسكرية .
2. تجديد الثقافة العسكرية .
3. الكفاءة القتالية للأفراد : أداء الأفراد و الوحدات وآثارهم في عملية التغير الإجتماعي العسكري .
4. التكنولوجيا : تطور التسليح المتسارع ومتطلباته لأفرادٍ ذوي مستوىً عالٍ من التعليم والتدريب هو السبب المباشر للتغيرات الإجتماعي والثقافي العسكري التي تحدث في المجتمع العسكري ، وغالباً ما يترتب عليها حدوث التخلف الثقافي أو الهوة الثقافية العسكرية في أحد جوانبها ، فينتج عنها عدم مسايرة النظم الإجتماعية العسكرية مع تطورات المجتمع الحديثة ، مما يؤدي إلى عجز النظام العسكري عن استيعاب التغيرات الجديدة نوعاً منَ الإنعزال بين العسكريين والنظام ذاته ، فتحدث المشكلات الإجتماعية العسكرية .
5. العسكريون أنفسهم : إنَّ إلتحاق مواطنين جدداً بالخدمة العسكرية وهم يحملون معهم قيمهم وعاداتهم وكذلك ظروفهم الصعبة والمختلفة التي قد تضطرهم إلى عدم التوافق والإنسجام مع المجتمع الجديد فتنشأ المشكلات الإجتماعية العسكرية .
6. الحروب: الحرب بحد ذاتها مشكلةٌ اجتماعيةٌ ، و تؤدي الحرب إلى مشكلاتٍ عديدةٍ منها الهجرة وتفكك الأمة و اضمحلالها والفقر والبطالة والتعصب وغيرها منَ المشاكل الإجتماعية .
7. وهن الهيكل التنظيمي للمؤسسة العسكرية وتفكك المجتمع العسكري : يترجم مفهوم الوهن التنظيمي إلى تفكك المجتمع العسكري الذي يتضمن عدم فاعلية القادة أو ضعفهم وعدم وضوح أهداف الجيش وعدم وجود استراتيجية عسكرية في أدوار وواجبات الأركان والأسلحة والصنوف أو عدم أدائها لأدوارها كما هو مطلوب منها هيكلياً ، وهذا بدوره يؤثر على وظيفة الهيكل التنظيمي ، وسيحدث ذلك توترات شخصية للقادة وهيئات الركن ناجمٌ عنِ العمل ضمن هيكلٍ تنظيميٍّ يصعب التحكم فيه بشكلٍ تامٍ . كما يشير أيضاً إلى معاناة العسكريين في تحقيق ذواتهم العسكرية داخل التنظيم بسبب جمود بعضٍ منْ قيمه وغموض أهدافه . ومنَ الإفرازات التي يحدثها وهن الهيكل التنظيمي التنظيمي الفساد الإداري .

المشكلات الإجتماعية العسكرية والتغيرالإجتماعي العسكري :

شهدت المجتمعات المحلية خلال السنوات الأخيرة من القرن العشرين إنَّ أيّ تغيراتٍ اجتماعيةٍ عسكريةٍ سريعةٍ ومستمرةٍ ، سيترتب على هذه التغيرات نتائج متعددةٍ أهمها : حدوث تعديلات في العقائد العسكرية والهياكل التنظيمية للجيوش وأنماط التدريب يتتبع درجة تقنية التسليح ، واستراتيجيات الأمم والبناء الإقتصادي لها . ويرافق هذه التغيرات السريعة الكثير منَ المشكلات الإجتماعية العسكرية كمشكلة الفساد الإداري ، وتغير الثقافة العسكرية ، ونمط التفكير وتصادم الأجيال . وتنشأ هذه المشكلات عندما لا تتزامن التغيرات التي تطرأ على جزءٍ منَ الثقافة اللامادية مع التغيرات التي تطرأ مع الثقافة المادية نتيجة تفاوت معدلات التغير الثقافي العسكري في جانبي الثقافة العسكرية . ويشير مفهوم التخلف الثقافي العسكري إلى الموقف الذي يتغير فيه أحد عناصر أو مكونات الثقافة العسكرية بشكلٍ أسرعٍ مما يتغير به غيرها منَ العناصر الأخرى للثقافة العسكرية .

وصف المشكلات الإجتماعية العسكرية :

أ -المشكلات الإجتماعية العسكرية تعتبر انحرافاً عنِ القيم الإجتماعية المعمول بها في المؤسسة العسكرية .

ب- المشكلة الإجتماعية العسكرية هي التي يراها العسكر فهي السلوك الذي تجمع غالبية العسكريين (في مجتمع ما) على أنه مشكلات .

ج - المشكلة الإجتماعية العسكرية لا تتمايز منْ جيشٍ إلى آخرٍ ، ولا النظرة إليها تختلف منْ مجتمعٍ عسكريٍ إلى آخرٍ . وهذا يعني أنَّ النسبية لا تلعب أيّ دورٍ في تحديد ملامحها .

د – المشكلات الإجتماعية العسكرية لا تعكس المواقف والاهتمامات الخاصة كمشكلات عسكرية منْ وجهة نظر ذاتية بحتة .

هـ - المشكلات الإجتماعية العسكرية متداخلة ومتشابكة ومن الصعوبة تحديدها بدقة بالفصل بينها فصلاً قاطعاً .

و- المشكلات الإجتماعية العسكرية مستمرة وتظهر جليةً واضحةً في الجيوش الضعيفة ويمكن إيجاد حلول جذرية لها .

ز- المشكلات الإجتماعية العسكرية تتشكل تدريجياً على مراحل مترابطة لذا فإنَّها لا تظهر فجأةً أو عفويةً وبناءً على ذلك فهي متطورة اجتماعياً .

ح- المشكلات الإجتماعية العسكرية لا يمكن شرحها أو تشخيص حدوثها منْ خلال سببٍ واحدٍ بل منْ خلال عدة أسبابٍ مترابطةٍ .

ط- المشكلات الإجتماعية العسكرية مرتبطة بالقيم والأعراف والتقاليد العسكرية دائماً . وتمثل الآداب والأخلاق العسكرية نواتها .

ي- المشكلات الإجتماعية العسكرية تظهر في منشأٍ يعكس الإضطراب الإجتماعي والفردي ، وهذا يعني أنَّها ملتصقةٌ بالفساد والتفسخ الإجتماعي داخل المجتمع العسكري .

ك- المشكلات الإجتماعية العسكرية لا بدَّ أنْ تتضمن نمطاً منَ السلوك قابلاً لتدخل القيادة العامة للقوات المسلحة .

القاعدة الثقافية للمشكلات الإجتماعية العسكرية

تكشف المشكلات الإجتماعية العسكرية عنِ اتجاهها المضاد لمعايير وقيم المؤسسة العسكرية ومن أبرز مكونات هذه القاعدة ما يلي :

1. التفسير الكيدي : يرجع السلوك الصادر منَ العسكريين والمضاد للجيش وقيمه إلى كرهية هؤلاء العسكريين للخدمة العسكرية باعتبارها خدمةٌ شريرةٌ .
2. المنصب والتخصص العسكري للقيمة الاجتماعية : مدى ما يقوم به العسكري واجباتٍ ومهامٍ من خلال قيم الجيش .
3. إفرازات التغير الإجتماعي : تجلب المعطيات المستحدثة على الجيش (سلباً) قيماً ثقافيةً عسكريةً مختلفةً تؤدي إلى حدوث مشكلاتٍ لم يعهدها المجتمع العسكري منْ قبل مثل : انتشار الرشوة والفساد الإداري وتبدل مفاهيم الشرف العسكري وانحلال العسكر .
4. الجانب الذاتي للمشكلة : أيْ نفور الفرد منْ ممارسة سلوكٍ معينٍ وتم فعله منْ قبل البعض يعد مشكلةٍ عسكريةٍ .
5. قيم الأغلبية : المعايير الإجتماعية العسكرية هي التي تحدد ما هو مقبولٌ ومرفوضٌ ، فقد رأيتُ في بعض الوحدات أنَّ ارتداء القيافة العسكرية تعد مشكلةً لأنَّ الأغلبية تردي الملابس المدنية أثناء الدوام الرسمي الذي هو في الأصل مخالفة للمعايير والقيم العسكرية .

أفكارٌ خاطئةٌ عنِ المشكلات الإجتماعية العسكرية

يختلف العسكريون في الدراية والمعرفة عنِ المشكلات السائدة في المجتمع العسكري ، ويرجع هذا الاختلاف كما قلتُ سابقاً إلى درجة القرب أو البعد من المشكلة وإلى نوع العلاقة ومدى ترابطها بينهم . إنَّ جميع المشاكل الإجتماعية العسكرية يتم إدراكها بدرجةٍ أقل أهمية منْ قبل القيادة العامة للقوات المسلحة لبعدها عنها اجتماعياً وجغرافياً . ولأنَّ المعرفة بها تكون قليلة بالتالي تفقد أهميتها ، كما أنَّ اهتمام القادة على مختلف مستوياتهم بمتاعبهم الذاتية يكون أكثر منَ اهتمامهم بالشؤون العامة لوحداتهم أو تشكيلاتهم ، ويزداد إدراك القيادة العامة للقوات المسلحة للمشكلات الإجتماعية العسكرية إذا كانت "المشكلات" تمثل حالاتٍ مستعصيةٍ ، أو ذات صيتٍ واسعٍ ، أو تمس جانباً منَ اهتمامات القادة . ومعظم العسكريين لديهم معدلٌ محدودٌ منَ الدراية والمعرفة حول المشكلات في المجتمع العسكري في حين تجدهم يعيشون هذه المشكلات بشكلٍ يوميٍ ، وغالباً لا تكون منتظمةٍ وأحيانا تسمى متناقضةٍ أو غير صحيحةٍ ، والذي يستمع إلى المغالطات الواسعة المتعلقة بالمشكلات الإجتماعية العسكرية يكتشف أنَّ معظم معرفة العسكريين حولها سطحيةٌ غير متعمقةٍ ، الأمر الذي يتطلب عدم الوثوق بها . وتتمثل الإنطباعات الخاطئة عنِ المشكلات الإجتماعية العسكرية في التالي :

1. عدم الإتفاق بين القادة أو بين الأفراد أنفسهم على ما يعتبر مشكلةً اجتماعيةً يعاني منها الجيش وتسبب في تخلفه و يرجع عدم الإتفاق إلى الفروق في القناعات الشخصية وتباين المستويات

التعليمية والثقافية بين هؤلاء القادة أو الأفراد فما هو متفق عليه بين البعض لا يكون هكذا مع جميعهم .

2. اعتبار المشكلات في المجتمع العسكري شيئاً طبيعياً لا يمكن تجنبه .
3. المشكلات الإجتماعية العسكرية ما هي سوى حالةٍ شاذةٍ وغير عاديةٍ .
4. تتسبب المشكلات الإجتماعية العسكرية منْ قبل مجموعةٍ معينةٍ منَ العسكريين بغض النظر عنِ الرتبة والمنصب .
5. المشكلات الإجتماعية العسكرية توجد بسبب كثرة الحديث عنها .
6. المشكلات الإجتماعية حتى خارج أسوار المعسكرات والثكنات تحل نفسها بنفسها .
7. أماني العسكريين أنفسهم : فبعضهم لا يرغب في رؤية المشكلة محلولةٍ وذلك إمَّا لكون حلها يعود بتأثيرٍ سلبيٍّ عليهم ، أو أنَّ حلها يتعارض مع معاييرهم وقيمهم .
8. عندما تصبح المشكلة حقيقيةً تكون محلولةً .
9. يمكن معالجة المشكلات الإجتماعية العسكرية بعيداً عنِ القيادة العامة للقوات المسلحة .

نظرية التغير الاجتماعي Social Change theory

منْ وجهة نظري فإنَّ التغير الإجتماعي هو السبب الأصلي والمبدئي The Primary Cause للمشكلات الإجتماعية العسكرية . و ذلك بربطها مع معدل التغير ، سواءً كان التغيير سريعاً أو أنَّ اختلاف معدل التغير بالنسبة لأجزاءٍ معينةٍ مختلفةٍ منَ المجتمع العسكري هو السبب في هذه المشكلات . والفكرة الأساسية خلف هذا التصور هو مصطلح وليم أوجبيرن William Ogburn " التخلف الثقافي Cultural Lag أو الفجوة الثقافية ". ويقصد بالفجوة الثقافية بين العسكريين هو أنْ يحتفظ الجيل القديم المتخلف بالتقاليد والعادات والتقنيات على الرغم منْ قدمها أو عدم ارتباطها بمجموعة المعايير الجديدة للثقافة العسكرية . فتحدث الفجوة الثقافية العسكرية عندما يختل التوازن في سرعة النمو بين عناصر الثقافة العسكرية ، بحيث يتغير كلُّ عنصرٍ بسرعةٍ متفاوتةٍ عنِ العنصر الأخر ، فيتغير أحدهما سريعاً بينما لا يتحرك العنصر الأخر أو يتحرك ببطء .

صراع القيم العسكرية Conflict Military Values

القيم العسكرية Military Values هي : أحكامٌ مكتسبةٌ منَ الظروف الإجتماعية والحياة العسكرية يتشربها العسكري ويحكم بها سلوكه وتحدد مجالات تفكيره وتؤثر في تعلمه التخصصي والثقافي ، ولا تختلف القيم العسكرية باختلاف الجيوش ، وهي إيجابيةٌ دائماً ويشترك فيها جميع أفراد المجتمع العسكري بدون استثناء بغض النظر عنِ الرتبة أوِ المنصب في السلم والحرب ، كما أنَّ هناك قيماً تختص بها طبقةٍ معينه داخل المجتمع العسكري الواحد ، وليس شرطاً أنْ تكون عامةً بين جميع العسكريين ، وهذه القيم الأخيرة تختلف ربما تختلف منْ جيشٍ إلى آخرٍ . فإذا حدث تغيرٌ سريعٌ في المجتمع العسكري حدث معه تنوعٌ وعدم تجانسٍ في الأفكار والثقافة مما يؤدي إلى ظهور انساقٍ متعددةٍ منَ القيم في المجتمع العسكري الواحد والتي لا يمكن أنْ تتفق فيما بينها ، وبالتالي يحدث ما يعرف بالصراع حول القيم العسكرية في المجتمع

العسكري والذي يساعد على ظهور المشكلات الإجتماعية فيه . أيضاً يمكن أنْ يحدث صراع القيم العسكرية نتيجة الأتي :

1. التباين والتفاوت بين قيادات الجيش منْ حيث القوة والسلطة .
2. شعور العسكريين بإضطهاد وظلم السلطة السياسية ، وذلك سيؤدي إلى ظهور الصراع بين الطبقات العسكرية في المجتمع العسكري .
3. قدرة القوة الإقتصادية والسياسية على فرض أفكارها على العسكريين .
4. بتفكك المجتمع العسكري تظهر طبقاتٍ غريبةٍ مختلفةِ المناصب والرتب والتخصصات ذات مصالحٍ وقيمٍ متباينةٍ وكلُّ طبقةٍ تدافع عنْ مصالحها ، وبالتالي نجاح طبقةٍ ما يتسبب في وجود مشكلةٍ لطبقةٍ أخرى . وإنَّ الجهد المبذول لحل مشكلةٍ اجتماعيةٍ عسكريةٍ يتضمن محاولات منَ الطبقة المتضررة لإحداث تغييراتٍ لانتزاع حقوقها منَ القادة الذين يحتلون مراكز القوة والنفوذ في المؤسسة العسكرية . وقد يعدُّ صراعٌ معينٌ دافعٌ للتغيراتٍ الإجتماعية العسكرية الضرورية .

1- إنحراف العسكريين

إنَّ هذه المشكلة الإجتماعية العسكرية نتاجٌ لقدرٍ منَ الإنحراف عنْ معايير المجتمع العسكري أكثر منْ كونها انهياراً عاماً . ويرجع سببها إلى وجود أفرادٍ تصر على أنْ تسلك سلوكاً ينحرف عنِ المعايير والقيم السائدة بالمؤسسة العسكرية ، وبالتالي يستند سلوكهم على معايير خاصة تتعارض مع التوقعات السائدة في المجتمع العسكري عنِ السلوك السوي .

وللجيش أهدافٌ كبرى يسعى لتحقيقها ، منْ خلال وسائلٍ مشروعةٍ ارتضاها الشعب ، ولكن نجد أنَّ هناك بعض الأفراد أو القادة التي حرمت منْ تحقيق أهدافها الشخصية ، وبالتالي فإنَّهم يتبعون وسائل غير مشروعةٍ للوصول إلى ما يبتغون ، وهم بذلك يخرجون على أعراف المؤسسة العسكري وعلى قوانينها التي ارتضتها " فينحرفون " عنِ السلوك السوي . وكذلك فإنَّ العسكريين ربَّما يتعرضون لمؤثراتٍ أساسيةٍ منَ الطبقات العليا العسكرية قد تكون انحرافاً عنِ معايير المجتمع العسكري ، وبالتالي فإنَّ ارتكابها يشكل نوعاً منَ المشكلات الإجتماعية العسكرية . أعتقد أنَّ التفسير الواحد للمشكلة الإجتماعية العسكرية ، قد لا يكون كافيا . ولا يمكن تفسيرها في ظل نظرية واحدة من هذه نظريات الإنحراف الإجتماعي . إنَّ المشكلات العسكرية شيءٌ معقدٌ ، وأحياناً بالغ التعقيد ، ومنْ هنا فإننا نضطر للجوء لأكثر منْ تفسيرٍ منْ تفسيرات هذه النظريات كي نرى أين تكمن جذور المشكلة . وما لم نقف على الجذور الحقيقية للمشكلة ، فإنَّه يستحيل علينا أنْ نجد لها حلاً .

السلوك المنحرف للعسكريين

إنَّ مفهوم السلوك المنحرف يعني الخروج أو الإنحراف عنِ المعايير العسكرية التي رسمها المجتمع العسكري عبر السنين و هو أقلُ درجةً منْ انحلال العسكر . وحسب ميرتون هناك نمطين منْ أنواع السلوك

المنحرف يتباينان منْ حيث المسببات و النتائج المترتبة عليها ويمكن اسقاطهما على المجتمع العسكري ، وهما السلوك اللاتوافقي والسلوك المنحرف .

أ.سلوك العسكريين اللاتو افقي :

1- عندما يكون العسكري غير متوافق مع معايير المجتمع العسكري بسبب اجباره على الخدمة العسكرية أو عدم قناعته بأهداف الجيش سوف يتخذ في معارضته للمعايير صفة العلانية .
2- يمثل سلوك العسكري غير المتوافق تحدي لشرعية المؤسسة العسكرية .
3- يسعى اهتمام العسكري غير المتوافق إلى تحقيق هدفه المتمثل بتغيير المعايير الإجتماعية العسكرية القائمة .
4- العسكريون غير المتوافقين يسعون دائما لتحقيق مصالحهم الشخصية منْ خلال وجودهم في الجيش وذلك بالسرقة و التزوير واستغلال مناصبهم في أشكال الفساد .
5- لا يسعى العسكريون غير المتوافقين إلى تحقيق أيَّ نوعٍ منِ العدالة الإجتماعية العسكرية ، إنَّما يسعون دائماً لتحقيق أهدافهم الشخصية .
6- العسكريون غير المتوافقين يكونون دائماً أقل كفأة قتالية من زملآئهم ونظرآئهم .
7- يؤثر هؤلآء الأفراد في مستوى الكفاءة القتالية للوحدات بحيث تكون في أقل مستوياتها .
8- إذا كان هؤلآء الأفراد قادةً أو آمرينَ فإنَّ الفساد سوف يضهر بصورةٍ واضحةٍ في المجتمع العسكري وسيسعون للتعبير عن مصالحهم الخاصة وإشباع احتياجاتهم الشخصية بأيّ صورةٍ .

ب.السلوك المنحرف للعسكريين:

1.يحاول العسكري المنحرف سلوكياً أنْ يخفي سلوكه المنحرف عن زملآئه و قادته .
2.ينتهك العسكري المنحرف معايير المؤسسة العسكرية التي يعترف بها .
2.ينحصر اهتمام العسكري المنحرف في كيفية الهروب من العقوبات .
3.العسكريون المنحرفون لا يسعون دائماً لكسب مصالحهم الشخصية .

المداخل العلاجية المشكلات الاجتماعية

يوجد مدخلين أساسين في مواجهة المشكلات الإجتماعية العسكرية كأيّ مشكلةٍ اجتماعيةٍ أُخرى ، وذلك منْ خلال مستويين أساسيين يهدفان إلى تحقيق أهدافٍ علاجيةٍ أو وقائية وهما :

1. المدخل العلاجي : Treatment approachوهو مستوىً يستهدف القضاء على المشكلات القائمة التي يعاني منها المجتمع العسكري . وإذا لم يستطع القضاء على المشكلات تماماً أو نهائياً ، فهو على الأقل يحاول التخفيف منها قدر الإمكان . وهذا المستوى هو الشائع حيث يبدأ الاهتمام بالمشكلة بعد أنْ تظهر وتتضح مظاهرها ، أيْ أنَّه يتعامل مع الأعراض والنتائج دون الحاجة للرجوع للمسببات .
2. المدخل الوقائي : Preventive approach وهو الذي تتوقع فيه القيادة العامة للقوات المسلحة حدوث المشكلات ، نتيجة علمها بأسبابها مقدماً ، وبالظروف التي تؤدي إليها فتتهيء القيادة لذلك قبل وقوع المشكلات ، وتكون النتيجة السليمة هي قلة الخسائر أو حتى انعدامها ويتطلب هذا الأسلوب الكثير منَ العلم والجهد والعمل .

إنَّ هذا المستوى الوقائي لمقابلة المشكلات الإجتماعية ، يعتمد على العلوم الأخرى مثل : علم النفس ، علم الاجتماع ، علم الإحصاء ، الخدمة الاجتماعية ، وغيرها . ويمكن للمستويين أنْ يسيرا جنباً إلى جنبٍ بحيث تكون معالجة آثار المشكلة الإجتماعية سائرة في الوقت الذي تكون فيه أمور الإعداد للوقاية منْ تكرارها أو زيادتها واستفحال أمرها آخذةٌ في السريان أيضا .

2- تفكك المجتمع العسكري

إنَّ تفكك المجتمع العسكري هو تطورٌ للباثولوجيا العسكرية ويُعبر عنْ تغيرٍ جوهريّ في المشكلات الإجتماعية العسكرية . وذلك لأنَّ ما كان يعد شواهداً على الباثولوجيا العسكرية أصبح مؤشراً على تفكك المجتمع العسكري كانحلال العسكر مثلاً . و يشير مفهوم تفكك المجتمع العسكري إلى ما يصيب الهيكل التنظيمي للقوات المسلحة منْ قصورٍ أو خللٍ في أدائه لوظائفه الأساسية وهي تحقيق الإستمرارية والإستقرار للمجتمع العسكري . (أيْ قصور القيادات العسكرية في أداء وظائفها المحددة في الهيكل التنظيمي) .

مصادر تفكك المجتمع العسكري

1. صراع جيلين على المصالح والقيم : يرتبط بجلين منَ العسكر يسعى كل جيلٍ لتحقيق مصالحه .
2. الصراع على القيادة والإمرة : يرتبط بالتغير التراجعي للمجتمع العسكري ، ونظراً لتباين مكانة وكفأة القادة و الآمرين داخل المجتمع العسكري ، وتعدد أدوار الإجتماعية وواجباتهم العسكرية ، يحدث الصراع بين الأدوار و الواجبات بسبب غموض أهداف الجيش في هذه المرحلة فينتج عنْ هذا الصراع فشلٌ وقصورٌ في تنفيذ الواجبات وتدني في مستوى الكفاءة القتالية والجاهيزية القتالية وبالتالي يظهر تفكك المجتمع العسكري .
3. القصور في عملية التنشئة العسكرية : كما أسلفتُ فإنَّ التنشئة العسكرية هي عمليةٌ يكتسب منها العسكريون المستجدون الإتجاهات والقيم العسكرية التي يجب أنْ تتوافق مع واجباتهم وتخصصاتهم العسكرية ، ويترتب على القصور في عملية التنشئة العسكرية تفككٌ اجتماعيٌ ناتجٌ عنْ عدم وضوحٍ للعلاقات المتبادلة بين العسكريين بسبب الصراع القيمي ، والصراع بين السلوك الجديد والسلوك القديم للأدوار . وبذلك يفقد العسكريون التزامهم العسكري وولائهم للمؤسسة العسكرية .
4. الهزائم العسكرية للأمة ، والثورات الفوضى التي تعقبها .
5. قصور التواصل بين الأفراد والطبقات العسكرية : يظهر تفكك المجتمع العسكري بسبب قصورٍ أو خللٍ في تنفيذ الواجبات والمهام داخل التنظيم الإجتماعي العسكري حتى و إنْ لم يكنْ هناك صراع بين المصالح أو القيم .

ويُقصد بوهن الهيكل التنظيمي فشل القادة والأفراد في تنفيذ الواجبات المسندة لهم والأدوار التي يحددها المجتمع العسكري لهم فيفقد القادة السيطرة على الأوضاع ويفقد الأفراد روح الجندية ، فيحصل

صراعٌ بين ما يقوم به العسكري منْ سلوكٍ يوميٍ وبين توقعات حجم الواجبات المنفذة . وعادةً ما يحدث الوهن التنظيمي بسبب التغير الجذري للمجتمع العسكري فيحدث عدم توازنٍ أو عدم انسجامٍ بين أجزاء النظام الإجتماعي في الجيش ككلٍ . أيْ عدم توازن في واجبات الأسلحة و الصنوف كأجزاء للنظام الإجتماعي العسكري ؛ مثالٌ على ذلك أنْ يتحول سلاح الجو إلى شركة طيرانٍ تنقل الركاب بمقابل مالي ويسير رحلات الإسعاف الطائر بانتظام ، أو أنْ تقوم قوات الدفاع الجوي بواجبات سلاح الجو . وينتج عدم التوازن منْ فشل العسكريين في واجباتهم ، ويحدث الفشل منْ خلال ثلاثة طرقٍ هي :

أ. الفشل معياري .

ب. الفشل الثقافي .

ت. الشعور بالإحباط .

وبالتالي فإنَّ المشكلة الإجتماعية المتضمنة في تفكك المجتمع العسكري إلى إخفاق الهيكل التنظيمي للقوات المسلحة في أنْ يجعل الأسلحة والصنوف والإدارات والهيئات متلاحمةً ومتماسكةً مع الأدوار والواجبات المسندة والمتوقع انجازها ، أيْ عدم قدرة القيادة العامة للقوات المسلحة على القيام بمتطلباتها الوظيفية بطريقةٍ فعالةٍ .

التداخل بين مشكلات المجتمع العسكري وتفككه و انحراف العسكريين

1. إذا فشلت القيادة العامة للقوات المسلحة في إشباع احتياجات العسكريين وتحقيق أدنى مستويات الرفاهية ، وتحديد الواجبات والمهام للقادة والآمرين والأفراد بفعالية ، سيشعر العسكريين بغض النظر عن رتبهم ومناصبهم بالإحباط نتيجة إخفاق القيادة العامة للقوات المسلحة في تحقيق الأهداف وبالتالي تظهر الصراعات في الواجبات داخل الهيكل التنظيمي .
2. إذا ازدادتِ الإحباطات وتفجرت الصراعات وعدم احترام الأقدمية والمناصب وتمرد الجنود على قادتهم وضباطهم ، ستبرز التفككات الإجتماعية في المؤسسة العسكرية .
3. إذا تفشى التفكك الإجتماعي في المؤسسة العسكرية وامتد بين الأسلحة و الصنوف سيُشكل مشكلةً اجتماعيةً و التي ستؤثر سلباً في الأفراد والوحدات والتشكيلات وتُصبح سلوكاً انحرافياً يتطلب مواجهةً وتدخلاً سريعاً .

المعاييرالإجتماعية العسكرية التي يحدد على ضوئها التفكك الإجتماعي العسكري :

1. درجة اتزان الهيكل التنظيمي .
2. إنحلال الوحدات الصغرى وعدم قيامها بواجباتها وقت السلم .
3. البطالة العسكرية : و هي منَ الأمراض الخطيرة التي تصيب المجتمع العسكري التي تساعد على انتشار سلوك الإنحلال وإهمال الواجبات وتدني مستوى الكفاءة القتالية .

التحليل السوسيولوجي لمشكلة التفكك الاجتماعي :

1. يحدث تفكك المجتمع العسكري عندما يكون هناك تغيرٌ في توازن القوى السياسية التي كانت تساند التنظيم العسكري في مرحلةٍ معينةٍ منه وتؤدي في نفس الوقت إلى فعالية القيادة

العامة للقوات المسلحة . فإذا ازدادت عوامل التغير الإجتماعي العسكري شدةً في أمةٍ منهزمةٍ تؤدي إلى تفكك في العلاقات النظامية والأنماط السلوكية العسكرية ، وبالتالي يصعب بناء المجتمع العسكري بأنماطه التقليدية وعلاقاته المتينة .

2. عندما يتغير البناء الإجتماعي العسكري وهيكله التنظيمي دون تحديدٍ واضحٍ للواجبات والقيادات و الأهداف تكون الفرصة مهيأة لتفكك المجتمع العسكري .
3. التغير الإجتماعي في المؤسسة العسكرية يؤدي إلى إعادة ترتيب الأسلحة والصنوف عن طريق إيجاد قيمٍ جديدةٍ وأهداف جديدة تنعكس بدورها على البناء الإجتماعي العسكري المنهار .

علاقة الحراك الإجتماعي بتفكك المجتمع العسكري

يحدث تفكك المجتمع العسكري بسبب الحراك الإجتماعي العمودي في المجتمع العسكري الدينامي الذي يفتح باب التصارع لكل المؤهلين لشغل المناصب فينجح العسكري في دوره كقائدٍ ولكن قد لا يصاحبه نفس النجاح في أداء واجباته التخصصية ، فتحصل صراعات متماشية مع الحراك الإجتماعي العمودي . وقد يحدث المجتمع العسكري بسبب الحراك الإجتماعي الأفقي المبني على العلاقات القبلية والطائفية والولاءت السياسي التي لا تخدم المؤسسة العسكرية وإنمَّا تخدم السلطة في تنفيذ مصالحها على حساب الجيش فيحدث تفككٌ في المجتمع العسكري ويفرخ تفككات فرعية داخل الهيكل التنظيمي حتى يصل إلى الوحدات الصغرى مروراً بقيادات الأسلحة وأركاناتها والإدارات والهيئات والصنوف .

صراع القيم العسكرية بعد تفكك المجتمع العسكري

بعد تفكك المجتمع العسكري تبرز طبقاتٍ جديدةٍ وغريبةٍ مختلفةِ المناصب والرتب والتخصصات ذات مصالحٍ وقيمٍ متباينةٍ تتصارع منْ أجل قيمها ويعني ذلك دفاع الطبقة عنْ مصالحها . ولكل طبقةٍ قيمٍ خاصةٍ بها وتسعى منْ أجل إيجاد ظروف تتوافق مع قيمها الجديدة ، ويعكس الصراع بين طبقتين عسكريتين نتيجةً لصراع القيم حالةً منَ التفكك الإجتماعي العسكري كصراع طبقتين من سلاح الجو على تأجير واستغلال الطائرات العسكرية لأغراضهم الشخصية (قادة الألوية الجوية ورئاسة أركان القوات الجوية) . وأهم شيء هنا ينبغي أنَّ نتنبه إليه هو أنَّ صراع القيم العسكرية يعتبر منْ أخطر الصراعات داخل المجتمع العسكري ، وأنَّه ليس منَ السهل أنْ يتوصل فيه العسكريين إلى حلولٍ جذريةٍ ، وذلك لأنَّ كلَّ طبقةٍ تعتقد أنَّها على حق فيما يتعلق بقيمها الجديدة التي تدافع عنها ، ومنْ ناحيةٍ أخرى بأنَّها ليست على استعدادٍ للتنازل عنْ قيمها بيسرٍ وسهولةٍ . هنا سنرى الصراع الطبقي العسكري يظهر للوجود بسبب ضعف القيادة العامة للقوات المسلحة وتفكك المجتمع العسكري وهو نتيجةٌ حتميةٌ لحركة تاريخ الأمة الإنهزامي التي لا تتضمن مؤشرات القوة والسلطة منْ وجهة نظري . وهدف الصراع الطبقي العسكري في هذه الحالة هو الإستحواذ على الثروة والقوة والسلطة هو المصدر الرئيسي للمشكلات الإجتماعية عموماً وليستْ العسكرية فقط فيتفشى مرض الإنقلابات العسكرية بسرعةٍ داخل القيادات العسكرية والسياسية . إنَّ التغير التدرجي للمجتمع العسكري هو أفضل السبل لحل صراعات المجتمع العسكري منْ الثورة العنيفة حسب " ماركس".

3- الإنحلال العسكري

ربما تتعدد تعريفات مفهوم الإنحلال العسكري وتتشعب وتتداخل فيما بينها ، وتختلف حسب وجهات نظر العسكريين من زوايا مختلفة منْ : اجتماعيةٍ ، أو نفسيةٍ ، أو سلوكيةٍ . وهذا يدل على مدى أهمية دراسة الإنحلال العسكري وثقله في المجتمع العسكري . فإنَّ هذا التناول المتعدد الجوانب يساعدنا في فهم واستيعاب وحصر المفهوم بشكل أكثر دقةٍ .

إنَّ الإنحلال لغةً مصدر انحلَّ ، انحلالاً ، فهو مُنحَلٌّ ، وهو تفكّكٌ وانتقالٌ منَ المؤتلف إلى المختلف ومنَ الصحيح إلى الفاسد . وفي علم النفس هو حالةٌ تتَّصف بانحرافٍ كبيرٍ جداً في السُّلوك عنْ معايير المجتمع الذي نشأ فيه الفرد . وإذا خرج العسكري عنْ ضوابط المجتمع العسكري وقواعد التشريعات العسكرية فهو منحرفٌ في سلوكه عنْ قيم المجتمع العسكري فهو منحلٌ.

إنَّ الإنحلال ظاهرةٌ ناتجةٌ عنْ فشل السيطرة الاجتماعية العسكرية على الأفراد . منْ هنا اسمحوا لي بطرح هذا التساؤل: كيف ينحل العسكر؟ ، و أمام أعينهم كل الضوابط العسكرية الشديدة ؟ فللإنحلال العسكري إذنْ ، مكافأةٌ اجتماعيةٌ عسكريةٌ يحصل عليها المنحل مهما كان نوع انحلاله . والأصل أنَّ سلوك العسكر المنتظم في النظام الإجتماعي العسكري إنَّما ينشأ منْ سيطرة المجتمع العسكري منْ خلال القوانين العسكرية الشديدة . إذنْ فالإنحلال العسكري يتناسب طردياً مع نوع التنشئة العسكرية التي تحدد العلاقة الإجتماعية بين العسكريين داخل المعسكرات والثكنات وخارجها ، فالمجتمع العسكري ذو التنشيئة الشديدة متماسكٌ جداً يتضاءل فيه الإنحلال .

وعلى هذا الأساس فإنَّ المجتمع العسكري المتماسك منْ ناحية طاعة القانون واتباعِ القيم العسكرية التي يؤمن بها أفراد المجتمع العسكري في علاقات أفراده الاجتماعية وفي تنفيذ واجباتهم في السلم والحرب سيكونُ محميٌّ ضد أنواع الإنحلال العسكري المختلفة ، ومنْ أجل منع الإنحلال العسكري لابد منِ اجتماع العناصر التالية :

1 . التنشيئة العسكرية : حيث أنَّ شعور الأفراد بذاتهم العسكرية ووعيهم العسكري سيقللان منْ فرص انحلالهم . فالعسكري يشعر بالمسؤولية العسكرية والأخلاقية في كلِ الأحيان ، تجاه المؤسسة العسكرية عامةً ووحدته خاصةً . وهذه المسؤولية هي العرف في المجتمعات العسكرية ، فأي خرق لهذه الأعراف الإجتماعية يستوجب العقوبة للمنتهك حرمتها ، وعادةً ما تكون العقوبة رادعةٌ .

2 .ممارسة التخصص العسكري : وهو انغماس الفرد في واجبات ومهام عسكرية سليمة تستهلك طاقته الفكرية والجسدية ، والمشاركة في المناورات والإنشغال الدائم بالحياة العسكرية . وهذا الإنشغال يقلل منْ فرص الإنحلال العسكري . أمَّا العسكريين الذين لا يمارسون تخصصاتهم

ولا يكلفَون بتأيدة واجبات ومهام عسكرية ، أو أولآئك الذين يندبون للعمل خارج القوات المسلحة لفترات طويلة فيرتدون الملابس المدنية الأنيقة ويبتعدون عنْ الخشونة ورائحة عرق الميدان وشدة الحياة العسكرية سيفقدون ولآئهم للمؤسسة العسكرية ، وتتسرب منْ دمائهم كل القيم ولأعراف والعقائد العسكرية . وسيفتحون أبواب الإنحلال لأنفسهم .

3 . الإلتزام و الضبط والربط العسكريين .

4 . الولاء للمؤسسة العسكرية : إنَّ الولاء للمؤسسة العسكرية يدعو العسكريين إلى الإلتزام بالقيم والمبادئ العسكرية والأخلاقية .

إنَّ العسكريين الذين أُنشؤا بالطريقة الصحيحة والسليمة وتربطهم الأواصر الإجتماعية العسكرية المتينة وينغمسون في أعمالهم وواجباتهم يستثمرون حياتهم وأفكارهم للوطن بكلّ ِإيمانٍ وولاء ، هؤلاء تتضاءل عندهم فرص الإنحلال العسكري ، وتزداد منْ خلال سلوكهم فرص الإستقرار والتمسك بالقيم العسكرية والقوانين والحياة القاسية التي تعودوا عليها . ويصل الإنحلال بينْ أفراد الطبقة العليا أوِ الصفوة بالمجتمع العسكري الذين تتوفر فيهم جميع عناصر منع الإنحلال الإجتماعي فهم أغنياء ، يتمتعون بأفضل العلاقات مع السلطة ، ويمارسون أفضل الهوايات البدنية ، والفكرية ، ويستثمرون أموالهم المتراكمة في العقارات والمزارع والمصانع ومتديّنون جداً ، ولكن البعض منهم مع كل ذلك يساهم في انحلال المجتمع العسكري بطريقةٍ أو بأُخرى ، بالسرقة والفساد والتآمر . وهؤلاء العسكريين متكاملون مع النظام الإجتماعي العسكري مدافعون عنه بكلِّ حماسٍ لأنَّه يحميهم ويحمي مصالحهم ، ولكنهم مع ذلك ينحرفون عنِ القيم و الأخلاق العسكرية ، فكيف نُفسر هذا السلوك ؟ وكيف نُفسر هذا الإنحلال العسكري لصفوة المجتمع العسكري .

مفهوم الإنحلال العسكري منْ زوايا متعددة :

تعريف المجتمع العسكري للإنحلال العسكري : هو كل سلوك يهدف إلى ترك المعايير الإجتماعية العسكرية نهائياً وفي حالة تكراره بإصرارٍ يؤدي إلى اضمحلال وانتهاء المؤسسة العسكرية . أو هو من زاويةٍ أخرى : ذوبان العسكر في البيئة المدنية المحيطة المعادية لوجوده .

المفهوم النفسي للإنحلال العسكري :

منْ حيث المفهوم النفسي فإنَّ العسكري المنحل هو منْ يعاني اضطرابات وصراعات نفسية مضادة للمؤسسة العسكرية يفصح عنها بأشكال منَ السلوك المنحرف عنِ القيم العسكرية ، وبأسلوب يُؤْذي المؤسسة العسكرية ، وهو بذلك لا يختلف عن ِالمريض نفسياً ، ويمثل الإنحلال العسكري عادةً محاولةً لضرب المجتمع العسكري منَ الداخل بعلمٍ أو بدون علمٍ ، وخلق مشكلة خطيرة وبعيدة الأثر لنظرية الأمن القومي ، وبعبارةٍ أخرى فإنَّنا يجب أنْ ننظر إلى شخصية العسكري المنحل لا إلى الفعل نفسه ، بذلك نفرق بين العسكريين المنحلين المرضى والعسكريين المنحلين الأسوياء ، على اعتبار أنَّ الإنحلال العسكري

في الحالة الأخيرة مرده إلى المجتمع العسكري وظروفه ، وليس إلى العسكريين أنفسهم ، ومع هذا يجب أنْ نهتم بالمنحلين الذين تعبر جرائمهم عنْ هذا الاضطراب أو الخلل أو المرض النفسي ، مع كونهم منحلون بدون شخصية إجرامية .

تعريف الإنحلال العسكري من وجهة النظر الأمنية :

الإنحلال العسكري هو تفريغ نظرية الأمن القومي منْ محتواها العسكري .

الإنحلال العسكري في علم القانون العسكري والعقاب :

هو مجموع المخالفات المرتكبة أو نوع منَ السلوك أو موقف يمكن أنْ يعرض أمره على المحكمة ويصدر فيه حكم قضائي ، والمشهر بها والتي يعاقب عليها القانون العسكري ، و التي تؤدي نتائجها إلى تدمير القوات المسلحة والمجتمع العسكري ويهدد كيانه ، ويضر بمصلحة الأمة بطريقةٍ مباشرةٍ أو غير مباشرةٍ . نتيجة عدم التزام العسكريين بالقيم والمعايير العسكرية التي تطبق في المؤسسة العسكرية ، والتي يقيمها المجتمع العسكري ويحرص بشدةٍ للحفاظ عليها . أيْ أنَّ الإنحلال العسكري يتضمن أنماطاً منَ السلوك المضاد للمجتمع العسكري داخل المعسكرات أو خارجها ، ويؤدي إلى الإضرار بالنظام العسكري ، باختصار يمكننا لقول أنَّ الإنحلال العسكري هو " اعتداءٌ على قوانين المجتمع العسكري الصارمة ، ونظامه بسلوك يعبر عنِ اضطراب الشخصية العسكرية يدفع إلى الفعل اللاسوي ، ويقضي بمعاقبة مرتكبه " .

نظرات حول الإنحلال العسكري :

لم أعثرْ على هذا المصطلح في أيِّ كتاب عسكري لتوضيح السلوك الذي لا يتماشى مع القيم والمقاييس والعادات والتقاليد العسكرية التي يعتمدها المجتمع العسكري في تحديد سلوكيات أفراده . ولم أجدْ أيِّ دراساتٍ نظريةٍ للإنحلال أوِ الإنحراف العسكري أو تهتم بالسُّلوك الوظيفي العسكري أو ذلك السلوك الشاذ الذي يتناقض مع الأحكام الإجتماعية والعرفية الضرورية لعملية تماسك المجتمع في النظام العسكري . إنَّ سلوك الأفراد العسكريين المنحلين هو السلوك الذي يجلب السخط عليهم منْ أصدقائهم وزملآئهم وقادتهم وبالتالي المجتمع العسكري ككلٍّ لتحديهم الأعراف والتقاليد الإجتماعية العسكرية.

إنَّ الدراسات التي قام بها توماس "هوبز و سكموند فرويد" حول السلوك المنحرف تؤكد على أنَّ السلوك المنحرف ما هو إلا صراعٌ بينَ رغباتٍ وطموحاتٍ ودوافع الفرد منْ جهةٍ و وسائل الضبط الإجتماعي والسلوكي التي يعتمدها المجتمع أوِ الجماعة منْ جهةٍ أخرى . ونستطيع إسقاط هذه الدراسات على الإنحلال في المجتمع العسكري .

إنَّ المجتمع العسكري نظامٌ معقدٌ ومتدرجٌ منَ المكافآت والأهداف . فالعسكري الذي يناضل منْ أجل النجاح يعتمد على الطرق الشرعية العسكرية التي يقرها الجيش ويشجع عليها ، لكن التأكيد المتزايد على تحقيق أهدافٍ لا يقرها المجتمع العسكري كالحصول على دوراتٍ تدريبيةٍ إضافيةٍ أو ترقياتٍ بدون وجهِ حقٍ

بغية الحصول على السمعة والاحترام قد يدفع إلى ظهور حالة لا تستطيع فيها العادات والأعرف العسكرية ضبط سلوك العسكريين . أوِ اللجوء إلى الأساليب اللأخلاقية كقيام بعض العسكريين بالسرقة أو اختلاس الأموال ، هذه الأعمال تشير إلى الإنحلال العسكري الذي لا ينسجم مع أخلاق وعادات المجتمع العسكري السوية .

إلا أنَّ الجيوش التي توجد فيها درجة عالية منَ المنافسة بينَ الأفراد لا يظهر بها غالباً حالاتٍ مختلفةٍ منَ السلوك المنحرف ، وذلك لشدةِ الإنضباط العسكري ، فلنْ نشاهد حالات الجنوح الإجتماعي لكنَّ العالم "ميرتن" يميز ثلاثة حالاتٍ يندفع الفرد منْ خلالها إلى تقليل وتخفيض حدة خيبة أمله التي يسببها له نظامه الإجتماعي خصوصاً إذا كان الفرد مضطهداً اجتماعياً ، وهذه الحالات الثلاث هي حالة التمسك بالطقوس أيْ الإلتزام المطلق بالأحكام الإجتماعية والتقيد بأهداف المجتمع ، وحالة التراجع أيْ رفض الأهداف الحضارية وطرق الوصول إليها ، وأخيراً حالة الثورة أيّ الردة على المجتمع وتحدي قيمه ومقاييسه . والإنحلال العسكري لا يختلف منْ مجتمعٍ عسكريٍّ إلي آخرٍ لتباث قيم الثقافية العسكرية وتوحدها بين الجيوش إلى حدٍ بعيدٍ جداً ؛ فالسلوك الذي يعد منحرفًا في مجتمع عسكريٍّ ما يعد نفسه منحرفًا في مجتمعٍ عسكريٍّ آخرٍ .

إنَّ الإنحلال بالمعنى العسكري يعنى انحرافاً عنِ المعايير التى ارتضاها المجتمع العسكري . وشمل مفهوم الإنحلال الجرائم العسكرية لأنَّ الإنحلال العسكري مفهومٌ واسعٌ يشير إلى كلّ ِأساليب السلوك التى تلتزم بالمعايير العسكرية و تعاقب عليها القوانين والتشريعات العسكرية . فالقتل جريمةٌ يعاقب عليها القانون فهي انحلال ، وانعدام والضبط والربط انحراف لأنه سلوك لا تتفق عليه المعايير العسكرية فهو انحلال . ولذلك يمكن القول بأنَّ كلَّ جريمةٌ هى انحلالٌ و كلُّ انحراف انحلالٌ . فالإنحلال منْ وجهة نظر المجتمع العسكري أمرٌ غير نسبيّ لا يختلف منْ مجتمعٍ إلى آخرٍ، لأنَّ القيم و الأخلاق العسكرية لاتختلف باختلاف المجتمع العسكري .

العوامل و الأبعاد الأساسية لظاهرة الإنحلال العسكري :

تتعدد الأسباب المؤدية لإنحلال العسكريين مع التأكيد على عاملين أساسيين في ظهور هذا السلوك غير المقبول عسكرياً ذلك أن تفسير الظاهرة وربطها بسببٍ واحدٍ يعد تفسيراً خاطئاً ، فالإكراه على الخدمة العسكرية وحده مثلاً لا يمكن أنْ يؤدي إلى الإنحلال ، وإلاَّ علينا اعتبار جميع العسكريين الذين اجبروا على الخدمة العسكرية منحلين . و رغم تعدد العوامل الدافعة إلى الإنحلال العسكري فإنَّها ليست على درجةٍ واحدةٍ منَ الأهمية ، فقد يكون بعض هذه العوامل سبباً رئيسيا للإنحلال وقد يكون البعض الآخر منِ الأسباب الثانوية أو المساعدة له . و يمكن تقسيم عوامل الإنحلال العسكري إلى :

1- عوامل ذاتيةٍ وشخصيةٍ تهم العسكري في تكوينه النفسي والعقلي والعضوي والتربوي وتظهر هذه العوامل في الأفراد الخائنين أكثر .

2- عوامل خارجيةٍ تخص البيئة التي يعيش فيها العسكري سواءًخارج الأسوار أو الوسط الإجتماعي العسكري داخل الوحدة الفاسدة ، فعلاقات العسكري الإجتماعية داخل هذه البيئة هي التي تؤطره وتوجهه إلى وجهة الإنحلال العسكري بصفةٍ عامةٍ .

العوامل الذاتية والشخصية المؤدية للإنحلال العسكري :

وهي مجموع الظروف أو الشروط المتصلة بالعسكري المنحل نفسه ، وهي قد تكون أصلية تلازم الفرد منذ ولادته ويدخل فيها التكوين الطبيعي للمنحرف والوراثة والنوع والجنس والضعف والخلل العقلي والأمراض العصبية والنفسية وظروف الحمل والولادة بالنسبة للعسكريات . وقد تكون مكتسبةٌ أيْ يكتسبها الشخص بعد ولادته منْ الأمراض العصبية والعقلية والعضوية التي قد تصيب العسكري أثناء حياته.

إذنْ نستخلص أنَّ هناك عدة عواملٍ متعلقةٍ بذات الشخص وتداخلها وتشعبها إلى درجة أنَّه يصعب في بعض الأحيان تحديد العوامل الذاتية الحقيقية التي دفعت بالعسكري انتهاج سلوك الإنحلال . فالوراثة هي انتقال لبعض الخصائص وليس لجل أو كل الخصائص ، بينما التكوين النفسي والعقلي للإنسان فهو جد معقد ، وتلعب البيئة دوراً مهما في بلورة شخصية العسكري سواء ايجابياً أم سلبياً .

العوامل الخارجية المتدخلة في ظاهرة الإنحلال العسكري :

أ- العوامل الإجتماعية العسكرية :

1. **التنشئة العسكرية الخاطئة** : يقصد بالتنشئة العسكرية العملية التدريبية التي يتم بواسطتها تلقين العسكري المُستجد- خلال مراحل تدريبه الأساسية - مجموع الأنماط المختلفة للسلوك والتفكير والشعور والعلوم التي ترتضيها البيئة والمجتمع العسكري التي سيعيش فيها ، ولأنَّ العسكري إنسانٌ و كائنٌ اجتماعيٌّ ، فإنَّه بحكم طبيعته هذه ، مهيأٌ لأنْ يتفاعل مع المجتمع الجديد ، ويكسب منْه قيمه وخصائصه وصفاته العسكرية والنفسية . وتتجلى مظاهرها في التنشئة العسكرية الخاطئة حيث يتم التركيز على تعليم العسكري العلوم التطبيقية التخصصية المختلفة وإهمال العلوم العسكرية و تعبيئة القوات والتعليم القيادي بمختلف أنواعه ودرجاته وتصنيفاته التعبوية ، فينشأ العسكري معاقاً في فكره العسكري ونظرته إلى الجيش ، وفي العلاقات المدنية السيئة إذا انتشرت بينَ العسكريين و لم يتمْ القضاء عليها أثناء فترة التدريب الأولى ، و إهمال بعض الأسلحة أو الصنوف على حساب الأخرى ، وبسبب انحطاط القادة والآمرين الأخلاقي فيصبحون قدوةً سيئةً لوحداتهم .

2. **تفكك الوحدات والإنحلال** : هناك علاقة وثيقة بينَ التفكك التنظيمي والقيادي للوحدات و عملية التنشئة العسكرية ، غير أنّني أردتُ إبراز هذه النقطة منفصلة عنْ عملية التنشئة العسكرية لأنَّه هناك فرق بينَ التفكك الراجع لبنية الوحدة العسكرية

وهيكلها المادي ، والتفكك المعنوي الراجع لتخلخل العلاقات العسكرية بينَ المُنتسيبين (هذا حدث معنا في شعبة النقل الجوي ، و هي وحدة عسكرية كبرى تتكون من أربع أسراب للنقل الجوي العسكري بأنوعه المختلفة ، الثقيل والمتوسط والخفيف) ، وفشل أساليب التنشئة العسكرية ، تؤكد بأنَّ التأثير الأكبر على سلوك العسكري خلال عملية التنشئة العسكرية يأتي أساساً منْ التفكك المعنوي للوحدات والأفراد أكثر مما يأتي منَ التفكك المادي .

3. **المناخ العسكري داخل الوحدات :** تلعب البيئة العسكرية دوراً هاماً في الصحة النفسية العسكرية والجسمية للعسكريين ، فالبيئة العسكرية التي تراعي الجوانب المرتبطة بفترة نمو الخبرات العسكرية المناورات تساهم في جعل العسكري يستغل فترة بقآئه في المعسكر في اكتساب خبرات عسكرية مفيدة تساعده في تكوين اتجاهاتٍ إيجابيةٍ تجاه ذاته العسكرية وتجاه القيم السائدة في المجتمع العسكري وتجاه الجيش ككلٍّ . وما لا شك فيه أنَّ هناك مجموعةٌ منَ العوامل العسكرية التي قد تعيق الوحدة عنْ أداء الدور المناط بها في دمج العسكريين في بناء وثقافة المجتمع العسكري ، ومنْ ذلك سوء معاملة بعض القادة للعسكريين مما يولد لدى الأفراد رفض داخلي لأنماط السلطة في داخل المعسكر وعدم تقبل قيم ومعايير المجتمع العسكري . ويفترض أنْ تقوم الوحدات بغرس القيم العسكرية الإيجابية التي تحقق الأهداف الكبرى للجيش في نفوس العساكر الناشئة الجديدة ؛ ولكن أحياناً يحدث العكس حيث تسهم الوحدات ولو بشكل غير مباشر في تكوين قيم سلبية ومنحرفة لدى عسكريها مما ينعكس على سلوكياتهم داخل وخارج المعسكرات ويخرج جيل منَ العسكريين الفاشلين والمنحلين . إنَّ للوحدات دورٌ كبيرٌ لا يقل أهميةً عنْ دور التنشئة العسكرية منْ حيث الأهمية كونَّها المؤسسات الأساسية التي تساهم في تشكيل عقلية ووعي العسكري وتركيبته النفسية وكثيراً ما تلعب الوحدة دوراً سلبياً يجعلها تدخل ضمن إطار العوامل المسببة للإنحلال ومنها ما يلي:

أ. عدم اهتمام قادة الوحدات بتحسين العلاقة بينَ العسكريين والمجتمع العسكري منْ خلال الأسلوب المستخدم في التدريب ، وقد ينتج عنْ ذلك عدم التزام العسكريين بالقوانين والعادات والتقاليد والأعراف العسكرية .

ب.عدم الفصل منَ الجيش عند ارتكاب الأخطآء والعمل على خلق بدائل تستوعب العسكريين المنحلين وهم في بداية مسيرتهم المهنية ، مما يسبب تضخم المشكلة وتأجيل حلها بالهروب إلى الأمام ، وخلق جيش منَ العسكريين المنحلين .

ت.افتقاد العلاقة الواعية بين الوحدات التعليمية والوحدات القتالية والإدارية ، مما يوقع هذا التناقض العسكري في إشكالية سلوكية وعلمية تفقده الصواب في اتخاذ سلوكٍ اجتماعيٍ عسكريٍ سويٍ .

إنَّ الوحدة العسكرية هي الوسط المحيط بالعسكري فهي كالأسرة تماماً خارج المعسكر ، فهي مكان جغرافيٌ وأُسريٌ زملاءٌ وأصدقاءٌ وأماكن اللقاءات ونوعية العلاقات الإنسانية والعسكرية والصِلات القائمة في الوحدة . وللجوِ السائد فيها دورٌ كبيرٌ في سلوك أفرادها سلوكاً سوياً أو منحرفا ً. فكلما كانت أجواء الوحدة جيدة تتوفر فيها سبل الحياة الكريمة للعسكريين وسبل الترفيه المتنوعه تشبع حاجاتهم النفسية والجسدية والأسرية ابتعد العسكريون عنِ الإنحلال ، أمَّا إذا كانت الوحدة غير ذلك توَّفرت فيها أسباب عدم التنظيم الإجتماعي العسكري وشجعتْ سلوك الإنحلال .

4. **تعلم السلوك المنحرف والإنحلال منْ الأقدم رتبةً** : وخاصةً في المجتمعات العسكرية التي تسودها الفوضى بعد اضطربات سادتِ الأمة كالحرب الأهلية والإنقلابات العسكرية الفاشلة والثورات .

5. **فقدان المعيارية العسكرية " الأنوميا الإجتماعية العسكرية "**: (حيث يشيع الإنحراف في المجتمع العسكري عند غموض أهدافه ويتخبط في الأساليب المقبولة لتحقيقها وتحدث هذه الضاهرة قبل انهيار المؤسسة العسكرية مباشرةً في أمةٍ ترفض وجود الجيش منْ أجل حمايتها . إنَّ التنشيئة العسكرية عامل مهم في توحيد الإتجاهات الفكرية والثقافية والعقائدية العسكرية لدى أفراد المجتمع العسكري ،كونها ضرورية للتماسك الإجتماعي العسكري وأساس الترابط واللحمة القومية والوطنية ، وهي بهذا تخلق وحدة فكرية عسكرية تساعدهم على التواصل الوظيفي والفكري ، وتؤدي إلى ترابطهم الفكري ، و تماسكهم الإجتماعي العسكري المنشود . لذا فإنَّ العسكري منْ خلال التنشئة العسكرية الصحيحة يكتسب العادات والقيم ، والمعاني العسكرية السامية ، والمواقف الرجولية الوطنية ، والأساليب المرتبطة بتنفيذ الواجبات ، ويتعلم طرق إشباع الحاجات والرغبات له ولأسرته بالأسلوب الذي تضعه المؤسسة العسكرية لذلك ، كما ينشأ العسكري المُستجد في هذه العملية القدرة على معرفة بعض مطالبه النفسية والعسكرية ، و مدى ملاءمتها في توجيه سلوكه . منْ هنا نجد الوحدات التعليمية العسكرية ، مهما كان مستواها التعبوي أو الإستراتيجي قائمةٌ على صيرورة تشكيلها ، و بناء علاقاتها الجديدة ، و منَ السهل تصنيف أنماطها حسب التمايز أو الإختلاف الذي يتمرصده في مستوى البيئة الاجتماعية العسكرية . والأدوار التي تقوم بها بينَ مختلف الأسلحة والصنوف في علاقتها بالبناء الكلي للجيش ، ومن ذلك نتعرف على

مدى التشابك القائم بين الأسلحة والهيكل التنظيمي للجيش الذي يعمل على تماسك البناء الإجتماعي العسكري واستمرار وحدته وكيانه . ويقصد بالتماسك الإجتماعي العسكري منَ الناحية السيوسيولوجية زيادة العلاقات الموجبة التي تدور داخل المجتمع العسكري ، و كلما تشتت هذه العلاقات واتجهت نحو خارج الأسوار ضعف التماسك الداخلي ، كما يقصد بالتماسك الإجتماعي العسكري منْ وجهة نظري صفة الفكر العسكري والعقيدة العسكرية اللذان يجب أنْ تتماسك جميع أجزائهما فيما بينها بإحكامٍ . نتيجة لذلك فإنَّ انحلال روابط المجتمع العسكري في السلاح الواحد أو على مستوى الجيش ككلٍّ ذات الطابع الأولي ، ويزداد انحلال هذه الروابط كلما أصبحت العلاقات الإجتماعية العسكري ثانويةً أو شخصيةً بشكلٍ يتزايد مع تراكم عوامل الإنحلال العسكري وتزايدها . على هذاالأساس ، فإنَّ أيّ دراسة للمجتمع العسكري وتماسكه الاجتماعي" ، يجب أنْ تنحو باتجاهين رئيسيين هما : التوازن الإجتماعي العسكري ، ويقصد به التوازن بينَ مجموعةٍ منَ الظواهر السلبية المتصلة ببعضها البعض التي قد تكون ظاهرة أو كامنةٌ مختفيةٌ ، أيْ إنَّ الهيكل التنظيمي للقوات المسلحة سيميل عند اضطرابه ثمَّ يعود إلى حالته السابقة أيْ توازنه ، أمَّا الإتجاه الآخر فنراه في عدم الإستقرار الإجتماعي العسكري ، وهو يعبر عنْ حالة عدم التوازن بينَ مختلف الأسلحة و الصنوف كفقدان التكيف أو التوافق بين الوحدات ، الأمر الذي يترتب عليه التوتر والصراع على القيادات العليا المركز والسلطة . وانطلاقاً من أنَّ الوحدات الصغرى " كتيبة وما يعادلها " تعد الوحدة الإجتماعية العسكرية الأولى التي تبرز فيها القيم والمباديء العسكرية وتسعى هذه الوحدات إلى المحافظة على كل ما هو عسكري ، وتقوم على المقتضيات العسكرية التي يرتضيها "العقل الجمعي العسكري "، والقواعد التي تقررها المؤسسة العسكرية ، باعتبار النظام أنَّ الكتيبة نواة المجتمع العسكري ؛ لذلك كانت أساساً لجميع النظم العسكرية ، فإنَّ التأثيرات والعوامل التي تساهم في الإنحلال العسكري بأبعادها المختلفة قد تهدف إلى عدم استقرار النظام الإجتماعي العسكري وتوفر التضامن بينَ أفرادها في محيط معسكرها في السلم والحرب . ويقابله التفكك الإجتماعي العسكري الذي يشير إلى عدم كفاءة الهيكل التنظيمي للمجتمع العسكري أو فشله في تحديد مناصب العسكريين وأماكنهم وواجباتهم المترابطة بشكل يؤدي إلى بلوغهم أهداف الجيش الكبرى بصورة مرضية ، هذا بالتالي سيؤدي إلى انهيار البناء الثقافي العسكري ، وتظهر بصفةٍ خاصةٍ عندما تخل الروابط بين المعايير الثقافية العسكرية ، وبينَ القدرات الإجتماعية عند العسكريين للتمسك بالسلوك العسكري القويم الذي يتناغم معها ، ولهذا فإنَّ الأنوميا العسكرية هي الحالة المجتمعية العسكرية المقابلة للتضامن الإجتماعي العسكري ، فالتضامن الإجتماعي العسكري يشير إلى التكامل الأيديولوجي والفكري بين العسكريين فإنَّ الأنوميا العسكرية هي حالة الفوضى

الفكرية وانعدام العقائد العسكرية و فقدان المعايير الثقافية العسكرية . إذنْ فإن حالة " الأنوميا العسكرية " تظهر بوضوحٍ أثناء التفكك التنظيمي للأسلحة والصنوف وبالتالي للهيئات والإدارات في المجتمع العسكري وانهيار المعايير الثقافية والإنفصال عنْ أهداف الجيش الكبري والأهداف الإجتماعية العسكرية المعلنة و الوسائل الصحيحة لتحقيق هذه الأهداف ، والتناقض المؤلم بينَ الأيديولوجيات العسكرية الرسمية ، و بين ما يجري على أرض الواقع داخل المعسكرات والثكنات ، فيشعر العسكري الواعي والمحترف سيكولوجياً بالإغتراب في بئته العسكرية وبين أصدقائه وزملائه ، ويشعر بعبثية وجوده ويرى الأنهيار الأخلاقي للعسكريين داخل المعسكرات وخارجها ، مما ينعكس عليه سلباً وعزلةً وانحلالهِ . إنَّ تلك التأثيرات ستكون واضحة على عملية التغير الإجتماعي العسكري ودوره في صياغة الآثار المترتبة عليها في العقائد و الأفكار والثقافة العسكرية و أبعادها على الأمة ، و الحالة الإقتصادية للعسكريين ، والتي نعبر عنها منْ خلال مكونات الهوية الثقافية العسكرية التي تُعبر بوضوح عنْ حالة التغير الإجتماعي في أيّ جيشٍ ، وما قد ينجم عنها منْ تحولاتٍ اجتماعيةٍ عسكريةٍ ، مثل أنَّ يتم استخدام الطائفية أو القبلية أو أيديولوجيا هدَّامة لا علاقة لها بالعسكر في بناء مؤسسة عسكرية جديدة ، مما يمثل تغيراً جذرياً في طبيعة صراع الطبقات العليا للمجتمع العسكري – الصراع – الناجم عن ْتلكم التأثيرات مقارنةً بالمراحل السابقة قبل انحلال المؤسسة ودراسة الخيارات المتاحة ما بينَ الإعتبارات الإستراتيجية للأمة والقيم العسكرية .كلذلك منْ شأنه العمل منْ أجل مواجهة التحديات منْ حيث تفهم النظام العسكري على أنه " نظام منَ القيم والسياسات والمؤسسات يدير بها مجتمع عسكري وشؤونه الإقتصادية والعسكرية والفكرية منْ خلال التفاعل داخل المجتمع العسكري .إنَّ تكريس " الإستلاب الثقافي للعسكر" ، يحاول إيجاد أفكارٍ اجتماعيةٍ عسكريةٍ ذات صلةٍ بـ " ثقافة الفقر المعرفي "، و بذلك سنتجاوز حدود المعرفة لإدراك القيم المتأصلة للتوجهات الرامية إلى التعامل مع المتغيرات لمواجهة تحديات " الإستلاب الثقافي للعسكر" ماثلاً في مفاهيم تشظي الإستراتيجية العسكرية و العقائد العسكرية والتقاليد والقيم العسكرية التي كانت قبل ذلك موحدة ، والمعتقدات و القيم المشتقة منها ، وإنَّ للعقيدة العسكرية مصادرٌ كثيرةٌ ، وتتضمن التنوع الفكري وعدم تفكك المجتمع العسكري ، وازدياد الوعي السياسي بين القادة ، وزيادة الشك الفلسفي إزاء كلية المعرفة والقيم العسكرية .

6. **العزلة عنِ المجتمع العسكري**: إنَّ بُعد العسكري عن المعسكرات لفترةٍ طويلةٍ يُضْعفُ الإعتقاد فى القيم الإجتماعية العسكري ، ويضعف الإلتزام العسكري ممَّا يؤدى إلى ضعف ارتباط العسكري بالمجتمع العسكري والعزوف عنِ المشاركة الإجتماعية العسكرية .

7. **الوصمة الإجتماعية العسكرية** : وهي عدم حب وعدم قبول الخدمة العسكرية وكراهية الحياة العسكرية والإزدراء بها والتقليل منْ شأْن الجيش وأهدافه ، رغم كون العسكري واعياً بذاته ومحيطهِ ، ويعود ذلك إلى سببين : الأول الإكراه على الخدمة العسكرية ، والثاني الفشل الوظيفي التخصصي . فيوصف العسكري منذ نشأته الأولى معسكرات التدريب الأساسي بأنه منحلٌ ؛ أيْ وصمِهِ بوصمةِ الإنحراف العسكري فيزداد احتمال انحلال هذا العسكري كلما تقدم في رتبته ومنصبه ، فيصيرُ عارٌ حقيقيٌّ على المجتمع العسكري .

8. **عدم المساواة بين العسكريين** : في التخصص الواحد أوِ السلاح أوِ الصنف ، وإسناد المهام و الواجبات والمناصب للأفراد غير المؤهلين ، وإهمال وتهميش المتميزين منهم . والتنافس غير المتكافئ بينهم ، الأمر الذي يسبب الإحباط النفسي والمادي لهؤلآء المتميزون فيصابون بحالةِ " الفشل الوظيفي القسري " التي تُعدُّ سبباً هاماً للانحلالهم .

9. **قبول خرجي الكليات العالمية غير العسكرية في الجيش** : وتعيينهم كضباطٍ عاملين دونَ أيّ تنشئةٍ أو تدريبٍ عسكريٍّ كالطيارين مثلاً أو المُضيفات الجويات أو المهندسين الكيميائيين أو البيولوجيين أو غيرهم منَ التخصصات والوظائف النادرة في الجيش . إنَّ عدم عسكرة هؤلآء الأفراد تسهل لهمُ ادخال اسلوب الحياة المدنية إلى المعسكرات الثكنات ، خاصةً إذا كانوا قادةً أو آميرين . فيفسدون الضبط والربط العسكري والبيئة العسكرية داخل الوحدات .

10. توظيف المدنيين في القوات المسلحة بدون ضوابط وفي أيّ تخصص .

خطورة الإنحلال العسكري :

أ. بالنسبة للعسكري نفسه :

1. الإنحلال يبدد طاقة العسكري وجهده .
2. الإنحلال يفسد حياة العسكري ويحطم مستقبله .
3. الإنحلال يعرض العسكري للعقاب والسجن والايذاء كالطرد أوِ انهاء الخدمة العسكرية وغيرها منَ العقوبات الشديدة .

ب. بالنسبة للمجتمع العسكري :

1. الإنحلال يهدد أمن المجتمع العسكري واستقراره .
2. الإنحلال يدمر الكفاءة القتالية للأفراد والقوات ، ويعطل الجاهزية القتالية للجيش .

3. الإنحلال يهدد رفاهية المجتمع العسكري واستقراطيته .

رابعاً :علاج الإنحلال العسكري :

1. العقاب : وهو لا ينفع إلاَّ مع المخالفات الضبطية أوِ الجرائم التي نصت عليها القوانين العسكرية .
2. العلاج : طرد أولآئك الذين لا يعشقون الحياة العسكرية ، لأنَّ ببقائهم سوف يصب مرضهم النفسي هذا بقية الأفراد وتستشري العدوى في كامل المجتمع العسكري .
3. الحماية :

أ. توعية العسكريين المنحرفين بوسائل الدعاية العسكرية المتوفرة ، كالمحاضرات الأسبوعية والمجلات الدورية والمهرجنات والتدريب التخصصي الجيد والمساوة بين العسكريين بدون محاصصة أو قبلية أو جهوية ، والمهرجانات الرياضية والمناورات العسكرية ، بمعنى اشغال العسكريين طول وقتهم بما يرفع الكفاءة القتالية والرح المعنوية معاً .

ب. التنشئة العسكرية الجيدة داخل حدود الوطن : إنَّ التدريب الأساسي للعسكريين خارج الوطن لا يخدم أهداف الجيش أحياناً ، بحيث يتم التساهل معهم ومعاملتهم كضيوف أو أجانب في كليات ومدارس ومعسكرات الدول الصديقة أوِ الحليفة ، فلا يتمُّ تنشيئتهم بالطريقة التي تتبناها المؤسسة العسكرية أو بعقائد عسكرية مختلفة .

ت. عدم قبول المدنيين في المؤسسة العسكرية تحت أيِّ ظرفٍ منَ الظروف وفي أيِّ وظيفةٍ مهما كانت درجة أهميتها ، بل يجب تأهيل العسكريين على كلِّ التخصصات التي يحتاجها المجتمع العسكري .

ث. عدم إجبار المواطنين على الإنخراط في الجيش كعسكريين نظاميين . على أنْ يكون ذلك بالرغبة ، إذا استثنينا الخدمة العسكرية الإلزامية .

ج. عدم إسناد المناصب لضباط الشرف مهما كانت هذه المناصب صغيرة ، لعدم كفأتهم القيادية على الإطلاق .

سبل العلاج والوقاية منَ الإنحلال :

للتعامل مع ظاهرة الإنحلال العسكري بشكلٍ عامٍ ، لابدَّ منْ إجراء مجموعةٍ منَ الخطوات الفعلية أهمها:

أ. تحسين الأوضاع المعيشية للعسكريين ورفع مستوى دخلهم .

ب. إعادة النظر في مناهج وأساليب التنشئة العسكري التي تتبناها الوحدات التعليمة ، والعمل على تطويرها كل فترةٍ زمنيةٍ محددةٍ ، وتوحيد المفاهيم العسكرية لجميع الأسلحة والصنوف . والتخلص منَ الأساليب القديمة غير السليمة .

ت. تعزيز دور إدارة التوجيه المعنوي في الإرشاد النفسي والإجتماعي والمهني التخصصي في المجتمع العسكري .

ث. تحقيق العدالة الاجتماعية العسكرية ، وذلك بعدم التمميز بينَ الأسلحة والصنوف والإهتمام ببعضها و إهمال البعض الأخر .

ج. الإستغناء عنْ خدمات العسكريين المنحلين بأسرع وقتٍ لأنَّهم كالفيروس ، إنْ لمْ نقضِ عليه سريعاً استشرتِ العدوى في المجتمع العسكري كله .

ح. تعزيز الوازع الديني والوعي العسكري ونشر الثقافة العسكرية منْ خلال دور إدارة التوجيه المعنوي بتكثيف الحملات الإعلامية لمواجهة أخطار الإنحلال العسكري .

خ. توجيه العسكريين للعمل التطوعي المنظم أوقات فراغ الوحدات منْ أيّ واجبات تعبوية ، التعاون مع مؤسسات المجتمع المدني لما له منْ آثارٍ إيجابيةٍ في مجابهة الإنحلال وإثبات الذات العسكرية .

د. يجب على كل العسكريين ممارسة تخصصاتهم الأصلية وعدم تغيير التخصص ، لأنَّ ذلك سوف يخلق سوق للبطالة داخل المجتمع العسكري ، ووضع الضوابط التي تضمن عدم عودتها أو تضخمها بما يمكن أنْ يشكل ظاهرةٌ اجتماعيةٌ عسكريةٌ خطيرةٌ .

ذ. تكوين المرشدين الإجتماعيين العسكريين .

ر. إنشاء الأندية الرياضية والترفيهية داخل المعسكرات وخارجها .

إذنْ هناك عدة عواملٍ خارجيةٍ تتداخل فيما بينها لإفراز عسكريين مُنحلين ، ذوي سلوكٍ مُنحرفٍ عمَّا رسمه و اتفق عليه المجتمع العسكري ، وهذه العوامل منها ما هو اجتماعي ، وما هو اقتصادي ، وما هو ناتجٌ عنْ تصادم الثقافة العسكرية بين جيلين . ويتبين أنَّه كلما اجتمعت عدة عواملٍ لدى أيّ عسكريّ ، كلما زاد احتمال انحلاله . وتبين أيضا أنَّ هناك وسائلٌ عديدةٌ للوقاية منَ السقوط في الإنحلال ، ولا يمكن إنهاء هذه الظاهرة إلاَّ منْ خلال تظافر الجهود منْ قبل مختلف قيادات وإدارات المجتمع العسكري ، والمؤسسة المعنية الأولى هي القيادة العامة للقوات المسلحة . منْ وجهة نظري فإنَّه توجد نظريةٌ واحدةٌ للإنحلال العسكري وهي نظرية الضبط الإجتماعي: لـ (أميلي دوركهايم.E.Durkheim) حيث تعتقد هذه النظرية أنَّ " الإنحراف عبارةٌ عنْ ظاهرةٍ ناتجةٍ عنْ فشل السيطرة الاجتماعية على الأفراد "، حيث تطرح هذا السؤال: كيف لا ينحرف أفراد المجتمع وأمامهم كل هذه المغريات ؟ و بعبارةٍ أُخرى " إنَّ الإنحلال العسكري عبارةٌ

عنْ ظاهرةٍ اجتماعيةٍ ناتجةٍ عنْ فشل سيطرة المجتمع العسكري على أفراده " حيثُ نطرح هذا السؤال : كيف ينحرف أفراد المجتمع العسكري وأمامهم كل هذه القوانين الصارمة ؟ . وربَّما يكون الإنحلال العسكري " سلوكٌ مكتسبٌ"، حيث يتعلم العسكري الإنحلال كما يتعلم السلوك الصحيح الذي يرتضيه المجتمع العسكري حسب نظرية الإنحراف الإنتقالي لـ (إدوين سذرلاند Edwin Sutherland) إلاَّ أنَّها حسبَ ملاحظاتي تكون ضعيفة جداً وفي وحداتٍ معينةٍ كتلك التي تشتغل مع جهاتٍ مدنيةٍ لها نفس التخصص لفترةٍ طويلةٍ ، حيثُ سنلاحظ التأثيرات البيئية التي يعيش فيها العسكريين حيث تسلسل العوامل التي تساعد هم على تكوين شخصياتهم العسكرية المُنحلةِ . إنَّ الإنحلال العسكري إذا ظهر في جيشٍ معينٍ فلابدَّ له منَ الاستمرار في تلك البيئة المناسبة ، حيث يتعمق ذلك الإنحلال في التركيبة الثقافية والإجتماعية العسكرية لذلك الجيش ، وسينتقل طابع الإنحلال العسكري منْ فردٍ لآخرٍ ثمَّ منْ جيلٍ لأخرٍ دون أنْ يتغير الدافع الذي يؤدي إليه لدى هؤلاء العسكريين . فالإنحلال العسكري لا يحتاج إلى معلمٍ أو مدربٍ ، وإنمَّا تبعثُ عليه الغريزة ، فالسارق الجائع تدفعه غريزة الجوع ، والقاتل المنتقم تدفعه غريزة الانتقام . وهكذا .

إنَّ سلوك العسكريين المنضبط في النظام الاجتماعي إنمَّا ينشأ منْ سيطرة المجتمع العسكري عنَ طريق القانون العسكري وعن طريق سريان الروح العسكرية في مجرى الدم للعسكريين ، ولو أُلغي القانون لاختلَّ هذا الإعتدال الإجتماعي العسكري في السلوك ، ولانحلَّ الكثير منَ العسكريين بسبب الرغبات والشهوات الشخصية . ولمنع الإنحلال السلوكي لابد منِ اجتماع أربعة عناصر هي :

أ- **روح الفريق** : حيث أنَّ شعور العسكريين بصلاتهم الإجتماعية العسكرية والنفسية المتينة يقلل من فرص انحلاله .

ب- **مزاولة التخصص الوظيفي** : وهو انغماس العسكري في واجباته العسكرية التي أُنشيءَ عليها تستهلك طاقته الفكرية والجسدية ، ولا تترك له أيَّ وقت فراغٍ .

ت- **الإلتزام العسكري .**

ث- **العقيدة العسكرية والولاء للمؤسسة العسكرية** : حيث أنّ َالعقيدة العسكرية عموماً تدعوا أفرادها إلى الإلتزام بالقيم والمبادئ الخلقية العسكرية .

ويمكن أنْ يكونَ الإنحلالُ العسكري مستوراً : وهو الذي يرتكبه كثيرٌ منَ العسكريين في فترةٍ منْ فترات حياتهم ، ويبقى مستوراً دون أنْ يكتشفه أحدٍ . أوِ انْحلالاً ظاهراً فعندما يُعرف هؤلاء الأفراد بانحلالهم ، سيتبدل الوضع النفسي والإجتماعي لهم تبدلاً جذرياً . ويستمرون فيه دونَ أيِّ رادعٍ أو خوفٍ فلا يشعرون بالإهانة والعار رغم أنَّ الآثار المترتبة على انحلالهم تعني :

أ. إنزال العقوبات الرادعة التي أقرها النظام الاجتماعي العسكري .

ب. افتضاح أمره أمام قاتهم وزملائهم وأصدقائهم في الوحدة وخارجها .

ت. انعكاس ذلك الافتضاح على معاملة بقية العسكريين له .

لذلك فإنَّ هذه الصفات القاسية التي يستخدمها المجتمع العسكري ضد أفراده بوصفهم مُنحلين إنمَّا وضعها في الواقع النظام الإجتماعي العسكري وألصقها بهؤلاء العسكريين . وعلى هذا الأساس يتصرف العسكري بقبوله تعريف المجتمع العسكري فيكون منحلاً ، ولولا أنَّ المجتمع العسكري لم يعترفْ بهذا الإلصاق لما أصبح المنحلُ منحلاً . وما ينبغي الإلتفات إليه هنا هو أنَّ نظرية الضبط الاجتماعي : لـ (أميلي دوركهايم.E.Durkheim) تتناول قضيةً مهمةً وخطيرةً وهي أنَّ الفرد يصبح منحرفاً في سلوكه عندما يتهمه الآخرون في النظام الإجتماعي بالإنحراف . ورغم أنَّ هذا الرأي وجيهٌ جداً ، إلاَّ أنَّه أبرز المآخذ على هذا التحليل هو أنَّ هذه النظرية تبرر " الإنحراف المستور" ، في حين أنَّ السارق يبقى سارقاً وإنْ لمْ يفتضحْ أمره ، والمحتالُ يبقى محتالاً ألصقتْ به التهمة أمْ لمْ تلصقْ . ويجب علينا أنْ نفرقَ بينَ الإنحلال العسكري الذي هو عدم التقيد بالقيم والأعراف والتقاليد العسكرية وبين الإنحراف الإجتماعي الذي هو : خروج الفرد عنِ المعاير التي ارتضاها المجتمع كمعايير للسلوك فالقاتل منحرفٌ ومدمن المخدرات منحرفٌ لأنَّ معاير المجتمع تحرم القتل وتحرم الإدمان وتمنع الشغب ، ويعرف الإنحراف لغةً على أنَّه " كل ابتعادٍ عنِ الخط المستقيم ". إلاَّ أنَّنا عندما نتحدث عنِ السلوك الإجتماعي لا يمكننا أنْ نطبق هذا التعريف بحذافيره نظراً لصعوبة تحديد ما يمكنُ أنْ نصطلح عليه بالخط المستقيم . فمظاهر الإنحرافات السلوكية تتعدد وتختلف منْ مجتمعٍ لآخرٍ ومنْ حضارةٍ لأخرى نتيجة اختلاف المعايير والقوانين والثقافات وكذلك نتيجة التطور الطبيعي في أساليب المعيشة ، فما قد يُعتبر انحرافاً في أحد المجتمعات قد لا يعتبر كذلك في مجتمعٍ آخرٍ . إلاَّ أنَّ هناك مجموعةً منَ السلوكيات التي لا يختلف مجتمع عنِ الآخر ولا تشريعٍ عنْ غيره في اعتبارها انحرافاً عنِ المناهج والنظريات التربوية والاجتماعية المتبعة . منْ هذه السلوكيات على سبيل المثال لا الحصر السرقة والجريمة والإدمان والشذوذ الجنسي وما شابه ذلك منْ مظاهرٍ . ورغم تصنيف هذه المظاهر على أنَّها سلوكياتٌ منحرفةٌ في كافة المجتمعات إسلاميةٍ كانت أو غير إسلاميةٍ إلاَّ أنَّه لدوافعٍ سياسيةٍ بحتةٍ عمدتْ بعض المجتمعات الحديثة إلى إحاطتها بمساحةٍ منَ الغموض وعدم الوضوح وخلط بعض المفاهيم مع بعضها الآخر كممارسة الشذوذ الجنسي العلني والتعري في الشوارع والأماكن العامة مثلاً تحت مسمى الحرية الشخصية ، ولعل أبرز مظاهر الإنحرافات السلوكية في مجتمع اليوم هي :

1. الجريمة بكافة أنواعها .
2. الانحرافات الجنسية وجرائم الاغتصاب .
3. الإدمان على الكحول والمواد المخدرة .
4. ولا يعني ذلك عدم وجود مظاهر أخرى وإنَّما فقط كما أشرنا ، هذه هي المظاهر الأبرز والأكثر شيوعاً .

ويختلف مفهوم الإنحلال العسكري عنْ مفهوم الإنحراف فمفهوم الإنحلال أوسع وأعم منْ مفهوم الإنحراف العسكري فالإنحراف هو كل الأساليب السلوك التي لا تلتزم بالمعاير الإجتماعية عموماً كالجريمة فهي تشير إلي السلوك الذي يخالف المعاير ويعاقب عليه القانون فمثلاً القتل جريمةٌ يعاقب عليها القانون أمَّا التأخير عنْ الجمع الصباحي انحلالٌ عسكريٌّ لأنَّه سلوكٌ لا يلتزم بالمعاير العسكرية ، ومنْ هنا يمكن القول بأنَّ كلَّ جريمةٍ هي انحلالٌ وليس كلّ ُانحرافٍ انحلالٌ .

إنَّ المجتمع العسكري المريض لا يستطيع إشباع حاجات أفراده ، بل إنَّه يفيض بأنواع الحرمان والإحباطات و تدني الروح المعنوية والكفاءة القتالية والتهميش وصراع القيادات المتخلفة فكرياً وعسكرياً . كل هذه الأسباب إلى جانب أسبابٍ أخرى تدفع العسكري الناضج والمحترف الذي يعيش في مثل هذا المجتمع العسكري المريض إلى : "عدم التوافق الإجتماعي العسكري " ؛ بحيث يكون السلوك المنحل والشيخوخة المبكرة للمؤسسة العسكرية الناتج المتوقع لهذه المساوئ . تدمير بنيوية الجيش هو تمهيد لمحو آثار النظام نفسه ودولته بكلّ مؤسساتها وهو تدميرٌ للوطن كأمةٍ ومقدراتٍ . إنَّ النسيج الإجتماعي العسكري يتطلبُ استقلالاً مُتبادلاً لعشرات العناصر والميئات منَ المؤثرات المتعاونة التي تأتي منْ عشرات المنابع المستقلة والمتشابكة .

أنواع الإنحلال العسكري السلوكي ورؤية المجتمع العسكري له

الإنحلال العسكري نوعان انحلالٌ وظيفيٌّ ويشمل : انحلالٌ ضبطيٌّ وانحلالٌ عدم الإلتزام العسكري وانحلال الأخلاق العسكرية والتآمر والخيانة . والنوع الثاني انحلالٌ مجتمعيٌّ ويشمل : انحلالٌ فرديٌّ وانحلال جماعيٌّ .

1. **الإنحلال الضبطي**: ويقصد به أنَّ العسكري يخرج عنْ ضبط المعايير قواعد السلوك الإجتماعية العسكرية ، لكنه يبقى مستمراً في آداء واجباته اليوميه ووظيفته العسكرية محتفظاً بمكانته وممارسة دوره الإجتماعي العسكري أيْ يبقى انحلاله ضمن حدود المقبول عسكرياً ، والعسكريون الأخرون (القائد و زملاؤه) لا يعتبرونه منحلاً ، ولا يتم عزله اجتماعياً كارتكاب بعض الجرائم . وهذا ما نُسمّيه بالإخلال بالضبط والربط العسكري .

2. **عدم الإلتزام العسكري** : خروج العسكري عن ضوابط معيارية عسكرية مبنيٌّ على أفكارٍ مستترة تضرُّ بالمجتمع العسكري وأهداف الجيش الكبرى بوعيٍّ أو بدونه . وعدم التقيد بمفهوم الجندية أثناء تنفيذ واجباته في السلم والحرب ، وعدم التمسك بأفكار وأهداف و أيديولوجية الجيش . هذا النوع منَ الإنحلال يترك آثاراً واضحةً على الوحدة مما يؤدي إلى اكتشافه وملاحظته بسرعةٍ .

3. **الإنحلال المتخفي وهو الخيانة بكامل أركانها وشروطها :** هو الخروج عنْ كلّ الضوابط العرفية الأخلاقية الوطنية ، ونظراً لدراية العسكري بأنَّ خروجه هذا يخالف معتقدات وقيم الأمة ، فإنَّه يخون بكلّ سريةٍ وكتمانٍ عنْ أعين قادته و زملائه و رجال الأمن لكي لا يكون معروفاً . إنّ َحب

الوطن فرض والدفاع عنه شرف وغاية، ويضحي الجندي بحياته في سبيل رفعة شأن وطنه وأمته ويسجل البطولات الخالدة في وجهِ منْ يطمعون في خيرات الوطن وسرقة ثرواته ، ويغدو بطلاً شهيداً يكتب اسمه بأحرفٍ منْ نور ٍفي صفحات التاريخ ، تتذكره الأجيال جيلاً بعد جيلٍ ، ليغدو مثلهم الأعلى في التضحية ونكران الذات يقتدون به في حياتهم . غير أنّ َهناك في كلّ زمانٍ ومكان ٍمنْ يرتضون لأنفسهم الإقدام على خيانة وطنهم وأمتهم وشعبهم وبيع ضمائرهم والتعاون مع أعداء الوطن والتاريخ والحقيقة ، لينالوا الخسران والعار والخجل في الحياة والآخرة . ويبقوا منكسي الرؤوس في أماكنٍ مظلمةٍ مذعورين لايخرجون منْ جحورهم في النهار وإذا ظهروا ليلاً فإنَّ الذعر والخوف منِ انتقام الوطن يراودهم وهم لايعرفون كيف يمضون العيش في ظل ذلك العار الذي يلاحقهم حتى وهم في أوكارهم ؛ إنَّ (الخيانة) لفظٌ ذو وقعٌ قويٌّ على النفس قبل الأذن ، ففي حياتنا العسكرية يؤدي وقوع الخيانة إلى تسليم الوطن إلى العدو فهي إنحرافُ السلوك العسكري عنْ مساره ، وخرق كل القيم السائدة في الجيش والتعدِّي عليها نتيجة الصراع الأخلاقي والنفسي في العلاقات بين الخائن وبين المجتمع العسكري ، والسير في اتجاهٍ مخالفٍ تماماً لاتجاه مسير الجيش . إنّ َخيانة الوطن جريمةٌ لا تغتفر لأنَّها لعبٌ بمقدرات الأمة وزعزعةٌ لاستقرارها لتوظيفِ أفكارٍ متطرفةٍ تمس بأمن الوطن ولأنّه ليس هناك أسباب ٍمشروعةٍ للخيانة ، ولما كانت كذلك فهي لا تكتمل إلاَّ بثلاثة عناصرٍ أساسيةٍ : التخاذل والتآمر والغدر . فتخاذل العسكري أنْ يتَخلَّى عنْ نصرة الجيش بالقول أو بالفعل (كالعيادات والراحات الطبية أثناء النفير أو الأعمال القتالية والتهرب من تنفيذ الواجبات بأعذارٍ واهيةٍ) إذا داهم الأمة خطرٌ خارجيٌّ فتقِفُ الوحدةُ فِي ارْتِبَاكٍ بِسَبَب ِتَخَاذُل ِبعض أفرادِهَا فتصابُ بِالضُّعْفِ وَالوَهَنِ . وفي الحديث : " الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ ، لايَخْذُلُهُ ، وَلايَظْلِمُهُ " ، وتصيب ذلك العسكري الروح التخاذلية وهي حالةٌ منَ الضعف والتكاسل عنِ القيام بالوجبات والمهام القتالية والإستسلام للواقع السيّئ وترك نصرةُ وعون زملائه . والتآمر هو قيام العسكري بالتخطيطِ وحَبْكِ مُؤَامَرَةٍ وتَدْبِيرُهَا مع آخرين بسريّةٍ لارتكاب عملٍ يعيق تحركات الجيش في ميدان المعركة أو إِهْلاَكِهِ وخِيَانَةِ عَهْدِهِ لتحقيقِ أهدافِ العدو . فإذا كانت على مستوىً سياسيٍّ فه يتُسمى استراتيجية التآمرالتي تُعرَّف بأنَّها : أسلوب استيلاء كتلة ٌسياسيةٌ على أخرى ينطوي على تقمّص أطرافٍ عسكريةٍ دور الراغب في المساعدة . والغَدْرُ : هو عدم وفاء العسكري بعهده بالدفاع عنِ الأمة وبذل النفس في سبيل ذلك ، والإِخْلالُ بالقيم العسكرية و تَرْكُها ؛ فالخيانة عملية انحدارٍ وانحطاطٍ دون الخط الأدنى للإخلاص . والخائنون لاينظر لهم بعينٍ منَ الاحترام والتقدير بل ينظر إليهم بعينٍ منَ الاستحقار والاستهجان والاستخفاف وسوءالأخلاق . وهي أعظم وأكبر مما تحتمله أيّ َنفسٍ ، ويجمع البشر على مقت الخائن ، فكل فعلٍ مشينٍ يمكنُ للمرء أنْ يجد مبرراً لفاعله إلاَّ خيانة الوطن ؛ فإننا لا نستطيع أبداً أنْ نجد لها مبررٌ . ومنْ هان عليه وطنه ، تهون عليه أوطان الآخرين . والوطن والتاريخ لايصفحانِ أبداً ، ويظلان يذكران الخائن حتى بعد موته . جاء في الصحيحين عنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : ينصب لكل غادرٍ لواءً عند استه يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلانٍ بن فلانٍ بن فلانٍ . قال بن كثير : والحكمة في

هذا أنَّه لما كان الغدر خفياً لا يطلع عليه الناس فيوم القيامة يصير علماً منشوراً على صاحبه بما فعلوه كذا يظهر للناس ما كانوا يسرونه منَ المكر ويخزيهم الله على رؤوس الخلائق . وقال ابن حجرٍ في فتح الباري : والحكمة في نصب اللواء أنَّ العقوبة تقع غالباً بضد الذنب فلما كان الغدرُ منَ الأمور الخفية نَاسبَ أنْ تكون عقوبته بالشهرة ونصب اللواء أشهر الأشياء عند العرب . وقال النووي في شرحه على مسلم : لكلٍ غادر لواءً أيْ علامةً يشهر بها في الناس لأن ّ َموضوع اللواء الشهرة ؛ وفي هذه الأحاديث بيان غلظ تحريم الغدر، وظاهره أنَّ لكلّ ٍغدرة ٍلواء ٌفيكون للواحد ألويةً بعدد غدراته ، وجاء في تفسير الآية التي وعد الله فيها الدفاع عنِ الذين آمنوا : (إنَّ الله يدافعُ عنِ الذين آمنوا إنَّ الله لا يحبُ كل خوانٍ كفورٍ) ، قال القرطبي : فوعد فيها سبحانه بالمدافعة ونهى أفصحَ نهيٍ عنِ الخيانة والغدر وقد مضى في (الأنفال) التشديد في الغدر وأنَّه : ينصب للغادر لواء عند استه بقدر غدرته يقال هذه غدرة فلانٍ . و سنتناول مبادئً وأحكاماً عامةً تتصف بالثبات والديمومة . إنَّ الخيانة جريمةٌ تختلف عنْ كل الجرائم لها شروطها وأركانها وظروفها وقواعدها الخاصة بها دون سواها . وعلى هذا الأساس فإنَّنا سندرس أموراً ثلاثةً : الأمرالأول : حق الوطن والأمر الثاني : نمط السلوك العسكري المضرُّ بهذا الحق والأمر الثالث : العقوبة ؛ ويطلق على ذلك الإعتداء أو الفعل الضار اسم (الخيانة) . وعلى هذا فإنَّ كل تحليل يستلزم مايلي : أولاً أنْ يبحث الباحث عنْ ماهية الحق الذي هو محل الخيانة ، أيّ ِالحق الذي استهدفه الإعتداء . فمحل الإعتداء في جريمة الخيانة هو حق حياة الأمة ، وينصب الفعل المكون لجريمة الخيانة على كيان الأمةالحي . ثانياً : أنْ يَعْتني الباحث بتحديد أركان الخيانة وعناصرها . ومنْ وجهة نظري فإنَّ للخيانة ثلاثُ أركانٍ : الركن القانوني وهو النص على الخيانة وعقابها ، أيْ أنْ ينص المشرع على ذكر الجريمة في قانون العقوبات العسكري ويجرمها ويحدد عقوبتها . الركن المادي وهو الفعل أو هو الإعتداء المادي الذي ينصب على حق الأمة في الحياة المحمي بالقانون . وهذا هو الجانب الموضوعي للجريمة . الركن المعنوي ويتجلى في حرية الإرادة في اختيار الخيانة منْ عدمها . وهذا هو الجانب الذاتي للجريمة . ولا يوجد للخيانة أيّ ِسببٍ منْ أسباب التبرير أو أسباب الإباحة التي تبيح للعسكري ارتكاب فعل الخيانة دون أنْ تعطي لهذه الخيانة صفة الجريمة فيغدو الفعل مبرراً ومباحاً .

أنواع الإنحلال الأخلاقي العسكري

1- **الإنحلال الفكري** : وهو الذي يمس استراتيجية الأمة العسكرية وعقائدها وثقافتها العسكرية .

2- **الإنحلال سياسي** : والإنحلال الذي يمس ايدلوجية العسكر .

3- **الإنحلال الإقتصادي** : وهو الفساد بأنواعه .

4- **الإنحلال (الخُلُقي)** : الجرائم التي ينص عليها قانون العقوبات العام .

4-البطالة العسكرية

مفهوم البطالة العسكرية

لا يسعى الأفراد في المجتمعِ العسكري للحصول على عملٍ في مجالٍ ما لأنَّ ذلك مُرتبطاً بدراستهم أثناء التنشئة العسكرية ، فلا يُعاني العسكريون صعوبةً لإيجادِ العمل المُناسب لهم داخل المجتمع العسكري ؛ بسبب توافر الفرص الوظيفيّة المُتاحة دائماً ، وتوافق المؤهّلات والخبرات الخاصّة بهم مع الواجبات المسندة إليهم في الوحدات .

ولكننا نرى في بعض الصنوف كثيراً منَ العسكريين لا يزاولون تخصصاتهم التعبوية التي تدربوا عليها ، أو أنَّهم فشلوا علمياً وعملياً في مزاولة هذه التخصصات ، وكذلك وجود أعدادٍ كبيرةٍ منَ العسكريين بمختلف الرتب قد تجاوزوا السن القانونية للخدمة العسكرية ، أو أنَّهم غير لائيقين للخدمة أصلاً ويُطلقُ على هذه النّسبة منَ العسكريين مُسمّى البطالة العسكرية ، والتي يجب أنْ يتمُّ جمعُ العديد منَ الإحصاءات السنويّة حولها ؛ لأنّها تُعتبرُ جُزءاً منَ المُعدّلات العسكرية لأيّ جيشٍ . فجميعهم فاشلون وظيفياً وتعبوياً ممّا يُؤدّي إلى تأخّر وحداتهم وتدني في مستويات الكفاءة القتالية ، وأفضل ما يفعله هؤلاء الفاشلون أنْ يصنعوا منْ أنفسهم قادةٌ ؛ أمَّا الكارثة الحقيقية التي تُصيب تلك الوحدات عندما تسند القيادة لهؤلاء الفاشلين .

تعريف البطالة العسكرية

تُعرفُ البطالة العسكرية : بأنّها عبارةٌ عنْ تعبيرٍ يُطلقُ على العسكريين الذين يعيشون عالةً على المجتمع العسكري بلا وظيفة تعبوية في حين قد تسند إليهم بعض الأعمال والواجبات خارج نطاق تخصصاتهم التعبوية ؛ أيْ أنَّهم مُتعطّلون تعبوياً عنِ الخدمة العسكرية . ويمكننا أيضاً أنْ نُعرفُ البطالة العسكرية بأنّها : حالةٌ يُوصفُ بها العسكريُّ الذي ترك تخصصه التعبوي بدون عذرٍ قانونيّ . ومنَ التّعريفات الأُخرى للبطالة العسكرية أنّها وجودُ عسكريين في المجتمعِ العسكري قادرين على العمل بدون وظائفٍ تعبويةٍ رغم حصولهم على فُرصةٍ مناسبة لهم .

تعدُّ البطالة العسكرية منَ القضايا التي تُؤثّرُ على المجتمع العسكري بشكلٍ سلبيّ ؛ لأنَّها تنتشرُ بين ثلاث فيأتٍ منَ العسكريين وهي : عسكريون قادرون على تنفيذ الواجبات التعبوية حسب التخصص في السلم والحرب ولا يزاولون تخصصاتهم بعذرٍ أو بدون عذرٍ قانونيّ دون رتبة عقيد ، لأنّ رتبة عقيد رتبة قيادية مكتبية ، أو عسكريون بلغوا سنَّ التقاعد ومازالو في الخدمة العسكرية أو عسكريون غير لائيقين للخدمة العسكرية ومازالو في الخدمة ، وهؤلاء الفاشلون يُصنّفون داخل القوى العاملة للدّولة ولا تشملهم أيُّ إحصائياتٍ خاصةٍ بالبطالة .

أسباب البطالة العسكرية

إنَّ البطالة العسكرية مِنْ أهمِّ الأزمات التي تُهدّدُ استقرار المجتمع العسكري ، وتوجدُ مَجموعةٌ مِنَ الأسبابِ التي تُؤدّي إلى ظهورها ، والتي لا تختلفُ مِنْ مُجتمعٍ عسكريٍّ إلى آخرٍ ، ومِنْ أهمها : الأسبابُ السياسيّة ، والتنشئة العسكرية ، والمجتمعيّة ، ولكلٍّ منها مُؤثراتٌ ونتائجٌ سلبيّةٌ تُؤثّرُ على المُجتمع العسكري .

أ. الأسباب السياسيّة هي كافّةُ المؤثّرات المرتبطة بإعاقة نمو الجيش وتطوره والمُتعلّقة بوجهة نظر السلطة السّياسيةِ الخاصّة بالمؤسسة العسكرية ، و مِنْ أهمها :
   1. انخفاضُ القدرةِ على دعمِ المؤسسة العسكرية وعدم الإيمان بوجودها وأهدافها .
   2. انتشارُ الحروب والأزمات الأهليّة في الأمة .
   3. غياب تأثير التّنمية السياسيّة على الوضعِ العسكري في الدُّولِ النّامية .

ب. أسباب التنشئة العسكرية للبطالة منْ أكثر الأسباب انتشاراً وتأثيراً على البطالة العسكرية ، وهي تخريج عسكريين فاشلين منَ المدارس والكليات العسكرية أو الإهتمام بجانبٍ واحدٍ منَ التدريب وهو التخصص التقني والفني بدون تدريب تعبوي عسكري ، كالأطباء والمهندسين والطيارين . أو الاستعانةُ بموظّفين مدنيين منْ خارج المُجتمع العسكري ، وهي التي ترتبطُ بمفهوم العمالة المدنية بالقوات المسلحة ممّا يُؤدّي إلى الابتعادِ عن العسكريين المؤهلين لنفس التخصصات والوظائف التعبوية .

ت. الأسباب المجتمعية للبطالة العسكرية هي الأسباب المُتعلّقةُ بالمجتمعِ العسكري نفسه الذي يتأثّرُ في كلٍّ من الأسباب السياسيّة والتنشئة العسكرية الخاصّة بالبطالة ، ومنْ أهمّ الأسباب المجتمعيّة :

1. رتفاع مُعدّلات نموّ المجتمع العسكري وكثرة الأفراد ، والذي يُقابله عدم وجود وظائفَ أو تخصصات تعبوية أو مِهَن كافية لكل الأفراد .
2. غياب التنميّة البشرية للمُجتمع العسكرية ، والتي تعتمدُ على الاستفادةِ منَ التّأثيرات الإيجابيّة التي تُقدّمها القيادة العامة للقوات المسلحة للوحدات الصغرى .
3. عدم الاهتمامِ بتطوير المدارس والكليات العسكرية ، ممّا يُؤدّي إلى غيابِ نشر الثقافة العسكرية والوعي العسكري .
4. زيادة أعداد العسكريين القادرين على تنفيذ الواجبات مع شعورهم باليأس ؛ بسبب عدم حصولهم على وظائفَ أو فرصٍ تدمجهم في المجتمع العسكري ، وقد لاحظتُ ذلك أكثر في سلاح الجو ، فقد كان هناك أعداداً كبيرةً منَ الطيارين لم يتحصلو على فرصة طيران منذ تخرجهم منَ الكليات العسكرية المختلفة .
5. تكدس العسكريين بأعدادٍ كبيرةٍ جداً في رتبةٍ واحدة كأنْ تجدَ 15 ألفَ عقيدٍ في جيشٍ صغيرٍ كالجيش الليبي .

6. غياب التّطوير المستمرّ للأفكارِ والإبتكار ، والتي تُساعدُ على تقديمِ العديد منَ التخصصات والفرص للأفراد القادرين على تنفيذ الواجبات التعبوية المختلفة .

وتوجدُ مجموعةٌ أخرى منَ الأسباب تُؤدّي إلى انتشارِ البطالة داخل المجتمع العسكري منها :

1- عدم متابعة الجهات المختصة كإدارة العمليات وإدارة التدريب للعسكرين للعسكريين والدورات التي تحصلوا عليها وهل يزاولون تخصصاتهم التعبوية أم لا .
2- ظهور تقلُّباتٍ في الوضعِ السياسي المحليّ وعدم اهتمام السلطة بالجيش ، والتي تنتجُ عنها مجموعةٌ منَ الصّعوبات العسكرية ، ومنْ أهمّها عدم الإهتمام بالوظائف التخصصية التعبوية .
3- عدم تناسب أعداد الوظائف التعبوية المتاحة مع أعداد العسكريين في تخصص أو سنّ العمل ، ممّا يُؤدّي إلى زيادةِ انتشار البطالة العسكرية بينهم .
4- عدم تناسب المُؤهّلات التعبوية الوظيفيّة للوظائف الشّاغرة مع المُؤهّلات التعليميّة أو الخبرات المِهنيّة للعسكريين ، ممّا يُؤدّي إلى توفّر الوظائف التعبوية مع عدم وجود عسكريين مؤهلين لها . كالمحاسبين والمعلمين وغيرهم .
5- عدم وجود إداراتٍ للتنمية البشرية في رئاسات الأسلحة الرئسية تتابع الوظائف و التخصصات التعبوية و العسكريين الذين لا يزاولون تخصصاتهم .

أنواع البطالة

تُقسم البطالة العسكرية إلى :

1- البطالة الإجبارية : هي البطالة التي تظهرُ بسبب النموّ والتطوّر في بعضِ التخصصات التعبوية والعمليّة والتي تَستبدلُ الأفرادَ بمجموعةٍ منَ الحواسيب أوِ الآلات التكنولوجيّة مثل الملاحين الجويين أوِ المهندسين الجويين ، ممّا يُؤدّي إلى قلّة الحاجة إلى الأفراد بسبب التّطورات التقنية الحديثة .
2- بطالة الفشل الوظيفي التعبوي : هي البطالة التي تظهرُ عند الأفراد القادرين على تنفيذ واجباتهم ، وبدل ذلك يسعون إلى وظائف أكثر راحةً أو أقرب إلى أهلهم أو مدنهم . فيتركون تتخصصاتهم ويمارسون وظائف خارجها تماماً . أو التكدس في رتبةٍ واحدةٍ .
3- البطالة التقاعدية : هي الرّكودُ الذي يُصيبُ الوحدات بسبب عدم إنهاء الخدمة العسكرية للأفراد الذين يبلغون سنَّ التقاعد ، فيمكثون جاثمين على صدور زملائهم يملؤون المكان و الزمان ولا يتركون عجلة الحياة العسكرية تدور دورتها

الطبيعية في تبادل القيادة أو نقل الخبرات ، وبدلاً منْ ذلك فإنَّهم يحولون الوحدات إلى أماكن أشبه بمزارعهم وممتلكاتهم .

4- البطالة الهيكلية : تنشأ البطالة الهيكلية نتيجة عدم توافق متطلبات المجتمع العسكري منَ الأفراد مع طبيعة أهداف الجيش يتسبب بنقص أو زيادة في عدد العسكريين في تخصصاتٍ معينةٍ مقابل بطالةٍ مرتفعةٍ في مجالاتٍ أخرى . يكون هذا النوع من البطالة العسكرية نتيجةٍ مباشرةٍ لضعف القيادة العامة الجيش وسوء التخطيط للمؤسسات التعليمية العسكرية .

تعتبرُ البطالة العسكرية مِنْ إحدى أكبر المُشكلات التي تعاني منها الجيوش المتخلفة ؛ لأنَّها ترتبطُ بوجودِ نسبةٍ مِنَ الأفراد الذين يمتلكون القدرة على تنفيذ الواجبات ولكنهم يفتَقِرونَ لإيجادِ الوظيفةِ المناسبة أو أنَّهم فاشلون أصلاً منذ نشأتهم العسكرية الأولى ، أو أنَّهم أرادو ترك وظائفهم بدون عذر ، كما أنَّ للبطالةِ مُعدّلٌ يرتبطُ في حسابِ نسبةٍ مئويّةٍ خاصّة بها لا يلتفت إليه أحدٌ في المجتمع العسكري ، والذي يعتمدُ على معرفةِ الأسباب التي تُؤدّي إلى ظهور البطالة في المجتمع العسكري ، والطُّرق المُناسبة للتّعاملِ معها بطريقةٍ صحيحة ، وأيضاً للبطالةِ العسكرية مجموعةٌ منَ الأنواع المُختلفة ، والتي تُؤثّرُ بشكلٍ كبيرٍ على الكفاءة القتالية بصفتها من إحدى المُعدّلات الرّئيسة المُرتبطة بالجاهيزية القتالية لأيّ جيشٍ .

حلول لتقليل نسبةِ البطالة

توجدُ مجموعةٌ مِنَ الحلولِ المُقترحة لتقليلِ نسبةِ البطالة في المجتمعاتِ العسكرية ، و منْها :

1. الوعي العسكري بالوظائف التعبوية : والتي ستُساهمُ في التّقليلِ منْ نسبة البطالة العسكرية بشكلٍ ملحوظ .
2. إعادة تأهيل العسكريين في تخصصات جديدة تناسب أعمارهم ورتبهم . خصوصاً الخرّيجين الجُدد الذين يمتلكون مَهاراتٍ أكاديميّة قد تتوافقُ مع المتطلّبات التخصصية الخاصّة في الوحدات الجديدة .
3. تفعيل قوانين التقاعد وعدم بقاء المتقعدين بعد نهاية خدمتهم مطلقاً مهما كانت الظروف ، ولو كانت الفترة قصيرة .
4. وضع قيود على استخدام المدنيين ، واستخدامهم في الوظائف الضرورية فقط ، ويجب تأهيل عسكريين ليحلوا مكانهم في أسرع وقتٍ .
5. عدم ارجاع المتقاعدين إلى الخدمة العسكرية مهما كانت الظروف لأنّهم سيفسدون البيئة العسكرية بالوحدة ، فاستخدام أجانب بدلهم في هذه الحالة أفضل منْ خلق ظروف بطالةٍ جديدةٍ للمجتمع العسكري .

أثار البطالة على العسكريين و المجتمع العسكري

إنَّ البطالة لها آثارها على المستوى الإجتماعي العسكري والسياسي والأمن القومي أيضا باعتبار أنَ البطالة العسكرية ترتبط بتدمير الحياة العسكرية نتيجة عجز الوحدات وتراخي الأفراد في تنفيذ الواجبات في السلم ناهيك عنها في الحرب مما يترتب عليه تدني مستوى الكفاءة القتالية ، بالإضافة إلى النقمة على المجتمع العسكري بصفةٍ عامةٍ والولاء للمؤسسة العسكرية والإنتماء للوطن ، كما يتضح في الجوانب التالية:

1. الجانب الأمني : إنَّ صلة البطالة العسكرية بالأمن القومي صلة مباشرة وغير مباشرة في الوقت نفسه ، فالبطالة تعني تخاذل العسكري في أداء واجباته وحرمان وحدته منْ قدراته وخبراته . فالأمن القومي هو قدرة الدولة على حماية أراضيها ومواردها ومصالحها منَ التهديدات الخارجية والداخلية أيْ أنَّ الجيش هو العنصر الأساسي للأمن القومي ، مع الأخذ في عين الإعتبار أنَّ قوة الأمة لا ترتبط بالعامل العسكري فقط ، بل تعدته إلى السياسة والتكنولوجيا والتعليم والنمو الاقتصادي والمعلومات وغيرها . ووفقاً لهذا التعريف ، فالأمن القومي متنوع ، فهناك الأمن العسكري : وهو ما يتعلق بالقدرات الدفاعية للأمة والتصنيع العسكري و تأمين الحدود واستراتيجية الأمة التي هي قراءة مستقبلية لنوايا الدول الأخرى . فلا يُسمحُ بالتّهاون في تحقيقه وإعداده ؛ بسبب نتائجه الكارثية على الأمة كازدياد التّهديدات والأخطار ، الأمر الذي يسبب في انهيارها أو إلغاءِ وجودها أو تقسيمها ، كما يتشابكُ الأمن العسكري مع بقيّة أبعاد الأمن القوميّ تشابكاً قويّاً ؛ حيثُ يؤدّي ضعف أيٍّ منْ هذه الأبعاد إلى إضعافِ البُعد العسكريّ .
2. عدم استقرار العلاقات الاجتماعية العسكرية وتقلبها زمنياً ومكانياً .
3. تدني مستوى الكفاءة القتالية وعدم استقرار الوحدات ، ومنْ ثمَّ طغيانُ شعور خيبة الأمل والإحباط بالنسبة للعسكريين الملتزمين .
4. الإبتعاد عنِ المجتمع العسكري وقيمه السائدة .
5. الجانب الاقتصادي : ويتمثل في صرف المرتبات والعلاوات والدورات الخارجية وغيرها منَ المصاريف على عسكريين لا يستحقونها لعدة سنوات ، وحرمان منْ يستحقها ، وبالتالي فإنَّ أيّ تقدمٍ اقتصاديٍّ يعتمد أول ما يعتمد على العسكري بإعداده علمياً حتى يتحقق دوره في الإسهام في الدفاع عنِ الأمة ، ويتحول هؤلاء العسكريين إلى طاقاتٍ مهدرةٍ و بالتالي يخسر الجيش هذه الطاقات ، كما أنَّهم يعدون عبئاً إضافياً على الاقتصاد القومي يسبب خسارة تتمثل في توفير الأجور لهؤلاء مع عدم وجود عمل فعلي يستحقون عليه هذا الأجر .

6. الجانب السياسي : ضعف السلطة السياسية سوف يؤثر سلباً على المؤسسة العسكرية ، وبالتالي المجتمع العسكري ، من الواضح كيف أنَّ السياسة قد ترد على هذا الوضع : غالباً سيكون التهميش وإنكار وجود الجيش .

7. الجانب النفسي والإجتماعي والصحي :

أ. تؤدي حالة البطالة عند العسكريين إلى الكثير منْ مظاهر التوافق النفسي والإجتماعي عكس المتوقع خارج الأسوار وهنا تكمن الكارثة ، إضافة إلى أنَّ كثيراً منَ العسكريين العاطلين عنِ تنفيذ الواجبات حسب التخصص العمل يتصفون بتوازن الحالات النفسية والشخصية ، و يتسم كثيرٌ منَ العسكريين العاطلين بالسعادة النفسية والمجتمعية والرضا والشعور بالفخر و الكفاءة القتالية .

ب. وتنعكس البطالة العسكرية التي يعاني منْها العسكريين على سلوكهم وتُلقي بظلالها على المجتمع العسكري حيث تظهر صورةً متكاملةً لأوضاعٍ شاذةٍ في الإدارة والقيادة ، والإحساس بالظلم الإجتماعي للعسكريين الملتزمين وما تولد عنه منْ شعورٍ بعدم الإنتماء وارتكاب الأعمال التخريبية وانتشار الفساد في الوحدات ، وهناك فئة أخرى منَ العسكريين الملتزمين تقوم بالكبت بداخلهم مما يتحول بمرور الوقت إلى شعورٍ بالإحباط ويخلق عسكريين مدمرين نفسياً وعضوياً ، وأنَّ نسبةً كبيرةً منَ العسكريين العاطلين عنَ تنفيذ واجباتهم التخصصية التعبوية يفتقدون تقدير الذات ولكنَّهم لا يشعرون بالفشل أو أنَّهم أقل منْ غيرهم ، ولا يسيطر عليهم الملل رغم أنَّ يقظتهم العقلية والجسمية منخفضة .

ج.كما أنَّ البطالة تولد عند العسكري الملتزم شعوراً بالنقص بالإضافة إلى أنَّها ستورث الأمراض الإجتماعية الخطيرة كالإنحراف العسكري ، وتضيف أنَّ العسكري العاطل لا يشعر بالفراغ إطلاقاً أو عدم تقدير المجتمع فلا تنشأ لديه أيّ حالةٍ عدوانية أو شعورٍ بالإحباط ، و البطالة العسكرية تحرم الجيش منْ الإستفادة منْ طاقة أفراده .

د.كما أنَّ البطالة قد تسبب تفاقم مشكلة استقالة العسكريين المتميزين . وتشكل استقالة الكفاءات العسكرية خسارةً فادحةً للمؤسسة العسكرية على المدى القريب والبعيد ، ويكرس مزيداً منَ تدني مستوى الكفاءة القتالية والجاهزية القتالية ، مما يتطلب وضع استراتيجية يتضافر فيها الجميع وترتكز على تشجيع الإبداع والمبدعين ، وتطوير نظم التنشئة العسكرية ، ووضع العسكري المناسب فى التخصص المناسب .

إنَّ مشكلة البطالة العسكرية منْ اخطر المشكلات التي تواجه أيَّ جيشٍ نظراً لما لها منْ آثارٍ سلبيةٍ خطيرةٍ على المستويات الإقتصادية والإجتماعية والأمنية ، فعلى المستوى الإقتصادي تفقد المؤسسة العسكرية عنصراً هاماً منْ عناصر التنمية العسكرية ألاَ وهو عنصر الموارد البشرية ، أمَّا اجتماعياً فإنَّ البطالة توفر الأرض الخصبة لنمو المشكلات الاجتماعية العسكرية . وأمنياً تؤدى إلى ضعف الأمن القومي ؛ مما سبق نجد أنَّ مشكلة البطالة في المؤسسة العسكرية تحتاج منَّا إلى الوعي جيداً بخطورتها والعمل على

إيجاد الحلول الكفيلة بالقضاء عليها ، كما إنَّ البطالة تؤدي إلى سخطٍ عسكريّ علاوةً على التوترات والمخاطر السياسية والإجتماعية التي تنجم عنْ حالة اليأس والضياع التي يعيشها المجتمع العسكري .

بعض التوصيات والمقترحات في سبيل التخفيف منْ ظاهرة البطالة العسكرية :

1. ينبغي للقيادة العامة للجيش ضمان المساواة في الفرص والمعاملة لجميع العسكريين منْ حيث الحصول على التخصصات حسب الرغبة وتحسين ظروف العمل داخل المعسكرات البعيدة عنِ المدن والتجمعات الحضارية وتحسين مستوى الدخل لها ، وفي التوجيه والتدريب والترقي في المجال الوظائف التعبوية التخصصية .

2. إجراء دراسةٍ مسحيةٍ شاملةٍ " دوريةٍ " للعسكريين ، وذلك لما تقتضيه ظروف ودوافع المؤسسة العسكرية ، سواءً ما يتعلق منْها بالجانب الأمني ، أوِ الإقتصادي ، أوِ الإجتماعي أوِ العلمي.

3. حصر وتهيئة بياناتٍ دوريةٍ عنِ البطالة في المجتمع العسكري بهدف التعرف على حجمها ونوعها بما يمكِّنُ منْ وضع السياسات الملائمة لمكافحتها .

4. تنظيم عملية استخدام المدنين في القوات المسلحة وتقنينها ، بحيث تقتصر صلاحيتها حصراً على التخصصات النادرة فقط ، وفي أثناء ذلك يجب تأهيل عسكريين لهذه الوظائف النادرة ، وعدم تعدد الجهات والمصادر التي تقوم بذلك .

5. دعم عملية التدريب التعبوي المستمر وإجراء المناورات ، وبخاصة التدريب التأهيلي وإعادة تأهيل العسكريين على تخصصاتٍ جديدةٍ .

6. دعم عملية التنشئة العسكرية ، وبخاصة لمنْ هم دون الشهادة الثانوية .

7. نظراً لانخفاض نسبة المرأة في المجتمع العسكري ، ومحدودية خيارات الواجبات والتخصصات المتاحة لها ، يتعين إتاحة الفرصة أمامها بشكل أكبر للإسهام في بناء المجتمع العسكري على أساس أنَّها جزءٌ منْهُ وليس واجهةً جميلةً أمام الجيوش الأُخرى ، وذلك باستحداث مجالات نطاق عمل المرأة و تنويعها وعدم حصرها في تخصصاتٍ محددةٍ .

8. إنشاء وحداتٍ جديدةٍ يكون الغرض الأساسي في إنشائها امتصاص جزءٍ منَ الطاقات العسكرية المعطلة وتحويلها إلى قوى عسكرية مستخدمة مما يساهم في إيجاد حل لمشكلة البطالة العسكرية منْ جهةٍ ويحقق زيادةً في مستوى الكفاءة القتالية للأفراد والوحدات .

9. قيام الإدارات والهيئات المعنية بالعمل على تقوية الترابط بين هيكل التنشئة العسكرية في المدارس و الكليات العسكرية ، وهيكل الوظائف التعبوية والمهارات ، والحل يكمن في وضع

هياكل قياسية مترابطة لهذه العناصر الأساسية . والإعتماد على رغبة العسكري في اختيار التخصص الذي يريده . وتوحيد المفاهيم والتعاريف والرموز والهياكل التنظيمية ، وهذا من أهم واجبات إدارة التدريب .

10.دعم وتطوير المعسكرات والثكنات والقواعد العسكرية بكافة الأنشطة الثقافية والرياضية والترفيهية و المباني والعنابر والمطاعم بهدف استيعاب أعداد إضافية منَ العسكريين .

11. المراجعة الشاملة لسياسات رواتب العسكريين لما لها منْ تأثيرٍ كبيرٍ في الروح المعنوية وفي مستويات الكفاءة القتالية . وإيجاد نظام رواتب متوازن مع الوضع الإقتصادي للأمة يأخذ بعين الإعتبار معدلات التضخم السائدة في الاقتصاد .

13.تدريب العسكريين المستحقين القادرين على تنفيذ واجباتٍ وتخصصاتٍ جديدةٍ .

5-الحرب كمشكلةٍ اجتماعيةٍ عسكريةٍ

مفهوم الحرب

إنَّ مثل هذه الظاهرة تحتاج إلى الملاحظة الدقيقة والتدوين أولاً بأولٍ ، ولمْ يتسنَ لي ذلك . فلمْ أدخلْ أيَّ حربٍ بمعنى الكلمة ، اللهم بعض الأعمال القتالية في جبهاتٍ ساخنةٍ كالإنزالات الجوية ، وإمداد القوات أوِ اخلائِها أو ترحيلها . إلاَّ أنَّني جمعتُ بعض الأفكار منْ هنا وهناك لعلَّها تسلط بعض الضوء على الموضوع ؛ وتعد الحرب وسيلة الدول لتحقيق أهدافها ومطامعها بالقوة ، وهي غالباً ما تلجأ لها كخيارٍ أخيرٍ وبخاصةٍ في الآونة الأخيرة ، بسبب كلفتها العالية للمنتصر والمهزوم ، ومن الجهة الأخلاى فهي وسيلة الدفاع عن الأمة ووجودها. وللحرب تعريفاتٌ كثيرةٌ منها : تعرف الحرب بأنَّها الكفاح المسلح بين طرفين . " قال المنظر العسكري البروسي كارلفون كلاوزفيتز على الحرب أنَّها "عملياتٌ مستمرةٌ منِ العلاقات السياسية ، ولكنها تقوم على وسائلٍ مختلفةٍ ". و حسب الموسوعة العربية العالمية فإنَّ الحرب هي نزاعٌ منظمٌ وعادةً ما يستمر لفترةٍ طويلةٍ ينشب بين دولٍ أوكياناتٍ غيرحكوميةٍ . و تتميز الحروب بشكلٍ عامٍ بالعنف المتطرف ، الفوضى الإجتماعية ومحاولة إلحاق الدمار الإقتصادي بين الأطراف المتنازعة . ويعرفها بيار كونيسا في كتابه " صنع العدو " بأنَّها : نزاعٌ بين دولتين تملكا نجيوشاً نظاميةً ، وتتحق عبر فعل إرادي ، أيْ إعلان الحرب الذي يسبق بداء الأعمال العدوانية ؛ و ينبغي أنْ تُفهم الحربُ على أنَّها نزاعٌ مسلحٌ فعليٌ متعمدٌ ، على نطاقٍ واسعٍ بين المجتمعات السياسية ، وبالتالي تُعرف الحرب على أنَّها إحدى أشكال العنف أو التدخل السياسي . ومجموعة التقنيات المتسخدمة منْ قبل المجموعات المتحاربة تعرفب اسم القتال . وحالة عدم الحرب تسمى السلام . والحروب هي مجموعةٌ منَ العمليات الاجتماعية السلبية حيث تتسم بطابع الصراع التدميري العنيف فهي نزاعٌ مسلحٌ يقوم على استخدام القوة المسلحة باستخدام مجموعاتٍ مسلحةٍ منظمةٍ تُسمى جيوشٌ نظاميةٌ وأحياناً جماعاتٍ شبه نظامية أو ميليشاتٍ ، وتستخدم القوة المسلحة كل الوسائل

لإلحاق الضرر والأذى بالطرف الآخر في الحرب سواءً في قدراته العسكرية أو مقدراته المدنية ويتم ذلك عنْ طريق التدمير المنظم والمخطط بالاستعانة بمعلوماتٍ عسكريةٍ عنِ الطرف الآخر تجمعها أجهزة الإستخبارات والإستطلاع العسكرية ، وتستخدم القوات المسلحة هذه المعلومات للقيام بعملياتٍ عسكريةٍ منظمةٍ للأعتداء على الطرف الآخر .

المفهوم النفسي والإجتماعي

يرى كلاوزفيتز أنَّ الحرب ترجمةٌ للسلوك العدواني الشخصي تحت غطاءٍ ثقافيٍّ ، وتتمثل في أربع حالاتٍ هي :

1- تطور الغريزة القتالية الفردية إلى سمةٍ جماعيةٍ .
2- العدوان ظاهرةٌ نفسيةٌ طبيعيةٌ كبتها المجتمع فتحول إلى ظاهرةٍ نفسيةٍ جماعيةٍ تشجع اللجوء إلى الحرب .
3- العدوان نتاج خيبة أملٍ حين يعجز الإنسان عنْ تحقيق آماله أو أهدافه ، فإذا تجاوزت خيبته حدود الضوابط الأخرى فإنَّه يتصرف بعدوانيةٍ ، وخاصةً إذا لم تكن ثمة عقوبةً رادعةً وحدثت تراكماتٍ اجتماعيةٍ لخيباتٍ الأمل التي يعانيها أفراد المجتمع منْ سلوكِ قوىً خارجيةٍ أو منْ الخصائص البنيوية للمجتمع كالشعور بعدم المساواة وانتفاء العدالة والتدهور الإقتصادي .
4- العدوان سلوكٌ مكتسبٌ في الجماعة وليس فطرياً ، فالإنسان ليس عدوانياً بالفطرة وليس مسالماً ، بل هو قادرٌ على تطوير سلوكه في الاتجاهين وفق علاقته المتبادلة مع بيئته وثقافته .

آثار الحرب على المجتمع العسكري

بنشوب الحرب ستختفي الكثير منَ الأنشطة الإنسانية منَ المجتمع العسكري كما ستختفي منَ المجتمع العام ، رغم أنَّ الجيش بصفةٍ عامةٍ لا يشعر بالندم على أيَّةٍ حربٍ أخلاقيةٍ يقوم بها طالما أنّ هناك مبرراتٍ قبلها الشعب ، فيتأثر الفن على سبيل المثال ويبدأ في التلون بلون الحرب ، وتصبح ألعاب الأطفال طائرات وبنادق ودمىً على هيئة جنود ، وقد تصل إلى روسومات الكتب المدرسية . وتضطر النساء للعمل أثناء الحروب لسد الثغرات التي تركها الرجال ممنْ ذهبوا للحرب . وتشكل الحروب خللاً في نسبة الرجال للنساء خصوصاً في الحروب التي تمتد على مدى فترة طويلة ، وقد يترتب على الحروب فساداً جتماعياً خصوصاً إذا ما امتدت الحروب لفتراتٍ طويلةٍ أو أعوامٍ بلا نهاية .

الآثار النفسية على العسكريين

يقول الدكتور د. لطفي الشربيني : تبدأ مقدمات الحالات النفسية المرتبطة بالحرب في الظهور قبل نشوب القتال ، نتيجة للتوتر والقلق اللذين يصاحبان مدة الانتظار والترقَّب . ومنَ الأعراض النفسية التي تنشأ عنْ ذلك : "الضجر والعصبية الزائدة ، ومشاعر الخوف ، والرهبة ، وخفقان القلب ، واضطراب النوم ، والصداع ، والهزال..."، كل هذه الإضطرابات نتيجةٌ للحالة النفسية الإنفعالية مدة الانتظار التي تسبق

المعارك . ويلاحظ أنَّ طول هذه المدة بسبب تهديد هجوم متوقع للعدو أو احتمال التعرض لغاراتٍ جويةٍ ، له تأثيرٌ سيئٌ منَ الناحية النفسية ، ويلاحظ ذلك منْ خلال ما يبدو على الأفراد منْ مظاهر الإحباط ، وفقدان روح المرح ليحل محلها التجهم والكآبة ، وتزداد هذه المظاهر مع احتمالات استخدام أسلحة الدمار الشامل ، وفي هذه الأوقات تزيد نسبة الإصابة بالإضطرابات النفسية المختلفة ، مثل : " القلق ، الاكتئاب ، الوساوس المرضية ، وحالات الذهان العقلية الشديدة التي تتطلب العلاج النفسي العاجل ."

منْ أمثلة الحالات النفسية المرتبطة بالحرب حالات الإضطراب النفسي المصحوب بالخوف والرعب التي تصيب الجنود والمدنيين ، خصوصاً عند حدوث خسائر بشريةٍ ، ومنْ الحالات الغريبة التي تصيب بعض الجنود توقف الحركة في أحد الذراعين ، وهو ما يعرف بالشلل الهستيري ، وغالباً ما يحدث في الذراع الأيمن ، بحيث لا يقوى الجندي على حمل السلاح ومواصلة القتال . ويصاب البعض بحالاتٍ منَ الذهول ،فيتصرف دونَ وعيٍّ بما حوله .

وتذكر التقارير أنَّ أطراف الجنود الأمريكيين كانت تتجمد في الحرب الكورية ليس بسبب البرد الشديد ، ولكن لأسبابٍ نفسيةٍ ،كما أصيب الكثيرون منهم بأزماتِ تنفسٍ خانقةٍ أثناءحرب فيتنام نتيجة للتوتر النفسي .

ومنَ الحالات النفسية المعروفة التعرض لظروف الحرب حالة اضطراب ضغوط الصدمة وتسبب اختلال التوازن النفسي والإدراك والتفكير وفقدان العسكري للسيطرة على انفعاله ، في ظل حالةٍ من الذهولٍ والرعبٍ ، يستعيد مشاهد القتال الرهيبة ، ولا يقوى على التركيز أو الإستجابة للمحيطين به ، ولا يستطيع النوم منْ هول الكوابيس المزعجة بالرغم منَ ابتعاده عنْ خطوط القتال .

ويعدُ الدور الوقائي للطب النفسي العسكري ذا أهميةٍ بالغةٍ في ظروف الإعداد للحرب ، بالنسبة للعسكريين الذين يوجدون بعيداً عنْ ذويهم أو المدنيين الذين يتأثرون أيضاً بحالة الحرب التي تعيشها بلادهم ، ودور الطب النفسي هنا هو تقديم الدعم النفسي والإعداد للتأقلم مع أجواء الحرب ، وكذلك التخطيط للتدخل العلاجي والإهتمام بالجانب المعنوي والروح القتالية في مواجهة أيّ حربٍ نفسيةٍ موجهةٍ منَ العدو . ومشاركة الإستخبارت العسكرية والأمن الخارجي في إعداد الحرب النفسية الموجهة ضد العدو .

ومنْ هنا تأتي أهمية وجود خدماتٍ نفسيةٍ متكاملةٍ في المستشفيات العسكرية والمدنية قبل أنْ يتم إخلاء الحالات إليها ، وأثناء العمليات يجب تقديم الخدمات النفسية بصورةٍ فوريةٍ ومنتظمةٍ .

والجدير بالذكر ، أنَّ بعض حالات الإخلاء نتيجة الإضطراب النفسي يكون سببها الإرهاق الشديد أو اضطراب النوم لعدة أيامٍ ، ولا تحتاج مثل هذه الحالات سوى تقديم كميةٍ كافيةٍ منَ السوائل والغذاء والراحة لمدة (12) ساعةٍ ، يعود بعدها المقاتل إلى سابق لياقته البدنية والذهنية ، ويمكنه مواصلة تأدية مهامه القتالية .

في مجتمعاتنا العسكرية يعيش العسكر دائماً أزمة استقرار أساسها التفكير المستمر في الصرعات العسكرية . ولعل مسببات هذه الصراعات عديدة قد تكون عقائدية أو اقتصادية أو تاريخية أو غيرها . الأمر الذي جعل المختصين في ميدان على النفس والإجتماع يختلقون بشأن طبيعتها وأسباب حدوثها . هذه الظروف التي يعيشها العسكريون تولد لديهم العديد منَ عوامل القهر النفسي ، والرهاب والخوف ، فيكون التفكير الذاتي والرضا بالقليل منَ المطالب المهمة له ، والتي يظهر خلالها الإبداع والتطور الفكري العسكري . ومع تواجد هذه الإضطرابات النفسية التي تسببها الحروب فإنَّها تؤدي بالتالي إلى فقدان الكثير منَ الطاقات العسكرية عندما تنتهي الحرب .

التأثر النفسي للحرب

منْ نتائج الحروب على العسكريين عادةً الدمار منْ عدة نواحيً اقتصادية واجتماعية ونفسية . ويتأثر بها كثيراً فتشعره بالعجز وعدم القدرة على التأقلم مع المجتمع . وتجعله ذاتي التفكير مستسلماً لوساوس قهرية لديه تتعلق بمستقبله وحياته وحياة منْ حوله فيكون عاجزاً متأثراً بالعديد من الإحباطات التي تورثها كوارث الحروب . وتسبب الحروب العديد منَ الاضطرابات والأمراض النفسية على العسكريين ، وقد تجر هذه الأمراض النفسية أمراض جسمية فتصيب شريحة كبيرة منَ الجنود بوجه الخصوص ، وهذا ما حدث في الكثير من المجتمعات العسكرية بعد نهاية الحرب ، فزاد عدد المصابين بالإكتئاب والقلق وأمراض القلب والمعدة وغيرها . وحصل ذلك أيضاً في مجتمعاتنا العربية ، ففي ليبيا مثلاً وبعد الحرب الأهلية "2011 : 2019 " انتشرت الأمراض السيكوسوماتية أو (النفسية الجسمية) فازدادتْ نسبة الإدمان على المخدرات ، وبدأتْ العديد منَ المهن الجديدة بالظهور كالحرابة والخطف ، وازداد عدد حاملي السلاح ، وحالات الإنهيار والإضطرابات الجسدية الوظيفية . ومنَ الأمثلة على تأثيراته ما حدث للعسكريين الأمريكان أيام حرب فيتنام في السبعينات ، حيث أنَّ غالبية منْ اشتركوا في هذه الحروب منَ الجنود والمتطوعين وغيرهم أصيبوا بالعديد منَ الأمراض النفسية ولعلَّ أهمها الهلوسات السمعية والبصرية ، واضطرابات النوم والكلام ، وأمراض المعدة . وكل هذه الأمراض جاءت بعد أنَّ شاهد هؤلاء المشتركون في المعارك حجم الدمار والضحايا والتعذيب الذي تعرض له بعضهم ، وتبدأ مقدمات الحالات النفسية المرتبطة بالحرب والقتال في الظهور قبل نشوب القتال نتيجة للتوتر والقلق الذي يُصاحب فترة الانتظار والترقب . ولوسائل الإعلام الدور الكبير في هذا التوتر والذي يُطلق عليه الحرب النفسية : وهي استخدام مخططٍ منْ جانب دولةٍ أو مجموعةٍ منَ الدول لدعاية لها منْ خلال إجراءاتٍ إعلاميةٍ موجهةٍ إلى جماعاتٍ عدائيةٍ أو محايدةٍ أو صديقةٍ ؛ للتأثير على آرائها وعواطفها وسلوكها بطريقةٍ تعينُ على تحقيق سياسة وأهداف الدولة أو الدول المستخدمة . وقبل الحرب تعلب الحرب النفسية دوراً كبيراً وتساهم في تفشي الضجر والعصبية الزائفة وسيطرة مشاعر الخوف والرهبة كما تظهر الكثير منَ الأعراض المرضية كسرعة خفقان القلب واضطرابات النوم والصداع ، وهذه نتيجةٌ للحالة الإنفعالية في فترة الإنتظار التي تسبق المعارك .

وتساهم طول المدة التي يعيشها الإنسان وهو يترقب ما سيحدث وتنبؤاته بشكل الحرب التي منَ الممكن أنْ تشن عليه ، هل سيتعرض لـ أ. ت. ش ؟ وما هي كمية الصواريخ التي ستسقط على وحدته ؟

وكيف ستكون الغارات الجوية ؟ وما هو مصيره ومصير وحدته ، ومصير أسرته ؟ كل هذه التساؤلات ومحاولة الإجابة عليها لها تأثيرٌ سيئٌ منَ الناحية النفسية . حيث يلاحظ ذلك على العسكريين منْ خلال فقدان روح المرح والدعابة والكآبة التي تبدو على الوجه إضافةً إلى التوترات الإنفعالية هذا كله يحدث قبل بداية الحرب .

أهم الاضطرابات النفسية التي تخلقها الحروب

وكل إنسان لديه جميع الإضطرابات منْ قلقٍ واكتأبٍ ووسواسٍ وعجزٍ في كثيرٍ منَ المواقف ، ولكن نسبة تحولها إلى مرضٍ يأتي عنْ طريق زيادة المعيار الخاص بهذا الإضطراب لدى الشخص . ومنْ أهم هذه الإضطرابات :

1. الأمراض العصبية (النفسية) ومنْ أمثلتها :

أ- القلق: وهو منَ الأمراض العصابية الشائعة ، ونجده منتشراً وقت الأزمات ، وهو مرضٌ قديمٌ لمْ يخلْ منْه أيَّ تجمعٍ عسكريٍ مهما كان صغيراً ، وفي حالة القلق تسيطر على الشخص مشاعر الخوف والإكتئاب والشعور بالعجز عنِ اتخاذ قراراتٍ حاسمةٍ .

ب- المخاوف المرضية (فوبيا) : ويعتبره الكثير منَ الأطباء جزءاً منَ القلق وقد تكون مسببات القلق أيضاً مماثلةً لأسباب الفوبيا ، وهي حالةُ خوفٍ شديدةٍ تُصيب الإنسان ليس له ما يبرره رغم معرفة المصاب بهذا الشعور ومنْ الموضوعات التي تُشكل خوفاً مرضياً عند المصاب بالفوبيا الخوف منَ الأماكن المرتفعة أو الفضاء أو الأماكن المغلقة والظلام ومواجهة الناس والتحدث إليهم .

ج- الإكتئاب : يختلف الإكتئاب عنِ القلق في كونه يتجه إلى الماضي وتداعياته ، وبعض أشكال الإكتئاب يؤدي إلى تخريب وظائف الشخصية الأخرى كالتفكير ، ويبدأ الفرد المصاب به بالتوجه نحو ذاته فتسيطر عليه الهواجس والتي تبين له بأنَّه لا نفع له في هذه الحياة ، وقد يتحول هذا المرض العصابي إلى مرضٍ عقليٍ أو ذهانيٍ إذا أُستسلم له .

د- الهستيريا : ومنْ أعراضها كثرة الشكاوي الجسمية والتي يعتقد المصاب بها عجز الطب عنْ علاجه ، وكثرة هذه الشكاوي قد تُصيب صاحبها بعدة أشكالٍ منَ الهستيريا كالعمى الهستيري والتشنج وفقدان الذاكرة وكلها تخدم الفرد المصاب وتجعله مركز الاهتمام والرعاية التي يشعر أنَّه قد فقدها . ومنْ مسببات هذا المرض الإحباط الذي يواجه الفرد ، والعجز التام عنْ مواجهة المشكلات والإحابطات ، والتجارب المريرة التي تمر به فيصبح عاجزاً عنِ التكيف معها ، وقد يكون هذا المرض النفسي عبارةً عنْ تطور القلق لدى الفرد .

هـ - عصاب الحرب : وله العديد منَ التسميات مثل إعياء العركة أو صدمة القنبلة أو تعب العمليات ، ويأتي هذا العصاب بسب الضغوط النفسية التي يلقاها الفرد ، وكانت الحربين العالميتين الأولى والثانية اختباراً للقوة النفسية لأعدادٍ كبيرةٍ منَ الناس فالجسم الإنسان يقوم بما يُسمى (باستجابة الإستنفار) وفيها تستفز

الدفاعات الفزيولوجيه للجسم بشكلٍ كبيرٍ قد لا يحتمله جسم الإنسان فيتعرض للتعب والإنهاك وتنهار دفاعاته ثم يصبح عاجزاً معرضاً للمرض .

2. الأمراض الذهنية:

الذهانيون هو ما يطلق عليهم في مجتمعاتنا بالمجانين . وهم مرضى عقليين وعادة ما يكوون خطرين وعاجزين عنِ العمل والتكيف مع الحياة ومن أنواعهم :

أ- مرضى الفصام أو الشبزوفريليا: وقد يكون هذا المرض متطوراً منَ الاكتئاب فصاحبه يفقد صلته بالواقع ويعزف عنِ الإتصالات الإجتماعية فكلماته غير مفهومةٍ ومبهمةٍ ، وللفصام أنواعٌ منْها:

1-فصام الإضطهاد : ويأتي منَ الغيرة الكثيرة ، وكثرة الشك في الآخرين ونواياهم فالمريض يشعر بالإضطهاد وشعوره بالإنتقام ، وقد تعتري المريض موجات منَ الهياج والإضطراب والغضب .

2-الجنون الدوري : ويتميز هذا المرض بنشاط المصاب به وكثرة هياجه أو يشعر المصاب به بموجاتٍ منَ الحزن العميق والبكاء الشديد ، وقد تعتريه فترات يفقد بها ذاكرته ويصعب عليه إدراك ما حوله فيشعر بالبلادة الذهنية ويعجز عنِ القيام بأيِّ نشاطٍ حتى أنَّه قد يستدعي الأمر بأنْ يتم إطعام المصاب بهذا المرض بالقوة ، ويُخشى على كثير منْ هؤلاء المرضى محاولة الإنتحار .

3. الأمراض السيكوسوماتية (النفسية الجسمية) ما الذي نعنيه بالأمراض السيكوماتية ؟

يُعرف العالمان (فابيان. ل. روك ودكوستيلو) الأمراض السيكوسوماتية بأنَّها : " مجموعة الأمراض التي تصيب أجهزة الجسم أو وظائفه وهي عادةُ تقاوم أشكال العلاج الطبي المعروفة ، والتي تعجز عنْ مقاومتها أو تخفيف حدتها " . وتشكل الأمراض السيكوسوماتية أو النفسية الجسمية النسبة الأعلى في المجتمعات التي تجري فيها الحروب ومنْ أمثلتها :

1- أمراض الجهاز الهضمي .
2- أمراض القلب والأوعية الدومية .
3- أمراض الجهاز التناسلي .
4- أمراض الجهاز التنفسي .
5- الإضطرابات الهرمونية وخلل إفراز الغدد .

طرق العلاج

يهدف العلاج إلى تخفيف المعاناة النفسية بعد مواقف الحرب العصيبة التي تفوق طاقة الإحتمال المعتادة ، كما يهدف إلى منع الإعاقة المؤقتة والدائمة ، وإعادة تأهيل المصابين وإعدادهم نفسياً لمواصلة أداء مسؤولياتهم . ومن ْوسائل العلاج النفسي المتبعة للتغلب على التوتر النفسي والمخاوف ، طريقة العلاج السلوكي والاسترخاء ، وتقدي مجلسات سريعة للمصابين مع الاهتمام بالحالة الصحية ، وقد تستخدم جرعاتٍ منَ الأدوية المهدئة للسيطرة على الأعراض النفسية الحادة .

ويستمر دور الطب النفسي عقب الأزمة في علاج الحالات التي تظهر بعد مدةٍ ، نتيجة التعرض للصدمات خلال الحرب ، وفي تأهيل المصابين للعودة للانخراط في الحياة العسكرية . كذلك مواجهة الآثار النفسية للحرب على المجتمع العسكري ، ومنع الإعاقة النفسية وتضميد الجراح الناجمة عنْ ظروف الحرب العصبية ، وبالرغم منْ أنّ َهذا الدور يقوم به الأطباء النفسيون العسكريون ، فإنَّنا نذكرهنا ، بأنَّ الكثير منهم يتعرضون أيضاً للإصابة بالضغوط النفسية ، نتيجة لوجودهم في ميادين القتال أو بالقرب منها في ظروف الحرب.

إنَّ إعادة التأهيل النفسي للفرد وهي من أولويات المهتمين بالعلاج الخاص بالصدمات النفسية التي تورثها الحروب ، ومن أساليب العلاج النفسي :

1-الإرشاد بجميع أنواعه ومنه :

أ- الإرشاد والعلاج الديني .
ب- الإرشاد السلوكي .

2- العلاج الإكلينيكي .

إنَّ التأهيل النفسي هو بيتُ القصيد في العلاج وأنَّ الكثير منَ الدول المتقدمة استطاعت أنْ تستفيد منْ تجاربها أثناء الأزمات عنْ طريق تكوين فرق عمل نفسية تسعى للإهتمام بمن تأثروا بالحرب نفسياً وجسمياً . فأعدتِ الإختبارات النفسية ، وأقيمتِ الندوات وأصبح لوسائل الإعلام دوراً كبيراً في التأهيل النفسي منْ خلال ما يبث في الإذاعة والتلفزيون والمسرح والصحف والمجلات ومواقع التواصل الإجتماعي وغيرها . ولقد تأثر الكثير منَ المبدعين منْ هذه الأجواء فبدئوا بترجمتها شعراً ومسرحاً وفناً تشكيلياً وموسيقياً .

6- النفير

وهو منَ الظواهر الإجتماعية غير الإعتيادية التي تهزُّ الأمة هزاً عنيفاً في الفترة التي تسبق إعلان الحرب و بداية الأعمال القتالية ، وقد يمتد النفير لفترة طويلة تتجاوز السنة ؛ ويعرف النفير بأنَّه : تهيئة وتحويل الأمة ومنْ ضمنها القوات المسلحة منْ حالتها السلمية إلى حالةٍ حربية لتنفيذ المهام القتالية ، والعمل في هذه الظروف . و القيام بالنفير الناجح له أهميةً كبيرةً في خوض عمليات الدفاع الشعبي ، ويعتبر شرطاً للنجاح ضد العدو ؛ ويمكن أنْ يكون النفير إمَّا عاماً (تعبئةٌ عامةٌ) ، أو جزئياً ، أو اختيارياً .

أنواع النفير

4. النفير المعنوي : وغايته تهيئة الأمة نفسياً لقبول الحرب والإشتراك بها بكل ما أوتيت من قوةٍ و امكانياتٍ حتى تحقيق النصر النهائي .
5. النفير الإقتصادي : وهو توسيع الإنتاج وتحويله إلى الإنتاج الحربي لسدِّ الحاجة الحربية للأمة .
6. النفير الحربي أوِ الإعتيادي : ويشمل جميع التدابير لتحويل القوات المسلحة من ملاكها السلمي إلى ملاكها الحربي بما في ذلك إكمال تجهيزاتها بالأسلحة والمواد الأُخرى .

عوامل تسريع النفير

1. درجة ثقافة الأمة .
2. درجة تهيؤ الأمة لقبول الحرب (النفير المعنوي) .
3. دقة التدابير المتخذة منذ السلم لإنجاز النفير .
4. أنْ يكون توزيع القوات المسلحة في السلم منطبقاً مع تشكيلات التجنيد حتى يسهل تدريب الأشخاص المطلوبين للخدمة وتجهيزهم وتسليحهم .
5. تنظيم القوات المسلحة في السلم يجب أنْ يكون مقارباً إلى تنظيمه في الحرب .

المباديء الأساسية للنفير

ث. الحماية : يتم تحقيقها بالأتي :
   1. الحفاظ على سرّية التحظير للنفير وخاصةً الوثائق الخاصة بذلك .
   2. حماية أجزاءً معينةً منَ القوات المسلحة .
   3. إجراء التأمين للوحدات كالإستطلاع المعادي والأمن والحماية الذاتية .
   4. التوزيع المنتشر .

ج. السرعة : ويتم تحقيقها عنْ طريق الأتي :
   1. تنسيق الأعمال .

2. التدريب الجيد أثناء السلم .
3. إملاء الملكات كلٌّ حسب التخصصات التعبوية .
4. تنفيذ اجراءات الإستعداد في الوقت المناسب .

ح. التكامل : ويتم تحقيقه عنْ طريق الأتي :

1. التحضير الجذري للنفير .
2. التنفيذ التام لخطط النفير .
3. حماية تنفيذ النفير .

استغراق النفير

وهي الفترة المحددة التي يتم خلالها القيام بتنفير التشكيلات الكبرى والوحدات القتالية والوحدات الصغرى ، ويتم تحيد الوقت لكلَّ وحدةٍ وفقاً للآتي :

1. واجب الوحدة .
2. تعداد الوحدة في السلم والحرب .
3. الإتجاه الذي سيتم تشكيلها فيه .
4. إمكانيات الإملاء بالملاكات .
5. أماكن تخزين المعدات القتالية وقطع الغيار والذخائر وغيرها من الإمدادات الإدارية .

أعمال النفير

1. إعلان النفير ويتم ذلك إمَّا سراً أو علناً .
2. اتخاذ التدابير لتبليغ كل منْ يهمهم الأمر بإعلان النفير .
3. إكمال التشكيلات والوحدات .
4. إكمال تجهيز الوحدات بالأسلحة والوسائط الحربية .
5. تأليف التشكيلات الكبرى حسب نظام الحرب .

تشكيل الوحدات القتالية

ويتم بإحدى الطرق الآتية :

1. تحويل وحداتٌ نظاميةٌ إلى التشكيل القتالي بدون إملاءٍ منَ التشكيل الأحتياطي .
2. تحويل وحداتٌ نظاميةٌ معينةٌ إلى التشكيل القتالي بتكملةٍ قليلةٍ أو كثيرةٍ منَ التشكيل الأحتياطي .
3. تشكيل وحداتٌ جديدةٌ بشكلٍ كاملٍ (الأفراد والمعدات) .

خطة النفير

وهي تشمل جميع الوثائق التي يتم منْ خلالها تنفيذ النفير للوحدات وبها يتم تحديد مهام النفير واستخدام القوات والمعدات ، وإعداد هذه الخطة يعد أحد المهام الهامة لقادة الوحدات . وهي وثيقةٌ سريَّةٌ للغاية يجب حفظها في مكانٍ آمنٍ .

مضمون خطة النفير

1. التدابير التي يجب اتباعها أثناء فترة الإنذار للنفير .
2. توزيع الوحدات في منطقة التجمع للنفير .
3. حماية النفير .
4. دعوة الإحتياط .
5. استقبال المعدات والإحتياط .
6. عمل منفذي النفير لتشكيل الوحدات .
7. التأمين الإداري للنفير .
8. تنظيم المخابرة .
9. تدريب الشكيل الأحتياطي .
10. مراقبة تنفيذ النفير .

الإنذار للنفير ويشمل :

1. إعطاء الإشارات للإنذار .
2. إرسال السُعاة لاستدعاء القادة والآمرين .
3. إجراءات القادة وعناصر الخفارات .
4. التوجه إلى مناطق الإنذار .
5. استلام المعدات والتسليح الشخصي .
6. تحديد المجموعات لاستقبال التشكيلات الإحتياطية والمعدات .

الباب الثامن

مفاهيمٌ اجتماعيةٌ عسكريةٌ مختلفةٌ

أولاً: ميثولوجيا العسكر

ميثولوجيا العسكر هي علم الأساطير المُتّصل بالقادة وأنصاف القادة والأبطال الجُغْرافيّين عند الجيوش . إنَّ ميثالوجيا العسكر هي حالةٌ منْ حالات إنكارٍ تامٍ لكل مكونات الذات العسكرية والوجود والوجدان كأنَّها نبتةٌ بلا جذورٍ تتوهم أنَّها شجرةٌ وهي أخف منْ قشرةٍ وأضعف منْ شعرةٍ ؛ هذا تناول مختصر وقراءة مبتسرة لفكرة ميثالوجيا العسكر آملاً أنْ يثرى النقاش ويثمر عطاءً مفيداً ، وفى الذاكرة فكرةُ النضال متواصلةٌ لإزالة التسلط والإستبداد ؛ و كسب العناصر الوطنية فى الجيش وإنحيازها إلى الشعب . إنَّ مصطلح الميثولوجيا يرتبط دائماً بالأسطورة ، وتتشابه الأساطير عادةً بين الشعوب على اختلاف عاداتها ولغاتها ، والبعض يربطها بالتناولٍ فلسفيّ يبحث في ماهيّة الأشياء وعلّتِهاو القوة المحرّكة للأنظمة الفكرية والفلسفية أو العادات الاجتماعية ، ويدخلها البعض فى حيز المنطق والثابت للعالم الحقيقى ، قد تبدو هذه الفكرة بسيطةٌ ، فبقدر هذه البساطة وبداهة دلالتها ومعناها ، بقدر غموضها الآسر وكثافته المتحجبة بالضبابية والإلتباس . لذلك فإنَّ شكل الخوض في تحديد مفهوم ميثولوجيا العسكر ، سيكون انشغالاً فلسفياً محضاً منْ حيث كونه إحالةٌ على الأسطورة ومفهوماً إشكالياً له مستوياتٍ استقرائيةٍ وتأويليةٍ واسعةٍ ، والمعنى أنَّما هذا المسار سوى الملاحقة الشغوفة والأبدية لها جسالت طابق مع الفهم التاريخي والإدراك الواعي للواقع في بعديه العسكري والإجتماعي ، لذلك يمكننا النظر إلى هذا المسار باعتباره محاولةٌ مسترسلةٌ منْ أجل فهم واقع ما يحيط بالعسكر ووصفه ، وذلك عبر بناء نماذج هلاميةٍ واستجلاء حقيقتها منْ زاويةٍ أسطوريةٍ . ومنْ وجهة نظري فإنَّ المستوى الغيبي غير المباشر للشخصيات الواقعية التي تمثل موضوع ومحتوى حياتنا العسكرية يمثل المستوى الحاسم في إدراك ما هو حقيقيّ ٌوواقعيٌّ وما هو أسطوريٌّ ، لكن حالما نشرع في هدم عقليةٍ عسكريةٍ مثقفةٍ وغير سطحيةٍ ، يحصل ابتعادنا عنِ الواقع وانخراطنا في واقعٍ ما أفرزه عقلنا وأنتجته ثقافتنا حول هذه الأسطورة . تأسيساً على هذا يمكن القول إنَّ الأسطورة منْ حيث هي رغبةٌ تمنح نفسها كموضوعٍ للتجلّي فقط ولا تمنح النفس الوقت لإمكانية إعادة تفكيك رموزها واستجلاء المتخفي وراءها ، وذلك بغية إعادة بناء الشخصية العسكرية الهلامية الأسطورية وتشكيل حدود حضور الذات فيها ومنْ خلالها . إنّ َمنْ مقومات العسكري المثقف ، في وعيه الناضج بالواقع ، ومعرفته معرفة خبرةٍ وحربٍ وتاريخٍ واستراتيجيا وتحليلٍ ونقد المجتمع . أعتقدُ أنَّ الأسطورة لا تطرح نفسها في مختلف تخفيات المجتمع العسكري وتجلياته وحالاته وتحولاته ، كخبرةٍ عسكريةٍ . إلاَّ أنَّها كانت أحياناً المضمار الذي منه تنطلق حركة الفكر العسكري وتحل فيه وإليه ترجع . وهي المجال الأرحب لاشتغال هذا الفكر وتشغيله وصياغته وتعديله . كما أنَّها موضوع كفعلٍ عسكريّ هدامٍ أو بنَّاءٍ ، عفويّ أو مغرضٍ .

فإذا كانتِا لأسطورة معطىً قائماً في صفاتها بغض النظر عنْ جهلنا أو علمنا ، فإنَّ الحديث حول أشخاصها هو ارتقاءٌ فلسفيٌّ إلى مستوى صياغتها اللغوية أو تشفيرهاب حيث يفرز احتكاكاً نفسياً بالموضوع . ويختلف الحديث حول الأسطورة العسكرية طبعاً باختلاف وجهات النظر أو مادة الحديث . فالحديث العلمي التاريخي يرتهن في تعامله مع الشخصية المادة بشروطٍ عقلانيةٍ ، أمَّا الحديث اللاعقلاني يبني عناصر وعيه بالشخصية ، ويرتهن بشروط الخرافة مستوفيةً في نفس الوقت لما هو دالٌ ومعبرٌ عنِ الواقع العسكري بمواقفه الراهنة وتطلعاته ومستغلقاته . أقصدُ ذلك الحديث الذي يتخذ منَ الأسطورة العسكرية صيغةٍ تفسيريةٍ وتمثيليةٍ لبعض جوانب الحياة العسكرية ويستلهمها منْ أحداثٍ أو معاركٍ أو مواقفٍ ندركها منَ الواقع . وميثولوجيا العسكر بهذا المعنى ، رؤيةٌ فلسفيةٌ نستعملها كخطابٍ تفسيريٍّ لإضاءة بعض القضايا العسكرية منْ وجهة نظرٍ فلسفيةٍ مرتبطةٍ بالتاريخ والواقع ، كما هو الشأن بالنسبة للأسطورة الفينيقية العظيمة حنا بعل أوِ الصحابيُّ خالد بن الوليد ﷺ ، الذي كان يُلقَّب بسيف اللهِ المسلول وهو القائد العربي الذي لم يُهزم أبداً ، أوِ القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي قاهرِ الصلبيين ، وبعيداً سيكون صدام والقذافي ، سنلجأ بدورنا إلى ابتكار أساطيرنا ، رغم أنهُ منَ الضروري التمييز الحاسم بين التاريخ والواقع . وتحضر ميثولوجيا العسكر أيضاٍ كسندٍ معرفيٍّ وتفسيريٍّ في العلوم العسكرية والخطط الإستراتيجية العسكرية وتطبيقاتها على المستوى التعبوي أوِ العملياتي ، كما حدث في حرب الخليج الثانية حينما أعاد قائد قوات التحالف الجنرال شوارسكوف التاريخ وطبقَ خِطط حنا بعل الإستراتيجية . أعتقدُ ومنْ هذه الزاوية أنَّ ميثولوجيا العسكر رغم لا عقلانية خطابها ، تجد لها مكاناً ضمن الخطاب العسكري والفكر الإستراتيجي أو حتى الفلسفي الذي ينحو بحكم طبيعته نفسها إلى أنْ يكون خطاباً عقلانياً بامتيازٍ . وقد فسر " شيلينغ" ذلك بكون الأسطورة تقول الحقيقة العلمية بطريقتها الخاصة ، فهي - رغم خصوصية خطابها - لا تقول « شيئاً آخراً » ، بل تقول « نفس الشيء » الذي تقوله الحقيقة العلمية .

إذنْ هل هو توافقٌ بين ميثولوجيا العسكر والفكر الإستراتيجي في صلب الخطاب العسكري الذي هو ذو طبيعةٍ عقلانيةٍ أمْ أنَّه توجد إمكانية التحول إلى تعارضٍ بينهما . إنَّهُ سؤالٌ بين فلسفةٍ عقلانيةٍ وتاريخٍ . كيف يتعايش العقل واللاعقل داخل الخطاب العسكري بناءً وموضوعاً ؟ إنَّ هذه الأسئلة سوف تقفل أيَّ أفقٍ متعلقٍ بطبيعة العلاقة بين ميثولوجيا العسكر والفكر العسكري . لكن ما يهمنا هنا هو أنَّ الميثولوجيا بمعناها الإنساني العسكري أو أيّ دراسةٍ علميةٍ للعسكري كإنسانٍ خلق ليقتلُ مبنيةٌ على العلوم الإجتماعية العسكرية . والأساطير موجودةٌ ولنْ تنتهي وستُخلق وتُرسي لنفسها حيزَ وجودٍ ومدار تأثيرٍ كبيرين ، والإستراتيجيا يمكنها أنْ تتحول إلى ميثولوجيا إذا قدمتْ نفسها كخطابٍ يسعى لتنصيب نفسه كحقيقةٍ أو مسلمةٍ أو مقوم حياةٍ كما يفعل أردوغان الآن ، وكأيَّ فكرٍ إيديولوجيٍ ، ينطوي هذا النوع منَ الخطاب العسكري على حصته منَ اللاعقلانية ويتحول إلى نوع منَ الميثولوجيا التي يحيا بها العسكرو تصبح جزءً منْ واقعهم وفكرهم ، خاصةً حين تجد فسحةً منَ الجهل والسطحية بفعل غياب الحس الثقافي العسكري وتعذر القدرة على نقذ وفضح الخطاب وزيفه ومنطقه الهش الملتبس والمتلبس بلاعقلانية . ومعنى هذا أنّ العسكر ينتج أساطيره ، و أفكاره المشبعة بإيديولوجيا معتوهةٍ تراهن على تكريس القائم وتبرير السائد وتعطيل الحس الأمني العسكري وتعليب الأفكار وإبعاد العقل عنِ الساحة العسكرية .

في كتابه (الإنسان الحائر بين العلم والخرافة) يقول الدكتور عبد المحسن صالح : إنَّ « الدارس لنشأة المجتمعات البشرية ، وأنماط سلوكها ، وضروب أفكارها ، سوف يضع يديه على حصيلةٍ هائلةٍ منَ الأفكار الغريبة ، والتقاليد المثيرة، ومعظمها - بلا شكٍ - قد نبع منْ تفاعل الإنسان مع البيئة الطبيعية التي يعيش فيها . فلقد رأى الإنسان القديم مثلاً منَ ظواهر الطبيعة أموراً حيرته أشد حيرةٍ ، فأثارتْ مخاوفه ، وشحذت خياله ، ومنْ ثم فقد بدأ في استنباط تفسيراتٍ تتلاءم وإدراكه البدائي أو البسيط ، ومنْ هذه التفسيرات الخاطئة للظواهر الكائنة ، نبتت الخرافات ، وترعرعت الخزعبلات ، وانتشرت الأساطير في كل المجتمعات .

فإذا تأملنا فى حال القادة العسكريين اليوم نستطيع أنْ نسلط بعض هذه الأفكار ونطابق معطياتها ومفرداتها مع الأساطير فى كثيرٍ منْ جوانبها وشخوصها وأحداثها ، إنَّ تناقض أفكار هؤلاء القادة فيما يأمرونَ به وما ينهونَ عنه ، وما يحرضون عليه وما يقبلون بهِ ، وما يتصورونه وما يتعجبون منه ؛ كل هذه المتناقضات تصل إلى حد الأسطورة بمعناها القصصى حيناً ومعناها الميتافيزيقى أحياناً أُخرى دون أيَّة وقفةٍ منهم غالباً أو التفاتةٍ إلى هذه الحقيقة .

عندما يتعلق العسكري بقائده أو وحدته بعشقٍ شديدٍ ومديحٍ دائمٍ لا ينقطع حتى يقع في تقديسه كما تقدس الآلهة ، أو كما عبدت الأُمم السابقة ملوكها : آلهةً بشريةٍ أو أنصافِ آلهةٍ ، إذنْ هناك تطورٌ ملحوظٌ منْ تعلقٍ إلى حبٍ ثمَّ تقديسٍ فعبادةٍ . وبمرور الزمن فإنَّ ذلك القائد سيزداد قداسة مع كل ازمةٍ تعصفُ بالوطن وسوف يلجاء محبيه ومريديه منْ عسكرٍ ومدنيين على حدٍ سواءٍ لرسم صورةٍ بريئةٍ وشخصيةٍ مثاليةٍ خاليةٍ منْ كل انحرافٍ أو فسادٍ ، فعندنا قدسية القائد مصونةٌ ومقدمةٌ على مصلحة الوطن والشأن العام وحتى على مصلحة الأمة ذاتها فلو أخطأ وأساء مراتٍ ومراتٍ يحظر انتقاد سلوكه . فما دوافع خلق هذه الصورة التي في العادة سوف تكون صالحةٌ للزمان والمكان فقط ، أعتقدُ أنَّ الدافع دائماً واحدٌ وهو التعلق بشخصٍ يقود الجماهير للخروج منَ الأزمة التي تمرُّ بها الأمة ، هذه الميثولوجيا تقوم أساساً على ثقافة المجتمع عموماً ومستوى الثقافة العسكرية خصوصاً ، والأساس الثاني هو الهوية الإثنية وليس العرقية باعتبار الإثنية أوسع تعبيراً منْ الهوية العرقية إذْ أنهَّا تصنيف أنثروبولوجي يعتمد الدالات اللسانية والثقافية والبيئية أكثر منَ الملامح الجسدية . إذنْ يمكننا تعريف ميثولوجيا العسكر بأنَّها مجموعةٌ منَ القصص التقليدية المروية شفهياً المتعلقة بجيشٍ منَ الجيوش وأبطاله منْ جنودٍ وضباطٍ عبر حقبةٍ منَ التاريخ منَ المنظور الأساطيري . و يؤمن الكثير منَ العسكريين بأنَّ تلك الحكايات حقائقٌ تاريخيةٌ عميقةٌ ومقدسةٌ .

إنَّ العلاقة الروحية والنفسية بين القائد وجنوده تمكننا منِ استحضار القائد في حياة الجندي واستحضار الجندي في حياة القائد ، إذْ يكون كلاهما حاضراً بصورةٍ أو بِأُخرى في وعي الآخر . وفوق ذلك يتيح لنا هذا الإرتباط ملامحاً منْ أجلِّ وأجمل معاني الأدب وخلق الإحترام المتبادل . إنَّ الأسطورة بالنسبة للعسكريين هي تعبيرٌ رمزيٌّ وخيالي عنِ الظواهر العسكرية كالحروب وقادتها والإنتصارات الربَّانية . أمَّا النظريات التاريخية فهي ترى أنَّ الأسطورة ترتبط بأحداثٍ ماضيةٍ . في حين تعتبرها مدرسة التحليل النفسي مجرد أحلام اليقظة ، ولا يمكن معرفة حقيقته أيِّ إسطورةٍ عسكريةٍ إلاَّ بالغوص في اللاوعي العسكري .

فربما كانت الأسطورة العسكرية مجردُ قصةٍ بسيطةٍ ناجمةٍ عنْ جهد فكري قام به عسكريون لا شغل لهم أو أنَّهم لم يعيشوا تلك الفترة الزمنية أصلاً . فهي اتجاهٌ تطوريٌّ في إنثروبولوجيا العسكرو محاولةٌ منَ العسكر لفهم عالمهم الخاص داخل الأسوار بين أصوات المدافع وأزيز الطائرات ، و تفسيره .

إنَّ كل هذه التعريفات ربَّما لنْ توفق في فهم الأسطورة العسكرية ، فهي لا تدرس منْ خلال الكتبِ ، بل يجب أنْ تُجمع منْ سياقها الإجتماعي العسكري وليس منْ خارج الأسوار . فالأسطورة بمفهومها العام ليست مجرد قصةٍ تُروى بل هي حقيقةٌ معاشةٌ . وهي بالنسبة للعسكري ليستْ كأساطيرٍ بدءُ الخلقِ أو صلبِ المسيح . فأساطير العسكر تعيش في طقوسهم العسكرية وفي أخلاقه ومبادئهم وحبهم للوطن ولائهم للأمة فهي التي تسيطرُ على معتقداتهم و أيديولجيتهم العسكرية والدينية وتقوّم سلوكاهم وقيمهم التي أنشيؤ عليها . وعندما تتم دراستها في سياقها الحي داخل المعسكرات والثكنات في السلم قبل الحرب فهي أنداك لا تبدو كإنتاج رمزي للعسكر فقط بل كتعبيرٍ مباشرٍ عنْ حالة العسكريين الذين يحملونها .

ثانياً : الشخصية العسكرية

إنَّ الناس منْ حولنا يحكمون علينا كعسكريين محترفين منْ خلال سلوكنا المنضبط ومظهرنا الأنيق وثقافتنا العالية ؛ وتقدير المواطنون لنا هو لمدى ثقتنا بأنفسنا ، والواقع يقول إنَّ النجاح في بناء الشخصية العسكرية القوية لا يأتي إلاَّ بمواصلة الجهد والمثابرة . لذا فإنَّه يجب على كل عسكريٍّ أنْ يشعر بأنهُ شخصٌ له قيمةٌ حتى يشعر الآخرون بأهميتهِ . وإنِّي أعتقدُ أنَّ قيمة ذلك لا تؤكد منْ قبل الآخرين بل منَّا أولاً . فإذا كنتَ عسكرياً ناجحاً فعليك أنْ تفرض نفسك على الآخرين ولا تعتمد على تقييمهم فإنَّ الناتج هو ما يعتقده الآخرون حولك ، فبقواك الكامنة ومكامنك المدفونة ومواهبك المميزة تستطيع أنْ تبني شخصيتك العسكرية .

والشخصية العسكرية نتاج تفاعلٍ لمجموعة المجالات الذاتية مع مخرجات التنشئة العسكرية ، والتي تكون موجهةٌ نحو إيجاد شخصيةٍ عسكريةٍ قويةٍ قياديةٍ ، ينبثق عنها آثارٌ على العسكري نفسه والمجتمع العسكري الذي يوجد فيه ولصعوبة اكتساب الصفات القيادية العظيمة فإنَّ القيادة موهبةٌ عظيمةٌ توهب لبعض العسكريين وهي تحتاج فقط للصقل في كليات القيادة والأركان ؛ يقول القائد الألماني أيرك لودندورف (1865 – 1937) " القائد يولد لا يصنع " .

والشخصيّة العسكرية القويّة تتميّز بإستقلاليتها وتطوّرها الدّائم وأُعرّفها بأنَّها : قدرة العسكري بغض النظر عن رتبته على فرض إرادته على زملائه وجمعهم حوله وتوجيههم بالحماس المطلوب والرغبه القويه اللازمه لأدآء الواجبات وتحقيق الأهداف رغم مايلقاه منْ مقاومةٍ أحياناً . وعندما تجتمع هذه العناصر في العسكري فإنَّها تمثّل نواة شخصيّةٍ قياديةٍ قويةٍ ، وتختلف صفاتُ كلُّ شخصيَّةٍ وسط شخصيَّات الآخرين . ولا نستطيع تقييم شخصيَّةِ العسكري بأنَّها قويّةٌ أو ضعيفةٌ إلاَّ بعد متابعته وملاحظة سلوكه ودراسة قرارته . ويتميّز هؤلاء العسكريين بأنَّهم عامل جذبٍ للآخرين ، وذلك لتميّزهم وقدرتهم على التعامل مع زملائهم أياً كانت رتبهم وصفاتهم ، وأيضاً لما يمثلونه منْ مثلٍ أعلى لمنْ هم أدنى منهم رتبةٍ . ويجب على كل عسكريٍّ بغض النظر عنْ رتبته أنْ يتحلّى بشخصيّةٍ قويّةٍ وناجحةٍ ، ولكي ينجح في ذلك يجب أنْ

يتعرف على نقاط ضعفه ونقاط قوّته ، دون أن يبخّس قدره أو أنْ يعظم ذاته . وأنْ تكون لديه الرّغبة الحققية في تطوير شخصيته بشكلٍ إيجابيّ دائماً . والعمل على تطوير الذات العسكرية وذلك بالتّركيز على تنمية المهارات التي تساعد على التواصل مع الآخرين وتطوير المهارات الخاصّة بالتحكّم في القلق والغضب والمشاعر السلبيّة عموماً ، والتي تؤثّر بشكلٍ كبيرٍ على إتّخاذ القرارات وردود الأفعال العاقلة . وكذلك منَ الشروط المهمة والتي يجب أخذها في عين الأعتبار يجب على كل عسكريّ تحديد هدف كبير يسعى لتحقيقه فإنَّ كان يطمح للقيادة يجب عليه أنْ يسعى لها سعيها فليس كل ضابطٍ قائدٍ ، فإنَّي رأيتُ الكثير منَ العسكريين لا يملكون أيَّ هدفٍ حقيقيّ لوجودهم كعسكريين ، ويعيشون في حالةٍ لا يستطيعون فيها إلاَّ القيام ببعض ردود الأفعال منْ واجباتهم أو سد بعض إحتياجاتهم اللّحظية فقط .

إنَّ التطوّر في الشخصيّة العسكرية يخضع لعوامل البيئة المحيطة كالقبيلة أوِ المدينة ، والعوامل الفسيولوجيّة نفسها والتنشئة العسكرية الصحيحة . فإذا أدرك العسكري ما يحيط به بشكلٍ حقيقيّ يمكنه السّير في إتّجاه التّطوير ، حتى وإنْ كان المجتمع العسكري منْ حوله لا يدفعه لذلك . فالتمتّع بروح الإستقلاليّة هو أهم ما يقوّي الشخصية العسكرية .

صفات الشخصية العسكرية القيادية

كما قلتُ مراراً ليس كلُّ ضابطٍ قائدٍ ، وأيضاً ليس كل من يمتلك سلطة منصبٍ عسكريّ مهما كان صغيراً يتمتع بروح القيادة أوِ الشخصية القيادية ، حيث إنَّ الشخصية العسكرية القيادية لا ترتكز على المنصب أوِ الرتبة بل ترتكز على القدرة على أداء الواجبات والمهام واتخاذ القرارات في الوقت المناسب والكفاءة القتالية وقدرة القائد على جمع مرؤسيه منْ حوله ، ومنْ أهم صفات الشخصية العسكرية إدراك أهداف الوحدة التي يقودها والقدرة على البحث والتنقيب وجمع المعلومات المتفقة مع حاجة منصبه ولديه من المهارات والتجارب والخبرات على : تسليح الوحدة وواجبات هيئة الركن وبقية القيادة الصغرى متفوقاً في تخصصه ؛ فذلك كله سوف يساعده في أداء واجباته في السلم والحرب وأنْ يتحلى بالقدرة على ضبط النفس وأنْ يكون حاضر البديهة وسريع الفهم وله القدرة على إكتساب المؤهلات التي تساعده على النجاح في قيادة وحدته ،كذلك القدرة على إقناع المستوى الأعلى وإقناع جنوده وضباطه بصحة قراراته ، وأنْ يتميز بصحةٍ نفسيةٍ وجسديةٍ عاليةٍ ، لائقٌ للخدمة العسكرية ، لبقٌ وحَسنُ التعبير والمظهر يتحلى بالجاذبية و الضبط والربط العسكري العالي ، شجاعاً وصبوراً في المعركة يتقدم الصفوف بلا خوفٍ ، ويتميز بذكاءٍ إجتماعيّ وثقافةٍ عسكريةٍ عاليين تمكناه منْ تحليل نفسيات الآخرين ، وقدوةٌ حسنةٌ لكل منتسيبي الوحدة لما يتحلى به منَ الأخلاق العالية وصفاتٍ فكريةٍ ثاقبةٍ ، يحل المشاكل ولايصنعها وملتزمٌ بالقيم الإجتماعية العسكرية والعادات والتقاليد والأعراف العسكرية وله القدرة على توزيع المهام والأعمال على الضباط ، ويجب أنْ يكون مثقفٌ وواسع الإطلاع والمعرفة ولديه القدرة على الإبداع والإبتكار يجيد إجتذاب العسكرين بمختلف رتبهم لينضموا إليه وأن يتحلى بالشجاعة الصدق والحكمة . وأنْ يكون متواضعاً ومستمعاً جيداً مع كل أفراد الوحدة ، لا يلتزم مكتبه طيلة وقت الدوام .

تنمية الشخصية العسكرية القيادية

إنَّ السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ما الذي يجعل العسكري ذو شخصيةٍ قياديةٍ فذةٍ ؟ وكيف يصل الضابط الصغير إلى ذلك المستوى ؟ إنَّ الشخصية القيادية الناجحة تبدأ أولاً بتكوين صورةٍ مثاليةٍ لمستقبلها داخل المجتمع العسكري بحيث يكون أفضل مما هي عليه الآن . أنْ يضع صاحبها نُصبَ عينه هدفاً واحداً ، الإبداع والإبتكار في تخصصه و رفع الكفاءة القتالية وكيف يكون قائداً ؟ وما هي المبادئ التي يجب أنْ يضعها ليصل إلى كل أهدافه ؟ وكيف يصلها ؟ إنَّ المهم هو أنْ يطرح العسكري هذه الأسئلة وغيرها . أما الإجابات فهي مختلفةٌ باختلاف طبيعة وشخصية العسكري نفسه . وكل شخصيةٍ لها أسلوبها الخاص الذي تتميز به عنْ غيرها ذلك الأسلوب الذي ينمو بداخلها وتطوره ليتحول صاحبها إلى مبدعٍ في القيادة .

ثالثاً : النُّخبة العسكرية

النخب العسكرية وتأثيراتها في المجتمع العسكري

إنَّ النخبة العسكرية تشكل أحد ظواهر نشاطات المجتمع العسكري . وترتبط هذه الظاهرة بتوزيع القوة داخل المجتمع العسكري. ومنْ معاينتنا لهذه الظاهرة نستطيع شرح كثيرٍ منَ الظواهر والأفكار السائدة في المجتمع العسكري . إنَّ دراسة هذه الظاهرة تتطلب البحث في العديد منَ المفاهيم العسكرية ، مثل الإستراتيجية العسكرية والطبقة الحاكمة ، والقوة والأوليجاركية ،وهي المفاهيم التي أصبحت تمثل مكانةً أساسيةً في كتابات المفكرين العسكريين ،كما أنَّ تحليل مفهوم النخبة العسكرية يعني تحليل بناء" القيادة و القوة " في المجتمع العسكري ، بحيث يمكن التعرف على الجماعات المهنية المسيطرة ، وهل هي جماعات توجهها مصالحها الخاصة ؟ أم هي جماعات متماسكة وواعية ، وبإمكانها أنْ تسهم في تنمية المجتمعالعسكري . أو أنَّها تحمل أفكاراً معينةً مثل حركة الضباط الوحديون الأحرار .

ودراسة ظاهرة النخب العسكرية تمكِّنُ منَ التعرف على النظام العسكري واستراتيجيته والقوة السياسية التي خلفه ، والأيديولوجية السياسية ، وهكذا يجب أنْ تتخذ دراسة النخب العسكرية مكاناً بارزاً في أبحاث العلوم الإجتماعية العسكرية ، بحيث يكون البناء الفكري العسكري والسياسي هو الإطار النظري لهذه الدرسات متناولين كيف تسيطر النخب العسكرية على الجيوش ، بالإضافة إلى الكشف عنْ جوهر الإستراتيجية العسكرية وعلاقتها بالشعب .

وترتبط النخب العسكرية وظيفياً بالسلطة والقوة وفكرياً بالإستراتيجية العسكرية والعقيدة العسكرية ، وإنْ كانت النخب العسكرية غير حاكمةٍ أو أنَّها خلف الكواليس غالباً فإنَّها لا تقل عنِ الأخرى الحاكمة ، فهي تتمتع بالقوة والنفوذ أيضاً . وإذا كان القادة وهيئات الركن همُ الذين بيدهم السلطة فهم نواة النخبة ، وإذا عرفنا النخبة العسكرية انطلاقاً منَ السلطة أوِ الفكر السياسي اللذان يسيران دفة الحكم ، فإنَّنا سوف نتجاهل القسم الآخر منْ هذه النخب العسكرية ، وهي تللك الطبقة التي لها نفوذٌ داخل المجتمع وتلعب دوراً مهما في التأثير عليه ، دون أنْ تكون لها أيّ مناصبٍ هامةٍ أو مباشرةٍ .

تعريف مفهوم النخبة العسكرية

أعتقد أنَّ أهم تعريف للنخبة العسكرية يجب أنْ يرتبط بالضرورة بفكرة القيادة والسيطرة العسكرية والتفوق العلمي " السلطة التعبوية "والدور الذي تؤديه هذه النخبة ذات السلطة في اتخاذ القرار ، وعلى هذا الأساس يمكن تعريفها : بأنَّها مجموعةٌ منَ القادة العسكريين معروفةٌ عسكرياً وسياسياً لها خصائصٌ وسِماتٌ ذات قيمةٍ عسكريةٍ معينةٍ ، كالقدرة القيادية أو الوضع العسكري المرموق ، أو التأثير السياسي ، وتتمتع بأهميةٍ خاصةٍ تعطيها لهم المؤسسة العسكرية . إنَّ هذه الخصائص ترتبط بدرجةٍ عاليةٍ منَ الهيمنة والنفوذ . وعادةً ما تكون هذه المجموعات متماسكةً جداً تبعا لهذا المفهوم ولها اثرٌ واضحٌ في توجيه الإستراتيجية العسكرية بطريقةٍ سياسيةٍ مباشرةٍ أو غير مباشرةٍ . ومنَ هذا المفهوم نلاحظ أنَّه لانرى تعدد النخب في الجيش الواحد . أيْ أنَّ النخبة العسكرية أقليةٌ داخل المجتمع العسكري تمارس نفوذاً متفوقاً داخله . هذه النخبة المتفوقة تسمى" القيادة العامة للقوات المسلحة أو المجلس العسكري الأعلى لقيادة الجيش " وهي تظهر بصورةٍ بالغة التعقيد في المجتمعات العسكرية .

أمَّا إذا اعتمادنا على التحليلات العشوائية فإنَّ النخبة العسكرية ستضم قادةً وضباطاً وجنوداً يستطيعون بواسطة التأثير أوِ السلوك الذي يمارسونه ، أنْ يشاركوا في صياغة تاريخ جيشٍ ما ، سواء كان ذلك عنْ طريق اتخاذ القرارات مصيرية أو بالأفكار العسكرية أو تنفيذ المهام أثناء المعركة .

وعند الخوض في هذا الموضوع يجب استخدام مصطلحاتٍ عسكريةٍ أكثرُ دقةٍ منْ تلك التي تستخدم في مواضيع علم الإجتماع الأخرى بحيث لا يستعمل مصطلح النخبة بشكلٍ عامٍ للإشارة إلى الجماعات الوظيفية غير العسكرية المهيمنة بالأساس التي تتمتع بمكانةٍ اجتماعيةٍ عاليةٍ في مجتمعها .

أعتقدُ أنَّ دراسة النخبة العسكرية لها إيجابياتها منْ نواحٍ عديدةٍ منْ أهمها ، حجمها وأعدادها ، وعلاقاتها الإجتماعية العسكرية وعلاقتها بالسلطة والقوة السياسية ، وهذه الجوانب تعتبر ذات أهميةٍ علميةٍ في دراسة التغييرات التي تمس مختلف شرائح البناء الإجتماعي العسكري بالإضافة إلى ذلك مسألة انغلاق المجتمع العسكري وانفتاح النخب على الشأنِ العام الذي يعتبر بالغ الأهمية ، أيضاً كيف ومتى يستطيع الضباط الدخول إلى هذه النخبة ومدى عملية الحراك الإجتماعي العسكري المتاحة فيها .

وتتميز النخب العسكرية عنْ غيرها بتنظيمها وطبيعة بنائها ، والعلاقة الإجتماعية العسكرية المعقدة والثقافة العسكرية اللتان تربط بينهم مما يضمن لهم وحدة التفكير والإلتحام كطبقةٍ مميزةٍ . بالإضافة إلى الامتيازات الإقتصادية التي يتمتعون بها ، فإنَّها تقوم بواسطة قوة سلطتها العسكرية بالتأثير الثقافي العسكري على كامل المؤسسة العسكرية و لا أُريد أنْ أكون متفآئلاً جداً إذا قلتُ وأغلبية الشعب ؛ كالدور الذي لعبه الزعيم جمال عبد الناصر . وهذا هو الذي يؤدي إلى تفسير الدور التاريخي الذي تلعبه النخبة العسكرية في عملية التغير الثقافي العسكري خاصةً وعملية التغير الثقافي الشعبي بصفةٍ عامةٍ .

والنخبة العسكرية متجانسةٌ دائماً ، ولكنَّها منْ جهةٍ أخرى متدرجة الرتب والمناصب وهي طبقةٌ خاصةٌ منْ طبقات المجتمع العسكري وهي نواة التسيير العسكري ، وتتكون منْ عددٍ قليلٍ منَ الضباط ذوي الرتب العالية يتمتعون بأكبر قدرٍ منَ السلطة بالنسبة لغيرهم منَ الضباط والقادة وهيئات الركن ، وإنَّ

هذه النواة تؤدي دور الزعامة داخل نفسها وداخل المؤسسة العسكرية ، بينما يمثل القائد العام للجيش في حد ذاته النخبة الممتازة أو النخبة العليا داخل النخبة العسكرية .

ولا شك بأنَّ هذا النوع منْ الزعامة والقوة ، يعطي للنخبة العسكرية نفوذاً أكبراً ووجاهةً أعلى ، فلا نستطيع القول بأنَّ النخبة العسكرية تتكون منْ جميع العسكريين الذين يظهرون نوعاً منَ الإستعدادات العالية في تخصصاتهم أو صنوفهم أو في أيّ أنشطةٍ أخرى ، أو أولئك الذين يتمتعون بمواهبٍ خاصةٍ تحقق لهم نجاحاً ما . فالنخب العسكرية ليستْ كغيرها منَ النخب فلا نستطيع تصنيفها على قيمتها النوعية لأنَّ هذه القيمة لا تمنح العسكريين العاديين القوة والسلطة .

دعوني هنا أعود لسؤالٍ سابقٍ وهو : كيف ومتى يستطيع الضابط الدخول إلى النخبة العسكرية ؟ وهي كما يسميها باريتو " دورة الصفوة " ، فوفقاً لهذه النظرية ليس بالضرورة أنْ يكون الإنتماء إلى الصفوة بالوراثة رغم كون القذافي حاول أنْ يورثه لأبنه خميس ؛ لأنَّ الأبناء ليسوا نسخاً مطابقةً لآبائهم في صفاتهم الرفيعة ولهذا فالكفاءة والتدرج في الرتب والمناصب والتقارير السرية وذوي الصفات المتمايزة ستحل نخبةٌ جديدةٌ محل النخبة القديمة ، وتأتي منَ الطبقات الدنيا منَ المجتمع العسكري ، بحيث يحدث التوازن المطلوب في النسق الاجتماعي العسكري ، فهذه الحركية المستمرة سوف تساهم في عملية التغيير الإجتماعي العسكري لأنَّها أساساً تعمل على نشر الأفكار والطموحات الجديدة دائماً وهي لازمةٌ وصحيّةٌ للمجتمع العسكري حتى يتمكن منَ القيام بمهامه وواجباته بشكلٍ عاديّ .

وتوجد بين النخب العسكرية المختلفة في مختلف الجيوش علاقاتٌ سيكولوجية تتسم بالخصوصية ، كالتشابه في الأفكار العسكرية التي أساسها التشابه في العقيدة العسكرية وبالتالي تشابه العقليات ، رغم اختلاف الأصول الإجتماعية ، والتشابه كذلك في مصادر التعليم والتنشئة العسكرية ، والعلاقات بين الدول كصداقةٍ أو حلفٍ تقرب جداً بين هذه النخب المختلفة ، ولا شك أنَّ مثل هذه العلاقات تدعم المصالح المشتركة بين الدول . ومنْ وجهة نظري أنَّنا لا نستطيع دراسة أيّ نخبةٍ عسكريةٍ في أيّ جيشٍ إلاَّ بعد دراسةٍ مُستفيضةٍ لطبقاته .

رابعاً : أنثروبولوجيا العسكر

الأنثروبولوجيا هو ذلك العلم الذي يدرس البشر في ماضيهم وحاضرهم ؛ وتُبنى الأنثروبولوجيا وتتحرك على القواعد المعرفية التي تقوم عليها العلوم الإجتماعية والبيولوجية ، وكذلك عبر الإنسانيات ؛ مثل : التاريخ والفن ، والفلسفة ، وعلوم الفيزياء . وتُعرَّف الأنثروبولوجيا بصورةٍ مختصرةٍ وشاملةٍ بأنَّها : علم دراسة الإنسان طبيعيًّا واجتماعيًّا وحضاريًّا ؛ أيْ إنَّ الأنثروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائنٍ وحيدٍ بذاته ، أو منعزلٍ عنْ أبناء جنسه ، إنمَّا تدرسه بوصفه كائنًا اجتماعيًّا بطبعه ، يحيا في مجتمعٍ معينٍ له ميزاته الخاصة في مكانٍ وزمانٍ مُعينين .

والأنثروبولوجيا بوصفها دراسة للإنسان في أبعاده المختلفة ، البيوفيزيائية والإجتماعية والثقافية ، علمٌ شاملٌ يجمع بين ميادينٍ ومجالاتٍ متباينةٍ ومختلفةٍ بعضها عنْ بعضٍ مثل : علم التشريح ، وتاريخ تطور الجنس البشري ، والجماعات العرقية ، وعلوم دراسة النظم الاجتماعية من سياسيةٍ واقتصاديةٍ وقرابيةٍ ، ودينيةٍ وقانونيةٍ ، وما إليها .

علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الإجتماع العسكري

يفتقر علم الإجتماع العسكري إلى الشهرة فقط، بعدما توفرتْ جميع المستلزمات التي تؤهله كفرع منْ علم الإجتماع العام . واليوم نشاهد هذا الافتقار بجلاءٍ بعد ملاحضاتنا لما يجري في الأوساط العلمية والعسكرية . هذا ولم يكن للانثروبولوجيا نصيبٌ وافٍ في علاقتها بعلم الإجتماع العسكري . وهذا بحد ذاته يثبت تأخرنا الفكري ، في مجال نشوء وتطور ألانثروبولوجيا.

الانثروبولوجيا الإجتماعيّة العسكرية :

ويجب أنْ تتركز الدراساتُ فيها على المجتمعات العسكرية داخل المعسكرات . منْ حيث البناء الإجتماعي العسكري والعلاقات الإجتماعية بين العسكريين بمختلف رتبهم ، والنظم الإجتماعية العسكرية مثل الفصيل ، و السرية ، والكتيبة ، والطبقات العسكرية والطوائف الإجتماعية والعلاقات القبلية داخل المعسكرات ، كذلك النظم الإقتصادية للعسكريين أوِ الوحدة بحد ذاتها إذا كانت لها أيّ نوعٍ منَ الإستثمارات ، كالإنتاج ، والتوزيع ، والإستهلاك ، والمقايضة ، والنقود ، والنظم العسكرية ، كالقوانين العسكرية ، والعقوبات ، والسلطة العسكرية ، و العقائد الدينية ، كما البيئة التي يعيشها العسكريين منْ سلمٍ وحربٍ ، والبيئة المدنية المحيطة بالمعسكرات ومدى ولائها أو عدائها وتأثيراتها على سير المعركة على المستويين التكافلي والثقافي . ومدى الإستفادة منْ موارد هذه البيئة ، هذا يدفعنا إلى التحليل الإيكولوجي للعلاقة بين البشر (العسكريين) وبين البشر (السكان) في البيئة المحيطة إلى عناصرها الأولية ، فسوف نستنتج التفاعلات بين العناصر التالية :

1- حياة مجموعة منَ العسكريين والمدنيين في منطقة محددة .
2- إمكانية استغلال الموارد الطبيعية وتسخير امكانيتها للقوات الموجودة بهذه المنطقة .
3- أساليب التفكير والعمل العسكري مع البيئة المحيطة والتي ستصبح جزءٌ من الموروث الثقافي العسكري .
4- توزيع الواجبات وتنويع الوظائف مع سكان المنطقة المدنيين بحيث يحقق التكامل في الهدف ووحدة القصد .
5- ضمان استقرار المجتمع العسكري .
6- تنسيق وتدعيم العلاقات التي تربط هذه المعسكرات بما عداها منَ المجموعات المدنية والبيئة التي يعيشون عليها .
7- الحريات والقيود التي يفرضها الموقف في السلم والحرب .

العمليات الإيكولوجية العسكرية

توجد عملياتٌ اجتماعيةٌ عسكريةٌ أوسع نطاقاً وأعمُّ شمولاً وهي العمليات الإيكولوجية العسكرية المتصلة بالنظام الإجتماعي العسكري وهي :

1- الحروب
2- الغزو الديموغرافي : وهو التغير القسري للتاريخ الطبيعي والإجتماعي لأمةٍ مهزومة من قبل أمةٍ أقوى انتصرت في الحرب بعد المعرفة الرياضية للسكان وتغيراتهم العامة وظروفهم الجسمية والعقلية والأخلاقية ، اعتماداً على (الحجم و التوزيع السكاني والتركيب السكاني والتغيرالسكاني) .
3- العزلة العسكرية : وهي عزلةٌ اجتماعيةٌ يفرضها الموقف على الأرض ربما تنعزل القوات داخل معسكراتها ، فلا تختلط بغيرها منَ المجتمعات المحيطة إلاَّ في أضيق الحدود فتحافظ بقدر الإمكان على مقوماتها العسكرية وخصائصها الإجتماعية .
4- الإبادة الجماعية : و هي منْ أشرِّ نتائج الحروب أوِ الهجرات القسرية على مرِّ الزمن عنْ طريق الإضطهاد الديني أوِ العرقي أوِ الإعتقال والتصفيات الجسدية ، أو عنْ طريق إفناء التراث الثقافي واستبداله ، و القضاء على مقومات الحضارة و الدين .

إنَّ الانثروبولوجيا الإجتماعيّة العسكرية تهتم بتحليل البناء الإجتماعي العسكري حيث تظهر فيه بوضوحٍ تكامل ووحدة البناء الإجتماعي العسكري ، وهي تتمّيز بالدراسة العميقة التفصيلية وتوضيح الترابط والتأثير المتبادل بين النظم الإجتماعية العسكرية ، إنَّ النظمَ الإجتماعية العسكرية ، هي نسيجٌ متشابكُ العناصر تؤثر على بعضها ، وتعمل على خلق وحدةٍ إجتماعيةٍ عسكريةٍ مستقرةٍ ومستمرةٍ ، وإنّي أتسآل هل تستطيع الإنثروبولوجيا الإجتماعية العسكرية أنْ تهتم بتاريخ النظم الإجتماعية العسكرية وتاريخ الجيوش بصفةٍ عامةٍ ، علماً بأنَّ تاريخ أيّ جيشٍ لا يفسر طبيعتهُ وإنمَّا تُفسر تلكَ الطبيعة عنْ طريق تحديد وظيفة النظام الإجتماعي العسكري الواحد في المؤسسة العسكرية .

وهكذا نجد أنّ هناك صلةٌ منْ نوعٍ بين علم الإجتماع العسكري كجزءٍ منْ علم الإجتماع العام والأنثروبولوجياب النظر إلى أنَّ كلاً منهما يدرس الإنسان كعسكري خلق ليقتل . ويشمل الترابط بينهما المعلومات التي يهدف كلاً منهما الحصول عليها ومنهجيّة البحث وطريقته وأسلوبه كما أنَّها يجب أنْ تهتمّ بالجانب الحضاري العسكري . فعلم الاجتماع العسكري يركّز في دراساته على النظم الإجتماعية العسكرية ، ويدرس الطبقات الإجتماعية العسكرية ، بينما يجب أنْ تركّز الأنثروبولوجيا العسكرية في دراساتها ، على المجتمعات العسكرية الأولية داخل أسوار المعسكرات والمجتمعات العسكرية لطبقات العليا العسكرية . ويجب أنْ تركز الأنثروبولوجيا العسكرية على : التقاليد والعادات والنظم العسكرية ، والعلاقات بين العسكريين ، والأنماط السلوكية العسكرية المختلفة ، التي يمارسها جيشٌ ما كل ذلك في السلم والحرب . أيْ أنَّ علم الأنثربولوجيا العسكرية يدرس الحياة الإجتماعية العسكرية ككلٍّ ، وينظر إليها نظرةٌ شاملةٌ ،

ويدرس البيئة العسكرية العامة والبيئة المحيطة بالقوات في السلم والحرب ، والعلاقات العائلية بين العسكريين ونظم القرابة القبلية والدينية ، بينما تكون دراسة علم الإجتماع العسكري متخصّصةٌ أبعدُ منْ ذلك . كتلك المواضيع التي تمت مناقشتها في هذا الكتاب .

إنَّ التباين والاختلاف بين العلمين ، لا يتعدّى فهم الظواهر الإجتماعية العسكرية وتفسيراتها ، وفق أهداف كلٍّ منهما . فبينما نجد أنَّ علم الإجتماع العسكري يعتمد على افتراضات نظرية لدراسة وضع المتغيرات العسكرية ، ويحاول التحقّق منها منْ خلال المعلومات التي يجمعها ، نجد أنّ الأنثروبولوجيا العسكرية تُشخص الظاهرة استناداً إلى فهم وتحليل الواقع العسكري كما هو منْ خلال الملاحظة المباشرة ومشاركة العسكريين في حياتهم العادية .

إنَّ الإتجاهين الإتجاه البنائي والإتجاه الثقافي في علم الإجتماع العسكري يجب أنْ يتوجدا إلى جانب بعضهما في كل دراسةٍ منْ درسات علم الإجتماع العسكري والأنثروبولوجيا العسكرية . ويجب تحديد مفهوم الثقافة العسكرية وما هي أثاره ، ومن التي تمتاز بالكلية ، ومن التي تمتاز بالعمومية ، ولا يمكن فهم الثقافة العسكرية وظواهرها بعيداً عن البناء العسكري الذي تظهر في إطاره . إنَّ التفرقة بين المجتمع العسكري وثقافتة مسألةٌ صعبةٌ وشائكةٌ فهما مظهران مختلفان لشيءٍ واحدٍ وتجريدان مختلفان لوجودٍ واقعيٍ واحدٍ .

إذن يهتم علم الإنثروبولوجيا العسكرية بدراسة ثقافات المجتمعات العسكرية السابقة والحاضرة ، ويهتم أساساً على آليات الوحدات والجماعات الصغيرة . أما علم الإجتماع العسكري فضلاً عن أنه يتضمن الدراسات الثقافية العسكرية إلا أنَّه يهتم كذلك بما وراء الثقافة العسكرية فى محاولة التعمق فى المشاهد والأوجة الأُخرى للمجتمع العسكري في السلم والحرب . ويركز علم الإجتماع العسكري آليات الوحدات والجماعات الصغيرة وكذلك على المجتمع الأكبر " الجيش بكامله ".

خامساً : أيديولوجيا العسكر

دائماً ما نجد إشكالية تعريفٍ قائمةٍ فيما يخص مصطلحات العلوم الإنسانية العسكرية ؛ فهي ليست كبقية العلوم الطبيعية أوِ الإنسانية القياسية والموضوعية في دلالاتها لا مجال للرأي فيها ؛ ولكنَّها ذاتيةٌ تخضع لنسبية المنظور العسكري ولا تحتمل التأويل وتخضع بالضرورة لواقعها العسكري ؛ لذا عند استعراضنا لمفهوم الأيديولوجيا العسكرية فلا سبيل لتجاوز الإشكالية على سبيل القطع . وتتكون الكلمة منْ مقطعين «idea» وتعني فكرة ، و «logos»وتعني علم أو دراسة . وعند تركيب اللفظين يصبح المصطلح « علم الأفكار » الذي يعرفه "دوتراسي" على أنه : « العلم الذي يدرس الأفكار ، بالمعنى الواسع لكلمة أفكار ، أيْ مجمل واقعاتُ الوعي منْ حيث صفاتها وقوانينها وعلاقتها بالعلائم التي تمثلها » .

ولم يترجم المصطلح إلى نظيرٍ مُرضٍ في اللغة العربية ، وإنْ حدثت بعض المقاربات كنحت اللفظ اللاتيني وصبه في قالب تصريفيٍّ عربيٍّ ، كما فعل "العروي" الذي اقترح تعريبها على وزن أفعولةٌ ، فيقول :

أدلوجةٌ . ومنها : أداليجٌ وأدلوجاتٍ ، وأدلج إدلاجاً ودلج تدليجاً ؛ وهو الأمر الذي وصفه «المسيري» بالجرس القبيح الذي لا يستدعي شيئًا للعقل ، ورأى بدلًا منْ ذلك أنَّه بالإمكان ترجمة المصطلح إلى كلمة «قولٌ » والتي تعني: رأياً أو معتقداً ، لكن تلك الترجمة وذاك التعريب لم يلقيا رواجاً في مجالات الثقافة في مجتمعنا العربي الذي تداول اللفظ كما هو «أيديولوجيا»، لا «أدلوجة» العروي، و لا «قول» المسيري.

تعدُّ الأيديولوجيا عموماً أكثر المفاهيم انتشاراً وتداولاً وأكثر المعاني غموضاً وإثارةً للجدل ، إلاَّ أنَّ أيديولوجيا العسكر شيءٌ آخرٌ ، لأنَّها أكثر ثباتاًء ، صاغها تاريخ الأمة العسكري بوصفها علم الظواهر الفكرية العسكرية ، الفكر الذي سيعطي أساساً عقلياً لنقد تقاليد ومفاهيم المجتمع العسكري ، إذنْ فهي جزءٌ منَ الثقافة التلقائية للمجتمع العسكري فهي " الوعي الجمعي العسكري " ؛ والأيديولوجي حسب ماركس الذي يظنُ أنَّ العقل يحكم العالم . أيْ أنَّ الأيديولوجيا العسكرية هي إشكالية العسكر في علاقته بالسلطة والوطن والواقع الشعبي ، والتحكم في هذا الواقع واستثماره . ولإشكالية المنهج في معرفة العدو إذا اعتبرنا " أن الفكر العسكري الفلسفي هو الذي يجب أنْ يحكم الأمة والإستراتيجية الصحيحة المنبثقة منَ التجربة السياسية هي التي تصنع الوقائع والأحداث " وبالتالي فإنَّ طريق الشعب نحو التقدم تمر منْ خلال تحرير عقله .

أمَّا في المجتمع العسكري فإنَّ " الأيديولوجيا العسكرية " بوصفها بنيةٌ فكريةٌ نظريةٌ ، حيث ينتج هؤلاء العسكر تلقائياً مجموعةً منَ الأفكار والتصورات حول الأحداث الوطنية التي يعيشونها ، بواسطة إدراكها ووصف مظاهرها الداخلية خلف كواليس السياسة ، والخارجية المحسوسة ، مؤمنين إيماناً مطلقاً أنَّ معرفتهم التي هي نتاج تحليلاتهم لتلك الأحداث والمواقف التي تعكس حقيقتها ، وأن تلك المعرفة تشكل علماً بها . ما سيجعلها تعد منَ المفاهيم الرئيسة في علم الإجتماع العسكري " سوسيولوجيا العسكر " ، رأيتُ أنَّه يجب الإشارة إليها ودراستها وعتبارها منَ القضايا الأساسية التي يجب أنْ نهتمَّ بها وبشتى تشكلاتها وفروعها .

أعتقدُ أنَّ الأيديولوجيا العسكرية هي العمود الفقري الذي تُبنى عليه إستراتيجية الأمة باعتبارها " الأفكار التي نعجز عن معرفة حقيقتها وشرعيتها وقنونيتها ، لكن قوة هذه الأفكار تظهر من خلال شحنتها العاطفية وقدرتها على تحريك الشعب والذي يتناسب مع الحدث الوطني الذي نعيشه ." وبالتالي فهي محركٌ للعقل كفكرٍ ، ومحركٌ للقلب كعاطفةٍ . فهي ليست وعياً زائفا كما قال ماركس ولكنها "وعيٌ عاطفيٌ جمعيٌ" .

يمكننا طرح تساؤلاتٍ كثيرةٍ حول " الأيديولوجيا العسكرية " والمضامين التي تنطوي عليها وتستمد منها فعاليتها العاطفية بوصفها معارفٌ لها أبعادٌ وإشكالياتٌ ، تشكل نسقاً منْ أنساق البنية الإجتماعية العسكرية ننظر إليها منْ زوايا مختلفةٍ لكنها متكاملةُ النتائج كالأتي :

1. تشكل الأيديولوجيا العسكرية رؤية شاملة تمدنا بقواعد للسلوك العسكري خاصةً أثناء الأزمات التي تمرُّ بها الأمة . فهي تصورٌ متحيز للوطن يُنبني على أُسسٍ طبقيةٍ عسكريةٍ وعلاقات العسكر بالسلطة منْ جهةٍ ، و علاقات العسكر بالشعب منْ جهةٍ أُخرى ، ومصالحٍ متشابكةٍ تجعل الدفاع عنِ الأمة

تصوراً قائماً في العقل عاطفياً في نقله لحالة الأمة . إنَّها حسب تصوري " الوعي العاطفي" الذي يشاركنا فيه عموم الشعب باستثناء الخونة والعملاء . هذا " الوعي العاطفي" ينجم عنِ الموقف الطبقي للعسكريين ، أقصدُ أنَّ المجتمع العسكري كطبقةٍ اجتماعيةٍ واجبها الأساسي الدفاع عنِ الوطن .كذلك فإنَّ هذا الوعي يظهر واقع العلاقات الإجتماعية بين الشعب و الجيش بصورته الصحيحة التي أُخَذتْ أثناء التنشئة العسكرية ، فهي وجهة نظرٍ متحيزةٍ للوطن يفرضها علينا موقعنا في النظام .

2. الأيديولوجيا العسكرية بوصفها مفهومٌ غامضٌ حتى على العسكريين أنفسهم ، وفكرةٌ غير بريئةٍ ، لكنَّها مستقرةٌ لها مبراراتٌ قانونيةٌ فإنَّ مفرداتها ومسائلها تعتبر كلاسيكيةً في الفكر العسكري ، إلاَّ أنَّ الصعوبات في فهم هذه الإيديولوجيا تفسر كيف يكون المفهوم خارج تقاليد الفكر العسكري .

3. الأيديولوجيا العسكرية أداةٌ منهجيةٌ دموية التوظيف دائماً ومتعددة الإستعمالات ، فيمكن استعمالها كأداة للتحليل السوسيولوجي للعلوم العسكرية القتالية على المستوى التعبوي والعملياتي ، وهي ركيزةٌ على مستوى الإستراتيجية فلا تخلوا أيّ إستراتيجية منْ شحناتٍ أيديولوجيةٍ ، وأداةٌ للتحليل المنهجي المعني بكل الإلتزامات الفلسفية العسكرية ، وعلى المستوى الشعبي يمكننا استعمالها كأداة توجيهٍ مشحونةٍ بقدرةٍ ميتافيزيقيةٍ أو بمعنىً آخرٍ دينيةٍ على تحويل العقل منْ حالٍ إلى أخرٍ وتغيير اتجاهات التفكير الشعبي إلى خارج مجالات المنطق السياسي والدبلوماسي ؛ فكثيراً ما نسمع السياسيون يقولون : " لا حلَّ إلاَّ بالحوار " والرأي العام يقول : " لا حلَّ إلا بالقتال " .

إنَّ " أيديولوجيا العسكر " لا تتضمن إيهاماً عقلياً بل هي حالة " ثباتٌ عقليٌّ " يوحي بالمطابقة ويتضمنها أيْ مطابقة الصور (الإشارات) التي يقدمها الوعي العسكري الذي نحمله عنِ الواقع في عقلنا للواقع (الحدث) الحقيقي الذي تعيشه الأمة ، وذلك بسبب مقاصد (التنشئة العسكرية) بوصفها الآلة الفسيولوجية المركزية في الجيش التي تحدد نمط العلاقة بين السلوك العسكري والعسكريين أنفسهم منْ أجل إيجاد تفسير فسيولوجي أو عضوي للسلوك العسكري .

ليس لأحدٍ القدرة على أنْ يعرف أخطاء العسكريين أكثر منَ العسكريين أنفسهم ، تلك بإيجاز اللبنة الأولى والأساس الفلسفي الذي ستبنى عليه سوسيولوجيا العسكر ، هذه الملاحظة التي جاءت بها ألينا فلسفة الإستراتيجية تحمل بريقها وقدرتها على تعتيم الجوانب المضيئة منْ حياتنا العسكرية وتجربتنا الثقافية عبر التاريخ العسكري وسلوكنا المنفرد في نمطه وآلياته الجاهد في محاولاته تفسير معطيات الذات العسكرية وانجراحاتها بمواجهة عواصف الحروب و الإرهاب المعاصر وتحولاته المتسارعة ، إنَّ الثقافة العسكرية تنشغل في الكشف عنْ طبيعة علاقتنا بالوطن ، وكيف تتوسط (الإستراتيجية) هذه العلاقة وتعبر عنها بمنظومة أفكارٍ عسكريةٍ تُطلى باللغة والعبارات التي تحملها لتشكل بالتالي موقفنا المعرفي أيديولوجِياً . هذه التسمية تعصف بالذهن وتشكل في تجلياتها مع العقل البنية المركزية والمحورية للعلوم العسكرية وفنون القتال التعبوية والنقطة التي ننطلقُ منها لوصف الظواهر الذهنية وآثارها في حياة

الإنسان العسكري . إنَّ تلك المفاهيم المجردة ترتبط في كل لحظةٍ منْ لحظات تطورها ارتباطاً داخلياً بالنسق الإجتماعي العسكري الذي توجد فيه ، إنَّ تلك المقولات بمعناها الرفيع مقولاتٌ عسكريةٌ يصنعها الجيش فقط ، وتتخذ منَ التاريخ و ظواهر الوجود الإجتماعي العسكري مضموناً لها ، فإيقاع الحياة الإجتماعية العسكرية هو الذي يشكل أساس مقولة التاريخ العسكري ، والأمة التي يشغلها المجتمع العسكري هي التي تُهيئ المثل لمقولة المكان ، والقوة العسكرية هي التي تستخدم أساساً لمفهوم القوة الإقليمية الفعالة ، كعنصر جوهري لوجود الأمة على الخريطة . وليس مفهوم الجيش كمؤسسة سوى صورةٌ مجردةٌ لمفهوم المجتمع العسكري . وأصل المعرفة الفلسفية العسكرية والعلمية تنبع من العقيدة العسكرية ثم الأيديولوجيا العسكرية . فالأيديولوجيا العسكرية ظاهرةٌ جمعيةٌ سواءٌ منْ حيث ممارستها في ميدان المعركة أو مضمونها المجتمعي . فهي متعددة الأشكال وتتباين في قوة الإرتباط فهي كمشاركة كائنٍ في كيان كائنٍ أخرٍ دون أنْ تلحق بالثاني أيّ تغيّراتٍ . والأطر العامة للأيديولوجيا العسكرية هي مجموعة الأفكار التي تدرس الأدوار القتالية المتباينة التي يضطلع بها القادة وهيئات الركن في الأعمال القتالية المختلفة . واحتواء الأيديولوجيا العسكرية وتعبيراتها ، أشكال الوعي العسكري ، والتصور الذهني للأفراد وممكنات التعبير عنه بدقة وموضوعية عالية ، فهي البحث في منشأ الأفكار كما يقال .

فالمشكلة تكمن دائماً في حواس الإنسان العسكري وآفاقه الثقافية التي تكونت لديه بعد اجتيازه مراحل كبيرةً منَ الحياة العسكرية وتقلده لمناصب مختلفة ومخزونه منَ الثقافة العسكرية وتطوره الحضاري التي ستنقل واقع الأمة إلى عقل الإنسان العسكري منْ خلال شبكة المفاهيم والتصورات المعرفية . وشكل وجود هذا الإنسان داخل المجتمع العسكري الذي يتعرض له باستمرار في صراعه مع الطبيعة العسكرية للحياة ، وحواره مع ذاته العسكرية وماضيه قبل انتسابه للمؤسسة العسكرية .

لكن هذا لا يُغيّب حقيقة الأيديولوجيا العسكرية من وجهة نظري : "بوصفها تجليات العقل في البيئة العسكرية ". إنَّ مأساة الفكر العربي العسكري مأساةٌ معرفيةٌ تنتج مأساةً السياسة نتحمل مسؤولياتها باعتبار أنَّ الأيديولوجيا العسكرية تعتاش على ماتمده بها التنشئة العسكرية كمعرفةٍ منْ روافدٍ علميةٍ وثقافيةٍ . فالمشكلة الأساسية تكمن في تشخيص الحالات حسب تصوري الأتي :

أ. على المستوى الإيديولوجي : لا وجود لمصطلح أيديولوجيا العسكر في المعارف والعلوم العسكرية رغم كونها فكراً يوافق ميولنا وتطلعاتنا العسكرية ، نستطيع توظيفها كما يمليه علينا الموقف التاريخي الذي نقرؤوه قراءةً متسقةً ومكتملةً وواعيةً .

ب. على المستوى التاريخي : إنَّ التاريخ قرأة الماضي واستخلاص العبر والدروس المستفادة منْها وليس النظر للمستقبل فذلك هو الإستراتيجية ، ولا نحتقر الحاضر الذي نعيشه ولا نهمل دراسته لأنَّه سيكون يوماً ما ماضينا وتاريخنا الذي يجب أنْ نقرأه اليوم .

ت. على المستوى الإجتماعي العسكري : المجتمع العسكري " مجتمعٌ غير مقبلٍ على الإنهيار " ، والواقع الإجتماعي العسكري الناضج ينشئ له انعكاساً معرفياً ناضجاً في شكلٍ واحدٍ وحسبٍ وهو

الكفاءة القتالية ذلك يعكس حاجتنا الماسة إلى نظامٍ فكريٍّ جاهزٍ ، نستدل به ونرتكز عليه ويتمثلُ في الإستراتيجية العسكرية والعقيدة العسكرية .

ولا شك أنَّ محاولة إيجاد(قاعدةٍ) لاستعمال هذا المفهوم غير البريء والحامل بين طياته وجنباته الكثير منَ الثوابت الفكرية العسكرية المسبقة التي يجب الوعي بها وقراءتها بتعقل سيتيح لنا الوقوف على استراتيجية الأمة ، والإحتفاظ بموقفٍ راسخٍ منها ومنَ الواقع الذي يتوسط (تلك المفاهيم) وعلاقتنا به وتشكل تصوراتنا عنه . إنَّ الأيديولوجيا العسكرية هي المرآة التي تعكس نرجسيتنا وتقيّم كفأتنا القتالية وموقفنا منَ العدو . وتضبط إيقاعَ علاقتنا مع أنفسنا كعسكريين محترفين وعلاقتنا المجتمعية بوصفها بنيةٌ فكريةٌ نظريةٌ للعقل العسكري الواعي لأيّ حراك وطني محدداً وموجهاً أفكاره وسلوكياته بكيفية واعيةً تماماً ، تضعنا في السياق الصحيح لحركة التاريخ وعرضه للثأر التاريخي في أيّ لحظةٍ نشاءُ . إنَّ هذاالثبات الذي يصيب العسكري وتصلبه في المواقف الوطنية انطلاقاً منْ إنَّ موافقة العسكري لمحيطه تتسرب منْ حيث تتولد المفاهيم في العقل ، تلك المفاهيم التي يدرك بها العسكري موقفه الراهن منْ أيّ قضيةٍ وطنيةٍ أو موقفٍ قتاليّ . منْ هنا فالأيديولوجيا العسكرية تحتوي على مجموعةٍ منَ التوجهات والأحكام المسبقة ، تستعمل في نظرية الأمن القومي أو وضع استراتيجيات الأمة المستقبلية لإدراك دور منْ أدوار التاريخ ، وتقودنا إلى فكرٍ عسكريٍّ سيحكم على كل المواقف والأحداث الوطنية بالرجوع إليه كقصدٍ يتحقق عبر الزمان والمكان . ولكي نصل إلى رسم معالم هذه الأيديولوجيا لا بد لنا منْ تحليل وتأويل الأثر الفكري والمعرفي للجيش وثنائيته التراكمية " العدو / الإقتصاد " .

إذنْ كيف نفكر ؟ إنَّ مفهوم الأيديولوجيا العسكرية يرتكز منْ وجهة نظري حول الفكر العسكري والتاريخ والعدو. والتاريخ ركيزة الفكر في تجاوز مِحن الأمة لأنَّه مازال يتتلمذ على معطيات التحول الإجتماعي التي تحكم خيوط توجهه ببراعة السلطة . يجب أنْ لا نكتفي بتسجيل واقع والتقيد به ، بل العمل على خلق ظروفه الحالية والمستقبلية و تأميمها وتبيئتها تاريخياً وثقافياً . وتوظيفه للمفهوم الذي نسعى إليه فالصراع عنيفٌ ومتجددٌ بين العسكر والساسة .

كل هذه العلاقات المتشعبة تلقي أضواءً جديدةً على أنَّ مفهوم الأيديولوجيا العسكرية يحمل أثار ذلك التطور التاريخ المعقد والمتشعب وفي ذلك الكثير منَ الجدوى الإستقرائية التي ستمدنا بالقوة المعنوية في وجه العدو و تمكننا منْ توجيه إرادة الأمة ؛ فلأيديولوجيا العسكرية هي : (مجموعة التصورات الذهنية الواقعية تُنير الفكر العسكري وتشجعه على إدراك واقع الأمة التاريخي الذي يسود المجتمع العسكري في مرحلةٍ منْ مراحل تطوره) . و تتكون هذه التصورات نتيجة مواقفٍ وأحداثٍ وطنيةٍ ذات منعطفاتٍ تاريخيةٍ بارزةٍ ، فتصبح عاملاً فاعلاً قادراً على التأثير في البيئة المحيطة لها وحتى في الأسباب التي أنتجتها . فتعطي لأيديولوجيتنا شكلاً ومفهوماً عسكرياً يُميّزها عنْ غيرها منَ الأيديولوجيات الشعبية .

بعد هذا التوصيف نحن في حاجة لتوضيح بعض الملاحظات المهمة عن إشكاليات الإيديولوجيا والمعرفة العسكرية والتي لنْ نستطيع التخلص منها ومنْ تأثيراتها وأطيافها ، لنثبت باستمرار أهمية أنْ نقرأ

التاريخ والعدو بحذرٍ ، وإنتاج الوعي العسكري لأنَّهُ انعكاس حركة الأيدولوجيا والعقيدة العسكرية في الذهن ؛ وليس الأساطير والخرافات التي تنتجها تأثيرات جانبيةٌ شعبيةٌ سادجةٌ تنتج منْ خلالها ايديولوجيا شعبيةً مضادةً لفكرنا العسكري و أيديولوجيتنا المُتشددة . حين يبداء الخونة والعملاء في توهم حركةٍ مستقلةٍ حرةٍ متحكمةٍ في الحركة التاريخية . فهي عمليةٌ يقوم بها الخونة والعملاء عنْ إدراكٍ خاطئٍ . رغم كون القوه المحركة لأنشطتهم الفكرية تظل معلومةً بالنسبة إليهم ، لأنَّ الذات المفكرة عندهم : تظن وتعتقد وتتوهم الحرية والإنفلات منْ قبضة التاريخ وتحولاته .

إنَّنا كعسكريين محترفين نحترف الدوران في فلكٍ واحدٍ تلفه القوانين العسكرية التي تسير المجتمع العسكري بكل تفاصيله الصغيرة والكبيرة . (الذات العسكرية ، المواقف العسكرية والسياسية ، الإستراتيجية العسكرية ، التصورات الذهنية للأحداث) لنذهب بعيداً في عمق التاريخ ومنعرجات التحليل الإستراتيجي الحديث . إنَّه نسقٌ يسود الأمة في جملتها لصالح طبقةٍ محددةٍ هي الطبقة الموجهة للسلطة .

إنَّ الأيديولوجيا العسكرية ليستْ أوهاماً تخدعنا بل هي الرغبة لتحقيق أهداف المعركة ، لأنَّ نتاجات الفكر العسكري تبريراتٌ خلقها العدو المتجدد ورغبةٌ جارفةٌ لدينا لتدميره ، ولهذا كانت مهمة الأيديولوجيا العسكرية في تبرير علاقات هذه الطبقة الموجه للسلطة والمؤثرة عليها إنْ لم تكُنْ القابضة عليها .

إنَّ للأخلاق والدين والميتافيزيقا تأثيرٌ مباشرٌ على ايديولوجيا العسكر ، وكذلك صور الوعي العسكري التي تقابلها والتي تحتفظ بظاهر الإستقلال الذاتي للعسكر عبر التاريخ ، وتتطور معه وتواكبه . إنّ َالعسكريين أنفسهم منْ وجهة نظري هم الذين يستطيعون تبديل واقعهم الخاص وطريقة تفكيرهم وأفكارهم في الوقت الذي يتطور فيه التسليح والعلاقات المادية في المجتمع العسكري ، والوعي العسكري هو الذي يُعِينُ الحياة العسكرية داخل المعسكرات و الثكنات أو أثناء المواجهة مع العدو ويُعطيها مذاقها الخاص الذي لا يستطعمه إلاَّ العسكري المحترف الذي ينظر إلى المواقف نظرة أيديولوجيةٌ عسكريةٌ وهو الذي يتخير الأفكار ويؤوِّل ُالأحداثَ بكيفيةٍ تظهرها دائماً مطابقةً لما يعتقد أنَّه حق الأمة في الحياة ، وبالتالي فهو يتداخل مع العقل الموضوعي الذي يخضع للمحيط الخارجي فيتشبع بقوانينه .

إنَّ التأويل الذي يكيف الحدث مع حق الأمة في الحياة المطابقٌ للواقع وانعكاسٌ لما في ذهن العسكري منْ أحوال الواقع وبتأثير واعٍ منَ المفاهيم المستعملة ونسقٌ فكريٌّ يحلِّله ، وتجسيدٌ كليٌّ في المجتمع العسكري للحدث فيتغلغل فيه كلَّ يومٍ أكثر فأكثر . ليبداء طريقٌ طويلٌ لنْ يتوقف سالكوه عنِ البحث عنْ أخطائنا ومشاكلنا المعرفية والتعبوية والإستراتيجية المعاصرة التي تحتاج الى هدم وبناء منْ حينٍ إلى آخرٍ ؛ وبالتالي فإنَّ نظامنا المعرفي العسكري برمته بحاجةٍ إلى « إعادة البناء » وبرنامج للإصلاحات وشفافيةٍ في الطرح . أعتقدُ أنَّ التاريخ هو المحرك لأيّ أيديولوجيا غارقةً في فلسفتها وموغلةً في تعقيداتها ؛ وعلينا فكَّ الأيديولوجيا العسكرية منْ أسرها والدفع بها إلى المناطق المضيئة منْ التداول المعرفي العسكري والمجتمعي

كذلك ، وتفعيل المواطن الإيجابية فيها القادرة على تفكيك مكنونات الأمة وتحرير منطويات العقل السوسيولوجية .

وعليه فأنَّ الذي أُريد قوله هو مجموعةٌ منَ الملاحظات والإشكاليات التي غابتْ عنَّا وحاولتُ رصدها وتحديدها هنا بمجموعةٍ منَ الاشكاليات :

1. إنَّ الأيديولوجيا العسكرية كمفهومٍ يرتبط أساساً بمفهوم الوعي العسكريو يتناسب معه طردياً ؛ فتمرير أيّ أيديولوجيا مضادة يحتاج إلى وعيٍّ مضطرب والعكس صحيحٍ .

2. الأيدولوجيا العسكرية مفهومٌ منْ مفاهيم المجتمع العسكري يمكن توظيفه وربطه بمجموعةٍ منَ العناصر التكوينية للجيش ، (مثل الطبقات العسكرية ، والتخصص التعبوي ، والسلاح) وغيرها ، والتي تختلف في قوتها أوضعفها في كل مرحلةٍ منْ مراحل استعمال المفهوم وتوظيفاته .

3. كما قلتُ أنفاً أنَّ مفهوم أيديولوجيا العسكر مفهومٌ غير بريء دموي التوظيف ينبغي استعماله بحذر . و أقصد بذلك المستوى الإستراتيجي للعقيدة العسكرية وهو مضمون الأيديولوجيا العسكريةFighting Ideology حولت وجهات الأمة القتالية المتوجهة أساساً لتحديدمن هو العدو ، ومتى نقاتل ؟ .

4. الأيديولوجيا العسكرية وسطاً ضرورياً لا يمكن للعسكر أنْ يتجاهلوا روابطه بالتاريخ ، فهي محاولات الفكر العسكري تنظيم تصوراته عنِ الحروب والإستراتيجية والقيادة والسلطة وشكلاً ذهنياً تفرزه جدلية الفعاليات الإجتماعية العسكرية الرئيسة للفهم والدافعة للتكيف العسكر في المجتمع العسكري الذي يعيشه والذي مازال متعالياً على قدرات غير العسكريين المحدودة على الفهم .

إذن فإنَّ الإيديولوجيا العسكرية هي الإعتقاد بالأفكار العسكرية ومجموع القيم والأخلاق والأهداف العسكرية التي ينوي الجيش تحقيقها ، والوعي بالموقف العسكري الراهن والمُستقبلي . ومفهوم الأدلجة العسكرية هو حق الأمة في الحياة وحقها في حماية مصالحها بالقوة العسكرية ، هذا الحق هو ما يطابق ذات الأمة ، والأيديولوجيا العسكرية ما يطابق ذات العسكري . إنَّ العسكري يجب ينظر إلى الأمة نظرةً أيديولوجية ، أيْ أنْ يفسر الوقائع بكيفيةٍ تُظهرها دائماً مطابقةٍ لما يعتقد أنَّه حق الأمة تعبيراً عنِ الوفاء والتضحية في سبيلها . بهذه الطريقة ستحدد الأيديولوجيا العسكرية أفكار وواجبات العسكريين بكيفية خفيةٍ لكنَّها واعيةٌ في محيطهمُ الطبيعي .

الأيديولوجيا العسكرية والإستراتيجية

لعلَّنا نتفق جميعًا على أنه لا توجد استراتيجيةٌ بريئةٌ ، والحياد العسكري وهمٌ إيديولوجي والبراءة الإستراتيجية ضرب من المستحيل ، وكلُّ خطابٍ عسكريٍّ يهدف بالضرورة إلى تمرير حمولةٍ إيديولوجيةٍ . إنَّ

الإستراتيجية أساسيةٌ في الخطابات العسكرية ، وليس ثمَّة خطابٍ عسكريٍ يمكن أنْ يعرَّى تمامًا من الأيديولوجيا .

إنَّ المتتبّع لنظريات الفكر العسكري والتاريخ العسكري يستطيع أن يستخلص أنَّ ارتباط الأيديولوجيا بالخطابات العسكرية لا يمكن أن نردَّه إلى السفسطائيين من أجل إغراء الشعب واستقطابه . وهذا التلازم بين الإستراتيجية والأيديولوجيا ينبع عن الرغبة في السيطرة وبسط النفوذ ، بالفكر بدلاً عن القوة والعنف اللذان يمثلان هاجس السلطة في تحصيل "الشرعية"، ولكي تضمن لسلطانها الإستقرار والإستمرار يجب عليها أنْ تبحث عن فكرٍ يعطيها الشرعية الأخلاقية وهو مطلبٌ عزيزٌ لأنَّها لا تستطيع الإستمرار إذا اقتصرت على القهر والإرغام . وليس من سبيل إلى ذلك إلا أيديولوجيا يُقبل عليها الشعب على سبيل الرضا والموافقة ، وهو ما تفطن إليه جاك روسو في كتابه العقد الاجتماعي : الأقوى لا يبقى أبدًا على جانبٍ كافٍ من القوة ليكون دائمًا هو السيد إنْ لم يحوّلْ قوته إلى حقٍ والطاعة إلى واجب . وبما أن هذا العمق الأيديولوجي في شرعية السلطة لا يمكن تحصيله بالقهر والعنف ، فإنه يصبح " من الضروري اللجوء إلى نوع آخر من العنف ، نوع أكثر لطفًا وتهذيبًا وخفاءً هو " العنف الأيديولوجي " ، وإن نجاح خطاب السلطة يعتمد على قوة الشحنة الأيديولوجية فيه ، فكلمات السلطة بسلطة الأيديولوجيا ، وبهذا المعنى فالأيديولوجيا ليست مجرد حلية ترفيه جمالية في الخطاب السياسي ، بل هي بلاغة ذات أهداف خفية .

إنَّ الأيديولوجيا وجدتْ في الإستراتيجية حقلاً خصباً لأنماطها ووظائفها . ومن هنا نجد أنَّ الصلة وثيقةٌ بينهما إذ أنَّ الإستراتيجية حقلٌ من حقول الأيديولوجيا . وليس من سبيل إلى تبيُّن أوجه هذه العلاقة من غير تحديد سمات الممارسة الإيديولوجية . وهو ما نستعين به لأهم الخصائص التي ترسم حدود الأيديولوجيا والتي يمكن حصرها كما يلي :

1. الإستراتيجية محركٌ سياسيٌ / عسكريٌ ينشر الأفكار ويصنع القناعات عبر التحريض الأيديولوجي وتبريره .

2. الإستراتيجية تشرح " نظرية الحافز " فهي تتحرك لإظهار أنَّ الأمة التي تجاهر بها هي محقَّة في أن تكون ماهي عليه . لكن كيف تحافظ الإستراتيجية على ديناميتها ؟ الجواب في الخاصية الثالثة :

3. كلُّ إيديولوجيا هي مبسطة وخطابية ، وهي مجموعةٌ منَ الأفكار لتحديد نظرةٍ شاملةٍ ليس فقط إلى الأمة بل وللتاريخ أيضاً ، وهذا الطابع أساسٌ لوظيفتها التبريرية ، و على ذلك يجب أنْ تتحوُّل الأفكار والآراء التي تنشرها إلى معتقدات تؤمن بها الأمة . وفي هذه الحال لا تفقد الأفكار صرامتها بل تزيد من فعاليتها الإجتماعية . وبذلك تتحوَّل كلُّ القيم إلى إيديولوجيا كالأخلاق والدين ، إذنْ فإنَّ الإستراتيجية تعبّر عن نفسها طوعيًا من خلال الشعارات أوِ

الصيغ الموجزة ، ومن ثمَّ فلا شيءٌ أقرب إلى الأيديولوجيا كفنٍ للحكمة والإقناع منَ الإستراتيجية .

4. الإيديولجيا تعبير عن عقائدٍ باطنةٍ أكثر منها تعبيرًا عن منازعٍ نظريةٍ ، حيث أنَّ التأويلي للإيديولوجيا كامن فيما يفهمه الناس، ويؤمنون به أكثر من تصورات يتحركون نحوها .

5. الإستراتيجية مطبوعة بالجمود ، وهو ما يجعل الإستراتيجية في نفس الآن تأويلاً للمستقبل من خلال رؤية الواقع وحشدًا للممكن ، وبهذا المعنى يمكن الحديث عن " السياج الإيديولوجي" أوِ " العمى الإيديولوجي".

إنَّ الناظر في سمات الإستراتيجية ليخلص فعلاً إلى تبيُّن أوجه الصلة بين الأيديولوجيا من جهةٍ ، والممارسات الإستراتيجية (عسكريةٍ أو سياسيةً) من جهةٍ ثانيةٍ . فالأيديولوجيا تتحدَّد أساسًا بوصفها نشاطاتٌ خطابيةٌ واستدلاليةٌ يتوسَّلها المفكر لفرض نظريته ، لحمل الشعب على الإذعان والتسليم بما يلقى إليه من أفكارٍ ومضامينٍ وإن لم يعتقد فيها حقيقةً قائمةً ، وفي هذا المستوى تظهر الصلة وثيقةٌ بين البلاغة وفن الخطاب والممارسة الإيديولوجية ، باستغلال تصورات المجتمع المرتهنة إلى الرأي الشائع والقناعات المشتركة حيث ينفتح المجال واسعاً لتلبس البلاغة الإيديولوجيا .

إنَّ الناظر في علاقة الأيديولوجيا بالإستراتيجية سيلاحظ التباساً وتعقيداً يطبعان هذه العلاقة ، ذلك أن الإستراتيجية تسخِّر الأيديولوجيا لتضطلع بدورٍ تبريريٍّ ملازمٍ لدورها القيادي ؛ وتصبح في هذه الحال الأيديولوجيا "تقنيةً" في يد الإستراتيجية تصطنعها خدمة للمقاصد العسكرية والسياسية . وهي بذلك تمثِّل الجانب التبريري في الإستراتيجية ، ذلك أنَّ الإستراتيجيات السياسية والعسكرية صيغتْ بطرق مباشرة ، أيْ أنَّ الأيديولوجيا خاصةً عندما ترتبط بالمقاصد ، عبارةٌ عن خطاب وظيفي لعرض القناعات والتعبير عنِ المعتقدات . وبذلك تغدو الأيديولوجيا ضرباً من الإستراتيجية : تحتجُّ وتبرِّر ، تستدلُّ وتسوّغ لحمل الشعب على الإقتناع والإذعان وتسعي لتحويل "الرأي" إلى "عقيدة" .

إنَّ الأيديولوجيا هي علمُ الخطاب أو هي " فن الإقناع بالفكر " عكس الدبلومسية التي هي " فن الإقناع بالرأي " ، أو يمكن تعريف الأيديولوجيا بأنّها : العقيدة الفكرية التي تُبنى منها النظريات والفرضيات ، التي تتلاءم مع العمليات العقلية لأفراد المجتمع . ولهي "الإستراتيجية " عينها ، إنَّها رؤية لمصالح الأمة وموقفٌ من وجودها ؛ متى اعتنقنا هما تحوَّلنا من مجال الإقناع بـ"فكرٍ سياسيٍّ " إلى الحمل على الإذعان لـ" استراتيجيةٍ عسكريةٍ " تُفرض فرضاً وبهذا الفهم تغدو الإستراتيجية ممارسة خطابية أيضاً تنقل "الفكر العسكري" ، من مجال الإمكان والإحتمال إلى مجال البداهة والمصادرة على المطلوب .

الأيديولوجيا العسكرية التي نؤمن بها ، لا تتضارب مع بعضها ، بل هي أسلوب إصلاحي ثوري ، يهدف إلى تغيير واقع المجتمع العسكري وظروفه ؛ إنّ جميع الأيديولوجيات العسكرية متشابهة في أسلوبها العاطفي وطبيعتها المحركة لعقول العسكريين . وهي تعبّر عن إستراتيجية الأمة وحقيقتها وشرعيتها ، وتظهر هذه

الأفكار من خلال نغمتها العاطفية وأسلوبها المحرك للعسكريين ، الذي يتناسب مع الموقف الداخلي أو الأقليمي الذي نمرُّ به . أما المفهوم الماركسي للأيديولوجيا ، فيُعبّر عن شكل وطبيعة الأفكار التي تعكس مصالح الطبقة الحاكمة ، التي تتناقض مع طموحات وأهداف الطبقة المحكومة ، خصوصاً في المجتمع الرأسمالي .

لقد أسلمنا نظرنا في الموروث العسكري العربي - في حدود فهمنا وطاقتنا كعسكريين محترفين - إلى تسجيل ملحوظ لا يخلو من أهمية مؤدَّاه هيمنة الإيديولوجية على هذا الموروث وإهمال أيّ إستراتيجيةٍ عسكريةٍ واضحةٍ . وهي هيمنة يمكن فهمها في مستويين : يتصل الأول بـ"بنية الخطاب الديني" أما الثاني فمتعلِّق بـ "فحوى الخطاب" . إنَّ فصل الإستراتيجية العربية عن أنظمة التفكير التي حاطت نشأتها أفضى إلى تغييب الفكر العسكري الذي وسم تشغيل المقولات البلاغية في السياق العربي .

منْ هنا يجب أنْ نضعبين أيدينا أيديولوجيا صلبة تنتمي إلى الواقع العسكري وتحافظ عليه. ومنْ مضامين هذه الأيديولوجيا ومفهومها فقط يمكنْ بناء فكرٍ عسكريٍ يجعل الحراك العسكري الوطني ممكناً . وهذه العملية التي يمككنا أنْ نسميها « بناء الأيديولوجيا العسكرية » تنبع منْ ترف الفكر والتنظير العسكري ، بحيث تقوّض الخطاب المُخالف قبل أنْ يبدأ . لكن يجب أنْ نعلم أنَّ خوض المعارك الأيديولوجية ليس فعلاً بطولياً أحمقاً ، ولا معراك عسكريةً جانبيةً لا قيمة لها . بل بالعكس إنَّه التأسيس الذي يبدأ بعقول العسكر ووجدانهم .

الأيديولوجيا العسكرية بكل بساطةٍ نظرتنا غير التلقائية إلى المجتمع العسكري . النظرة التي يراها العسكري بكلِّ وجدانه وفكره وحواسه . هذا الوعي غير التلقائي هو وعيٌ عقلانيٌ ، ولذلك فهو غير زائفٍ ، ومنَ الصعب تغييره . إذنْ فالأيديولوجيا العسكرية هي الفكرة الواعية التي تعطي للواقع العسكري الذي أمامنا شكلاً معيناً ، ومنْ هذه الخلفية الواعية تتكون الأفكار العسكرية الأساسية والإستراتيجية وهي تشكّل عنصراً مهماً في تكوّن « هويتنا العسكرية » وإدراكنا الذاتنا العسكرية ، في حين أنَّ بعضنا لا يرى صورةً كاملةً ، إذنْ نظرة العسكري التلقائية للواقع العسكري هي نظرةٌ مؤدلجةٌ . نظرة تعتمد على تحيّزاتٍ ومشاعرٍ واعيةٍ . وهي وعيٌ غير زائفٍ بالضرورة . ولذلك فإنَّه لكيْ يرى العسكري الحقيقة ولكيْ يتحرر منْ قيود لا وعيه عليه أنْ يتعلم الأيديولوجيا العسكرية .

والسؤال المهم هم كيف نرسخ هذه الأيديولوجيا ؟ أعتقد أنَّه يجب القضاء على الوعي الزائف وأسبابه ، التي يمكنْ أن نُجملها في النقاط التالية :

1. أسبابٌ ذاتيةٌ .
2. أسبابٌ اجتماعيةٌ عسكريةٌ .
3. تنشئةٌ عسكريةٌ ضعيفةٌ .

منْ وجهة نظري فإنَّ أدلجة العسكر هي الحاجة إلى تأسيس النقد العقلي العسكري للواقع . فكل هيمنة عسكرية تتطلب أيديولوجية عسكرية . وتؤدي الأدلجة بالتالي إلى تأسيس العقلانية في كل طبقات المجتمع العسكري ، وذلك عبر إغراقه بالمشاعر الإيجابية الواعية وبالأفكار العسكرية . لكنَّ هذه العملية لا يمكنُ أنْ تتم في كل طبقةٍ على حدةٍ .

إنَّ الأيديولوجيا العسكرية هي أحد المحركات للعقيدة العسكرية وتترجمها إلى مجموعةٍ منظمةٍ منَ الأفكار تشكل رؤيةً عسكريةً متماسكةً شاملةً وطريقةً لرؤية القضايا والأحداث الوطنية والدولية أو تتعلق بمناحي فلسفية عسكرية معينة بشكل خاص . أو قد تكون مجموعةً منَ الأفكار التي تفرضها .

إنَّ الأيديولوجيا العسكرية مفهومٌ غير محايدٍ باعتباره نسقاً منَ المعتقدات والمفاهيم العسكرية (واقعية وعيارية) يسعى إلى تفسير الظواهر الإجتماعية العسكرية المعقدة منْ خلال منطقٍ يوجِّه ويبسط الإختيارات العسكرية / الإجتماعية للعسكريين والوحدات ، وهي منْ منظارٍ آخرٍ نظام الأفكار العسكرية المتداخلة وتعكس مصالح الجيش واهتماماته الإجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية والاقتصادية وتبررها في نفس الوقت. إذنْ هي منظومةٌ منَ الأفكار المرتبطة اجتماعياً بالجيش تعبر عنِ المصالح الواعية بهذا المقدار أو ذاك لهذا الجيش ، على شكل نزعة تمدد مع التاريخ ومحرضة على تغير المجتمع العسكري ومتبثةٌ للبنيات الكلية له . إنَّ الأيديولوجيا العسكرية تشكل التبلور النظري لشكلٍ منْ أشكال الوعي العسكري وكرؤية للجيش تطرح علاقةً مركبةً بين الواقع العسكري والفكر العسكري فهي تعكسه وتحاول تسويغه أيضاً والواقع ليس مجرد واقعٍ ماديّ كالتسليح أو الصنف ، بل واقعٍ اجتماعيّ عسكريّ نفسيّ روحيّ ، إلى جانب تطلعاتٍ وآمالٍ شخصيةٍ منْ خلال أهداف الجيش الكبرى . فهي إذن تقوم بدور الوسيط لأنها نسقٌ رمزيٌّ يستخدم كنموذج لأصنافٍ أخرى غير الإجتماعية كالنفسية أوِ الرمزية ، وقد تشوّه الواقع العسكري أو تخطئه . لكنه تشويهٌ سيعكس حقائقاً معينةً ويطمس أخرى لتوصيل رسالةً معينة للعسكريين أنفسهم . فقوة الأيديولوجيا العسكرية خصوصاً تكمن في قدرتها على الإحاطة بالحقائق العسكرية الفكرية والإستراتيجية وصياغتها صياغةً جديدةً ؛ لأنَّها تستبعد عناصرَ معينةً منَ الواقع العسكري ولا تسعى لتقييم نسقٍ يضمها مماثل للواقع الذي تدعو إليه الأيديولوجية كالعناصر النفسية أوِ الإجتماعية أوِ الدينية...الخ .

إنَّ السؤال الذي تثيره الأيديولوجيا العسكرية هو مدى فعاليتها في رسم صورة للواقع الإجتماعي العسكري داخل المعسكرات والثكنات وتقديمه وأنْ تكون محوراً لخلق الوعي الجمعي العسكري . ونستطيع أستخدام مفهوم الأيديولوجية العسكرية كأداةٍ تحليليةٍ ويتطلب ذلك تعدد مستويات البحث أو تقدير الموقف بوصف منطقها وادعاءتها عنْ نفسها وسماتها الأساسية كجانبٍ معبرٍ عنْ الواقع الجيش بصفةٍ عامةٍ . وتتم دراستها لتقييم مدى عكسها للواقع الجيش ، وهذا يتطلب دراسة تاريخ الأمة العسكري والنظر إلى أيديولوجية العسكر في نتائجها العسكرية والإنسانية على المجتمع العسكري والتطوره .

إنَّ دراسة أيديولوجيا أيّ جيشٍ تتطلب الجمع بين مدخلين ، الأول الوصول لأنماطٍ عامةٍ بالمفهوم العلمي والثاني دراسة العلاقة بين طبقات المجتمع العسكري الفوقية والتحتية ، وهي علاقة غير جدلية

تتصف بالتباث لخضوعها للقوانين العسكرية الصارمة ، في نفس الوقت نجدها تبادلية التأثير ، فكلا البنائين الفوقي والتّحتي يكتسب هويته العسكرية منْ خلال الآخر ؛ علماً بأنَّ البناء التحتي ليس مادياً بل وجوداً مادياً وتقنياً وفكرياً .

الدلالة العسكرية وفق الإستخدام

أ. الأيديولوجيا العسكرية كقناع (وعي عسكري) : هي مجموعة القيم والأفكار العسكرية التي تتبناها جيشٌ ما ، فتؤثر في فكره وتجعل قيادته تأخذ قرارتها تبعاً لمنطقها العسكري هي لا المنطق الشعبي ؛ فهي معرفةٌ عسكريةٌ غير وهميةٍ غرضها إنجاز فعل عسكري يحقق مصلحة تلك الأفكار والقيم وبالتالي تحقيق أهداف الجيش الكبرى .

ب. الأيديولوجيا العسكرية كرؤية عسكرية : في هذا المجال سنرى أنَّ أيديولوجيا العسكر فلسفةٌ منْ حيث كونها تتخذ أحكاماً مطلقةً شاملةً تعالج العسكريين كأفراد تمثل أُفُقهمُ الذهني وتمثل كينونتهم كعسكريين ، فيجد العسكري فيها كل العناصر التي يركب منها أفكاره العسكرية المتنوعة ، ويوظفها أثناء تنفيذه لواجباته في السلم والحرب ، ولا يستطيع تخطي حدودها الحمراء كإلتزامٍ عسكريٍّ ؛ وهي مرتع فكره العسكري أو بمعنىً آخرٍ فهو يوظفها ذهنياً في آلية تفكيره العسكري وكذلك فهي المنظار الذي يرى به ذاته العسكرية ومجتمعه العسكري داخل وحدته والجيش كله .

ت. الأيديولوجيا العسكرية كتفسيرٍ للظواهر العسكرية : ويقصد بتفسير الظواهر العسكرية هو تفسير الأشياء معرفياً وعلمياً منْ وجهة نظرٍ عسكريةٍ بحيث لا تبرز أيّ إشكاليةٍ أو تناقضٍ بين موضوعية العلم وذاتية الأيديولوجيا ، فلا نجد الإختلاف بين واقع المجتمع العسكري والفكر العسكري ، وهي منَ الأسباب التي تضعها الأيديولوجيا أمام الذهن العسكري من عكس مباشر لبنية الأشياء القارة الدائمة . فليس هناك للعسكري اختيارٌ ولا حريةٌ ولا محل للضمير ، إنَّ هدف الأيديولوجيا وهدف العسكري متطابقان بل هما شئٌ واحدٌ هو « العلة لأيّ حدثٍ » .

فإذا أجرينا أيّ تحليلاتٍ نفسيةٍ للرغبة المختفية وراء الوعي العسكري على مستوى الأفراد والوحدات ، فسنجد سيطرة العقل على المجتمعات العسكرية منذ نشئتِ الجيوش ؛ بما يعني أنَّ تحكم العقل أمرًا جوهري أَيُبرز سيطرة الفكر العسكري حيث تتموضع الأيديولوجيا تحت تصرفه كأداةٍ تبريريةٍ لأغراضه .

إذنْ فهي ليست أوهاماً تخدعنا بها الرغبة العسكرية لتصل إلى هدفها وهو التحريض على القتل ، وتعرية الأوهام من صبغة الحق التي يلصقها بها العقل المخدوع هو واجب العلم . لأنَّ الأفكار العسكرية رموزٌ تحمل حقيقتها ودلالاتها ، ولا تَستُر حقيقةً باطنيةً لمصلحة القيادة العامة للجيش أو السلطة ، بل هي الغريزة أو الرغبة العسكرية .

نستخلص منْ ذلك قاعدتان مهمتان لفهم أيديولجيا العسكر الأولى : أنَّ المنظومات الفكرية الفعالة في المجتمع العسكريهي أيديولوجيا بالمعنى الواسع لها ؛ ولا ترتبط بمصالح الطبقات العسكرية العليا التي

تتواصل مع السلطة السياسية ؛ وإنَّ أيديولوجيا العسكر لها أتباعٌ وهي فعالةٌ جداً ، وأنَّها ترى ذاتها حقيقةً مطلقةً وفي نفس الوقت لا ترى منافستها غلطاً وزوراً وتدليساً . والثانية : يجب أنْ نُميز بين أيديولوجيا العسكر والإستراتيجية العسكرية ؛ حيث أنَّ الإستراتيجية هي نوعٌ منَ التفكير يتمحور حول تمثل المستقبل واستحضاره بكيفية مستمرة ، وأيديولوجيا العسكر هي التفكير الذي يهدف إلى تهيئة الحاضر واستمراره منْ أجل المعركة وتشجيع بذور التغيير الموجودة فيه . حينئذ فإنَّ المنظومة الفكرية العسكرية ستكتسي صبغة أيديولوجية واستراتيجية في نفس الوقت وحسب الظرف التاريخي أوِ الموقف العسكري الذي يعيشه المجتمع العسكري ؛ مما سبق يمكننا الخروج ببعض السمات التي تميز مصطلح أيديولوجيا العسكر :

1. الذات العسكرية : إنَّ مفهوم أيديولوجيا العسكر ينطلق في حكمه على الظواهر والأفكار العسكرية منْ منطقها الداخلي والذي يكون متسقًا مع ذاتنا لعسكرية، ويكون بالضرورة متسقًا مع منْ حوله ، وعندما نتبنى أيديولوجيا العسكر فإنَّنا نسعى لفرض ذلك الفهم الذاتي على المجتمع العسكري بأكمله ، ونرى نجاحها بانتقال ذلك المنطق الداخلي إلى المجتمع العسكري فيؤدي انغلاقه ، وديكتاتوريته في الفهم إلى انغلاق المجتمع العسكري وديكتاتوريته .

2. الدوغمائيَّة : وهي التزمّت للفكر العسكري دون قبول النقاش فيه أوِ الإتيان بأيّ دليلٍ ينقضه لمناقشته ، حيث يعتمد الفكر العسكري على صحة منهجه الفكري مُتأثراً بالتطور المجتمعي والعلمي ، متخذاً موقفًا متعاليًا على الزمن ، يفسر الماضي بأدوات الحاضر يهدف إلى خدمة أيديولوجيا العسكر دائماً . أيْ تجمد الفكر العسكري أحياناً حول موضوعاتٍ معينةٍ لا يحيد عنْها ولا يقبل النقاش فيها : كالعقيدة العسكرية ومذاهبها والتعبئة والعمليات والإستراتيجية .

3. التوافقية : مع الفلسفة التي تتخذ نهجًا يسعى إلى بلوغ الحقيقة في ذاتها ، حيث تصب أيديولوجيا العسكر الفكرَ العسكري في ذات الموقف الذي نعيشه ، وذلك بتكييف الواقع الاجتماعي العسكري وفقًا لمقتضيات الوعي بالموقف السياسي أوِ العسكري الذي تعيشه الأمة .

إذنْ منْ التعريفات والسمات السابقة يمكننا أنْ نختصر تعريفاً آخراً يمكنه أنْ يكون وعاءً عامًا لأيديولوجيا العسكر وهو أنَّ أيديولوجيا العسكر هي : « مجموعة المفاهيم التي يكونها المجتمع العسكري عنْ أوضاعه في موقف سياسي / عسكري معين له تأثير مباشر على تاريخ الأمة ».

الإيديولوجيا العسكرية والوهم

ضمن مفهوم الوعي العسكري ، البعد الذي يعد الأكثر التصاقاً بالعسكري نفسه ، كخاصيةٍ تجعل الذات العسكرية تحافظ على ثباتها في كلّ الحالات، إلا أنَّ الوعي العسكري سيتلقى العديد منَ الضربات الفكرية المتخلفة ، ستسبب في تصدع أسسه ومرتكزاته ، وإذا كان اللاوعي (العسكري) ينقل منْ نفسٍ عسكريةٍ واعيةٍ بجوهرها الواحد (كفردٍ عسكريّ) ، إلى مؤسسةٍ عسكريةٍ تتسم بتنوع وكثرة الشخصيات ، فإنَّ المأْزق سيزداد تأججاً مع اللاوعي الجمعي (للمجتمع العسكري) بتجلياته "الخفية" وأبرزها الإيديولوجيا

العسكرية والوهم بمفارقاتهما الكثيرة والمتشعبة (إنتصارت ، هزائم ، سلام ، نفير) ، والتي تكشف عنها بعض الثنائيات مثل : الوعي العسكري ، الإيديولوجيا العسكرية / الحقائق السياسية ، وأوهام السياسة / تقدير الموقف ، الأعمال القتالية . مما يدفعنا إلى وضع بعض الأسئلة مثل : ما علاقة الإيديولوجيا العسكرية بالوعي العسكري ؟ هل يقدم لنا الوعي العسكري صورةً حقيقيةً عنِ المجتمع العسكري وعنْ واقع الأمة (سياسي ، اقتصادي ، اجتماعي ...إلخ ...) ؟ ألاَ يمكن القول بأنَّ الوعي العسكري كإيديولوجيا العسكر يقدم لنا صورةًحقيقيةً عنْ واقع الجيش والأمة ؛ أم أنَّه سيقدم لنا صورةً وهميةً ضبابيةً ؟ و هل تسهم الإيديولوجيا في إدراك حقيقة الذات العسكرية والمجتمع العسكري ، أمْ ستسهم في صناعة الوهم ؟ وهل يستطيع الوعي العسكري الإندماج مع الإيديولوجيا العسكرية بوظائفها ومكوناتها ؟ .

إذنْ كيف نحدد علاقة الوعي العسكري بالواقع الإجتماعي العسكري ؟ وهل يعكس هذا الوعي الواقع الحقيقي داخل المعسكرات والثكنات ؟ أعتقد أنَّه توجد علاقةٌ وطيدةٌ بين الوعي العسكري كالأفكار العسكرية والثقافة العسكرية والعقيدة العسكرية وتمثلات إيديولوجيا العسكر منْ جهةٍ ، والحياة العسكرية منْ جهةٍ أخرى والتي ستحدد درجة الوعي العسكري وليس العكس . وأنَّ الإيديولوجية العسكرية سوف تقوي الواقع وستقدم صورةً حقيقيةً عنه . إذنْ فالوجود الإجتماعي داخل المعسكرات والثكنات هو الذي يحدد درجة الوعي العسكري ، وليس الوعي العسكري هو الذي يحدد الوجود الإجتماعي . بينما درجة الوعي العسكري سوف تحدد سلوك العسكريين ومستوى ضبطهم داخل الأسوار وخارجها . فكلما كان العسكري واعياً كان سلوكه متميزاً ومستوى ضبطه عالٍ ، والعكس صحيح . مثلما الثقافة العسكرية وما تخلقه منْ حكاياتٍ وأساطيرٍ وأفكارٍ ، التي هي في أحد أساستها ناتجة عن الحياة العسكرية داخل المعسكرات والثكنات بالإضافة إلى التنشئة العسكرية وغيرها منَ العوامل .

إنَّ الأيديولوجيا العسكرية هي وعيٌ للمجتمع العسكري وهي الوسيط الضروري الذي بدونه لا يمكن للعسكر أنْ يقاتلو أو أنْ يصنعوا التاريخ ؟ و هي ليست اغترابٌ للوعي العسكري وبالتالي هي توجيهٌ للأعمال القتالية و صناعة الحروب في مسارب النصر ، وهي أداة العسكري لتملك عالمه ومصيره وهي صورٌ للواقع العسكري وتعبيرٌ عما يتضمنه هذا الواقع منْ تجلياتٍ وتناقضاتٍ وصراعاتٍ .

لننطلق منْ معنى الأيديولوجية كصورٍ ورسمٍ للموقف العسكري والسياسي للأمة ، بهذا الشكل ننتقل منَ المعنى الضيق لكلمة أيديولوجيا إلى معناها الواسع الذي أَعتبرُ فيهِ أنَّ الحياة العسكرية لا تسبق مبدئياً تمثلاته الذهنية .وعلى أساس أنْ التاريخ العسكري هو الذي يطور المفهوم العسكري للأيديولوجيا المرتبط بتحليل الوعي العسكري ، و انعكاساً للوجود الإجتماعي العسكري ؛ وصولا إلى الإعتراف بأنَّه : " في مجتمع طبقي تكون الأيديولوجيا جماعاً للتصورات الإجتماعية لطبقةٍ معينةٍ ، تعبر عنْ وضعها الإجتماعي التاريخي ، وعنْ مصالحها " . على رأي ماركس .

ويمكن أنْ نتحدث عنْ وظيفةٍ أُخرى للأيديولوجيا العسكرية وهي ما أسماه "بول ريكور "وظيفة الإدماج ، حيث أنَّها تدمج كل العسكريين بدون استثناء وبغض النظر عنِ المنصب أوِ الرتبة أوِ الطبقة في

استعمال الطقوس والإحتفالات العسكرية المختلفة . فهي بنيةٌ رمزيةٌ خاصةٌ بالذاكرة الجماعية العسكرية . فدور أيديولوجيا العسكر إذنْ هو تأمين بقاء العسكر ، ووجودهم بفضل الصور الثابتة التي صنعها الجيش لنفسه وعن ذاته . إذنْ فالوعي العسكري لا يمكن أنْ يقع ضحية أيديولوجيا العسكر أوِ الوهم والتضليل السياسي ، سيما في الجيوش الحديثة وما تعرفه منْ تقدمٍ مَهُولٍ لتكنولوجيا الإعلام وقدرتها على قلب الحقائق بما تبثه منْ أوهامٍ وأساطيرٍ ، غير أنَّ الوعي العسكري بألياته الكثيرة كالتقدير الموقف على مستوياته المختلفة والنقد والفهم يستطيع إدراك أوهام السياسة وأكاذيبها وفهم أساليب تشريحها ، وفضح ألاعيبها ، مما يجعل الوعي العسكري الخاصية المميزة لأي عسكري ، وبلغة الفيلسوف العقلاني ديكارت " العقلُ أعدلُ قسمةً بين الناسِ " .

سؤالٌ آخرٌ مهمٌ كيف نكون عسكريين عقلانيين ؟ ليس للعقلانية العسكرية صلةٌ بالمذهب العقلاني الفلسفي ، ولكنْ وجهة نظري للعقلانية العسكرية كمذهبٍ عسكريٍّ فكريٍّ يمكنُ الوصول به إلى معرفة طبيعة الواجبات والمهام عنْ طريق الاستدلال العقلي والتجربة العسكرية ، وكذلك يرى إخضاع كل المدلولات العسكرية ماديةً أو معنويةً للعقل ، لإثباتها أو نفيه أو تحديد خصائصه . ويحاول المذهب تحفيز الأفكار في عقل العسكري قبل أنْ يستمدها منْ التجربة العملية العسكرية ، وتعتمد العقلانية العسكرية أساساً على العقيدة العسكرية واستراتيجية الأمة في تحقيق أهدافها ، والإستدلال العقلي لا العاطفي أوِ المادي في معرفة العدو وتنفيذ الواجبات . وهي عقلانيةٌ تأسيسيةٌ أيْ أنَّها تسعى إلى استيعاب الأفكار والإستراتيجيات العسكرية التي وإنْ اتفقت على منطلق " المصالح " فإنها تختلف في الرؤية والآليات في تحقيق هذه المصالح .

سادساً : الأرستقراطية العسكرية

الأرستقراطية العسكرية في مدلولها الأصلي تعني استقراطية المجتمع العسكري كطبقةٍ في المجتمع وسيطرته على باقي الطبقات داخل الأمة . إلاَّ أنَّ المعنى الذي أسعى إلى توضيحه هو سيطرة مجموعةٍ منْ كبار ضباط الجيش والأمن على السلطة ومقدراتها . فالأرستقراطية العسكرية منْ وجة نظري هي : « حكم العسكريين الأفضلين » ، وبهذا المعنى يمكنْ استخدامها في القاموس السياسي ، وأعتقد أنَّ حكومة الأرستقراطية العسكرية هي مِنْ أعتى الديكتاتوريات والحكم الشمولي الإستبدادي ، وهذا يجعلها غير قادرة على الديمومة . يقول أفلاطون : في الكتاب الثامن منَ الجمهورية « إذا انحرفت الأرستقراطية وتحول أبناؤها إلى إيثار الثروة على الشرف تحولت إلى الأوليغارشية oligarchie (حكم القلة) التي لبابها جَعْلُ الثروة أساس الجدارة وهو إثم فظيع » ، وهو يقصد هنا بالإستقراطية طبقة النبلاء الأقلية الفضلى في المجتمع ، ولكننا نستطيع تطبيق نفس القاعدة على الإستقراطية العسكرية . ويعد أرسطو الأرستقراطية حكومة الأقلية الفاضلة العادلة ، إلاَّ أنَّ الأوليغارشية فسادٌ طبيعيٌ لها . أيْ أنَّ الأرستقراطية العسكرية مفهومٌ له قيمةٌ أكبر منْ كونه مفهوماً يرمز إلى طبقةٍ عسكريةٍ . فالأرستقراطية العسكرية حكم الأقلية العسكرية والأمنية وليست طبقة عسكرية لأنها تضم غير المتفوقين أخلاقياً وعلمياً وقيادياً ويحكمون في زعمهم لخير الشعب . و لا نستطيع استعمال مصطلح الأرستقراطية العسكرية بتوسع ليأخذ دلالة جمعية على قيادة النخبة

العسكرية والأمنية لدولةٍ أو على مجموعة أفرادٍ عسكريين وأمنيين منْ « أصحاب المنزلة » متميزين في المولد أو الموهبة أو الذهن أو الغنى ، أيْ أنَّ الأستقراطية العسكرية ليستْ نخبةً عسكريةً رغم تجانسها . ويمكنْ الإشارة إلى مدلولاتٍ ثلاثةٍ للمصطلح في استخدامها الشائع. يدل الأول على حكومةٍ عسكريةٍ استولتْ على الحكم وتُحاول أنْ تبقى فيه إلى ما لا نهايةٍ وتمارس السلطة كطبقةٍ اجتماعيةٍ ذات امتيازاتٍ وراثيةٍ في معظم الأحيان . ويدل الثاني على طبقةٍ منَ العسكريين والأمنيين أصحاب الإمتيازات الخاصة حتى خارج حدود السلطة . أمَّا الثالث وهو عامٌ فلكلِّ ميدانٍ أرستقراطيته معها مجموعاتٍ صغيرةٍ طُفيليةٍ منَ الأقارب أوِ المتسلقين لا يتمتعون بأيِّ بتفوقٍ يميزهم في مجالهم وأحياناً منفصلةً عنهم منْ حيث التكوين الأيديولوجي والنفسي والإنتماء القبلي .

والمبدأ العسكري نقيض للوجود الأرستقراطي داخل الجيش بمختلف أسلحته وصنوفه . والواقع أنَّ كلمة أرستقراطيةٌ عسكريةٌ يجب أنْ تستعمل بصورةٍ عامةٍ بالمعنى السياسي أكثر مما تستعمل بالمعنى الإجتماعي العسكري . فالأستقراطية العسكرية منْ وجهة نظري صفةٌ إنتقاصيةٌ تشير إلى زمرةٍ منْ أصحاب الإمتيازات بسبب مولدهم أو أملاكهم أو نفوذهم وهم بسبب ذلك « جائرون وقمعيون وأعداءٌ للشعب وللأمة ».

إنَّ لجميع الجيوش المتخلفة والأمم التي ترفض التطور الفكري مهما كانت الدرجة التي بلغتها منَ الحضارة أرستقراطيتها العسكرية ، ولكنْ المصطلح ينطبق على ضروبٍ منَ الجيوش شديدة التنوع في الزمان والمكان بحيث يكون منَ الصعب رسم لوحةٍ مقارنةٍ لأنماط الأرستقراطية العسكرية في تاريخ الإنقلابات العسكرية . ويُعد الأرستقراطيون العسكريون طائفةٌ منَ الأشراف يتمتعون بحق المواطنة وكامل الحقوق والإمتيازات العسكرية وغيرهم منَ العسكريين و رجال الأمن محرومون منْ معظم الحقوق الوظيفية والمواطنة. إذنْ هم مجموعةٌ منَ اللصوص يرتدون الملابس العسكرية يقبضون على السلطة ويتوارثها أبناؤها بعد ذلك ثم يصبحون ملاكاً للأراضي والشركات الكبرى ومصادر الطاقة المختلفة ، وما تلبث أنْ تنفتح مسارب في طبقتهم لطُفيليين آخرين يملكون أنواعاً أخرى منَ الثروة وهي نزعةٌ طائفيةٌ وعرقيةٌ جديدةٌ تضاف منْ زمنٍ إلى آخرٍ إلى هذا السياق . ويبقى التمييز بينَ أفراد الأرستقراطية العسكريةكالأرستقراطية القبيلة داخل المجتمع العسكري أمراً نسبياً لأنَّه في الجماعة الواحدة لا بد أنْ يتسلق البعض الأدنى فوق البعض الأعلى . ومهما كانت الأرستقراطيات العسكرية منفتحةٌ ثمة ميلٍ دائمٍ لدى شريحتها العليا إلى أنْ تصبحَ وراثيةٍ .

وتُثير الأرستقراطية العسكرية العداوة ضدها في كل الجيوش وإنْ كان هذا العداء مُختفياً في المكان والزمان ، هذا العداء يدعو للحد منْ سلطة الإستقراطية العسكرية ووضع حداً لغلوائها الذي يستشري نفوذه فتُعيثُ تخريباً ونهباً في الأمة ، ولا يوجد منْ يحارب هذا النوع الغريب منَ الأستقراطيات الحديثة إلاَّ إرادة الشعب في التغيير وإسقاط نظام الحكم . وكانتِ الدول التي جرى فيها « إصلاحٌ سلطويٌ والقضاء على حكم العسكر » وتطور اقتصاديٍ في حاجةٍ إلى أطرٍ إداريةٍ جديدةٍ لم يكنْ قادراً على تقديمها غير بورجوازية المدينة أو عملاء الغرب . إلاَّ أنَّ الأرستقراطية العسكرية لنْ تُسلم بهزيمتها بسهولة بل ستشهد مراحلاً

جديدةً منَ الإنتعاش بعد عودة كلّ إنقلابٍ وسينخراط قسمٌ كبيرٌ منْ أفرادها في النشاطات التجارية والمؤسسات الحكومية .

إنَّ الجيوش التي وضعتْ نفسها بين أيدي متعهدي الحرب غير مناسبةٍ للأرستقراطية العسكرية لأنَّها ستصبح جيوشاً خاصةً مؤسسةً على الإرتزاق خطراً على الأمة وعاملَ تخريبٍ وتدميرٍ للشعب ويصبح الميل العام متجهاً نحو تحويل الضابط إلى رئيسٍ مرتزقٍ تابعٍ لأميره ، وسينخرط أبناء الطبقات العليا في المجتمع بسهولةٍ في هذه الجيوش الجديدة .

سابعاً : باراسيكولوجيا العسكر

ثمة أعداداً متزايدة منَ العسكريين منْ مختلف الرتب تبرز لديهم قدراتٍ تمكنهم منَ القيام بأعمالٍ يعجز عنْها زملاؤهم الآخرين وتتجاوز المدى الحسي العسكري المتعارف عليه ، وتحدث منْ غير وسائط حسية ؛ منْها القدرة على التواصل مع الآخرين تخاطرياً أو رؤية أحداثٍ خارج المدى الحسي العادي ومعرفة أمورٍ تحدث في المستقبل ، والتأثير في العسكريين أوِ الأشياء الأخرى منْ حولهم ، والإستشفاء وتحريك الأشياء وإلحاق الأذى بالآخرين وتعطيل وتدمير الأشياء الأخرى .

إنَّ هذه الظواهر والقدرات الخارقة والتي تقع خارج حدود فهمنا كعسكريين عاديين قد برزتْ على امتداد وجودنا الإنساني عامةً ، وأخذت طريقها إلى الجيوش الحديثة ، فهي تجذبنا إليها بطريقةٍ لا إراديةٍ ؛ فتعكر استسلامنا للتحليل المادي للمواقف ، وتستدرجنا إلى اكتشاف خفايا شخصيتنا العسكرية وأبعادها العميقة ، وفي خضم الثورة العلمية الحديثة كان لابد لهذه القدرات فوق الحسية أنْ تطالها يد العلم وتخرجها إلى الوجود ، ذلك أنَّ إخضاعها للدراسة والملاحظة العلمية والتجريب والقياس سيساعد في استخدامها وفهم الطبيعة الإنسانية بشكل أكبر . وقد قامت بعض الجيوش الحديثة كالجيش الروسي باختبار هذه الظواهر والقدرات فوق الحسية كالتخاطر والتنبؤ والجلاء البصري بحيث أنَّها لاقتْ قبولاً منْ قبل القادة وهيئات الركن .

ويتألف مصطلح الباراسيكولوجي « ما وراء علم النفس » من شقين أحدهما البارا (Para) و يعني قرب أو جانب أو ما وراء ، أمَّا الشق الثاني فهو سيكولوجي (Psychology) ويعني علم النفس ؛ وكان الفيلسوف الألماني ماكس ديسوار عام 1889م أول منِ استخدم هذا المصطلح ليشير منْ خلاله إلى الدراسة العلمية للإدراك فوق الحسي والتحريك النفسي « الروحي » والظواهر والقدرات الأخرى ذات الصلة . إذنْ فاللباراسيكولوجي العسكري موضوعٌ يدرسه وهو القدرات فوق الحسية « للعسكريين » كالتخاطر والتنبؤ والجلاء البصري والإستشفاء وتحريك الأشياء والتنويم الإيحائي « المغناطيسي » واستخدامها في المجالات العسكرية المختلفة كدراسة العدو ومعرفة أفكار قادته وأهدافهم وتقدير الموقف وغيرها ، واكتشاف إمكان توظيف بعض نتائجها في المجهود الحربي والاستخباراتي ، أمَّا المنهج الذي يستخدمه العسكر فهو المنهج العلمي الحديث مع شيءٍ منَ التطوير الذي تقتضيه طبيعة الظاهرة المدروسة ؛ ويبدأ بالفهم والتفسير ويمر بالتنبؤ حتى يصل إلى الضبط والتحكم بالقدرات التي يدرسها .

إذنْ فهو علمٌ يهتم بخوارق الأشياء ويقسم علم البارسيكولوجي إلى قسمين : الأول هو (الإدراك الفائق للحس) (ESP)(الحصول على المعلومات عنْ غير طريق الحواس) ، والثاني التحريك عنْ بعدٍ (Telekinesis)تحريك الأجسام عن غير طريق القوى المادية ، وبإختصارٍ شديدٍ إنَّ علم البارسيكولوجي يهتم بدراسة كل ما هو غامضٍ ، ويبحث عنْ علاماتِ الاستفهام الموجودة في العلوم المختلفة ويحاول الإجابة عنِ التساؤولات حولها .

في حقيقة الأمر يقال إن جميع البشر كانوا يمتلكون حواس غير طبيعية وكانوا يستخدمونها ، لكن مع مرور الوقت بدأت هذه الحواس الغير طبيعية (بالطبع غير الحواس الخمس التي نعرفها اليوم) بالإنقراض ، ونتيجة لذلك فقد اختفت من معظم البشر لكن بقيت هذه الحواس مع فئة قليلة وغريبة من البشر .كذلك فهنالك عددٌ منَ المواهب المهمة كالقدرة على التواجد في مكانين في ذات الوقت (Bilocation) ، والقدرة على إشعال الحرائق بشكلٍ ذهنيٍّ (Pyrokinesis) .

الباب التاسع

المرأة في المجتمع العسكري

دور المرأة في المجتمع العسكري

أريدُ أنْ أتكلم هنا عنْ ضرورة مشاركة المرأة في الحياة العسكرية ، وإنْ كثرتْ العناوين أوِ المسميات فلنْ نهمل ذِكرَ المرأة و لنْ نعفِ أنفسنا منْ مهمة الدفاع عنها ، ليس منْ باب سد الذرائع وإسقاط الفرض أو منْ باب تزيين الكلام أو تماشياً مع التيار الهائج الذي ينادي بضرورة التغير وحتمية التجديد ولإلزامية ركوب الموجة الجديدة ، فلا أحدٌ يستطيع الكتابة عنِ المرأة في المجتمع العسكري إلاَّ تلك المرأة العسكرية التي عاشت في هذا المجتمع بظروفه في السلم والحرب ورغم هذه الحالة منَ النضج العسكري التي تعيشها المرأة في كثيرٍ منَ الجيوش ، أعتقدُ أنَّ قضية النهوض بها تُعد منْ أعقد وأصعب القضايا في مجتمعاتنا العربية ، نظراً لوجود العديد منَ العناصر المؤثرة على مسألة الإعتراف بمشاركة المرأة في الخدمة العسكرية ، وبأنَّ يكون لها دوراً بارزاً في المجتمع العسكري ، أهمها الموروث الديني وإيمان الكثير منَ الناس بعدم أهمية دور المرأة خارج الأسرة . ولذلك كرستْ الكثير منَ المؤسسات الحكومية والأهلية كل وقتها وجهدها للنهوض بالمرأة ، وعدم تركها ضحية لهذه الموروثات الخاطئة التي لا تمت بصلة إلى التعاليم الدينية ، لكنها تأخذ في حسبانها فقط اعتبارات التعصب والتشدد منْ دونِ تأسيس الأحكام على أسسٍ شرعيةٍ سليمةٍ تتفق وصحيح الشرع ، لكنها تتفق فقط مع أهواء البعض ومعتقداتهم ونظرتهم للحياة بشكلٍ عام والجيش بشكلٍ خاص .

أعتقدُ أنَّ خواء الأفكار وعدم جديتها وتوقفها في الماضي أوِ اختبائها خلف مورثها الديني التكفيري ، اللهم منَ النية في تكثير السواد وتجيش العباد سعياً لكسب السلطة باسم الدين . وهذا دليلٌ على صورية ما يجري وشكلية الأُطْروحات التي تتناول هذا الموضوع ؛ إنَّ ما أرمي إليه يعد خطوةً على الطريق نحو مساراتها الصائبة . منْ أجل التنبيه إلى أهمية دور المرأة في الحياة بوجهٍ عامٍ وفي الحياة العسكرية بوجهٍ خاصٍ ، أنْ نتبنى الديمقراطية الغربية كمبدأ نظري فكري شيءٌ ، رغم عدم إيماني بها ، وأنْ نتخذ منهجاً عملياً حياتياً شيءٌ أخرٌ ، ولعل أفضل ما يمكن عمله في هذا الشأن العمل على إنجاح هذا المبدأ الذي نتنافس على مدحه وتمجيده. إنَّ التعامل الإنساني مع المرأة يعني معاملتها كفردٍ له كامل الحقوق وكامل الملكات ومالكٌ لإرادته ومستقلٌ في اتخاذ خياراته وقرارته ، يجب أنْ نتخلص منَ الكثير منَ العقد النفسية والأوهام الاجتماعية .

العوامل التي تؤثر في معدَّلات مشاركة المرأة في الخدمة العسكرية

هناك عواملٌ عديدةٌ تؤثر في معدَّلات مساهمة المرأة في الخدمة العسكرية ، وهي عواملٌ مرتبطةٌ بعدة أبعادٍ منها الثقافي والإجتماعي والإقتصادي والسياسي ، باعتبار أنَّ واقع المرأة هو نتاجٌ لتفاعل هذه الأبعاد ، وأهم هذه العوامل ما يلي :

1. القوانين والتشريعات .
2. مستوى التعليم والتدريب النساء .
3. التحرر منَ التميز والفقر وتحقيق المساواة .
4. دور الإعلام .
5. مستوى ثقافة المرأة .

إنَّ قضية دور المرأة في الحياة العسكرية لا تقتصر على واجبٍ أو تخصصٍ عسكريّ معينٍ ، فهي تشمل حقها في الدفاع عنِ الوطن في أيّ تخصصٍ تراه يناسبها وتكون قادرةٌ على أدآء واجباتها بالشكل الصحيح ، وحقها في تولّي المناصب العسكرية في كل الأسلحة والصنوف دون استثناء . وكيْ تتمتع المرأة بقدرٍ مهمٍ منَ المشاركة في الحياة العسكرية ، يجب أنْ نضع في حسباننا عدة اعتباراتٍ مهمةٍ منها :

1- المستوى التعليمي والثقافي للمرأة في المجتمع .
2- الإعتبار الإجتماعي والقبلي .

ولن يكون ذلك إلاَّ منْ خلال دراسة العناصر الثلاثة التشريعات والقوانين ، كيفية دخول المرأة في الخدمة العسكرية ، نظرة المجتمع للمرأة العسكرية ، ويبقى أنْ يكون للمرأة نفسها ، وأنْ يتوافر لديها الإرادة التامة للخدمة العسكرية الشاقة ، وأنْ يكون مبدأ سلطان الإرادة العسكرية هو الحاكم لسلوكها وهو الذي يدفعها إلى المشاركة في الحياة العسكرية الخشنة ، وأنْ تشجعَ على انخراط النساء في الخدمة العسكرية والسعيّ إلى تقلد المناصب العسكرية ، ليكون لهن دوراً فعالاً في المجتمع العسكري بطبقاته المختلفة ، ومكاناً مهماً على خريطة الحياة العسكرية ، وفي صناعة القرار العسكري منْ أجل تحقيق أهداف الجيش .

حق النساء في الخدمة العسكرية

إنَّ المشاركة العسكرية للنساء منْ أكثر القضايا التي يثار حولها جدلٌ شديدٌ في كثيرٍ منَ الدول العربية حتى تلك التي قد شهدتْ حراكاً سياسياً منذ عقودٍ منَ الزمن ومشاركةٍ فعالةٍ من نساءها في هذا الحراك . فدعونا نطرح بعض الأسئلة حول وضع النساء في خارطة الطريق القادمة والتي تتضمن أسئلةً وأطروحاتٍ حول مشاركة النساء في المؤسسة العسكرية منْ خلال مشاركةٍ فعالةٍ والتي تحكمها الهياكل العسكرية المعقدة . كما تظهر إشكالية المشاركة العسكرية للنساء في ارتباطها الوثيق بكلٍ منَ المجالين الخاص والعام اللائي تعمل فيهن للنساء لتشارك بفاعلية ، في بعض الأوقات يتم التركيز على شكل المشاركة العسكرية للنساء كمجنداتٍ أو ضابطاتٍ في واجهاتٍ محددةٍ وتجاهل تواجدهن ككوادرٍ وفاعلاتٍ في المجتمع العسكري . وتُظهر هذه الإشكالية ضرورة التركيز على اختلاف البيئة والثقافة في معدل وشكل تلك المشاركة ، بالإضافة إلى السياسات والقوانين الحاكمة في تلك الدول .

كما يجب إلقاء الضوء على السياسات والقوانين التي تقرها وتتبناها مؤسسات الدول ومدى تأثير تلك السياسات على قدرة النساء على المشاركة في الخدمة العسكرية . وقدرة المواطنات على ممارسة حقوق المواطنة الأساسية لديهنَّ والتي تعتبر المشاركة في الخدمة العسكرية جزءٌ أصيلٌ لا يتجزأ منه. وتحليل البيئة التي تمارس داخلها سياسات وقوانين النظام ، بالإضافة إلى الخطاب السياسي والديني ودور القبيلة والأسرة الذي يمثل تلك السياسات ، وطرق تأثيره على النساء في الخدمة العسكرية بأشكاله المختلفة . ولطالما كانت النقاشات التي تدور حول جوانب دينيةٍ في تنظيم العلاقات الأسرية والزوجية للمرأة العسكرية وفي قراءةٍ متمعنةٍ نجد أنَّ النتيجة هي حالةٌ عامةٌ من التضييق على النساء تظهر أثارها بوضوحٍ حين تحاول النساء الإنخراط في الخدمة العسكرية بالتساوي مع الرجال لخوض تجاربٍ يتعدى نطاقها المجتمع الأسرى ، وتشتبك مع الواقع الاجتماعي العسكري المعقد .

سنحاول مناقشة عدة محاور التي توضح بشكلٍ كبيرٍ تصوري لنوع مشاركة النساء في الخدمة العسكرية ، والتي نراها واضحةً في قلة عدد النساء المتواجدات بمواقع صنع القرار العسكري وفى أساليب التعامل الشعبي مع قضايا النساء العسكريات والتي تمثل إحدى أهمِ العوامل الرئيسية المعيقة لتواجدها وتقدمها بالساحات العسكرية . و كذلك إلى المعوقات الإجتماعية والثقافية التي تواجه النساء الراغبات في الإنضمام إلى القوات المسلحة ولكي نكون أكثر وضوحاً يجب تعريف المفردات الرئيسية المستخدمة ؛ بكل ما تأتى به تلك المفاهيم من قواسمٍ تحليليةٍ مشتركةٍ .

الخدمة العسكرية

وتذكر الخدمة العسكرية فيما يتعلق بمشاركة المواطنون في المجتمعات العسكرية ويمكن القول أنَّ فكرة الخدمة العسكرية ولدتْ في قلب الحداثة العسكرية مختلفةً تماماً عن دور الشعب السابق في الجيوش حيث أنَّ مفهوم الخدمة العسكرية يعتبر أحد فروع الفكر العسكري الحديث الذي توجه لتأسيس مجتمعاتٍ عسكريةٍ في ظل حكوماتٍ ديمقراطيةٍ تقوم على أساس تداول السلطة وحرية الفكر والتعبير . منْ هنا يمكننا فهم الخدمة العسكرية كحيزٍ يتم فيه تفعيل مشاركة المرأة حيث يعتبر الفضاء الذي يجتمع فيه العسكريون بطبقاتهم المختلفة لتنفيذ واجباتهم وتحقيق أهداف الجيش الكبرى ، وبالتالي فيمكن اعتباره مساحةًشعبيةً رئيسيةً يتشكل فيها الرأي العام المكون منْ فصائل وآراء عدةً . أُريد أنْ أقولَ أنْ تكون الخدمة العسكرية مجالاً حراً وغير مقصورٍ على جنسٍ واحدٍ ، لأنَّها مكاناً للتجمعات البشرية وللمشاركة الجماعية حيث تتساوى حقوق وواجبات الأفراد العسكرية والإجتماعية . ولكن في الوقت نفسه لا يمكن فهم ديناميكية الخدمة العسكرية إلا بفهم ديناميكيتين أُخْرتين وهما الرؤية السياسية والإستراتيجية العسكرية للدولة . لأنَّ الخدمة العسكرية تتحكم فيها قوانين الدولة العامة والتي مفترض لها أنْ تعمل على ضمان دخول هؤلاء العسكر للمعركة بعد إعدادهم إعداداً جيداً لذلك واتخاذ كافة التدابير والتأمينات القتالية منْ أجل المحافظة على أمنهم وسلامتهم و التأكيد على التدخل في شئونهم الخاصة . ومنْ ناحيةٍ أُخرى ، تقوم الإستراتيجية العسكرية على أفرادٍ ومجموعاتٍ يتشكل القدر الأكبر منْ أنماطهم الفكرية وهياكل نظمهم القيمية في مجالٍ آخرٍ متصلِب السلطة السياسية . فعلى ضوء مفهومَي الخاص ، فالسياسة لا تقع خارج

نطاق الإستراتيجية ولا خارج مدى بصارها ولكن تحكمها قوانينٌ صارمةٌ . وبالتحديد تتمثل السلطة السياسية القوانين والتي صارع الكثير من المشرعين والحقوقيين والحقوقيات والنسويات والناشطات عبر السنوات منْ أجل تغييرها وجعلها أكثر إنصافاً للنساء وأكثر تمكيناً لهنَّ كمواطناتٍ يتمتعنَّ بكافة حقوقهنَّ والدفع باستمرارٍ لوضع قوانين تتبنى فلسفة المساواة واحترام حقوق الإنسان. ولأنّ ًالخدمة العسكرية مساحةٌ مهمةٌ تتكون فيها الأنماط الفكرية العسكرية والتنشئة الإجتماعية العسكرية للعسكريين والتي تضع إطاراً لواجباتهم و حاجاتهم ، فتصبح الخدمة العسكرية أحد أهم الجوانب التحليلية لفهم خبرات ومعوقات العمل العسكري لدى النساء . وبالتالي نرى تداخلاً واضحاً بين السلطة والإستراتيجية العسكرية على صعيدٍ وبين الخدمة العسكرية والسلطة على صعيدٍآخرٍ ، ونجد أنَّ هذه الثلاث مساحاتٍ في حالة تفاعلٍ مستمرٍ مع بعضها البعض ولا يمكن الخوض في عمليةٍ تحليليةٍ لوضع المرأة في الخدمة العسكرية إلا من خلال فهم خصائص تلك العلاقة الثلاثية .

إنَّ الإستراتيجية تفرض نظرةً أكثر تعقيداً لنظرية الخدمة العسكرية تلك بحيث تصبح من شيمها الرئيسية التحكم في مساحات تحرك وتفاعل المواطنين والمواطنات والتي يظهر أثرها في مؤسسات المجتمع المختلفة ومنها العسكرية بطبيعة الحال . وهكذا تتم محاصرة قوانين الخدمة العسكرية ويتم تضييق الخناق عليها . فإذا غابت الرغبة السياسية في خلق حواراتٍ ومساحاتٍ أكثر انفتاحاً ومساواةً بين الجنسين ، والتأكيد على دور المرأة في الخدمة العسكرية ومناقشة أفكارها وآليات عملها . بالتالي سيصبح الجيش حكراً على الرجال فقط ، وعلى كل حالٍ فإنَّ الجيش لنْ يتحول إلى مسرحٍ للصراعات بين فئات الشعب المختلفة التوجهات لأنَّه مجتمعٌ لا تتشكل فيه مثل هذه النقاشات والأنشطة الفكرية والإيديولوجية المختلفة . وهكذا إذا أُبعدتْ المرأة عنِ الخدمة العسكرية ، نجد أيضاً أن القوانين التي خاضتْ من أجلها المجموعات والمنظمات النسائية معارك طويلةً استطاعتْ منْ خلالها تغيير بعض القوانين سوف تتعرض لهجومٍ يهدف لتمرير أفكارٍ تزيد منْ حدة التحكم في فرص المرأة في التعليم والعمل . ولعل أحد أهم المداخل لفهم العملية تفاعلية تلك هو فهم علاقة النساء بالخدمة العسكرية لما يتجلى من خلال دراساتها من علاقاتٍ تفاعليةٍ بين أنماطٍ ثقافيةٍ وتحيزاتٍ دينيةٍ وفقهيةٍ وخلافاتٍ قانونيةٍ كجزءٍ منْ واقعٍ وحراكٍ سياسيٍ واجتماعيٍ تعيشه النساء .

المشاركة العسكرية

إنَّ مبدأ المشاركة العسكرية هو النشاط الذي يقوم به المواطنين والمواطنات بقصد المشاركة في الدفاع عنِ الوطن طبقاً لقوانين الخدمة العسكرية سواء كان هذا النشاط تطوعاً أو خدمةً إلزاميةً . ويتضمن المفهوم قدرة المواطنين على المشاركة السرية في إدارة الإستخبرات العسكرية . إضافةً إلي ذلك ، تتبلور المشاركة العسكرية حول أنشطة أخرى غير التي تمَّ ذكرها ، فأحياناً تعتبر اختيارات الأشخاص في حياتهم العامة والخاصة بمثابة التعبير عنْ موقفٍ وطنيٍ أو أيديولوجيٍ كالتطوع للقتال في صفوف الجيش أثناء الأعمال القتالية بصفةٍ مدنيةٍ ، ويجب اعتبار القدرة على هذا التعبير بالرأيِ أيضاً كأحد جوانب المشاركة العسكرية والتي تتشكل حسب جملة منَ العوامل الإجتماعية والدينية و المواقف السياسية

المختلفة . تلك العوامل تساعدنا في فهم وتحليل أحد أهم معايير الحياة السياسية وهو مبدأ المواطنة وهو القائم على فكرة المساواة بين أبناء الوطن بمنْ فيهم منْ رجال ونساء بغض النظر عنِ العمر أو النوع أو العرق أو أيّ اختلافاتٍ أخرى . ولكن بسبب تباين الفرص بسبب العوامل القبلية أوِ الإجتماعية أوِ الدينية أوِ التعلمية نجد أنّ المواطنين ليسوا متساوونَ بالشكل المطلوب ، فلا يستطيعون ممارسة حقوقهم كمواطنين متساويين يمارسون اختياراتهم الشخصية والفكرية دون إرهابٍ دينيّ أو تخويفٍ قبليّ ، فالمرأة لا تستطيع المشاركة في الخدمة العسكرية إلاّ إذا توافرت لديها وسائل حمايتها . وانطلاقاً منْ هذا التعريف نجد أنَّ المرأة تتراجع عنِ الرجل بشكلٍ واضحٍ فيما يخص حقوقها المرتبطة بالخدمة العسكرية كحقوقٍ شخصيةٍ . فيجب أنْ لا توضع الهياكل القانونية لحقوق المواطنة حول نوعٍ مجتمعيّ واحدٍ لا يتضمن حقوق المرأة المجتمعية بشكلٍ خاصٍ، بل يجب أنْ تتضمن المساواة في الإمكانيات المتوفرة بين الرجال والنساء وتعبر عنْ منظومة علاقاتٍ اجتماعيةٍ وسياسيةٍ وجنسيةٍ ترى المرأة نصف المجتمع ؛ إنَّنا على الأقل في ليبيا مازلنا نفتقد لأدلةٍ تشير إلى الرغبة السياسية الحقيقية في تغيير تلك الرؤية .

إنَّ الحياة السياسية في هذه الدول تتطلب خطواتٍ فعالةٍ لضمان إدماج منظور وقضايا الجنس ذكرٍ أو أُنثى في كافة هياكل وسياسات الدولة أساساً منْ إقرار دستورٍ يضمن المساواة بين الرجال والنساء والعمل .

إنَّ القوات المسلحة في طريقها لأنْ تصبح اللاعب الأساسي لممارسة السياسة بعد موجة الثورات التي شاهدتها المنطقة العربية ، ولما لذلك منْ أثرٍ على نشاطات حكومات هذه الدول المتمثلة في قدرتها على احتواء العمل السياسي منْ خلال خلق مساحات ضغطٍ بين مجموعات الشعب المختلفة . فنجد أنَّ صراع القوى السياسية قد انتقل من تحت عباءة المؤسسات إلى تفاعلاتٍ بين مجموعاتٍ شعبيةٍ تحركها القوات المسلحة منْ خلف الكواليس . إنَّ البقاء لمنْ يستطع الهيمنة على تحركات الشارع بشكلٍ رئيسيّ وفعّالٍ لمدةٍ أطولٍ .

إنَّ المخاوف الرئيسية تخلو منْ أيّ ضماناتٍ لمشاركة المرأة بمساواةٍ مع الرجل . وبالنسبة للمشاركة النسائية في الخدمة العسكرية على وجه الخصوص ، فيجب تكثيف الجهود التي تؤدى إلى زيادة الحماية المتوفرة لها ، منْ خلال قوانينٍ جديدة تسهل على النساء مقاضاة منْ أجرم في حقهنَّ ، أو بواسطة ترسيخ مفاهيمٍ ثقافيةٍ تؤكد على حق دور المرأة في المجتمع بما يتضمنه ذلك منْ مهاجمة القوانين التي نصت عكس ذلك وعدم العمل بجديةٍ على إدماج النساء في الخدمة العسكرية أُسوةً بالرجل والحياة العامة والسياسية كذلك . إنَّ المرأة الآن أداةٌ محصورةٌ بين القوى السياسية والدينية منْ أجل الرغبة في التأكيد على قيمٍ أو توجهاتٍ إيديولوجيةٍ معينةٍ . فيجب اعتبار قضية تواجد النساء في القوات المسلحة قضيةً هيكليةً تمسُّكل المؤسسات ومنظمات المجتمع المدني والطرق التي تتناول بها قضايا مشاركة المرأة العسكرية ، ويجب التأكيد على تنوع أشكال المشاركة في الخدمة العسكرية واتساعها لتتضمن قدرة النساء على تطوير واقعهنّ والتعبير عن تصوراتهنَّ للمجتمع العسكري الذي يشتغلنَّ فيه ، بحيث لا تختزل مشاركتهنَّ في واجهاتٍ معينةٍ ولكن

تتسع لتشمل قدرتهنَّ على القيام بواجبات الجيش وتحقيق أهدافه الكبرى بحيث يصبح تواجدهنَّ في المجتمع العسكري تواجدٌ إيجابيٌّ يدعم استقراره واستمراره .

إنَّ المشاركة العسكرية هي المشاركة في الخدمة العسكرية على كافة المستويات وفي كل التخصصات . وهي سلوكٌ مباشرٌ أو يقوم بمقتضاه العسكري بدورٍ هامٍ في الحياة العسكرية ، ومن آليات المجتمع العسكري أنْ تتيح إعادة تركيب بنية المجتمع العسكري ونظام السلطة فيه وتستطيع أنْ تستوعب كِلا الجنسين بدون أيّ تمييزٍ . وهذا هو أساس المجتمع العسكري وتعبيراً عن سيادة القانون ، وترتبط المشاركة العسكرية بالإهتمام بالشأن العسكري وبمشاركة المواطنين والمواطنات في الدفاع عنِ الوطن ، وبالتالي فهي تعبير للمواطَنة ويجب أنْ تقوم هذه المواطَنة على الحقوق المتساوية بين النساء والرجال على قدم المساواة وبإمكانية التمتع وممارسة هذه الحقوق العسكرية .

إنَّ مشاركة النساء في الحياة العسكرية منْ أهم عناصر تطور الأمة وهي تعكس طبيعة النظام السياسي وسطوة المجتمع والقبيلة ، وعليه فإنَّ ضعف الآليات والقوى السياسية في المجتمع يساهم في تهميش مشاركة المرأة عموماً وإبعادها عنِ الجيش خصوصاً ؛ كما تقاس درجة نمو المجتمعات بمقدار قدرتها على دمج النساء في قضايا المجتمع العامة والخاصة ، وتعزيز قدراتهنَّ للمساهمة في العملية التنموية فيه .

ومنَ المعلوم بانَّ المجتمعات التقليدية أقلُّ ميلاً للإعتراف بحقوق المرأة في الخدمة العسكرية مقارنةً بإمكانية اعترافها بحقوقٍ أُخرى كالحقوق الإجتماعية والإقتصادية ، مما يعني إنَّه لا إمكانيةً لوصول المرأة إلى المجتمع العسكري ولكن قد يترافق مع فرض حصارٍ عليها ليكون وجودها شكليٌّ أكثر مما هو عمليٌّ إذْ ما أنْ تدخل المرأة في الحياة العسكرية حتى تزداد القيود عليها لتحافظ على منظومة العادات والتقاليد وسطوة المجتمع الذكوري . وتتخذ المشاركة العسكرية النسائية عدة مستوياتٍ وأهمها :

1. المستوى الأول : مستوى السلطة العسكرية بموجب قوانين وتشريعات العسكرية فتستطيع المرأة بحكم منصبها العسكري التدخل مباشرة في صنع القرار ورسم السياسات الوحدة .
2. المستوى الثاني: مستوى الذي تستطيع المرأة العسكرية منْ خلاله أنْ تؤثر في عملية صنع القرار العسكري منْ خلال نفوذها.
3. المستوى الثالث: وهو مستوى الضابط أو العسكري في الطبقات العسكرية الدنيا .

مراحل المشاركة العسكرية النسائية :

تمر المشاركة العسكرية النسائية بدرجاتٍ ومراحلٍ مختلفةٍ :

1. تبدأ بالإهتمام بالشأن العسكري .
2. تتطور إلى رغبة الإنخراط في الخدمة العسكرية .
3. التقدم إلى الكليات والمدارس العسكرية .
4. وأخيراً تنتهي بتحمل المسؤوليات والواجبات العسكرية وتعاطي النشاطات الإجتماعية العسكرية بكل إيجابيةٍ وكل أشكال الأعمال والوجبات والمهام العسكرية في السلم والحرب .

هذه المراحل هي تعبيراتٌ وسلوكياتٌ عسكريةٌ مختلفة ٌللمرأة العسكرية وتتطلب تطوير المعرفة والمفاهيم العسكرية وتدعيم " الثقافة العسكرية" والعمل على التنمية البشرية في المجتمع العسكري .

أهمية مشاركة المرأة في الخدمة العسكرية :

إنَّ أهمية مشاركة المرأة في الخدمة العسكرية تأخذ طابعاً خاصاً نظراً لخصوصية قضية المرأة وترتكز أساساً على إلغاء التمييز القائمة ضدها في المجتمع منْ أجل تحقيق المساواة وتكافؤ الفرص بينها وبين الرجل . لذلك فإنَّ أهمية مشاركتها في الخدمة العسكرية لها أبعادٌ أخرى مثل :

1. تخرج المرأة منْ حيز الأسرة .
2. تساعد على تقاسم الأدوار بين الرجل والمرأة .
3. تدفع بقضية المرأة إلى أنْ تصبح قضيةٍ إجتماعيةٍ عامةٍ وليست قضيةً على هامش قضايا المجتمع تَعتنى بها المرأة فقط .
4. مشاركة المرأة في الخدمة العسكرية تمكنها منَ الحصول على حقوقها وممارستها .
5. مشاركة المرأة في الخدمة العسكرية تخدم فكرة المساواة بين الجنسين .
6. مشاركة المرأة في الحياة العسكرية على قدم المساواة مع الرجل تشكل إحدى آليات التغيير الإجتماعي وتساهم في إعادة تركيب بنيته .
7. تعتبر المشاركة في الخدمة العسكرية بالنسبة للمرأة مؤشرٌ لنمو وتعزيز مشاركة كل المواطنين في بناء الأمة والدفاع عنها وإعادة توزيع علاقات القوة بين الجنسين وتحسين آليات ممارسة السلطة السياسية . وأنَّ وجود المرأة في مراكز القوة والسلطة سيحقق المصالح المرتبطة بها وإبراز قضاياها والدفاع عنْ حقوقها .
8. المشاركة في الخدمة العسكرية تعطي المرأة قدرةً أكبراً على التحكم في حياتها وتمكينها منَ الحصول على حقوقها وتحقيق مصالحها والدفاع عنها .

على الرغم من أهمية مشاركة النساء في الخدمة العسكرية لكنَّ هذه المعطيات الإيجابية لا تؤشر إلى إنعدام التمييز بحق المرأة ، إذْ إنَّ النظام الإجتماعي ما زال متأثراً بالقيم التقليدية القائمة على الإنتقاص منْ شأن المرأة والتسليم بتبعيتها ، وعدم توظيف قدراتها وكفاءاتها في موقع صنع القرار .كل ذلك يمنع منْ بروز قضية المرأة في الشأن العام . ويمكنُ تلخيص المعوقات التي تمنع النساء منَ المشاركة بما يلي :

1. المعوقات القانونية .
2. المعوقات الإجتماعية والثقافية .
3. المعوقات السياسية .
4. المعوقات الإقتصادية .
5. معوقاتٌ خاصةٌ بالمرأة وتشمل :

أ- ضعف خبرة المرأة في المجال العسكري .

ب- صورة المرأة عنْ ذاتها وضعف ثقتها بنفسها وعدم وعيها بأهمية دورها في المجتمع العسكري .

المرأة وشغل المناصب العسكرية

إنَّ الحديث عنْ مشاركة المرأة في الخدمة العسكرية ، ودور هذه المشاركة في التعبير عنْ تغييراتٍ أساسيةٍ في أوضاع المرأة في المجتمع العسكري التي تمنح المرأة حق المشاركة في الخدمة العسكرية . والخلاف على شكل المشاركة العسكرية للمرأة ، هل يمكن ترقِّيها في المناصب العسكرية والقيادية الحسَّاسة متقدمةً في التشكيلات الكبرى ، أمِ الإكتفاء بمناصب ثانوية ولا يشغلها غير النساء ، أمْ أنَّ المشاركة يجب أنْ تكون عبر تغيير نظرة المجتمع العسكري إلى المرأة أولاً ، وقدراتها والتعامل معها منْ موقع المساوة مع الرجل ثانياً ، وهو ما يسمح بتعديل أوضاع النساء في المجتمع العسكري ؟. إنَّ تغيير نظرة المحتمع عامةً والمجتمع العسكري خاصةً إلى المرأة وقدراتها على أدآء الخدمة العسكرية هو ما نحتاجه ونظرة المجتمع وثقافته إلى الخدمة العسكرية بوصفها ميداناً للرجال فقط هي نظرةٌ ثابتةٌ في مجتمعاتنا الذكورية .و إنَّ مطلب دمج المرأة في المجتمع العسكري بالتَّساوي مع الرجل في الحقوق والواجبات ، هو مطلبٌ قائمٌ وسيبقى قائماً لعقودٍ قادمةٍ .

لا شك بأنَّ دور المرأة وقدرتها على المساهمة في بناء المجتمع العسكري وبالتالي الجيش يعودان إلى قدرة هذا الجيش على قبول المرأة كفردٍ عسكريّ ، وأكثر ما يتطلب هذا الاعتراف هو دورها في المجتمع العسكري ، وخاصةً في تولّي المناصب . ومع تمسك بعض أفراد المجتمع العسكري بالمفاهيم التقليدية التي تحصر المرأة في دور الحفاظ على النسل وإدارة البيت وترسيخ هذه المفاهيم في الثقافة العسكرية ، ذلك سيضع حواجزاً مرتفعةً أمام المرأة ويشكل عائقاً أساسياً أمام دمجها في المجتمع العسكري وتولّي المناصب المختلفة فيه مما سيُبقي دورها محبطاً على الدوام .

فمشكلة المرأة وعلاقتها بالمجتمع العسكري ، لا تكمنُ فقط في الحصول على رتبةٍ عسكريةٍ ، لأن هذا الوصول ربَّما يكونَ خادعاً . فوصول المرأة إلى القوات المسلحة وحصولها على رتبةٍ عاليةٍ لا يعني أنَّه هناك تغييراً في النظرة الإجتماعية للمرأة ، وإعادة النظر في دورها العسكري ، بقدر ما يكون ذلك نوعاً منَ الديكور بلا فعالية ، ولا انعكاس بل أفكارٍ متخلفةٍ تقوم على ترسيخ القاعدة لا على خرقها ، منْ أجل ذلك فإنَّ المناصب العسكرية التي شغلتها النساء ما هي إلا مواقعٌ هامشية . أمَّا في الجيوش المتقدمة كأمريكا وروسيا فإنَّ النساء وصلنَّ إلى مناصبٍ عاليةٍ كقائد سلاح الجو مثلاً في أمريكا .

إنَّ العمل الحاسم يجب أنْ يكون في المجتمع العسكري ، فهو وحده الكفيل بتغيير الصورة ، والدور الرئيسي يقع على عاتق المرأة ذاتها في فرض وجودها داخله وعدم التراجع كما حدث في القوات الجوية العربية الليبية . حيث تراجعت المرأة بشكلٍ ملوحظٍ حتى قبل نكبة فبراير ، فلم نرَ لها أيَّ منصبٍ أو مكانةٍ مرموقةٍ ، رغم أنَّ مشكلة المرأة الليبية ليست مشكلةٌ ذاتيةٌ بقدر ما هي مشكلة مجتمع نصفه جاهلٌ ونصفٌ غير مثقفٍ ، ومشكلة مجتمعٍ عسكريٍّ يعمل بنصف قدراته هي مشكلةٌ مستعصيةٌ .

إنَّ معركة المرأة معركةٌ في المجتمع العسكري مزدوجةٌ فهي معركةٌ منْ أجل الحصول على الحقوق الطبيعية للنساء لأنَّهنَّ يشكلنَّ نصف المجتمع ، وهي معركةٌ منْ أجل الوصول إلى المناصب القيادية أسوةً بالرجال .

وأخيراً ، فإنَّ المجتمع العسكري بإصراره على " الخصوصية والمُحَافَظة " ، لا يعني ذلك أنَّهُ مجتمعٌ يأبى التحديث ؛ في الوقت الذي يخاف فيه الإنفتاح على أنماطٍ جديدةٍ للعلاقات داخله لتتجاوز تحديد الأدوار أو تقسيمها ، ويخاف التفكير في إحلال قيمٍ عسكريةٍ جديدةٍ ، وفي نفس الوقت يقوم بتعلية قيم الصدق والأمانة وتقدير العمل والكرامة الإنسانية وإرساء ثقافة حب الوطن والتضحية في سبيله ، ويتخطّى التراتبية بين الجنسين إلى المساواة بين الجنسين .

الباب العاشر

علم الإجتماع العسكري وبعض العلوم الأُخرى

تنقسم العلوم بشكل عام الى قسمين رئيسيين هما العلوم الطبيعية ، كالفيزياء و الكيمياء و علم الاحياء و الجيولوجي ، و العلوم الانسانية ، التي تهتم بدراسة العالم الاجتماعي ، مثل علم الاجتماع ، ومنه علم الاجتماعي العسكري . وعلم الاقتصاد وعلم السياسة و التاريخ و الجغرافية وعلم الانسان وعلم النفس . و تتصف هذه العلوم بطابعها التخصصي و كل علم منها له نظريات و مناهج بحث خاصه به تميزه عن باقي العلوم الانسانية الاخرى . ومع هذا فان هناك ظواهر اجتماعية يشترك في دراستها اكثر من علم واحد ، لكن كل علم يدرسها في زاوية تخصصه .

فالعالم المشهور بيترم سوروكن (1889 – 1968) حدد موقع علم الاجتماع بين العلوم الاجتماعية من خلال تحديد موضوع دراسة و اهتمام هذا العلم ، حيث قال : (ان لكل علم حدودا معرفية في مجال حقله و و على الرغم من ذلك فان هناك مواضيع مشتركة بين العلوم و فمثلا هناك تداخل بين الفيزياء و الهندسة و الرياضيات و الكيمياء . و جميع هذه العلوم متداخلة مع علم الاحياء ، و هذه التداخلات الميدانية انتجت ميادين جديدة كالكيمياء العضوية و الفيزياء الرياضية . و نجد هذه الصفة في العلوم الاجتماعية ، فعلاقة علم الاجتماع بعلم النفس ، اوجدت لنا حقلا جديدا اسمه علم النفس الاجتماعي ، وعلاقة علم الاجتماع بعلم الاقتصاد ، اظهرت لنا حقلاً جديداً ، اسمه علم الاجتماع الاقتصادي ، وعلاقة علم الاجتماع بالتاريخ ، اظهرت حقل تاريخ الفكر الاجتماعي ، وعلاقة علم الاجتماع بعلم السياسة أظهرت لنا حقلاً اسمه علم الاجتماع السياسي ، وعلاقة علم الاجتماع بعلم الانسان أوجدت حقلاً اسمه علم الانسان الاجتماعي ، وعلاقة علم الاجتماع بالتجمعات العسكرية أظهرت لنا علم الاجتماع العسكري ، وعلاقة علم الاجتماع بالجغرافية مطلق بين العلوم الاجتماعية .

ومع كل هذا ، فأن هناك اهتمامات وطموحات ومواضيع تخص كل علم بما يميزه عن باقي العلوم الاجتماعية الاخرى . ولا يمكن معرفة أبعاده الفكرية والميدانية إلاّ في إطاره العام . فمثلاً يقول دوركهايم : " بأنه لا يمكن فهم الظاهرة الاجتماعية خارج محيطها الاجتماعي . وإذا أردنا دراسة عناصرها كالفرد فلا يمكننا دراسته خارج هذه الظاهرة " . يدلل ذلك بالمقارنة مع علم الكيمياء و يقول : "عندما نمزج الاوكسجين مع الهيدروجين فإنهما يكونان الماء ، ولا يمكن أن ندرس عناصر الماء منفصلة الواحدة عن الاخرى" ، وانسياقاً إلى هذا التشبيه ، إذا أردنا دراسة دور المرأة والرجل في المجتمع ، فلا يمكننا دراسة ذلك خارج بناء المجتمع نفسه .

علاقة علم الاجتماع العسكري بالتاريخ

وإذا عقدنا مقارنة بين علم الاجتماع العسكري والتاريخ نجد الثاني يقوم بتسجيل الماضي وأحداثه بينما يزداد عمقاً حين يختص في المجال العسكري ويقحم نفسه في العلوم والمعارف العسكرية تحت اسم "التاريخ العسكري"، والتاريخ بعمومه يصف الاحداث كما هي ، وبكل دقة خلال فترة زمنية معينة ، ويربط الحوادث بغيرها من الاحداث المرتبطة بها ، كأن يتحدث عن معركة بذاتها ثم يربط أحداثها بالأحداث الاقتصادية في نفس الفترة ، فلا يقف المؤرخ عند وصف المعركة فقط بل يبحث عن أسبابها من أجل دراسة تشخيص وجودها ، أي أنّ المؤرخ يهتم بالأحداث نفسها . بينما لا يهتم عالم الاجتماع العسكري بالحدث الواحد ، بل بدرجة تكراره داخل المؤسسة العسكرية ، ومدى اشتراك الأفراد أو تأثرهم به ، فهو لا يهتم بسلوك الفرد داخل الحدث الواحد ، بل بسلوك الأفراد داخل حدث متكرر في الصنف الواحد ، أو في عدة صنوف ، إضافة الى ذلك ، فأن العالم الاجتماعي العسكري لا يهتم بوصف الحدث إن كانت ظاهرة أو مشكلة مثلاً ، بل يهتم بتحليل تلك الظاهرة أو المشكلة ومعرفة أسباب حدوثها وربطها ببقية الأحداث الاخرى .

وبشكلٍ أدق ، فإن المؤرخ يهتم بالأحداث الفريدة والخاصة وفردية الحدوث ، بينما يهتم علم الاجتماع العسكري بالظواهر العامة والمتكررة الحدوث في المعسكرات والثكنات . مثال ذلك يدرس عالم الاجتماع العسكري الحركات الاجتماعية في المجتمع العسكري بصورة عامة ، ويختار الصفة المتكررة في المجتمع وليس الفريدة من نوعها . على عكس التاريخ الذي يهتم بالحالات الفريدة غير المتكررة . مثال آخر ، يهتم علم الاجتماع بدراسة التغيرات الاجتماعية العسكرية بصورة عامة ، أسبابها ، ونتائجها على المؤسسة العسكرية ؛ وثمة نقطة أخرى جديرة بالمقارنة ، هي أنّ المؤرخ يهتم بحياة القائد السياسي أو العسكري . بينما لا يهتم العالم الاجتماعي بحياة القائد السياسي أو العسكري ، بل يهتم بدراسة القيادة كظاهرة اجتماعية لأنه لا يوجد مجتمع عسكري بدون قائد .

بالإضافة الى ما تقدم ، فأن المؤرخ يهتم بتباين الاحداث المتشابهة بينما يهتم عالم الاجتماع العسكري ، بتشابه الاحداث المختلفة . فمثلاً ، يهتم المؤرخ بالحروب العربية مع الكيان الصهيوني في 1947 ، 1956 ، 1967 ، 1973 . أو حروب نابليون أو الحرب العالمية الاولى و الثانية . بينما لا يهتم عالم الاجتماع العسكري بنتائج هذه الحروب ، بل كما أسلفتا فهو يهتم بالحرب كظاهرة اجتماعية م، وما تنتجه من تماسك أو تفكك اجتماعي (داخل المجتمع العسكري) ، وأثرها على تغيير البناء الاجتماعي العسكري . كما هو الحال في ثورة فبراير 2011 ، فهي غنية جداً بالأحداث والظواهر العسكرية التي تحتاج إلى دراسات اجتماعية موسّعة .

	اهتمامات التاريخ	اهتمامات علم الاجتماع العسكري
1	بالخصوصيات	بالعموميات
2	بالأفراد	بالجماعات
3	بوصف الاحداث	بتحليل الاحداث
4	بالأحداث الفريدة	بالأحداث العامة
5	بالأحداث غير المتكررة	بالأحداث المتكررة

شكل يوضح اهتمامات علم الاجتماع و التاريخ

علم الإجتماع العسكري والتاريخ العسكري

بينما يسعى التاريخ العسكري إلى متابعة الأحداث وتدوينها في تسلسلها الزمني يحاول ترتيب وتصنيف سلوك العسكر عبر الزمن ، ويهتم علم الإجتماع العسكري بإبراز العلاقة بين الأحداث العسكرية في زمن واحد ، ولا يقتصر اهتمام المؤرخين على دراسة الماضي فقط بل يتعدَّاهُ إلى الأحداث الجارية فيتناولونها بالتحليل والتدوين والمناقشات ويربطونها بالمواقف السياسية باعتبار أنّ الحرب امتدادٌ للسياسة ويعتني المؤرخون بدراسة الأسباب الكامنة وراء الأحداث العسكرية وتتابعها واستخراج الدروس المستفادة من كلّ حدثٍ على حِدة ، أمّا علماء الإجتماع العسكري فيهتمون بدرجة أكبر بالبحث عن العلاقات المتبادلة بين تلك الأحداث العسكرية ثم التوصل إلى تتابعها النسبي أيْ أنهم يهتمون بدراسة حاضر المجتمع العسكري وبعض امتداداته . ويحاول علم الإجتماع العسكري أن يستفيد من المعلومات التاريخية للأحداث العسكرية في نواحي دراساته فيستنتج منها المظاهر والخصائص الإجتماعية المشتركة ، أي أنّ التاريخ العسكري هو الحقل الذي يحصل منه علم الإجتماع العسكري على كثير منَ المبادئ والخصائص التي تتميز بها بعض نواحي الدراسات العسكرية كعلم الإجتماع .

التاريخ العسكري هو العلم الذي يسعى إلى دراسة وفهم العسكر فى حروبهم ، رغم تركيزه على الماضي . فما هو الفرق بين التاريخ العسكري وعلم الإجتماع العسكري ؟ ولكلمة " تاريخٌ عسكريٌّ " مفهومان الأُولى تعني مجموع الأحداث العسكرية ، والثانية تدوين وسرد هذه الأحداث برؤيةٍ عسكريةٍ ومفرداتٍ عسكريةٍ فلا يكون هذا السرد العسكري راويةً أو قصةً .

والتفرقة بين علم الإجتماع العسكري والتاريخ العسكري ليستْ مهمةٌ صعبةٌ على المستوى النظري ، فالتاريخ العسكري يدرس ماضي الجيوش بوصفه سباقاً منَ الأحداث والمواقف والعمليات العسكرية الفريدة والملموسة ، ويحاول المؤرخ العسكري أنْ يعيد بناء المعارك مستخدماً كثيراً منَ تحليلات المواقف

والتساؤلات ، كما حدثت أو كما كانت ستحدث ، إنَّ هذه التساؤلات ستظل دائماً مركز اهتمام القادة العسكريين .

لكنَّ المؤرخ العسكري لا يقف عند إعادة تصوير المعارك ، ولكلِّ معركةٍ أحداثٌ غير المتكررة وإنَّما يسعى إلى الكشف عنْ أنماط التكرار خلف الإطار التاريخى والسياسي والزمانى لهذه الأحداث ، فالحروب كثيرةٌ لكن التساؤل حول ما إذا كان هناك نمطٌ تكرارىٌّ لأسبابها ولنشأتها ووطأتها على المجتمعات التى تشترك فيها أو النتائج التي تترتب عليها . إنَّ الأنماط المتكررة منَ الإعتماد الإنساني المتبادل هو موضوع دراسة العلوم الإجتماعية كافةً والتى ينتمي علم الإجتماع العسكري إليها. ويقوم التاريخ العسكري على أنَّ النظام باعتباره المقدمة المنطقية في كلِّ دراسةٍ عسكريةٍ كواجبات الأركان تماماً ، تسمو هذه المقدمة المنطقية فوق مستوى الوصف البسيط . وغالباً ما تختلط الحدود بين التاريخ العسكري وعلم الإجتماع العسكري على مستوى الواقع ذلك أن الفكر العسكري بعمومه يسهم غالباً فى اكتشاف الأنماط المتكررة في واقع الحرب كظاهرة اجتماعية . ويتأنى حينما تقوده الدراسات للتطورات الحرب أو نظريات القتال الملموسة أو تطوير استراتيجية الأمة . ولنفهم هذه التطورات فهماً سببياً يجب دراسة الأحداث التاريخية التي قد تتشابك مع علم الإجتماع العسكري ؛ وتظهر هذه الأحداث بوضوح أثناء دراسة التفرد والتغير فى الظواهرة الاجتماعية العسكرية . وإذن فهناك نوع من التداخل والتشابك بين التاريخ العسكري وعلم الإجتماع ، لكنه مفيد ومثمر لكلٍّ منهما .

والملاحظ أنَّ التاريخ العسكري قد اقتصر على وصف الحقائق التاريخية العسكرية فقط بذلك فهو يختلف عنْ بقية العلوم ، لأنَّه يغوص في تحاليل المواقف السياسية والإقتصادية والإجتماعية والعسكرية للمعركة كما يأخذ في اعتباره دائما المحيط السيسيولوجي والبيئة والجغرافيا والأحوال الجوية والحلفاء ولا يجعل منْ معرفة قوانين المجتمع العسكري الموضوع الذي يبحثه دائماً ، ففي كلِّ جيشٍ وعلى قاعدة منَ الظروف المعينة تفعل فعلها القوانين الخاصة به والملازمة له التي تعبر عنِ الخصائص النوعية لهذا الجيش أو ذلك ، وتميز بين مراحل تطوره الإجتماعي . إلا أنَّ المجتمعات العسكرية المختلفة ليست فقط متميزة بعضها عنْ بعض بالقوانين العسكرية الخاصة وإنَّما هي مرتبطةٌ أيضاً فيما بينها بقوانينٍ عامةٍ تشملها جميعاً .

والتاريخ العسكري كعلمٍ عندما يدرس الحروب أسبابها ونتائجها وسرد أحداثها بالأسلوب العسكري لا يسعى إلى اكتشاف القوانين التي تعمل فى تاريخ المجتمع العسكري رغم ارتباطها العضوي الوثيق مع الحقائق السياسية والعسكرية وأعمال الأفراد والطبقات العسكرية والنخبة العسكرية المعينة في زمنٍ ما ومكانٍ ما .

علم الإجتماع العسكري وعلم الجغرافية والأحوال الجوية :

تمثل الجغرافيا عمقاً أساسياً لكلِّ التحركات العسكرية وسير العمليات الحربية حيث تمثل الأرض بواقعها الطبيعي والبشري مسرحاً للعمليات العسكرية وتحدد الجغرافيا العسكرية المحاور الرئيسية على

الجبهة ، التي تتوزع عليها القوات ، لشن هجومٍ مباشرٍ على القوات المعادية بعد تحديد مناطق الضعف فيها ، وفي العلم العسكري الحديث يمكن اعتبار تعريف معجم مصطلحات الجيش الأمريكي للجغرافيا العسكرية أفضل تعاريفها دقةً وشمولا ً، فهو يُعرفها بأنَّها : " حقلٌ متخصصٌ منَ الجغرافيا بالتعامل مع الظواهر الطبيعية والظواهر التي صنعها الإنسان ، والتي قد تؤثر في مسار العمليات العسكرية أو في التخطيط لها " .

وقالتِ العربُ في أمثالها : " قتلتْ أرضٌ جاهِلَها وقتلَ أرضاً عالِمُها" ، وأوصى عمر بن الخطاب قائده سعد بن أبي وقاص ﷺ فقال له :إذا وطئت أرضَ العدوِّ تعرَّف على الأرض كلُّها كمعرفة أهلها ، فتصنعَ بعدوِّكَ كصنْعِه بكَ "؛ و قال المفكر الصيني الشهير سون تسي Sun Tze قبل نحو 2500 سنة في كتابه القيّم فن الحرب The Art of war " إنَّ أولئك الذين لا يعرفون أحوال الجبال والغابات والأودية الخطرة والسبخات والمستنقعات لا يمكنهم قيادة جيش ."

فإذا كان علم الجغرافيا بفروعه المختلفة البشرية والإقتصادية والسياسية يركز على دراسة الموقع الجغرافي والمناخ والموارد الطبيعية والبشرية ، فهذه الموضوعات تعد متغيراتٍ ونقاط تحليلٍ رئيسيةٍ تؤثر في شكل المعركة وفي نظمها وفي الطابع الذي يميز المعركة ونشاط القادة وهيئات الركن . وغنيٌّ عنِ البيان أنَّ للظروف الطبيعية والمناخية تأثيراً ملحوظاً على العادات والتقاليد ومبلغ الحياة العسكرية أثناء المعارك والنشاط العام لمجرياتها . فالعلاقة واضحةً تماماً بين العلمين . مما سبق نجد أنَّ هناك ثمة علاقةً تربط علم الإجتماع العسكري بالعلوم الأخرى . وهذه العلاقة قد تتخذ شكلَ الجزءِ أو الكلِّ ، أو العام والخاص أو تكون ذات طابعٍ متداخلٍ جداً كالجغرافيا .

ورغم أنَّ الأسلحة والقيادة والتدريب وتخطيط المعركة ، تؤثر إلى حدٍ كبير على الحملات ، فإن الجغرافيا لها تأثير حاسم على النتيجة النهائية التي تسفر عنها الحرب أو المعركة ، وبالتالي تأثيراتها المباشرة على المجتمع العسكري ، لِذا يضع المخططون العسكريون هذه العلاقة نصب أعينهم عند التخطيط للعمليات العسكرية ، بعد دراسة الأوضاع الطبيعية والثقافية التي حددت نتائج المعارك السابقة عبر التاريخ ، ونربط هنا مرةً أُخرى التاريخ العسكري بالمجتمع العسكري ، فجميع العمليات بغض النظر عن حجمها ونطاقها تتحكم فيها بيئة العمليات التي تشمل : الطقس والمناخ والأرض ، وموقف السكان ، وهي نقاطٌ أساسية في تقدير الموقف لقائد الفرقة بالإضافة إلى عواملٍ أُخرى .

إذنْ يوجد دورٌ متبادلٌ في كل الحروب بين الجغرافيا الطبيعية وبين المعركة ، رغم التقدم الكبير في صناعة الأسلحة وتطوير التقنيات منْ أجل السيطرة على الأرض وخطوط المواصلات .وكان لاستمرار صراع البشرية أنَّ مستقبلها سيكشف عنْ أسلحةٍ أكثرَ دماراً ورعباً في أيّ حربٍ قادمةٍ ، وكانت الجغرافية على الدوام عنصراً هاماً في تقدير الموقف وإدارة المعركة على كل المستويات التعبوية والعملياتية والإستراتيجية وكذلك في نتائج هذه المعركة .

إنَّ دراسة العلاقة بين عددٍ منْ الأعمال القتالية المختلفة ، وطبيعة الأرض الجغرافية ستُظهر شواهداً على أنَّ الطقس والأرض عواملٌ مؤثرةٌ وأحياناً حاسمةٌ في نتيجة المعركة ، إنَّ الحرب والبيئة تشتركان بشكلٍ متنوعٍ ومتداخلٍ و إجراء أيّ تحليلٍ لمعاركٍ تأثرتْ بشكلٍ رئيسٍ بأحد عناصر البيئة سنستنتج أموراً متشابهةً وأُخرى مختلفةً ، وفي حين أنَّ المعارك تختلف ظروفها ونتائجها تبعاً لتغير الموقف والأسلحة وخطط القادة وهيئات الركن ، لكن يبقى أمرٌ دونَ تغييرٍ وهو أنَّ ميزة الأرض ستكون لأحد الطرفين كعنصرِ قوةٍ وهي ما يطلق عليها بالأرض التعبوية .

يقول المقدم فرانسيس أ. جالجانو منَ الجيش الأمريكي : لاشكَّ أنَّ هناك صلةٌ وثيقةٌ بين جغرافيا المنطقة والحرب حيث إنَّ التضاريس هي الهيئات الطبيعية التي تدور المعارك عليها . فليست ثمة معركةٍ أو حملةٍ عسكريةٍ لم تلعب فيها المواقف العسكرية والأرض وموقف السكان والتأثير الشديد لعاملي المناخ والطقس دوراً حاسماً في عملية اتخاذ القرار ، إذ يتحتم على القادة وهيئات الركن تخطيط العمليات بما يناسب التضاريس الطبيعية والمعركة . ورغم أهمية التدريب الجيد والقيادة الناجحة وتفوق الأسلحة والمذهب العسكري في كسب المعارك ، إلاَّ أنَّ الجغرافيا لها تأثيرٌ كبيٌر على النتيجة الحاسمة للحرب . فينبغي على القادة على كافة المستويات أنْ يضعوا نصب أعينهم العوامل الطبيعية والثقافية الأساسية التي تحدد نتائج المعارك ، ولعل من أهم تلك العوامل والقيود التي يفرضها عاملا الوقت والمكان ، والإعتبارات الجغرافية الثابتة المتمثلة في الأرض والطقس والمناخ . أ.هـ

الأحوال الجوية والمجتمع العسكري :

يُعرف الأستاذ علي الدنجال الطقس والمُناخ : الطقس هو حالة الجو الفعلية (الحالية) عند وقتٍ معينٍ وفي مكانٍ معينٍ أو المتوقعة مستقبلاً ،بينما المناخ هو معدل حالة الجو لمنطقةٍ معينةٍ في فترةٍ زمنيةٍ طويلةٍ تقدرها المنظمة العالمية للأرصاد الجوية ب 30 سنة . وتشتق المعلومات المناخية على أساس متوسطاتٍ ومعدلاتٍ لقراءاتٍ وإحصاءاتٍ يوميةٍ وشهريةٍ وسنويةٍ وفصليةٍ هي حصيلةُ معلوماتٍ لسنواتٍ عديدةٍ ، بهذا فإنَّ إشارتِ معلوماتِ المناخ لمنطقةٍ معينةٍ على أنَّ صيفها معتدلٌ ، فإنَّ هذا لا يحول منْ تعرضها لأجواءٍ حارةٍ أو باردةٍ في وقتٍ ما منْ الصيف .

وفي أبسط تعريفٍ له يعرَّف المُناخ بأنَّه هو متوسط الطقس . وتُسهِمُ المعلومات الإحصائية المناخية في سير مختلف العمليات العسكرية في حالتي السلم والحرب . حيث يتمكن القادة وهيئات الركنمنْ معرفة وتقييم تأثيرات الظروف المناخية (السلبية أوالإيجابية) في أنشطة القوات المسلحة . فالدور الحاسم للمعلومات المناخية في عملية اتخاذ القرار يجب أنْ تدرس بعنايةٍ للتمكن منَ الإجابة على الأسئلة التي من الممكن أنْ تفرضِ نفسَها ، فلهذه المعلومات قيمةٌ هامةٌ عند تحديد أماكن وانتشار القوات والأفراد سواءً في أماكن التدريب أو على الجبهات وواجبات وأدوار القوات البحرية والجوية . إضافةً إلى ذلك نوعية الملابس والمعدات التي تفرضها الظروف الجوية المسيطرة .

ومنْ بين أحد الأمثلة المعروفة على تأثير المناخ على الحملات العسكرية هو دور برد الشتاء القارس في روسيا في إحباط هجوم الجيش الألماني على العاصمة موسكو في سنة 1941م . كما أنَّ المعلومات المناخية تساعد الأطقم الصحية العسكرية في إعداد الترتيبات المناسبة للرعاية الصحية ونقل المرضى والمصابين ، بالإضافة إلى تحديد عدد وتصاميم ومواقع العيادات الطبية وجودة وكمية التجهيزات الطبية ، حيت أنَّ لبعض الظروف الجوية علاقة مباشرة بالعديد من الأمراض ، فعلى سبيل المثال فإنَّ للعواصف الرملية تأثيرات صحية كبيرة كسرطان الرئة والأزما وأمراض العيون وإلتهاب السحايا الدماغية وغيرها . يضاف إلى تأثيرها على المزاج العام للجنود والضباط وإحساسهم بعدم الإرتياح وزيادة إرهاقهم . لهذا فإنَّ توفر المعلومات المناخية الكافية عنْ هذه الظاهرة في منطقة العمليات يساعد في الإعداد النفسي والمادي لمثل هذه الظروف ، حيت تستطيع الأطقم الطبية التعامل مع مثل هذه الأمراض المصاحبة لهذه العواصف وذلك بتوفير الأدوية والمعدات اللازمة ، وكذلك وضع خطط إحترازية لتفادي النقص الذي قد يحدث نتيجةً للحوادث والتأخير والضياع نتيجةً لرداءة الرؤية (أقل من 1000 م) وشدة الرياح المصاحبة للعواصف الرملية وأثرهما على النقل البري الجوي والبحري . وما للعوامل الجوية من تحديدات للعمليات القتالية البحرية والجوية .

إنَّ معلومات الطقس الحاضر تتكون منْ معلومات الأرصاد الجوية للإستخدام منْ قبل وحدات الجيش بما فيها القوات الجوية والقوات البحرية وسلاح المدفعية وسلاح الهندسة والأسلحة الكيماوية وغيرها كلٌّ حسب واجباته ، رغم توفر التقنيات الحديثة والمتطورة ، ويسعى القادة وهيئات الركن للاستفادة من حالة الجو قدر الإمكان ، ومحاولة استغلال فترات تحسن الحالة الجوية بما يسمح بتوجيه ضربةٍ قويةٍ للعدو ، أو القيام بعمليةٍ عسكريةٍ كبيرةٍ ، ويعتبر إنزال الحلفاء على ساحل النورماندي الفرنسي في الحرب العالمية الثانية مثلاً واقعياً على ذلك ، حيث تم الإنزال بنجاحٍ في الوقت الذي لم تتوقعه القيادة الألمانية بسبب رداءة أحوال الطقس آنذاك . كما أنَّ تحليل الوضعية الجوية للطقس الحاضر هو دائماً جزءٌ منْ إمكانية إيجاد التفسيرات الممكنة للحوادث سواء الصغيرة منها أو الكبيرة ، فعلى سبيل المثال عند التحقيق في حوادث الطيران يجب على خبراء الأرصاد الجوية تقديم مختلف معلومات الأرصاد الجوية والتحليلات العلمية والفنية لوضعيات الطقس السائدة ساعة وقوع الحادث ومدى إمكانية علاقتها بالحادث .

والتنبؤات الجوية للأغراض العسكرية لا تختلف عنْ أيَّ نوع من التنبؤات الجوية الأُخرى إلاَّ أنَّها أكثر دقةً ووضوحاً وتفصيلاً ، ويجب أنْ يكون لمختلف العمليات العسكرية التنبؤ الجوي الخاص بها ، فعند إستخدام الأسلحة الكيماوية يجب أنْ تعطى تنبؤات مفصلةً عنِ الرياح على النطاق المحلي في المناطق المحظورة . وهذا يتطلب معلومات تفصيلية وفي فترات مستمرة . كما يجب أنْ تصدر تحذيراتٌ عنِ الظروف الجوية المتوقعة والمناسبة منْ قبل العدو لإستخدام الغازات أو الأسلحة الجرثومية .

والأحوال الجوية السيئة تشكل خطورةً على الأعمال القتالية حيت تتسبب في تأخير وتعطيل خطط التنقل والحركة وخطوط المواصلات والإمداد والدعم والإسناد الإداري . وإنَّ للتاريخ عبرةً وله دورٌ كبيرٌ في تخطيط الحاضر. منْ هذه الفكرة ننطلق لسرد بعض الوثائق التاريخية والمؤثرات التي أظهرت الدور الريادي

لعناصر المناخ والطقس في نجاح أو فشل بعض العمليات العسرية عبر التاريخ . لذا فقد كان ولازال القادة العسكريون يحاولون جهد امكانهم التعرف على الأحوال الجوية للمناطق التي يتوقع قيام معارك عليها . وتعد دراسة الظروف المناخية السائدة في ساحة العمليات العسكرية والتعرف على مدى تأثيرها منْ وجهة النظر العسكرية ، منْ الأمور المهمة . لأنَّها تؤثر في وضع الخطط السوقية وإدارة الحركات التعبوية والإدارية أثناء الحرب . فالضروف المناخية لاتحدد متى وأين يكون الهجوم الناجح فحسب ، وإنَّما متى وأين يكون الموقف العسكري دفاعياً أيضاً. ويجب على هيئات الركن ألاَّ تعتمد على المُعدِّلات بلْ على القيم القصوى للمُناخ . فإذا كانت لحالة الحرارة تأثيرٌ على سير الإستعدادات في موقع المعركة فعليه التصرف على أساس أسوء حالة حرارية (أعلى أو أقل درجة حرارة) بحيث يأخذ حالة الإحتياط لأسوءِ الظروف ؛ وكذلك الحال لبقية العناصر . ويبحث علم المناخ في الظواهر المناخية وتوزيعها وتصنيفها ، وقد لعبت المعلومات المناخية على مرِّ العصور دوراً بارزاً في التخطيط للأعمال القتالية ، حيث إنَّ معظم مناطق العالم تسودها مواسم مواتية للعمليات العسكرية وأُخرى غير مواتية لها ، وتتطرق تحليلات المنطقة للعديد منَ المظاهر المتنوعة وفقاً للإطارين المكاني والزماني موضوع البحث ، وتلعب عوامل معينة مثل : طبوغرافية الأرض ونباتاتها ، وتنوّع الضغط الجوي فيها ومظاهر التقلبات الجوية دوراً مهماً في تحديد مناخِ منطقةٍ معينةٍ . ويمكن للقادة أختيار أفضل الأوقات لبدء الهجوم الناجح . لأنَّ بعض فصول السنة تكون أصلح منْ غيرها لنجاح الأعمال القتالية . وذلك حسب نوع الأسلحة التي تستخدمها الجيوش المتحاربة . فقد كان للمناخ القارص شتاءٍ داخل روسيا منْ أسباب فشل نابليون في حملته عليها عام 1913. وتكرر نفس الشيء للهجوم الألماني عليها خلال الحرب العالمية الثانية . فالأحوال الجوية تؤثر تأثيراً هاماً في الموقف العسكري أو خلال المعارك أو قبلها . فكثرة الآليات والطائرات في الجيوش الحديثة زادت منْ أهمية الإحاطة بالخصائص المناخية والتغيرات الطقسية . فقد توخي دراستها بدقةٍ وأخذ الإحتمالات لها لذا فقد بات منَ الضروري جداً للقائد أنْ يبني خططه وتقديراته للموقف العسكري على ما يرده منْ معلومات عنِ الأحوال الجوية القادمة . وينبغي تدريب الجنود جيداً وتزويدهم بالمعدات اللازمة للتعامل مع الأحوال المناخية السيئة ، وتتمتع القوات المحلية دائماً مزايا جيدة لأنّها متأقلمة مع مُناخ بلدانها ولديها خبرةً واسعةً في القتال رغم التقلبات الجوية .

علاقة علم الاجتماع العسكري بالاقتصاد

أما علاقة علم الاجتماع العسكري بعلم الاقتصاد ، فانهما يهتمان معاً بالظواهر العامة . فمثلاً يهدف علم الاقتصاد إلى الوصول أو اكتشاف معادلة لظواهر عامة متكررة في وقت معين وزمان معين ، (مثل الوصول الى قانون يوضح الإنفاق وقت الحرب ، وميزانيات النفير وتوجيه الاقتصاد للمجهود الحربي) أو وضع معادلة اقتصادية استراتيجية للاستعداد للمعركة المتوقعة . كذلك علم الاجتماع ، فأنه يبحث عن ظواهر اجتماعية عامة تسود المؤسسة العسكرية ، كدراسته للطبقية العسكرية و التغيرات الاجتماعية العسكرية أو أثر التقدم التقني والحاسوبي والذكاء الإصطناعي على تسليح القوات ، وهذه تمثل ظواهر عامة في رأيِ . لكن على الرغم من وجود هذا التشابه الكبير في الأهداف فهناك اختلاف جوهري بينهما ، حيث يبحث علم الاقتصاد ببعض خصوصيات الظواهر الاقتصادية كاهتمامه بالسلع و توزيعها و الانتاج و

الاستهلاك و القيمة و العرض و الطلب و التي تتأثر بمكونات البناء الاجتماعي العام التي يدرسها علم الاجتماع العام ولا يدرسها علم الاجتماع العسكري لأن أفراد القوات المسلحة هم جزء من الشعب ، ويهتم علم الاقتصاد بالسلع وتوزيعها ، و الانتاج والاستهلاك ، بينما يهتم علم الاجتماع العسكري بتأثير القيم الاجتماعية العسكرية ، وبناء المجتمع العسكري على عملية المساهمة في الانتاج ، أمّا الاستهلاك فنحن جزء بسيط من الشعب .

علاقة علم الاجتماع العسكري بالعلوم السياسية

أما العلوم السياسية فهي التوأم للعلوم العسكرية ، وهي تهتم بالظواهر السائدة في المجتمع . حيث تهتم بدراسة الدولة والسلطة والنفوذ ومعرفة ظروف نشؤ الانظمة السياسية ونوع السيطرة ودراسة التنظيمات الرسمية . جميع هذه المواضيع وغيرها في الحقيقية هي أوجهٌ معينة في حياة المؤسسة العسكرية ، التي يدرسها علم الاجتماع العسكري ضمن دراسته للمؤسسة العسكرية .

علاقة علم الاجتماع بعلم النفس

أما علاقة علم الاجتماع العسكري بعلم النفس فأنها أقرب من بقية العلوم الاجتماعية آنفة الذكر ، لأن علم النفس يدرس الشخصية والدوافع والتعلم و الذكاء والشعور والمواقف وغيرها من المواضيع التي لا نستطيع أحياناً تصنيفها هل هي علم اجتماع أم علم نفس ، وجميع هذه المواضيع تنشأ من المحيط الاجتماعي الذي يدرسه علم الاجتماع بعمومه ولا أخص به العسكري .

علاقة علم الاجتماع العسكري بعلم الانسان (الانثروبولوجيا)

علاقة علم الاجتماع بعلم الانسان (الانثروبولوجيا) الذي هو اقرب العلوم الانسانية له ، وفي أغلب الأحيان يصعب على الباحث الفصل بينهما فصلاً تاماً ، وخاصة بين علم الاجتماع العسكري وعلم الإنسان الحضاري والاجتماعي ، فهي تهتم بدراسة الإنسان من حيث هو كائن اجتماعي في المجتمع البدائي غير المتعلم ، والمجتمعات المتخلفة حضارياً وتكنولوجياً و الفلكلور والعادات والقيم والأعراف والسلوك البشري والحضارة والعائلة و أنماط الزواج والتنشئة الاجتماعية والشخصية والتغيير الاجتماعي الخاصة بتلك المجتمعات . و ذلك نجد صعوبة التفريق بين علم الاجتماع العسكري علم الانسان للتشابه الحاصل في مواضيع دراستها .

ولتوضيح هذه العلاقات الميدانية بين علم الاجتماع العسكري و العلوم الاجتماعية الأخرى ، ننقل ما كتبه الاستاذ سوروكن في هذا الخصوص حين صور علم الاجتماع بصورة العمود الفقري لجميع العلوم الاجتماعية ، وأنه الوعاء الكبير الذي يتضمنها جميعاً ، لأن جميع العلوم الاجتماعية (كما في مقارنتنا) تأخذ جانباً واحداً من الظاهرة الاجتماعية . بينما يأخذ علم الاجتماع العسكري الظاهرة الاجتماعية العسكري

ويدرسها بكاملها كما يدرس المجتمع العسكري بكامله ، و لتوضيح ما ذكرناه نشبه بالشكل الذي وضعه سوروكن وهو كالتالي :

1	علم الاقتصاد	أ ب ج	د هـ و
2	علم السياسة	أ ب ج	زرق
3	التاريخ	أ ب ج	ن ع ي
4	علم النفس	أ ب ج	س م ح
5	علم الإنسان	أ ب ج	ف ل ك

إنّ الرموز أ ب جـ تمثل المجتمع الذي يدرسه علم الاجتماع ، وبقية الرموز تمثل الظواهر الاجتماعية ، التي تهتم بها بقية العلوم الاجتماعية . هذا الشكل التوضيحي يصور لنا علم الاجتماع بأنه يمثل القاسم المشترك الأعظم بين العلوم الاجتماعية عند دراستها للظواهر الاجتماعية ، وهذا ما أكد عليه سوروكن و جورج زمل .

ولابد من التنويه هنا ، بأن علم الاجتماع العسكري يعتمد في دراسته على نتائج دراسة العلوم الاجتماعية الاخرى ، أي أن العلوم الاجتماعية متشابهة ومتساندة في دراستها للمجتمع الانساني . وهذا موجود أيضاً في العلوم الطبيعية ، فمثلاً تستقل الفيزياء والهندسة و الكيمياء والرياضيات بعضها عن بعض . وفي الوقت نفسه ، تعتمد كل منها على الأخرى . فيعتمد علم الجيولوجي على الفيزياء والكيمياء و علم الاحياء ، و في العلوم الاجتماعية نجد علم الاجتماع قد اعتمد على أبحاث المؤرخين ونتائج البحوث الاقتصادية والسياسية ونظريات ارسطو وأفلاطون الاجتماعية . فقد اثرت نظريات العلوم الاقتصادية والسياسية والتاريخية على عمل أوغسطين وتوماس الأكويني ، وهويز وميكافيلي ، وابن خلدون ، وفيكو ، ومونتسيكو ، ولوك ، وروسو ، وبيجوت ، وأوكست كونت وهربرت سبنر وهيكل وماركس ، ودوركهايم ، وتارد وماكس فيبر ، وباريتو .

إذن هناك تفاعل بين العلوم الاجتماعية ، لكن هذا التفاعل محدد بقدر ما للظاهرة الاجتماعية من جوانب ممتدة في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية والتاريخية . فالظاهرة الاجتماعية هي التي تحدد علاقة هذه العلوم الاجتماعية بعضها ببعض . فمثلاً إذا أراد احد الباحثين دراسة مشكلة السرقة عند الأحداث ، فإن عليه أن يدرس الدوافع النفسية والاجتماعية و الاقتصادية ، وأثرها في أحداث هذه المشكلة ، وقد يكون أو لا يكون و لعامل التاريخ والسياسة اثر في أحداث مثل هذه الظاهرة .

وعلى الرغم من هذه العلاقة المتشابكة بين علم الاجتماع العسكري والعلوم الاجتماعية ، فما استطاع علم الاجتماع العسكري أن يصل إلى وضع نظريات ومناهج ومواضيع خاصه به. ولعلي هنا أضع خطوة في هذا المشوار الطويل .

علاقة علم الاجتماع بالفلسفة

من الواضح أن علم الاجتماع العسكري يظهر في إطار الطموح الفلسفي إلى حد كبير، حيث أن الفلسفة الاجتماعية سبقت علم الاجتماع العسكري إلى تكثير من حيث النشأة، ، إذ أن الفلسفة الاجتماعية قد نمت في اليونان القديمة، واكتمل قوامها وتبلورت خلال العصور الوسطى وتطورت خلال عصر التنوير، والذي سبق ميلاد علم الاجتماع مباشرة، والجدير بالذكر أن كثيراً من قضايا علم الاجتماع العسكري تمتد أصولها الفكرية إلى الفلسفة الاجتماعية حيث تربطها صلة قوية. حيث من غير المقول نكران أن علم الاجتماع العسكري سيثير أفكارا فلسفية ، وأن جانباًكبيراً من الفكر السوسيولوجي قد بدأ من الفلسفة.

الحمد لله الّذي بعزّته وجلاله تتمّ الصالحات ، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك

إسلام آباد 24 يناير 2019

سعت 12:50

الفهرس

ت	الموضـــــوع	الصفحة
1	الباب الأول : علم الاجتماع العسكري وحدوده	1
2	الفصل الأول : الدراسة العلمية للمجتمع العسكري	1
3	أولاً : ما هو علم الاجتماع العسكري	2
4	ثانياً : العقبات التي تواجه دراسة الظواهر الاجتماعية العسكرية	4
5	الفصل الثاني : بعض المفاهيم الأساسية في المجتمع العسكري	7
6	الفصل الثالث : وجهات نظر متعددة للنظام الاجتماعي العسكري	22
7	أولاً : مو اقف عسكرية تقليدية	23
8	ثانياً : المو اقف العسكرية الراديكالية	26
9	الباب الثاني : الثقافة العسكرية	29
10	الفصل الأول : المجتمع العسكري و الثقافة العسكرية.....	29
11	بناء العلاقات العسكرية الاجتماعية واستمرارها وتغييرها	29
12	المفهوم العام للثقافة العسكرية	31
13	مميزات وخصائص الثقافة العسكرية.....	35
14	التنشئة العسكرية و الثقافة العسكرية.....	37
15	الثقافة العسكرية بين حب الوطن والقوى التي تصيغ فيها ومعاييرها	39
16	مكونات الثقافة العسكرية.....	44
17	أهمية الثقافة العسكرية.....	46
18	إدارة الثقافة العسكرية.....	48
19	أنواع الثقافة العسكرية.....	50
20	عناصر الثقافة العسكرية.....	55
21	الهوة الثقافية العسكرية	56
22	الفصل الثاني : الطبقات الاجتماعية العسكرية	57
23	مفهوم الطبقات الاجتماعية العسكرية.....	57
24	الطبقات الاجتماعية العسكرية والصراع الطبقي العسكري	57
25	الطبقات الاجتماعية العسكرية والتدرج الاجتماعي العسكري	58
26	المنصب و الطبقات الاجتماعية العسكرية	60
27	تحليل الطبقات الاجتماعية العسكرية	61
28	السلطة والسيطرة وتأثيرها على الطبقات الاجتماعية العسكرية	67
29	الفصل الثالث : الأعمال الاجتماعية العسكرية	68

30	الباب الثالث : ضوابط المجتمع العسكري.....	81
31	الفصل الأول : الضبط والربط العسكري	81
32	الفصل الثاني : الالتزام العسكري.....	92
33	الفصل الثالث : العقد الاجتماعي العسكري	99
34	الفصل الرابع : الإنتماء والولاء للمؤسسة العسكرية	110
35	الباب الرابع : تطور المجتمع العسكري	137
36	الفصل الأول : التغيرات الاجتماعية العسكري	137
37	مفهوم التغيير الاجتماعي العسكري	137
38	التغيير الاجتماعي العسكري والثقافة العسكرية	138
39	اتجاهات البناء الاجتماعي العسكري التحتي	141
40	علاقة التغيير الاجتماعي العسكري بالتنشئة العسكرية	144
41	علم الاجتماع الدينامي	148
42	مفهوم الدينامية العسكرية	150
43	الفصل الثاني : التنمية البشرية العسكرية.....	155
44	مجالات التنمية البشرية العسكرية.....	158
45	مقومات التنمية البشرية العسكرية.....	158
46	الفصل الثالث : التخطيط لتطوير المجتمع العسكري.....	159
47	الباب الخامس : الوعي العسكري	163
48	الباب السادس : النظام العسكري	178
49	الباب السابع : الظواهر والمشكلات العسكرية	190
50	انحراف العسكريين	204
51	تفكك المجتمع العسكري	206
52	الانحلال العسكري	209
53	البطالة العسكرية	226
54	الحرب كمشكلة اجتماعية عسكرية	233
55	النفير.....	240
56	الباب الثامن : مفاهيم اجتماعية عسكرية مختلفة	243
57	أولاً : ميثولوجيا العسكر	243
58	ثانياً : الشخصية العسكرية	246

59	ثالثاً : النخبة العسكرية	248
60	رابعاً : أنثروبولوجيا العسكر	251
61	خامساً : أيديولوجيا العسكر.....	254
62	سادساً : الأستقراطية العسكرية	268
63	سابعاً : باراسيكولوجيا العسكر.....	269
64	الباب التاسع : المرأة في المجتمع العسكري.....	271
65	الباب العاشر: علم الاجتماع العسكري وبعض العلوم الأخرى	280